سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

لأبي محمد عبد الملك بن هشام

راجع أصولها ، وضبط غريبها ، وعلق حواشيها ، ووضع فهارسها

محمد محيي الدين عبد الحميد

المدرس في كلية اللغة العربية

بالجامع الأزهر

الجزء الثالث

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة حجازي بالقاهرة

تليفون ٥٥٤٨٠

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

لأبى محمد عبد الملك بن هشام

راجع أصولها، وضبط غريبها، وعلق حواشيها، ووضع فهارسها

محمد محيى الدين عبد الحميد

المدرس فى كلية اللغة العربية
بالجامع الأزهر

الجزء الثالث

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد على بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة حجازى بالقاهرة
تليفون ٥٥٤٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله]

غزوة احد[1]

وكان [من] حديث أُحد — كما حدثني محمد بن مُسْلم الزُّهْرِيُّ ، ومحمد ابن يحيى بن حبَّان ، وعاصم بن عُمر بن قَتَادة ، وَالْحُصَيْن بن عبد الرحمن ابن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حَدَّث بعضَ الحديث عن يوم أُحُد ، وقد اجتمع حديثُهُم كله فيما سُقْتُ من هذا الحديث عن يوم أُحد — قالوا ، أو من قاله منهم :

لما أُصِيبَ يوم بدر من كفار قريش أصحابُ القليب ، وَرَجَع فَلُّهم[2] إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بِعِيرِهِ ؛ مشى عبدُالله بن أبي ربيعة ، وعكرمةُ بن أبي جهل ، وصَفْوَان بن أمية ، فى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر ، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له فى تلك العِير من قريش تجارة ، فقالوا : يامعشر قريش ، إنَّ محمداً قد وَتَرَكُم[3] وقتل خِيَارَكم فأَعينونا بهذا المال على حربه ، فلعلنا نُدْرِكُ منه ثأرَنا بمن أصاب منّا ، ففعلوا .

قال ابن إسحق : ففيهم — كما ذكر لى بعضُ أهل العلم — أنزل الله تعالى (٨ : ٣٦) : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ

---

(١) فى نسخة «أمر أحد وحديثه» (٢) فلهم : المنهزمون منهم

(٣) وتركم : ظلمكم أو جعل لكم عنده ثأر

اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ)

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان [بن حرب] وأصحاب العير بأحابيشها ، ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة

أبو عزة الجمحى يلسى يد النبى عليه ويخرج مع المشركين

وكان أبو عَزَّة عَمْرو بن عبد الله الْجُمَحِيُّ قد مَنَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر [1] ، وكان فقيرًا ذا عيال وحاجة ، وكان فى الأسارى ، فقال : يارسول الله ، إنى فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها ، فامْنُنْ علىَّ صلَّى الله عليك وسلم ، فمنَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عَزَّة ، إنك امرؤ شاعر ، فأَعِنَّا بلسانك ، فاخرج معنا ، فقال : إن محمداً قد مَنَّ علىَّ فلا أريد أنْ أظاهر عليه ، قال : فأَعِنَّا بنفسك ، فلَكَ اللهُ عَلَيَّ إن رجعتَ أَنْ أُغْنِيَكَ وإن أُصِبْتَ أن أجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر ، فخرج أبو عزة يسير فى تهامة ، ويدعو بنى كنانة ، ويقول :

إِيهاً بَنِي عَبْدِ مَنَاةَ الرُّزَّامْ ... أَنْتُمْ حُمَاةٌ وَأَبُوكُمْ حَامْ [2]
لَا تَعِدُونِي نَصْرَكُمْ بَعْدَ الْعَامْ
لَا تُسْلِمُونِي لَا يَحِلُّ إِسْلَامْ [3]

---

(١) انظر (ج ٢ ص ٣٠٥) من هذا الكتاب

(٢) الرزام : جمع رازم ، وهو الذى يثبت فى مكانه لايبرحه ، يريد أنهم يثبتون عند لقاء العدو ولاينهزمون ، تقول : رزم البعير ، إذا ثبت بمكانه ولم يستطيع مبارحته

(٣) « تعدونى » مضارع وعد . وفى بعض النسخ « لايعدونى » مضارع عدا مؤكد بالنون الثقيلة ، والذى أثبتناه أولى من حيث المعنى

مسافع الجمحى يحرض بنى كنانة

وخرج مُسَافع بن عَبْد مَنَاف بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح إلى بنى مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : —

يَامَالِ مَالِ الْحَسَبِ الْمُقَدَّمِ أَنْشُدُ ذَا الْقُرْبَى وَذَا التَّذَمُّمِ (١)
مَنْ كَانَ ذَا رُحْمٍ وَمَنْ لَمْ يَرْحُمِ
الْحِلْفَ وَسْطَ الْبَلَدِ الْمُحَرَّمِ (٢)
* عِنْدَ حَطِيمِ الْكَعْبَةِ الْمُعَظَّمِ * (٣)

وحشى غلام جبير بن المطعم

ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشيا يقال له وَحْشِيٌّ يقذف بحَرْبةٍ له قَذْف الحبشة قَلَّمَا يخطىء بها ، فقال له : أُخرج مع الناس ، فإن أنت قَتَلْتَ حمزة عَمَّ محمد بعَمّي طُعَيْمَةَ بن عَدِيّ فأنت عَتيقٌ

خروج قريش بظعائنها

فخرجت قريش بحَدِّهَا وَجَدِّهَا [وحديدها] وأحابيشها ومن تابعها من بنى كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظُّعُن (٤) الْتِمَاسَ الحفيظة (٥) وأن لايَفِرُّوا ، فخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس [معه] بهِنْدابنة عُتْبَةَ ، وخرج عكرمة بن أبى جهل بأمِّ حكيم بنت الحرث بن هشام بن المغيرة ،

---

(١) « يامال » أراد يا مالك فرخم ، ومال الثانية كالأولى ، إلا أن الترخيم فيها ضرورة لكونه مضافا إلى الحسب. والحسب : الشرف ، وأنشد : أذكر ؛ والتذمم : الذمام ، يقصد بذى التذمم صاحب العهد

(٢) ذا رحم : ذا قرابة ، ومن لم يرحم - بضم الحاء - من كان من غير ذى القرابة ، والحلف : العهد

(٣) الحطيم : مابين الحجر إلى ميزاب الكعبة

(٤) الظعن : جمع ظعينة ، وهى المرأة فى الهودج ، وأصلها الهودج ، فلما كانوا لا يطلقون على الهودج ظعينة حتى تكون فيه النساء ، توسعوا فأطلقوها على المرأة

(٥) الحفيظة : الأنفة والغضب

وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صَفْوَان بن أمية ببَرْزَةَ بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية ، وهى أم عبد الله بن صفوان [بن أمية]

قال ابن هشام : ويقال رقية

قال ابن إسحق : وخرج عمرو بن العاص برَيْطَة بنت مُنَبِّه بن الحجاج ، وهى أم عبد الله بن عمرو ، وخرج طلحةُ بن أبى طلحة (وأبو طلحة عبد الله بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار) بسُلافَةَ بنت سعد بن شُهَيْدٍ الأنصارية ، وهى أم بنى طلحة : مُسَافع ، وَالْجُلاَس ، وكلاَب ، قتلوا يومئذ هم وأبوهم ، وخرجت خُنَاسُ بنت مالك بن الْمُضَرِّب إحدى نساء بنى مالك بن حِسْل مع ابنها أبى عزيز بن عُمير ، وهى أم مصعب ابن عمير ، وخرجت عَمْرَةُ بنت عَلْقَمة إحدى نساء بنى الحرث بن عبد مناة ابن كنانة .

وكانت هندُ بنت عُتْبَة كلما مَرَّتْ بوَحْشى أو مَرَّ بها قالت : وَيْهًا [1] أبَا دَسَمَة اشْفِ وَاشْتَفِ ، وكان وَحْشِيٌّ يُكْنى بأبى دَسَمَة

فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنَيْنِ بجَبَلٍ ببَطْن السَّبْخَة من قَنَاة على شَفير الوادى مقابل المدينة

رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين : « إنِّى قَدْ رَأيْتُ واللهِ خَيْرًا ، رَأَيْتُ بَقَرًا [تذبح] ، ورأيت فى ذُبابِ سيفى ثَلْمًا ، ورأيت أنى أدْخَلْتُ يدى فى دِرْعٍ حصينة فأوَّلْتُهَا بالمدينة »

---

(١) ويها : كلمة معناها الاغراء والتحريض

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رَأَيْتُ بَقَراً لِي تُذْبَحُ ، قال : فأما البقر فهي ناس من أصحابي يُقْتَلُونَ ، وأما الثَّلم الذي [رأيت] في ذُبَاب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل »

قال ابن إسحق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بالمدينة وتَدَعُوهُمْ حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بِشَرِّ مُقَامٍ ، وإنْ هُمْ دَخَلُوهَا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا » وكان رأي عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سَلُولَ مع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يرى رأيه في ذلك ، وأن لا يخرج إليهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج ، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ممن كان فاته بدر : يارسول الله ، أُخْرُجْ بنا إلى أعدائنا لا يَرَوْنَ أنا جَبُنَّا عَنْهُمْ وضَعُفْنَا ، فقال عبدالله بن أُبَيٍّ ابن سَلُولَ : يارسول الله أَقِمْ بالمدينة لا تَخْرُجْ إليهم ، فوالله ماخرجنا منها إلى عدوٍّ لنا قَطُّ إلا أصاب منا ، ولا دَخَلها علينا إلا أَصَبْنَا منه ، فَدَعْهُمْ يارسول الله ، فان أقاموا أقاموا بشر مَحْبِسٍ ، وإن دَخَلوا قاتلهم الرجالُ في وجههم ، ورماهم النساء والصبيانُ بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا

خروج رسول الله وأصحابه

فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاء القوم حتى دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم [بيته] فلبس لَأْمَتَه(١) ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجلٌ من الأنصار يقال له : مالك بن عمرو أحد بني النَّجَّار ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج عليهم وقد نَدِمَ الناس وقالوا : استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لنا ذلك

(١) اللأمة : الدرع ، وقد يسمى السلاح كله لأمة

فلما خرج [عليهم] رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يارسول الله ، استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فان شئت فاقْعُدْ صلى الله عليك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ » فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف من أصحابه .

عامل رسول الله قال ابن هشام : واستعمل [بالمدينة] ابنَ أم مَكْتُوم على الصلاة بالناس .

انخزال المنافقين قال ابن إسحق : حتى إذا كانوا بالشَّوْطِ — بين المدينة وأُحُدٍ — انخزل عنه عبدُ الله بن أُبَيّ [ابن سلول] بثُلُث الناس ، وقال : أطاعهم وعصانى ، ماندرى عَلَامَ نَقْتُلُ أنفسنا ههنا أيها الناس ؟ فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والرَّيْب ، واتبعهم عبدُ الله بن عمرو بن حَرَام أخو بنى سَلِمة ، يقول : ياقوم أُذَكِّرُكم الله أن لاتخذلوا قومكم ونبيَّكم عند ماحضر من عدوهم ، فقالوا : لو نعلم أنكم تُقَاتَلُونَ لما أسْلَمْنَاكم ؛ ولكنَّا لا نرى أنه يكون قتال

قال : فلما استَعْصَوْا عليه ، وأبوا إلا الانصراف [عنهم] ، قال : أبْعَدَكُمُ الله أعداءَ الله فَسَيُغْنِي الله عز وجل عنكم نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام : وذكر غير زيادٍ ، عن محمد بن إسحق ، عن الزهرى ، أن الأنصار يوم أحدٍ قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : [يارسول الله] ألا نستعين بحلفائنا من يَهُود ؟ فقال : « لاَحَاجَةَ لَنَا فِيهِمْ »

قال زياد : وحدثنى محمد بن إسحق ، قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك فى حَرَّة بنى حارثة فَذَبَّ فَرَسٌ [١] بذنبه ، فأصاب كُلَّابَ سَيْفٍ [٢] فاستَلَّهُ

(١) ذب فرس بذنبه : حرك ذنبه ليطير عنه الذباب

(٢) كلاب سيف : هو فى قول ابن إسحاق بضم الكاف وتشديد اللام

قال ابن هشام : ويقال : كَلاَّبَ سَيْفٍ

قال ابن إسحق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وكان يُحِبُّ الفألَ ولا يَعْتَافُ (١) ـ لصاحب السيف : « شِمْ سَيْفَكَ (٢) ؛ فإنِّى أُرَى السُّيُوفَ الْيَوْمَ سَتُسَلُّ » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى القَوْمِ مِنْ كَثَبٍ » ؟ أى : من قرب « مِنْ طَرِيقٍ لَا يَمُرُّ بِنَا عَلَيْهِمْ » فقال أبو خيثمة أخو بنى حارثة بن الحرث : أنا يارسول الله ، فنفذ به فى حَرَّة بنى حارثة وبين أموالهم ، حتى سلك فى مال لِمِرْبَع بن قَيْظِيٍّ ، وكان رجلا منافقا ضرير البصر ، فلما سمع حِسَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين قام يَحْثِي فى وجوههم التراب ، ويقول : إن كنت رسول الله فإنى لا أحل لك أن تَدْخُلَ حائطى ، وقد ذُكر لى أنه أخذ حَفْنَةً من تراب فى يده ، ثم قال : والله لو أنى أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يامحمد لضربت بها وجهك ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَاتَقْتُلُوهُ فَهٰذَا الأَعْمٰى أَعْمٰى الْقَلْبِ أَعْمٰى الْبَصَرِ » وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بنى عبد الأشهل — قبل نَهْىِ رسول الله صلى الله عليه وسلم — عنه، فضربه بالقوس فى رأسه فَشَجَّهُ

مربع بن قيظى المنافق

وهو مسمار يكون فى قائم السيف ، وقيل : هى الحلقة التى تكون فى مسمار قائم السيف وتكون فيها علاقة السيف ، وضبطه ابن هشام ككتان كذا بهامش بعض أصول الكتاب

(١) لايعتاف : لايتطير ، تقول : عفت الطير ؛ إذا تطيرت بها

(٢) شم سيفك : أى اغمده ، وقد يكون معناه جرده ؛ فان هذه الكلمة من الأضداد

نزول رسول الله بالشعب وتعبئته للقتال

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشِّعْبَ من أُحُد في عُدْوَة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظَهْره وعسكره إلى أحد ، وقال : « لَا يُقَاتِلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ حَتَّى نَأْمُرَهُ بالقتال » وقد سَرَّحَتْ قريشٌ الظَّهْرَ وَالْكُرَاع (١) في زروع كانت بالصَّمْغَة (٢) من قَنَاة للمسلمين ، فقال رجل من الأنصار — حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال — : أتُرْعَى زُرُوعُ بني قَيْلَةَ (٣) ولما نُضَارِب ؟ !

وصاة رسول الله للرماه

وتعبَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للقتال ، وهو في سبعمائة رجل ، وَأَمَّرَ على الرُّمَاة عبدَ الله بن جُبَيْر أخا بني عَمْرو بن عَوْف ، وهو مُعْلِم يومئذ بثياب بيض ، وَالرُّمَاةُ خمسون رجلا ، فقال : « انْضَحِ الْخَيْلَ (٤) عَنَّا بالنَّبْلِ لَا يأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا فَاثْبُتْ مَكَانَكَ لَا نُؤْتَيَنَّ مِنْ قِبَلِكَ » وَظَاهَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين دِرْعَيْن (٥) ، ودفع اللِّواء إلى مُصْعَب بن عمير أخي بني عبد الدار

بعض من أجازه رسول الله و بعض من رده لصغر سنه

قال ابن هشام : وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سَمُرَةَ ابن جُنْدَب الْفَزَارِيَّ ، وَرَافِعَ بن خَدِيج أخا بني حارثة ، وهما ابنا خَمْسَ عشرة سنة ، وكان قد رَدَّهُمَا ، فقيل له : يارسول الله ، إن رافعا رامٍ ،

---

(١) الظهر : الإبل ، والكراع : الخيل

(٢) الصمغة : اسم موضع ، ويقال بالعين المهملة وبالغين المعجمة

(٣) بنو قيلة : هم الأوس ، وقيلة : اسم أم من أمهات الأنصار نسبوا إليها

(٤) انضح الخيل : ادفعهم عنا ؛ تقول : نضحت عن عرض فلان ؛ إذا دافعت عنه

(٥) ظاهر بين درعين : لبس درعا فوق درع

فأجازه ، فلما أجاز رافعاً قيل له : يارسول الله فإن سَمُرَة يَصْرَع رافعا ، فأجازه ، وَرَدَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أُسَامَةَ بن زيد ، وَعبدَالله ابن عُمَرَ بن الخطاب ، وَزَيدَ بن ثابت أحد بنى مالك بن النجار ، وَالْبَرَاء بن عازب أحد بنى حارثة ، وَعَمْرو بن حزم أحد بنى [مالك بن] النجار ، وَأُسَيْدَ بن ظُهَير أحد بنى حارثة ، ثم أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سنة

قال ابن إسحق : وتَعَبَّأتْ قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مائتا فرس قد جَنَبُوها (١) فجعلوا على مَيْمَنَةِ الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عِكْرِمَةَ بن أبى جهل

أبو دجانة وسيف رسول الله

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ يَأْخُذُ هٰذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ » فقام إليه رجالٌ فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دُجَانة سِمَاكُ بن خَرَشَة أخو بنى ساعدة ، فقال : وماحقه يارسول الله ؟ قال : « أن تَضْرِبَ بِهِ الْعَدُوَّ حَتَّى يَنْحَنِي » قال : أنا آخذه يارسول الله بحقه ، فأعطاه إياه ، وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يَخْتَالُ عند الحرب (٢) إذا كانت ، وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء فاعْتَصَبَ بها علم الناسُ أنه سيقاتل

فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أَخرج عِصَابته تلك فعَصَبَ بها رأسه ، ثم جعل يتبختر بين الصفين

قال ابن إسحق : فحدثنى جعفر بن عبد الله بن أَسْلَمَ مَوْلَى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الأنصار من بَنى سلمة ، قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) جنبوها : قادوها

(٢) يختال عند الحرب : هو من الخيلاء ، وهو الزهو

عليه وسلم — حين رأى أبا دجانة يتبختر — : « إِنَّهَا لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ إلاَّ فِي مِثْلِ هٰذَا الْمَوْطِنِ »

قال ابن إسحق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أبا عامر عَبْدَ عمرو بن صَيْفِيٍّ بن مالك بن النعمان أحد بني ضبيعة — وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم معه خمسون غلاما من الأوس ، و بعض الناس كان يقول : كانوا خمسة عشر رجلا ، وكان يعد قريشا أنْ لو قد لقي قومه لم يَخْتَلِفْ عليه منهم رجلان — فلما التقى الناسُ كان أولَ من لقيهم أبو عامر في الأحابيش ، وعُبْدَانُ أهلِ مكة ، فنادى : يامعشر الأوس ، أنا أبو عامر ، قالوا : فَلَا أَنْعَمَ اللهُ بك عَيْناً يافاسق ، وكان أبو عامر يُسَمَّي في الجاهلية الراهب ، فسَمَّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق ، فلما سمع رَدَّهُمْ عليه قال : لقد أصابَ قومي بَعْدِي شَرٌّ ، ثم قاتلهم قتالا شديدا ، ثم رَاضَخَهم (١) بالحجارة أبو عامر الفاسق

قال ابن إسحق : وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبدالدار يحرضهم بذلك على القتال : يابني عبد الدار ، إنكم قد وَلِيتُمْ لِوَاءَنَا يوم بدر فأصابنا ماقد رأيتم ، و إنما يؤتى الناس من قِبَلِ راياتهم إذا زالت زالوا فإمّا أن تَكْفُونَا لواءنا ، وإما أن تُخَلُّوا بيننا و بينه فنكفيكموه ، فهَمُّوا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نُسْلِم إليك لواءنا ؟ ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع ! وذلك أراد أبو سفيان ، فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عُتْبَةَ في النسوة اللاتي معها ، وأَخَذْنَ الدُّفُوفَ يَضْرِبْنَ بِهَا خَلْفَ الرجال و يُحَرِّضْنَهُمْ فقالت هند فيما تقول : —

(١) راضخهم بالحجارة : رماهم ، وأصل المراضخة الرمي بالسهام ، وهو بالخاء المعجمة ، ويروى بالحاء المهملة ، ومعناهما واحد ، إلا أنه بالمعجمة أشهر وأعرف

وَيْهًا بَنِي عَبْـدِ الدَّارْ * وَيْهاً حُمَاةَ الْأَدْبَارْ * ضَرْباً بِكُلِّ بَتَّارْ(١)

وتقول : —

إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ وَنَفْرِشُ النَّمَارِقْ (٢)
أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقْ (٣)

شعار أصحاب رسول الله يوم أحد

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد «أَمِتْ أَمِتْ» فيما قال ابن هشام

شأن أبي دجانة في القتال

قال ابن إسحق : فاقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دُجانة حتى أَمْعَنَ فى الناس

قال ابن هشام : حدثني غير واحد من أهل العلم أن الزُّبَيْرَ بن الْعَوَّامَ قال : وجدت فى نفسى — حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فَمَنَعَنِيهِ وأعطاه أبا دجانة — وقلت : أَنَا ابْنُ صَفِيَّةَ عمته ، ومن قريش ، وقدقمت إليه فسألته إياه قبله ، فأعطاه إياه وتركنى ، والله لأنظرن مَايَصْنَع ، فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فَعَصَب بها رأسه ؛ فقالت الأنصار : أَخْرَجَ أبو دُجَانَةَ عصابَةَ الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب بها ، فخرج وهو يقول : —

أَنَا الَّذِى عَاهَـدَنِى خَلِيـلِى وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ (٤)

---

(١) «ويها» كلمة تحريض وإغراء ، وحماة الأدبار : الذين يحمون أعقاب الناس ، والبتار : السيف القاطع الماضى فى ضريبته

(٢) النمارق : جمع نمرقة ؛ وهى الوسادة الصغيرة

(٣) الوامق : المحب

(٤) السفح : جانب الجبل

أَنْ لَا أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الْكَيُّولِ
أَضْرِبْ بِسَيْفِ اللهِ وَالرَّسُولِ [١]

قال ابن هشام : ويروى فى الْكُبول [٢] ، [يعنى آخر الصفوف]

قال ابن إسحق : فجعل لايلقى أحدا إلا قتله ، وكان فى المشركين رجل لايَدَعُ لنا جريحا إلاذَفَّفَ عليه [٣] فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه ، فَدَعَوْتُ اللهأن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضربتين ، فضرب المشركُ أبا دُجَانة ، فاتَّقَاه بدَرَقَته فعضّت بسيفه ، وضربه أبو دجانة فقتله ، ثم رأيته قدحمل السيف على مَفْرِق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها ، قال الزبير فقلت : الله ورسوله أعلم

قال ابن إسحق : وقال أبو دجانة (سِماكُ بن خَرَشة) : رأيت إنسانا يَحْمِش الناس [٤] حَمْشاً شديدا فصَمَدْتُ له [٥] ، فلما حملت عليه السيف وَلْوَلَ [٦] ؛ فاذا امرأة ، فأكرمتُ سيفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة

---

(١) الكيول : آخر الصفوف فى الحرب ، وهو بتشديد الياء ، وقد تخفف ، والكاف مفتوحة على الوجهين

(٢) قال الزرقانى فى شرح المواهب (ج ٢ ص ٣٤) : «قال البرهان : وفى بعض الروايات الكبول ـ بضم الكاف والموحدة ـ جمع كبل ، وهو القيد الضخم ، وهو إن صح رواية فله معنى ، وفى صحته نظر » اه

(٣) ذفف عليه : أجهز عليه وأسرع قتله

(٤) يحمس الناس : يشجعهم على القتال ، وهى بالسين المهملة ، ويروى يحمش ـ بالشين المعجمة ـ ومعناه يثير حميتهم وغضبهم

(٥) صمدت له : قصدت نحوه

(٦) الولولة : رفع الصوت ، وقيل : قول يا ويلاه

مقتل حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتي قتل أَرْطَاةَ بن عبد شُرَحْبِيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أَحد النفر الذين يحملون اللواء ، ثم مر به سِبَاعُ بن عبد الْعُزَّى الْغُبْشَانى وكان يكنى بأبى نِيَار ، فقال له حمزة : هَلُمّ إلىَّ يا ابن مُقَطِّعَة الْبُظُور ، وكانت أمه أمّ أَنمار مولاة شريق ابن عمرو بن وهب الثقفى (قال ابن هشام : شَرِيقُ بن الأخنس بن شريق) وكانت خَتَّانَةً بمكة ؛ فلما التقيا ضربه حمزة فقتله

قال وحشى غلام جبير بن مطعم : واللهِ إنى لأنظر إلى حمزة يَهُدُّ[1] الناس بسيفه ما يُليق[2] [به] شيئا مثل الجمل الأورق[3] إذ تقدمنى اليه سِبَاعُ [ابن عبد الْعُزَّى] فقال [له] حمزة : هلم إلىَّ يا ابن مُقَطِّعَةَ الْبُظُور ، فضربه ضربة فكأَنَّمَا أخطأ رأسه[4] وهَزَزْتُ حَرْبتى ؛ حتى إذا رضيتُ منها دَفَعْتُهَا عليه ، فوقعت فى ثُنَّتِه ، حتى خرجت من بين رجليه ، فأقبل نحوى ، فَغُلِبَ فوقع ، وأمهلته حتى إذا مات جئتُ فأخذت حربتى ثم تَنَحَّيْتُ إلى العسكر ، ولم يكن لى بشىء حاجة غيره

قال ابن إسحق : وحدثنى عبدُ الله بن الفضل بن عَبَّاس[5] بن ربيعة ابن الحرث ، عن سليمان بن يسار ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضَّمْرى ،

---

(١) يهد - بالدال المهملة - يهلكهم ، ويروى يهذ - بالذال معجمة - ومعناه يسرع فى قتلهم

(٢) مايليق : مايبقى

(٣) الأورق : الذى لونه بين الغبرة والسواد

(٤) «فكأنما أخطأ رأسه» هذا يقال عند المبالغة فى الاصابة ، كذا فى الزرقانى على المواهب

(٥) فى نسخة « بن عياش » ونص أبوذر على أن الصواب عباس بالباء الموحدة والسين المهملة

قال : خرجت أنا وعبيد الله بن عَدِىّ بن الْخِيَار أخو بنى نَوْفل بن عبد مناف ، فى زمان معاوية بن أبى سفيان ، فأدْرَبْنَا (١) مع الناس ، فلما قَفَلْنَا مَرَرْنا بحمص ، وكان وحْشِىٌّ مَوْلى جُبَيْر بن مُطْعِم قدسكنها وأقام بها ، فلما قدمناها قال لى عبيد الله بن عدى : هل لك فى أن نأتى وَحْشِيًّا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال : قلت له : إن شئت ، فخرجنا نسأل عنه بحمص ، فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه : إنكما ستجدانه بفناء داره ، وهو رجل قد غلبت عليه الخمرة ، فان تجداه صاحيا تجدا رجلا عربيًّا وتجدا عنده بعضَ ماتريدان وتصيبا عنده ماشئتما من حديث تسألانه عنه ، وإن تجداه وبه بعضُ ما يكون به فانْصَرِفَا عنه ودَعَاه ، قال : فخرجنا نمشى حتى جئناه فاذا هو بفناء داره على طنفسة له ، فاذا هو شيخ كبير مثل الْبُغَاث

قال ابن هشام : الْبُغَاث ضرب من الطير [إلى السواد]

فاذا هو صاحٍ لابأس به ، قال : فلما انتهينا إليه سلمنا عليه فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عَدِىّ ، فقال : ابنُ العدى بن الخيار أنت ؟ قال : نعم ، قال : أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمَّكَ السعديةَ التى أرضعتك بذى طَوًى ، فانى نَاوَلْتُكَهَا وهى على بعيرها ، فأَخَذَتْكَ بعُرْضَتِكَ (٢) ، فلمعَتْ لى قَدَمَاك حين رَفَعْتُكَ إليها ، فوالله ماهو إلا أن وقفت علىّ فعرفتهما ، قال : فجلسنا إليه ، فقلنا له : جئناك لتحدثنا عن قتلك حمزة كيف قتلته ، فقال : أما إنى سأحدثكما كما حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألنى عن ذلك

---

(١) أدربنا : جزنا الدروب ، والدروب : جمع درب ، وهو الموضع الحاجز بين بلاد الاسلام وبلاد العجم

(٢) العرضة : الجلد الذى يكون فيه الصبى إذا أرضع ، ويربى فيه ،

كنت غلاما لجبير بن مطعم ، وكان عَمُّه طُعَيْمَة بن عَدِىّ قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش إلى أُحُدٍ قال لى جبير : إن قتلتَ حَمْزة عَمَّ محمدٍ بعمى فأنت عتيقٌ ، قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلا حَبَشِيًّا أقذف بالحربة قَذْفَ الحبشة ، قلَّما أخطىء بها شيئا ، فلما التقى الناس خَرَجْت أنظر حمزة وأتبصَّره ، حتى رأيته فى عُرْض الناس مثل الجَمَل الأورق يَهُدُّ الناسَ بسيفه هدًّا [1] ما يقوم له شىء ، فوالله إنى لأَتَهَيَّأُ له أريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو منى إذ تَقَدَّمنى إليه سبَاع ابن عبدالْعُزَّى ، فلما رآه حمزة قال له [حمزة] : هلمإلى يا ابنمُقَطِّعة البُظُور ، قال : فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه ، قال : وهززت حَرْبتى حتى إذا رضيتُ منها دفعتها عليه ، فوقعت فى ثُنَّته حتى خرجت من بين رجليه ، وذهب لينوء نَحْوى ، فغُلِبَ ؛ وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيته فأخذت حَرْبتى ثم رجعت إلى العسكر فقعدت فيه ، ولم يكن لى بغيره حاجة ، وإنما قتلته لأعتق ، فلما قدمت مكة أُعْتِقْت ، ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هربت إلى الطائف ، فمكثت بها ، فلما خرج وَفْدُ الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لِيُسْلموا تَعَيَّتْ علىَّ المذاهبُ ، فقلت : ألحق بالشأم أو اليمن أو ببعض البلاد ، فوالله إنى لفى ذلك من هَمِّى إذ قال لى رجل : ويحك !! إنه والله مايَقْتُلُ أحداً من الناس دخل فى دينه وتَشَهَّدَ شهادةَ الحق ، فلما قال لى ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يَرُعْهُ إلا بى قائما

ويروى « بعرصتك » بالصاد المهملة ، ومعناه بالثوب الذى كان تحته ، ويروى « بعرضيك » وهو مثنى عرض ، وعرض الشىء — بضم فسكون — جانبه

على رأسه أتشهد بشهادة الحق ، فلما رآني قال : « أَوَحْشِيٌّ »؟ قلت : نعم يارسول الله ، قال : « اقْعُدْ فَحَدِّثْنِي كَيْفَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ » قال : فحدثته كما حدثتكما ، فلما فرغت من حديثي قال : « وَيْحَكَ غَيِّبْ عَنِّي وَجْهَكَ فَلَا أَرَيَنَّكَ » قال : فكنت أَتَنَكَّبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم حَيْثُ كان ؛ لئلا يراني ، حتى قبضه الله صلى الله عليه وسلم ، فلما خرج المسلمون إلى مُسَيْلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجْتُ معهم وأخذت حَرْبتي التي قتلت بها حمزة ، فلما التقى الناسُ رأيتُ مُسَيْلمة الكذابَ قائماً في يده السيف ، وما أعرفه ، فتَهَيَّأْت له وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى ، كلانا يريده ، فهَزَزْتُ حربتي ، حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت فيه ، وشَدَّ عليه الأنصاري فضربه بالسَّيْف ، فربُّكَ أعلم أيُّنَا قتله ؛ فإذا كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قتلت شر الناس .

قال ابن إسحق : وحدثني عبدُ الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسار ، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وكان قد شهد اليمامة قال : سمعت يومئذ صارخاً يقول : قتله العبد الأسود

قال ابن هشام : فبلغني أن وَحْشِياً لم يزل يُحَدُّ في الخمر حتى خُلِعَ من الديوان ، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : قد علمتُ أن الله تعالى لم يكن لِيَدَعَ قاتل حمزة رضي الله عنه

مقتل مصعب بن عمير

قال ابن إسحق : وقاتل مُصْعَبُ بن عُمَير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتِل ، وكان الذي قتله ابنَ قَمِئَةَ اللَّيْثِيَّ ، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قريش فقال : قَتَلْتُ محمداً

فلما قُتِلَ مُصْعَبُ بن عُمَير أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء

علىّ بن أبى طالب ، وقاتل علىُّ بن أبى طالب ورجال من المسلمين

قال ابن هشام : وحدثنى مَسْلَمَةُ بن عَلْقَمة المازنى ، قال : لما اشتدَّ القتالُ يوم أحد جاس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الأنصار ، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه أَنْ قَدِّم الرايةَ ، فتقدم علىّ ، فقال : أنا أبو القَصْم ، [(١)] (ويقال أبو الفَصْم فيما قال ابن هشام) فناداه أبو سعد بن أبى طلحةَ وهو صاحب لواء المشركينَ أَنْ هَلْ لك يا أبا القَصْم فى البِرَاز من حاجة ؟ قال : نعم ، فبَرَزَا بين الصَّفَّين ، فاختلفا ضربتين : فضربه علىٌّ فصرعه ، ثم انصرف عنه ولم يُجْهِز عليه ، فقال له أصحابه : أَفَلاَ أَجْهَزْتَ عليه ؟ فقال : إنه استقبلنى بِعَوْرَتِه فعَطَفَتْنِي عنه الرحم ، وعرفت أن الله عز وجل قد قتله ، ويقال : إن أبا سعد بن أبى طلحة خرج بين الصفين فنادى : أنا قاصِم [(٢)] من يبارز ؟ مراراً ، فلم يخرج إليه أحد ، فقال : يا أصحاب محمد ، زعمتم أن قتلاكم فى الجنة وأن قتلانا فى النار ، كذبتم ، واللاتِ لو تعلمون ذلك حقا لخرج إليَّ بعضُكم فخرج إليه على بن أبى طالب ، فاختلفا ضربتين ، فضربه على رضى الله عنه فقتله .

أبو سعد بن أبى طلحة و على بن أبى طالب

---

(١) وقع فى بعض النسخ «القصيم» فى الموضعين على أن يضبط أحدهما مكبرا والآخر مصغرا ، ووقع فى بعض آخر «القصم» فى الموضعين جميعا ، وضبط أولهما بالفتح والثانى كصرد ، والذى فى شرح أبى ذر : « والقصم ـ بالقاف ـ الكسر الذى يبان به بعض الشىء من بعضه ، والفصم ـ بالفاء ـ الكسر الذى لا يبان به بعض الشىء من بعض » اهـ ، قلت : والذى فى نسخة أبى ذر هو الصواب ، وهو الموافق لما حكاه الزرقانى فى شرح المواهب عن ابن إسحاق (ج ٢ ص ٣٥)

(٢) هكذا فى بعض النسخ ، وفى بعضها « أبا قاصم » على النداء ، وفى شرح المواهب للزرقانى « أين قاصم » ؟ على الاستفهام

قال ابن إسحق : قتل أبا سعدِ بنَ أبى طلحة سَعْدُ بن أبى وَقّاص

شأن عاصم بن ثابت

وَقَاتَلَ عاصمُ بن ثابت بن أبى الأقلح ، فقتل مُسَافع بنَ طلحة ، وأخاه الْجُلاَسَ بن طلحة ، كلاهما يُشْعِره سَهْماً (١) ، فيأتى أمَّهُ سُلاَفَة ، فيضع رأسه فى حِجْرِها ، فتقول : يا بُنَىَّ مَنْ أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلاً — حين رمانى — وهو يقول : خُذْهَا وأنا ابن أبى الأقلح ، فَنَذَرَتْ إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر ، وكان عاصمٌ قد عاهد الله أن لا يَمَسَّ مشركا أبدا ، ولا يمسه مشرك ، وقال عثمان بن أبى طلحة يومئذ وهو يحمل لواء المشركين : —

إنَّ عَلَى أَهْلِ اللِّوَاءِ حَقّاً ... أَنْ يَخْضِبُوا الصَّعْدَةَ أَوْ تَنْدَقَّا (٢)

فقتله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

حنظلة بن أبى عامر غسيل الملائكة

والتقى حنظلة بن أبى عامر الغسيل وأبو سفيان ، فلما استَعْلاَه حنظلة ابن أبى عامر رآه شَدَّاد بن الأسود — وهو ابن شَعُوب — [و] قد علا أباسفيان ، فضربه شدادٌ فقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ صَاحِبَكُم — يعنى حنظلة — لَتَغْسِلُهُ الْمَلاَئِكَةُ » فسألوا أهله : ما شأنه ؟ فَسُئِلَتْ صاحبتُهُ عنه ، فقالت : خرج وهو جُنُبٌ حين سمع (٣) الهاتفة

قال ابن هشام : ويقال : الهائعة ، وجاء فى الحديث « خَيْرُ النَّاسِ رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً طَارَ إِلَيْهَا »

قال ابن هشام : قال الطِّرِمَّاحُ بن حكيم الطائى (والطرماح : الطويل من الرجال) : —

(١) « يشعره سهما » أى : يصيبه به فى جسده فيصير له مثل الشعار ، والشعار : ما ولى الجسد من الثياب

(٢) الصعدة : القناة

(٣) قال أبو ذر : « الهاتفة يعنى الصيحة . ويروى الهائعة ، مأخوذ من الهياع ، وهو الصياح ، وقد فسره ابن هشام » اهـ

أَنَا ابْنُ حُمَاةِ الْمَجْدِ مِنْ آلِ مَالِكٍ إِذَا جَعَلَتْ خُورُ الرِّجَالِ تَهِيعُ (١)

[والهيعة : الصيحة التى فيها الفزع] .

قال ابن إسحق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك « غَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ » .

قال ابن إسحق : وقال شداد بن الأسود في قتله حنظلة :ـ

لَأَحْمِيَنَّ صَاحِبِي وَنَفْسِي بِطَعْنَةٍ مِثْلِ شُعَاعِ الشَّمْسِ

وقال أبو سفيان بن حرب وهو يذكر صبره فى ذلك اليوم ومعاونة ابن شَعُوب إياه على حَنْظَلة :ـ

قصيدة لأبى سفيان فى يوم أحد

وَلَوْ شِئْتُ نَجَّتْنِي كُمَيْتٌ طِمِرَّةٌ وَلَمْ أَحْمِلِ النَّعْمَاءَ لِابْنِ شَعُوبِ (٢)

وَمَا زَالَ مُهْرِى مَزْجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمُ لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى دَنَتْ لِغُرُوبِ (٣)

أُقَاتِلُهُمْ وَأَدَّعِي يَالَ غَالِبٍ وَأَدْفَعُهُمْ عَنِّى بِرُكْنٍ صَلِيبِ (٤)

---

(١) الخور : جمع أخور ، وهو من صفته الخور ـ بفتح الخاء المعجمة والواو جميعا ـ وهو الجبن والضعف ، فالخور : الجبناء الضعفاء ، وتهيع : تصيح ، كما هو استشهاد ابن هشام .

(٢) الطمرة : الفرس السريعة الوثب ، يريد أنه لو أراد الهرب لركب فرسه الذى هذه صفته فنجا عليه

(٣) مزجر الكلب : يريد أنه فى المكان الذى يزجر الكلب فيه ، وإنما يعنى أنه قريب ، والضمير المستتر فى قوله « دنت لغروب » عائد إلى الشمس وإنما أضمرها مع أنه لم يتقدم لها ذكر لأن الغداة دلت عليها ، كما قال الله تعالى : (حتى توارت بالحجاب) فان الضمير المستتر فى (توارت) عائد إلى الشمس ولم يتقدم لها ذكر ، وصح ذلك لما كان ذكر العشى يدل عليها

(٤) صليب : شديد قوى

فَبَكِّي وَلاَ تَرْعَيْ مَقَالَةَ عَاذِلٍ ... وَلاَ تَسْأَمِي مِنْ عَبْرَةٍ وَنَحِيبِ (١)
أَبَاكِ وَإِخْوَانًا لَهُ قَدْ تَتَابَعُوا ... وَحُقَّ لَهُمْ مِنْ عَبْرَةٍ بِنَصِيبِ
وَسَلِّي الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ إِنَّنِي
قَتَلْتُ مِنَ النَّجَّارِ كُلَّ نَجِيبِ
وَمِنْ هَاشِمٍ قَرْمًا كَرِيمًا وَمُصْعَبًا
وَكَانَ لَدَى الْهَيْجَاءِ غَيْرَ هَيُوبِ (٢)
وَلَوْ أَنَّنِي لَمْ أَشْفِ نَفْسِيَ مِنْهُمُ
لَكَانَتْ شَجًا فِي الْقَلْبِ ذَاتَ نُدُوبِ (٣)
فَآبُوا وَقَدْ أَوْدَى الْجَلاَبِيبُ مِنْهُمُ
بِهِمْ خَدَبٌ مِنْ مُعْبَطٍ وَكَئِيبِ (٤)
أَصَابَهُمُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ ... كِفَاءً وَلاَ فِي خُطَّةٍ بِضَرِيبِ (٥)

---

(١) لا ترعى : لا تحفظى ، ويروى « ترعى » بضم التاء ، ومعناه لاتبقى ، يقال : ما أرعى فلان على فلان ، أى : ما أبقى عليه ، والعبرة ـ بفتح فسكون ـ الدمعة ، والنحيب : البكاء مع رفع الصوت

(٢) القرم ـ بفتح فسكون ـ الفحل الكريم من الابل ، وعنى به ههنا حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، والمصعب : الفحل من الابل أيضا ، والهيجاء : الحرب ، وهيوب : خائف شديد الخوف

(٣) الشجا : الحزن ، والندوب : جمع ندب ، وهو أثر الجرح

(٤) الجلابيب : جمع جلباب ، وهو الازار الخشن ، وكان الكفار من أهل مكة يسمون من أسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم الجلابيب ، وأودى : هلك ، والخدب ـ بالخاء المعجمة والدال المهملة ـ الطعن النافذ إلى الجوف والمعبط : الذى يسيل دمعه ، وفى أكثر الأصول « معطب » وكئيب : حزين ، ويروى « كبيب » بالباء الموحدة مكان الهمزة ـ وهو المكبوب على وجهه ، فعيل بمعنى مفعول

(٥) الخطة : الخصلة الرفيعة ، والضريب : الشبيه

فأجابه حسان بن ثابت فيما ذكر ابن هشام ، فقال : —

حسان بن ثابت يجيب أبا سفيان

ذَكَرْتَ الْقُرُومَ الصِّيدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
وَلَسْتَ لِزُورٍ قُلْتَــهُ بِمُصِيبِ (١)

أَتَعْجَبُ أَنْ أَقْصَدْتَ حَمْزَةَ مِنْهُمُ نَجِيباً وَقَدْ سَمَّيْتَهُ بِنَجِيبِ (٢)
أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وَعُتْبَةَ وَابْنَهُ وَشَيْبَةَ وَالْحَجَّاجَ وَابْنَ حَبِيبِ
غَدَاةَ دَعَا الْعَاصِي عَلِيًّا فَرَاعَهُ بِضَرْبَةِ عَضْبٍ بَلَّهُ بِخَضِيبِ (٣)

قال ابن إسحق : وقال ابن شَعُوب يذكر يَدَه عند أبى سفيان فيما دفع عنه : —

ابن شعوب يمن على ابى سفيان

وَلَوْلَا دِفَاعِى يَا ابْنَ حَرْبٍ وَمَشْهَدِى
لَأُلْفِيتَ يَوْمَ النَّعْفِ غَيْرَ مُجِيبِ (٤)
وَلَوْلَا مَكَرِّى الْمُهْرَ بِالنَّعْفِ قَرْقَرَتْ
ضِبَاعٌ عَلَيْهِ أَوْ ضِرَاءُ كَلِيبِ (٥)

قال ابن هشام : قوله « عليه أو ضِراء » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال الحرث بن هشام يجيب أبا سفيان : —

---

(١) القروم : جمع قرم ـ بفتح فسكون ـ وهو الفحل من الابل ، والمراد به ههنا الكريم من الناس ، والصيد : جمع أصيد ، وهو المتكبر

(٢) أقصدت : أصبت ، وتقول : رميته فأقصدته ، إذا كنت قد أصبته

(٣) العضب : السيف القاطع ، والخضيب : أراد به ههنا الدم الذى يخضب ما يصل إليه

(٤) النعف ـ بفتح فسكون ـ أسفل الجبل

(٥) قرقرت : أسرعت وخفت لأكله ، والضباع : جمع ضبع ، والضراء الضارية التى تعودت الصيد وأكل لحوم الناس ، وكليب : اسم جماعة الكلاب

الحرث بن هشام يرد على أبي سفيان تنديده به

إِنَّكَ لَوْ عَايَنْتَ مَا كَانَ مِنْهُمُ ... لَأُبْتَ بِقَلْبٍ مَا بَقِيتَ نَخِيبِ (١)
لَدَى صَحْنِ بَدْرٍ أَوْ أَقَمْتُ نَوَائِحاً ... عَلَيْكَ وَلَمْ تَحْفِلْ مُصَابَ حَبِيبِ
جَزَيْتُهُمُ يَوْماً بِبَدْرٍ كَمِثْلِهِ ... عَلَى سَابِحٍ ذِي مَيْعَةٍ وَشَبِيبِ (٢)

قال ابن هشام: وإنما أجاب الحرثُ بن هشام أبا سفيان [بن حرب] لأنه ظن أنه عَرَّضَ به في قوله * وَمَا زَالَ مُهْرِى مَزْجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمُ * لفرار الحرث يوم بدر

الابتلاء بعد النصر

قال ابن إسحق: ثم أنزل الله نصره على المسلمين وَصَدَقَهُمْ وعده فَحَسُّوهم بالسيوف (٣) حتى كَشَفُوهم عن العسكر، وكانت الهزيمة لا شك فيها

قال ابن إسحق: وحدثنى يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير أنه قال: والله لقد رَأَيْتُنِي أنظر إلى خَدَمِ (٤) هند بنت عتبة وصواحبها مُشَمِّرَاتٍ هَوَارِبَ ما دون أخذهن قليل ولا كثير إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه وَخَلَّوْا ظهورنا للخيل، فأُتينا من خلفنا وصرخ صارخ: ألا إن محمدا قد قتل،

---

(١) أبت: رجعت، تقول: آب يؤوب، إذا رجع، ونخيب: خال فارغ، وأراد أنه جبان

(٢) السابح: الفرس الذى كأنه يعوم فى الماء، والميعة: الخفة والنشاط والشبيب: هو أن يرفع الفرس يديه جميعا، ويروى «سبيب» بالسين المهملة ـ وهو شعر الناصية

(٣) حسوهم: قتلوهم، ومنه قوله تعالى «إذ تحسونهم بإذنه» أى تقتلونهم

(٤) خدم: جمع خدمة، وهى الخلخال، يعنى أنهن شمرن ثيابهن للهرب فبدت خلاخيلهن

فانكفأنا[1] وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم

عمرة الحارثية تحمل لواء قريش

قال ابن هشام : الصارخ : أزبُّ[2] العقبة ، يعنى الشيطان

قال ابن إسحق : وحدثنى بعض أهل العلم أن اللواء لم يزل صريعا حتى أخذته عَمْرَةُ بنت عَلْقَمَةَ الحارثية ، فرفعته لقريش ، فَلَاثُوابه[3] وكان اللواء مع صُؤَاب ، غلام لأبى طلحة حبشى ، وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل به حتى قطعت يداه ثم برك عليه [يقاتل] فأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه وهو يقول : اللّهُمَّ هل أعْزَرْتُ ، (يقول : أعْذَرْت[4]) فقال حسان بن ثابت فى ذلك : —

كلمة لحسان يعير فيها قريشا بجعلهم اللواء مع غلام أبى طلحة

فَخَرْتُمْ بِاللِّوَاءِ وَشَرُّ فَخْرٍ لِوَاءٌ حِينَ رُدَّ إلَى صُؤَابِ
جَعَلْتُمْ فَخْرَكُمْ فِيهِ لِعَبْدٍ
وَأَلْأَمِ مَنْ يَطَا عَفْرَ التُّرَابِ[5]
ظَنَنْتُمْ وَالسَّفِيهُ لَهُ ظُنُونٌ
وَمَا إنْ ذَاكَ مِنْ أَمْرِ الصوَابِ
بِأَنَّ جِلَادَكُمْ يَوْمَ الْتَقَيْنَا
بِمَكَّةَ بَيْعُكُمْ حُمْرَ الْعِيَابِ[6]

---

(١) انكفأنا : رجعنا

(٢) انظر (ج ٢ ص ٥٦ من هذا الكتاب)

(٣) لاثوابه : اجتمعوا حوله والتفوا

(٤) يريد أنه كان أعجميا ، فكان لذلك يبدل ذال « أعذرت » زايا فيقول « أعزرت »

(٥) يطا : أراد يطأ ، فخفف الهمزة ، والعفر : التراب الذى بين الحمرة والغبرة

(٦) العياب : جمع عيبة ، وهى ما يضع فيها الرجل متاعه ، وفى نسخة « بان جلادنا — الخ »

أَقَرَّ الْعَيْنَ أَنْ عُصِبَتْ يَدَاهُ   وَمَا إِنْ تُعْصَبَانِ عَلَى خِضَابِ

قال ابن هشام : آخرها بيتا يروى لأبى خراش الهذلى ، [و]أنشدنيه له خلف الأحمر : —

أَقَرَّ الْعَيْنَ أَنْ عُصِبَتْ يدَاهَا   وَمَا إِنْ تُعْصَبَانِ عَلَى خِضَابِ

فى أبيات له ، يعنى امرأته فى غير حديث أحد ، وتروى الأبيات أيضا لِمَعْقِل بن خُوَيْلد الهذلى

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت فى شأن عَمْرَةَ بنت علقمة [الحارثية] ورفعها اللِّواء : —

حسان بن ثابت يندد بقريش

إِذَا عَضَلٌ سِيقَتْ إِلَيْنَا كَأَنَّهَا
جِدَايَةُ شِرْكٍ مُعْلَمَاتِ الْحَوَاجِبِ (١)
أَقَمْنَا لَهُمْ طَعْنًا مُبِيرًا مُنَكِّلاً
وَحُزْنَاهُمُ بِالضَّرْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ (٢)
فَلَوْلاَ لِوَاءُ الْحَارِثِيَّةِ أَصْبَحُوا
يُبَاعُونَ فى الْأَسْوَاقِ بَيْعَ الْجَلاَئِبِ (٣)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى أبيات له

مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد

قال ابن إسحق : وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو ، وكان يوم بَلاَءٍ وتَمْحِيصٍ ، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى

(١) عضل : اسم قبيلة من العرب ، والجداية ـ بفتح الجيم وكسرها ـ الصغير من أولاد الظباء ، وشرك ـ بضم الشين وكسرها ـ اسم موضع ،

(٢) مبيرا : مهلكا ، ومنكلا : قامعا لهم ولغيرهم

(٣) الجلائب : جمع جليب ، وهوما يجلب إلى السوق ليباع فيها

خَلَصَ العدوُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فَدُثَّ بالحجارة [١] حتى وقع لِشقِّه ، فأصيبت رَبَاعِيَتُهُ ، وشُجَّ فى [٢] وجهه ، وكُلِمَتْ شفته [٣] ، وكان الذى أصابه عُتْبَةَ بن أبى وَقَّاص

قال ابن إسحق : فحدثنى حُمَيْدٌ الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : كُسِرَتْ رَبَاعِيَةُ النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشُجَّ فى وجهه فجعل الدم يَسيل على وجهه وجعَل يمسح الدم وهو يقول : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وجْهَ نَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَىَ رَبِّهِم » فأنزل الله عز وجل فى ذلك (٣ : ١٢٨) « لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَو يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ »

قال ابن هشام : وذكر رُبَيْحُ بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخُدرى ، عن أبيه ، عن أبى سعيد الخدرى ، أن عُتْبة بن أبى وَقّاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فكسر رَبَاعِيَتَه اليُمْنَى السُّفْلى ، وجرح شَفَتَه السفلى ، وأن عبد الله بن شِهَابٍ الزُّهْرِىَّ شَجَّهُ فى جَبْهَته ، وأن ابن قَمِئَةَ جرَح وَجْنَتَه [٤] فدخلت حَلَقتَان من حَلَقَ المِغْفَر [٥] فى وجنته ، ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حُفْرَة من الحفر التى عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون ؛ فأخذ على بن أبى طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ، ومَصَّ

---

(١) « فدث بالحجارة » تروى هذه الكلمة بالدال المهملة ، وتروى بالراء المهملة ، فأما على الأول فمعناها رمى بالحجارة حتى التوى بعض جسده وأما على الثانية فمعناها أصيب بذلك حتى ضعف وهو مأخوذ من الثوب الرث للذى أصبح خلقا غير متماسك

(٢) شج : أصابته شجة أى شدخة

(٣) كلمت شفته : جرحت (٤) الوجنة : أعلى الخد

(٥) المغفر : شبيه بالدرع ذو حلق يجعل على الرأس يتقى به فى الحرب

مالك بن سِنان أبو أبي سعيد الخدرى الدَّمَ عن وَجْهِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازْدَرَدَهُ (١) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ مَسَّ دَمَهُ دَمِي لَمْ تُصِبْهُ النَّارُ »

قال ابن هشام : وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردى ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ » طلحة بن عبيد الله

وذكر – يعني عبد العزيز الدراوردى – عن إسحق بن يحيي بن طلحة ، عن عيسى بن طلحة ، عن عائشة ، عن أبي بكر الصديق ، أن أبا عُبَيْدَةَ ابن الجَرَّاح نزع إحدى الحَلْقَتَيْن من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثَنِيَّتُهُ ، ثم نزع الأخرى فسقطت ثَنِيَّتُهُ الأخرى ، فكان (٢) ساقط الثنيتين أبو عبيدة ابن الجراح

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت لعتبة بن أبي وَقَّاص : —

إِذَا اللهُ جَازَى مَعْشَرًا بِفِعَالِهِمْ
وَنَصْرِهِمُ الرَّحْمٰنَ رَبَّ الْمَشَارِقِ
فَأَخْزَاكَ رَبِّي يَا عُتَيْبَ بْنَ مَالِكٍ
وَلَقَّاكَ قَبْلَ الْمَوْتِ إِحْدَى الصَّوَاعِقِ
بَسَطْتَ يَمِينًا لِلنَّبِيِّ تَعَمُّدًا
فَأَدْمَيْتَ فَاهُ قُطِّعَتْ بِالْبَوَارِقِ (٣)

---

(١) ازدرده : ابتلعه

(٢) الضمير فى « كان » راجع إلى أبى عبيدة ، وذلك لأنه خلع الحلقتين بأسنانه فانكسرت ثنيتاه

(٣) البوارق : جمع بارق ، وهو السيف ، لأنه يبرق ويلمع

فَهَلاَّ ذَكَرْتَ اللهَ وَالْمَنْزِلَ الَّذِى
تَصِيرُ إِلَيْهِ عِنْدَ إِحْدَى الْبَوَائِق (١)

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أقذع فيهما

قال ابن إسحق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين غشيه القوم — : «مَنْ رَجُلٌ يَشْرِى لَنَا نَفْسَهُ» كما حدثنى الْحُصَيْنُ بن عبد الرحمن ابن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن عمرو ، قال : فقام زِيادُ بن السَّكَن فى نفر خمسة من الأنصار ، وبعض الناس يقول : إنما هو عُمارة بن يزيد بن السَّكَنِ ، فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رَجُلاً ثم رجلا يُقْتَلُونَ دونه ، حتى كان آخِرَهُمْ زِيادٌ أو عُمارةُ ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، ثم فاءت (٢) فئة من المسلمين ، فأجهضوهم (٣) عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَدْنُوهُ مِنِّى » فأدْنَوْهُ منه ، فوسَّده قدمه . فمات وخدُّه على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام : وقاتلت أُمُّ عُمَارة نُسَيْبَةُ بنت كعب المازنية يوم أحد ، فذكر سعيد بن أبى زيد الأنصارى أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول : دخلتُ على أمِّ عُمَارة ، فقلت لها : ياخالة ، أخْبِرِينى خبرك ، فقالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر مايصنع الناس ، ومعى سِقَاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه ، قصة أم عمارة

---

(١) البوائق : جمع بائقة ، وهى الداهية من دواهى الدهر ، لأنها توبق وتهلك من تنزل به

(٢) فاءت : رجعت

(٣) أجهضوهم : أزالوهم وغلبوهم

والدَّوْلَةُ [1] والرِّيحُ للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انْحَزْتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقمت أباشر القتال وأذُبُّ عنه بالسيف ، وأرْمِي عن القوس ، حتى خَلَصَت الجراحُ إليَّ ؛ فرأيت على عاتقها جرحاً أجْوَفَ له غَوْر ، فقلت : مَنْ أصابك بهذا ؟ قالت : ابنُ قَمِئة أقمأه الله [2] لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دُلُّوني على محمد فلا نجوت إن نجا ، فاعْتَرَضْتُ له أنا ومُصْعَبُ بن عمير وأناس ممن ثَبَتَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضربني هذه الضربة ، فلقد ضربته على ذلك ضرباتٍ ، ولكن عدو الله كانت عليه دِرْعَان

النفر الذين قاموا دون رسول الله

قال ابن إسحق : وَتَرَّسَ دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه يقع النَّبْلُ في ظَهْره وهو مُنْحَنٍ عليه حتى كَثُرَ فيه النَّبْل ، ورمى سعدُ بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال سعد: فقد رأيته يناولني النَّبْلَ وهو يقول « ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي » حتى إنه ليناولني السَّهْمَ ماله نَصْل فيقول « ارْمِ بِهِ »

عين قتادة بن النعمان

قال ابن إسحق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى انْدَقَّتْ سِيَتُهَا [3] فأخذها قَتَادة ابن النُّعمان فكانت عنده ، وأصيبت يومئذ عَيْنُ قَتَادة بن النعمان حتى وقعت على وَجْنَته

---

(١) الدولة : بفتح الدال المهملة أو ضمها ، ومن الناس من يفرق بينهما والمراد بها هنا الغلبة ، والريح : النصر

(٢) أقمأه الله : أذله وحقره

(٣) السية ـ بكسر السين وفتح الياء مخففة ـ طرف القوس ، ومن الناس من يقوله بالهمزة ، وكان العجاج يهمزها .

قال ابن إسحق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رَدَّها بيده فكانت أحسن عينيه وأحَدَّها

شأن أنس بن النضر عم أنس بن مالك

قال ابن إسحق : وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عديّ بن النجار ، قال : انتهى أنَسُ بن النَّضْر عمُّ أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألْقَوْا بأيديهم فقال : ما يُجلِسُكم ؟ قالوا : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟ فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتِلَ ، وبه سمى أنس بن مالك

قال ابن إسحق : فحدثني حُمَيْدٌ الطويلُ ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد وَجَدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربةً فما عرفه إلا أخته عَرَفَتهُ ببنانه .

شأن عبد الرحمن بن عوف

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم ، أن عبد الرحمن بن عوف أصيب فُوهُ يومئذ فهتم (١) وجُرح عشرين جراحةً أو أكثر ، أصابه بعضها في رجله فعَرِج

أول من عرف رسول الله كعب بن مالك

قال ابن إسحق : وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الناس قُتِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما ذكر ابنُ شهابِ الزُّهرى — كعبُ بن مالك ، قال : عَرَفْتُ عينيه الشريفتين تَزْهَرَانِ (٢) من تحت المِغْفَرِ ، فناديت بأعلى صوتى : يامعشر المسلمين ، أبْشِرُوا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار إلىَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « أنْ أنْصِتْ »

---

(١) هتم – بالبناء للمجهول – كسرت ثنيته ، فهو أهتم

(٢) تزهران : تضيئان

قال ابن إسحق : فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشِّعْب : معه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، رضوان الله عليهم ، والحرث بن الصمة ، ورَهْطٌ من المسلمين

مقتل أبى بن خلف وشأنه مع رسول الله

فلما أسْنَدَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعْب أدركه أُبَىُّ بن خَلَف وهو يقول : أين مُحَمَّد ؟ لا نَجَوْتُ إن نَجَوْتَ ، فقال القوم : يارسول الله ، أيَعْطِفُ عليه رجلٌ منا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دَعُوهُ » فلما دَنَا منه تناول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحَرْبَةَ من الحرث بن الصِّمَّة ، يقول بعض القوم — فيما ذُكِر لى — : فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انْتَفَضَ بها انْتِفَاضةً تَطَايَرْنَا عنه تَطَايُرَ الشَّعْرَاء عن ظهر البعير إذا انتفض بها

قال ابن هشام : الشَّعْرَاء : ذباب (١) له لَدْغٌ

ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنةً تَدَأْدَأَ منها (٢) عن فرسه مرارا

قال ابن هشام : تدأدأ : يقول تَقَلَّبَ عن فرسه ، فجعل يترجرج

قال ابن إسحق : وكان أُبَىُّ بن خلف — كما حدثنى صالح بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف — يَلْقَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول : يامحمدُ ، إنَّ عندى العَوْذَ (٤) فَرَسًا أعْلِفُهُ كلَّ يوم فَرَقًا (٥)

---

(١) قال أبوذر : « الشعراء : ذباب أزرق يقع على ظهر البعير ، وحكى الهروى أنه ذباب أحمر ، فاذا انتفض طار عنه » اه

(٢) تدأدأ : مال

(٣) فى نسخة « العود » بالدال المهملة

(٤) الفرق : مكيال يسع ستة عشر مدا ، وقال بعضهم : يسع اثنى عشر

من ذرة أقتلك عليه ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ الله » فلما رجع إلى قريش وقد خَدَشَهُ في عنقه خَدْشًا غيرَ كبير ، فاحْتَقَنَ الدمُ ، قال : قتلنى والله محمد ، قالوا له : ذهب والله فؤادك ، والله إنْ بك [١] [من] بأس ، قال : إنه قد كان قال لى بمكة «أنا أقتلك » فوالله لو بَصَقَ علىَّ لقتلنى ، فمات عدو الله بِسَرِف وهم قافلون به إلى مكة

كلمة لحسان بن ثابت فى مقتل أبى ابن خلف

قال ابن إسحق : فقال حسان بن ثابت فى ذلك : —

لَقَدْ وَرِثَ الضَّلَالَةَ عَنْ أَبِيهِ أُبَىٌّ يَوْمَ بَارَزَهُ الرَّسُولُ
أَتَيْتَ إِلَيْهِ تَحْمِلُ رِمَّ عَظْمٍ وتُوعِدُهُ وأَنْتَ بِهِ جَهُولُ [٢]
وَقَدْ قَتَلَتْ بَنُو النَّجَّارِ مِنْكُمْ
أُمَيَّةَ إِذْ يُغَوِّثُ يَاعَقِيلُ
وَتَبَّ ابْنَا رَبِيعَةَ إِذْ أَطَاعَا أَبَا جَهْلٍ ، لِأُمِّهِمَا الْهَبُولُ [٣]
وَأَفْلَتَ حَارِثٌ لَمَّا شُغِلْنَا بِأَسْرِ الْقَوْمِ أُسْرَتُهُ قَلِيلُ [٤]

رطلا ، قال أحمد بن يحي ثعلب : هو مفتوح الراء ، وقال غيره : بسكون الراء أو فتحها

(١) أى : مابك من بأس ، فان : نافية ، ومن : حرف زائد ، وقد سقط من بعض النسخ .

(٢) الرم ـ بكسر الراء ـ مثل الرميم ، وهو العظم البالى ، وتوعده : تهدده ، وجهول : شديد الجهل

(٣) الهبول : الفقد ، يقال : هبلته أمه ، أى فقدته

(٤) أسرته : رهطه وعشيرته وقومه ، وقليل : يروى بالفاء : ومعناه منهزمون ، ويروى بالقاف من القلة ، ومعناه أنهم ليس لهم عدد

قال ابن هشام : أسرته : قبيلته

كلمة أخرى لحسان ابن ثابت فى مقتل أبى بن خلف

وقال حسان بن ثابت أيضا فى ذلك : —

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى أُبَيًّا
فَقَدْ أُلْقِيتَ فِى سُحُقِ السَّعِيرِ (١)

تَمَنَّى بالضَّلاَلَةِ مِنْ بَعِيدٍ   وَتُقْسِمُ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى النُّذُورِ

تَمَنِّيكَ الْأَمَانِى مِنْ بَعِيدٍ
وَقَوْلُ الْكُفْرِ يَرْجِعُ فِى غُرُورِ

فَقَدْ لاَقَتْكَ طَعْنَةُ ذِى حِفَاظٍ
كَرِيمِ الْبَيْتِ لَيْسَ بِذِى فُجُورِ (٢)

لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْاحْيَاءِ طُرًّا   إِذَا نَابَتْ مُلِمَّاتُ الْأُمُورِ

انتهاء النبي الى الشعب

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشِّعب خرج على ابن أبى طالب حتى ملأ دَرَقَتَهُ ماء من المِهْرَاسِ (٣) فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ، فوجد له ريحا فعافه (٤) فلم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم ، وصَبَّ على رأسه وهو يقول : «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ دَمَّى وَجْهَ نَبِيِّهِ »

---

(١) سحق : جمع سحيق ، وهو البعيد

(٢) الحفاظ ـ بزنة كتاب ـ الغضب

(٣) قال أبو ذر : « قال أبو العباس : المهراس ماء بأحد ، وقال غيره : المهراس : حجر ينقر ويجعل إلى جانب البئر ويصب فيه الماء لينتفع به الناس .

(٤) عافه : كرهه ، تقول : عفت الطعام وغيره ، إذا كرهته

قال ابن إسحق : فحدثني صالح بن كَيْسَان ، عمن حدثه ، عن سعد ابن أبي وَقَّاص ، أنه كان يقول : والله مَاحَرَصْتُ على قتل رجل قَطّ كَحِرصي عَلَى قَتْل عُتْبَةَ بن أبي وَقَّاص ، وإن كان ماعلمتُ لَسَيِّءَ الْخُلُقِ مُبَغَّضاً في قومه ، ولقد كفاني منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى من دَمَّى وَجْهَ رَسُولِهِ »

قال ابن إسحق : فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشِّعب معه أولئك النفر من أصحابه إذ عَلَت عاليةٌ من قريش الجبلَ

قال ابن هشام : كان على تلك الخيل خالد بن الوليد

قال ابن إسحق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ إنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لَهُمْ أنْ يَعْلُونَا » فقاتل عُمرُ بن الخطاب ورهطٌ معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل

طلحة بن عبيد الله

قال ابن اسحق : ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل لِيَعْلُوَهَا ، وقد كان بَدَّنَ [1] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وظاهر بين دِرْعَيْن ، فلما ذهب لِيَنْهَضَ صلى الله عليه وسلم لم يستطع فجلس تحته طلحةُ بن عبيد الله فَنَهَضَ به حتى استوى عليها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما حدثني يحيي بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ـ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يقول : « أَوْجَبَ [2] طَلْحَةُ » حين صَنَعَ برسول الله صلى الله عليه وسلم ماصنع

---

(١) بدن : معناه أسن ، تقول : بدن الرجل ـ بالتضعيف ـ إذا أسن ، وتقول : بدن الرجل ـ من باب ظرف ـ إذا عظم بدنه من كثرة اللحم

(٢) أوجب طلحة : معناه وجبت له الجنة بما صنعه من عمل الخير

قال ابن هشام : وبلغنى عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الدرجة المبنية فى الشّعب

رسول الله يصلى قاعدا والمسلمون خلفه قعودا

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى غُفْرة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلَّى الظهر يوم أُحد قاعداً ، من الجراح التى أصابته ، وصلَّى المسلمون خلفه قُعُودًا

قال ابن إسحق : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى انتهى بعضهم إلى المُنَقَّى[1] دون الأعوص [إلى أُحد]

مقتل اليمان والد حذيفة وثابت بن وقش

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أُحد رُفِعَ حُسَيْل ابن جابر (وهو الْيَمَانُ أبو حُذَيْفَةَ بن الْيَمَان) وثابتُ بن وَقَش فى الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه وهما شَيْخَان كبيران : لا أبالك ، ما تنتظر ؟ فوالله إن بقى لِوَاحِدٍ منَّا مِنْ عُمُره إلا ظِمْءُ حِمَارٍ[2] إنما نحن هَامَةُ اليوم[3] أوغد ، أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لَعَلَّ الله يرزقنا شهادةً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا فى الناس ، ولم يُعْلَم بهما

فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حُسَيْل بن جابر فاختلفت

---

(١) المنقى : هو جبل ، وقيل : موضع ، والأعوص : قرية دون المدينة ببريد

(٢) الظمء : مقدار مايكون بين الشربتين ، وأقصر الأظماء ظمء الحمار فضرباه مثلا لقرب الأجل

(٣) هامة اليوم أو غد يريدان أنهما يموتان اليوم أو غدا ، وذلك كناية عن شدة قربهما من الموت لطول أعمارهما وضعف أجسامهما ، ويروى باضافة هامة إلى الظرف ، وبتنوين هامة ونصب الظرف

عليــه أسياف المسلمين ، فقتلوه ولا يعرفونه . فقال حذيفة : أبى والله ، فقالوا : والله إن عرفناه ، وصدقوا ، قال حذيفة : يغفر الله لـكم وهو أرحم الراحمين ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَدِيَهُ ، فتصدق حُذَيْفَة بديته على المسلمين ، فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خَيْرًا

حاطب بن امية المنافق

قال ابن إسحق : وحــدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رجلا [1] منهم كان يدعى حاطب بن أمية بن رافع ، وكان له ابن يقــال له : يزيد ابن حاطب ، أصابته جراحة يومَ أُحد ، فأُتى به إلى دار قومه وهو بالموت ، فاجتمع إليه أهل الدار ، فجعل المسلمون يقولون [له] من الرجال والنساء : أبشر يا ابن حاطب بالجنة ، قال : وكان حاطب شيخا قد عَسَـا [2] فى الجاهلية ، فنَجَمَ [3] يومئذ نِفَاقُه ، فقال : بأى شىء تُبَشِّرُونه ؟ [أ] بِجَنَّةٍ من حرمل ؟ ! ! غَرَرْتُم والله هذا الغلام من نفسه

أَمْرُ قُزْمَان

قزمان المنافق حليف بنى ظفر

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجل أَتِىٌّ [4] لا يُدْرَى مِمَّن هو ، يقال له : قُزْمان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذكرله : « إنه لمن أهل النار » ، قال : فلما كان يوم أُحد قاتل قتالا شديداً فقَتَلَ وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثْبَتَتْه الجراحة ، فاحتمل إلى دار بنى ظفر ، قال : فجعل رجالٌ

---

(١) انظر (ص ١٢٦ ج ٢) من هذا الـكتاب

(٢) عسا : كبر واشتد

(٣) نجم : ظهر وبدا

(٤) أتى : غريب ، وأصل الآتى السيل يأتى من بلد إلى بلد

من المسلمين يقولون له : والله لقد أَبْلَيْتَ اليوم ياقُزْمَانُ فأبشر ، قال : بماذا أُبَشَّر ؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومى ، ولولا ذلك ماقاتلت ، قال : فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سَهْمًا من كنانته فَقَتَلَ به نفسه (١)

قتل مُخَيْرِيق

قال ابن إسحق : وكان ممن قتل يوم أحد مُخَيْرِيق ، وكان أحَدَ بنى ثعلبة بن الْفِطْيَوْن ، قال : لما كان يوم أُحد قال : يامَعْشَرَ يهود ، والله لقد علمتم إنَّ نَصْرَ محمد عليكم لَحَق ، قالوا : إنَّ اليوم يوم السبت ، قال : لاسَبْتَ لكم ، فأخذ سيفه وعُدَّته ، وقال : إن أُصِبْتُ فمالى لمحمد يصنع فيه ماشاء ، ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قُتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنا — : « مُخَيْرِيقُ خَيْرُ يَهُود » (٢)

أمر الحرث بن سُوَيْد بن صَامِت

قال ابن إسحق : وكان الحرث بن سُوَيد بن صامت منافقا ، فخرج يوم أُحد مع المسلمين ، فلما التقى الناس عَدَا على الْمُجَذَّر بن ذياد الْبَلَوِىّ وقيس بن زيد أحد بنى ضُبَيْعة ، فقتلهما ، ثم لحق بمكة بقريش ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يذكرون — قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ، ففاته ، فكان بمكة ، ثم بعث إلى أخيه الْجُلَاس بن سُوَيْد يطلب التوبة ليرجع إلى قومه ، فأنزل الله تعالى فيه فيما

---

(١) انظر (ص ١٢٧ ج ٢ من هذا الكتاب)

(٢) انظر (ص ١٤٠ ج ٢ من هذا الكتاب)

بلغنى عن ابن عباس (٣ : ٨٦) : (كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) إلى آخر القصة

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به من أهل العلم ، أن الحرث بن سُوَيْد قتل الْمُجَذَّر بن ذياد ، ولم يقتل قَيْسَ بن زَيد ، والدليل على ذلك أن ابن إسحق لم يذكره فى قتلى أحد ، وإنما قتل الْمُجَذَّر لأن الْمُجَذَّر بن ذياد كان قتل أباه سُوَيْدًا فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب (١)

فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه إذ خرج الحرث بن سُوَيْد من بعض حَوَائط المدينة وعليه ثوبان مُضَرَّجَان (٢) فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عُثْمَانَ بن عَفَّان فَضَرَبَ عُنُقَهُ ، ويقال : بعض الأنصار .

قال ابن إسحق (٣) : قتل سُوَيْد بن الصامت معاذُ بن عَفْرَاء غيلةً فى غير حَرْب ، رماه بسهم فقتله [قبل] يوم بُعَاث

شأن أصيرم أحد بنى عبد الأشهل

قال ابن إسحق : وحدثنى الْحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ابن معاذ ، عن أبى سفيان مَوْلى ابن أبى أحمد ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : كان يقول : حَدِّثونى عن رجل دخل الجنة لم يُصَلِّ قطّ ، فاذا لم يعرفه الناس سألوه من هو ، فيقول : أُصَيْرِم [من بنى عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وَقَش] ، قال الحصين : فقلت لمحمود بن أسد : كيف

---

(١) انظر (ص ١٤١ - ١٤٢ ج ٢ من هذا الكتاب)
(٢) الثوب المضرج : هو المشبع حمرة ، كأنه ضرج بالدم : أى لطخ به
(٣) هكذا فى عامة الأصول ، والذى يظهر لى أن هذه إحدى تعليقات ابن هشام

كان شأن الأُصَيْرِم ؟ قال : كان يأبى الاسلام على قومه ، فلما كان يَوْمُ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد بَدَا له فى الاسلام ، فأسلم ، ثم أخذ سيفه ؛ فعدا حتى دخل فى عُرْض الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، قال : فبينا رجالٌ من بنى عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة إذاهم به ، فقالوا : والله إنَّ هذا لَلأُصَيْرِم ، ماجاء به ؟ لقد تركناه وإنه لَمُنْكِر لهذا الحديث ، فسألوه ماجاء به ، فقالوا : ماجاء بك ياعَمْرو ، أحَدَبٌ (١) على قومك أم رغبة فى الاسلام ؟ قال : بل رغبة فى الاسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ، ثم أخذت سيفى فغدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قاتلت حتى أصابنى ماأصابنى ، ثم لم يلبث أن مات فى أيديهم ، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : « إنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ »

مقتل عمرو بن الجموح [وخروجه]

قال ابن إسحق : وحدثنى أبى إسحقُ بن يَسَار ، عن أشياخ من بنى سلمة ، أن عمرو بن الجموح كان رجلا أعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَج ، وكان له بَنُونَ أربعة مثل الأسْدِ يَشْهَدُونَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حَبْسَهُ ، وقالوا له : إن الله عز وجل قد عَذَرَكَ ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن بَنِيَّ يريدون أن يَحْبِسُونِي عن هذا الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إنى لأَرْجُو أن أطأ بِعَرْجَتِي هذه فى الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَّا أَنْتَ

---

(١) الحدب ـ بفتحتين ـ العطف والحنان ، يقال : حدب على فلان ، إذا عطف عليه

فَقَدْ عَذَرَكَ اللهُ فَلاَ جِهَادَ عَلَيْكَ » وقال لبنيه : « مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَمْنَعُوهُ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ » فخرج معه ، فقتل يوم أحد

أمر هند ، وَالْمُثْلَةُ بحمزة رضى الله عنه

قال ابن إسحق : و وقعت هند بنت عُتْبَةَ — كما حدثنى صالح بن كَيْسَان — والنسوةُ اللاتى معها يُمَثِّلْنَ بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : يَجْدَعْنَ[1] الآذان والآنُفَ ، حتى اتخذت هندُ من آذان الرجال وآنفهم خَدَمًا[2] وقلائد ، وأعطت [هندُ] خَدَمَها وقلائدها وَقِرَطَتَهَا وَحْشِيًّا غلامَ جُبَيْر بن مُطْعِم ، و بَقَرَتْ[3] عن كَبِدِ حمزة فَلاَ كَتْهَا[4] فلم تستطع أن تُسِيغها[5] ، فلفظتها[6] ، ثم عَلَتْ على صخرة مُشْرِفة فصرخت بأعلى صوتها ، فقالت : —

كلمة لهند بنت عتبة تتشفى فيها بالمسلمين

نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ بِيَوْمِ بَــدْرِ
وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتُ سُعْرِ[7]
مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرِ وَلاَ أَخِي وَعَمِّهِ وَبِـكْرِى[8]

---

(١) يجدعن : يقطعن ، وأكثر ما يقال فى قطع الأنف
(٢) الخدم : جمع خدمة ، وهى : الخلخال
(٣) بقرت : شقت ، يقال : بقر بطنه ، إذا شقه
(٤) لاكتها : مضغتها
(٥) تسيغها : تبلعها
(٦) لفظتها : طرحتها
(٧) سعر : جمع سعير ، وأصله بضمتين فسكنت وسطه تخفيفا والمعنى أنها ذات التهاب كالتهاب النيران
(٨) عتبة : هو أبوها عتبة بن ربيعة ، وقولها « أخى » هو أخوها الوليد

شَـفَيْتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ نَذْرِي

شَفَيْتَ وحْشِيُّ غَلِيلَ صَدْرِي (١)

فَشُكْرُ وَحْشِيٍّ عَلَيَّ عُمْرِي حَتَّى تَرِمَّ أَعْظُمِي فِي قَبْرِي (٢)

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عبَّاد بن المطلب ، فقالت : —

هند بنت أثاثة تجيب هند بنت عتبة

خَزِيتِ فِي بَدْرٍ وبَعْـدَ بَدْرِ

يَابِنْتَ وَقَّاعٍ عَظِـيمِ الْـكُفْرِ (٣)

صَبَّحَكِ اللهُ غَـدَاةَ الْفَجْـرِ مِلْهَاشِمِيِّينَ الطِّوَالِ الزُّهْرِ (٤)

بِكُلِّ قَطَّاعٍ حُسَامٍ يَفْـرِي حَمْزَةُ لَيْثِي وَعَلِيٌّ صَقْرِي (٥)

إِذْ رَامَ شَيْبُ وَأَبُوكِ غَدْرِي فَخَضَّبَا مِنْهُ ضَوَاحِيَ النَّحْرِ (٦)

ابن عتبة ، وقولها « وعمه » هو عمها شيبة بن ربيعة ، وقولها « وبكرى » هو ابنها حنظلة بن أبي سفيان ، وأربعتهم قتلوا يوم بدر (انظر ص ٢٦٥ ج ٢ من هذا الكتاب) و (انظر (٢٩٤ ج ٢ من هذا الكتاب) أيضا

(١) الغليل : العطش وحرارة الجوف ، وقولها « وحشى » هو منادى اعترضت به بين الفعل ومفعوله

(٢) ترم : تبلى وتتفتت

(٣) الوقاع : الكثير الوقوع فى الدنايا

(٤) الزهر : جمع أزهر ، وهو الأبيض ، وهم يصفون الرجل الكريم الخلق بأنه أبيض

(٥) الحسام : السيف القاطع ، ويفرى : يقطع

(٦) شيب : أرادت شيبة ، فرخمت فى غير نداء ، وضواحى النحر : ماظهر منه ، والنحر : الصدر

* وَتَذْرُكِ السَّوْءِ فَشَرُّ نَذْرِ * (١)

قال ابن هشام : تركنا منها ثلاثة أبيات أقذعت فيها

قال ابن إسحق : وقالت هند بنت عُتْبَة أيضا : —

شَفَيْتُ مِنْ حَمْزَةَ نَفْسِي بأُحُدْ حِينَ بَقَرْتُ بَطْنَهُ عَنِ الْكَبَدْ كلمة اخرى لهند بنت عتبة

أَذْهَبَ عَنِّي ذَاكَ مَا كُنْتُ أَجِدْ

مِنْ لَذْعَةِ الْحُزْنِ الشَّدِيدِ الْمُعْتَمِدْ (٢)

وَالْحَرْبُ تَعْلُوكُمْ بِشُؤْبُوبٍ بَرِدْ

تُقْدِمُ إِقْدَامًا عَلَيْكُمْ كَالْأُسُدْ (٣)

قال ابن إسحق : فحدثني صالح بن كَيْسَان ، أنه حدث ، أن عمر بن الخطاب قال لحسان بن ثابت : يا ابن الْفُرَيْعَة (قال ابن هشام : الْفُرَيْعَةُ : بنت خالد بن خنيس بن حارثة بن لَوْذَان بن عبد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج) : لَوْ سَمِعْتَ ماتقول هند ورأيت أَشَرَها (٤) قائمة على صَخْرَة تَرْتَجِزُ بنا

---

(١) هذا شاهد لأبى الحسن على دخول الفاء فى خبر المبتدأ الذى ليس عاما

(٢) اللذعة : ألم النار أو ما يشبهها ، وهو بالذال المعجمة والعين المهملة فأما اللدغة بالدال المهملة والغين المعجمة فهى عض ماله أسنان كالحية وشبهها والمعتمد : القاصد المؤلم ، ويروى المتقد

(٣) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، وبرد ـ بفتح فكسر ـ أى ذو برد ، شبهت الحرب بالدفعة العظيمة من المطر الذى يصحبه برد ، تريد أنها شديدة

(٤) أشرها : بطرها

وَتَذْكر ماصنعت بحمزة ، قال له حسان : والله إنى لأنظر إلى الحربة تَهْوِى وأنا على رأسٍ فارعٍ — يعنى أُطُمَه — فقلت : والله إن هذه لسلاح ماهى من سلاح العرب ، وكأنها إنما تَهْوِى إلى حمزة ولا أدرى ، ولكن أَسْمِعْنى بعضَ قولها أَكفيكُمُوهاَ ، قال : فأنشده عمر [بن الخطاب] بعض ماقالت ، فقال حسان بن ثابت : —

أَشِرَتْ لَكَاعِ وَكَانَ عَادَتُهَا
لُؤْماً إذَا أَشِرَتْ مَعَ الْكُفْرِ (١)

قال ابن هشام : وهذا البيت فى أبيات له تركناها وأبياتاً أيضاً له على الدال وأبياتا أخر على الذال ؛ لأنه أقذع فيها

لَوْم الْحُلَيْس بن زَبّان الكنانى أبا سفيان على
الْمُثْلَة بحمزة رضى الله عنه

صنيع أبى سفيان بحمزة بن عبد المطلب

قال ابن إسحق : وقد كان الْحُلَيْس بن زَبَّان أخو بنى الحرث بن عبد مَنَاة ، وهو يومئذ سيد الأحابيش ، [قد] مَرَّ بأبى سفيان وهو يَضْرب فى شِدْق حَمْزَةَ بن عبد المطلب بزُجّ الرُّمْح ، ويقول : ذُقْ عُقَقُ (٢) ، فقال الحليس : يابنى كنانة ، هذا سيِّدُ قُرَيْش يصنع بابن عَمِّه ماتَرَوْن لَحماً (٣) فقال : وَيْحَكَ ! اكْتُمْهاَ عنى فانها كانت زَلَّة

---

(١) لكاع : هى اللئيمة ، ويقال للمذكر لكع — بضم اللام وفتح الكاف — وهذه الصيغة لايستعملها العرب فى غير النداء ، واستعملها ههنا فاعلا من الشذوذ بمكان

(٢) عقق : أى ياعقق ، يريد ياعاق ، وعقق بضم ففتح

(٣) لحما : حال من ابن عمه ، أى : يصنع به ذلك حال كونه لحما لاروح فيه

ثم إن أباسفيان [بن حرب] — حين أراد الانصراف — أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته ، فقال : أَنْعَمْتَ فَعَالِ [١] إن الحرب سِجَالٌ [٢] ، يومٌ بيوم بدرٍ ، أَعْلِ هُبَلُ [٣] ، أى : أظهر دينك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قُمْ يَا عُمَرُ فَأَجِبْهُ فَقُلْ أَللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ ، لَاسَوَاءَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وقتلاكم فى النار » ، فلما أجاب عمر أبا سفيان قال له أبو سفيان : هَلُمَّ إلىَّ ياعمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : « ائْتِهِ فَانْظُرْ مَاشَأْنُهُ » فجاءه ، فقال له أبو سفيان : أَنْشُدُكَ الله ياعمر ، أقتلنا محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال : أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر ، لقول ابن قمئة لهم : إنى قد قتلت محمداً

صنيع أبى سفيان وصياحه بالشماتة

قال ابن هشام : واسم ابن قمئة عبد الله

قال ابن إسحق : ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان فى قتلاكم مثلٌ ، والله مارَضِيتُ وما سَخِطْتُ وما نَهَيْتُ وما أَمَرْتُ

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى : إن موعدكم بدرٌ للعام القابل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : « قُلْ نَعَمْ هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ موعد »

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، فقال : « اخْرُجْ فِي آثَارِ الْقَوْمِ فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ وَمَاذَا يُرِيدُونَ ؛ فَإِنْ كَانُوا

على بن أبى طالب يسير فى أثر قريش

(١) فعال : أى ارتفع ، فعل أمر من عالى ، مثل سامى ؛
(٢) الحرب سجال : مكافأة ، يوم لنا ، ويوم علينا
(٣) هبل : اسم صنم من أصنامهم

قَدْ جَنَبُوا الْخَيْلَ وَامْتَطَوُا الْإِبِلَ فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَكَّةَ ، وَإِنْ رَكبوا الْخَيْلَ وَسَاقُوا الْإِبِلَ فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ المدينةَ ، والذى نَفْسِى بِيَدِهِ لَئِنْ أَرَادُوهَا لَأَسِيرَنَّ إِلَيْهِمْ فِيهَا ثم لَأُنَاجِزَنَّهُمْ » قال على : فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا يصنعون ، فَجَنَبُوا الخيل ، وَامْتَطَوُا الإبل ، ووَجَّهُوا إلى مكة

سعد بن الربيع وسؤال النبي عنه

وفرغ الناس لقتلاهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة المازنى أخو بنى النَّجَّار — : « مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِى مَافَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ أَفِى الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِى الْأَمْوَاتِ » فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يارسول الله مافعل سعد ، فنظر فوجده جريحا فى القتلى وبه رمق ، قال : فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم [قد] أمرنى أن أنظر أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ، قال : أنا فى الأموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السَّلاَم ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جَزَاكَ الله عَنَّا خير مَا جَزَى نبيًّا عن أمته ، فأبلغ قومك عنِّى السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : [إنه] لاعُذْرَ لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم ومنكم عَيْنٌ تَطْرِفُ ، قال : ثم لم أبرح حتى مات ، قال : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره

قال ابن هشام : وحدثنى أبو بكر الزُّبَيْرِىُّ أن رجلا دخل على أبى بكر الصديق وبنت لسَعْد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يَرْشُفُهَا ويُقَبِّلها ، فقال له الرجل : من هذه ؟ قال : هذه بنتُ رجلٍ خيرٍ منِّى سعدِ ابن الربيع ، كان من النُّقَبَاء يوم العقبة ، وشهد بدراً ، واستشهد يوم أحد

عثور رسول الله على جثة حمزة وحزنه عليه

قال ابن إسحق : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده ببطن الوادى قد بُقِرَ بطنه عن كبده ، ومُثِّل به فجُدِع أنفُهُ وأذُناهُ ؛ فحدثنى محمد بن جعفر ابن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال — حين رأى مارأى — : « لَوْلاَ أَنْ تَحْزَنَ صَفِيَّةُ وَتَكُونَ سُنَّةً مِنْ بَعْدِى لَتَرَكْتُهُ حَتَّى يَكُونَ فى بُطُونِ السِّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطَّيْرِ وَلَئِنْ أظْهَرَنِى اللهُ عَلَى قُرَيْشٍ فِى مَوْطِنٍ مِنَ الْمَوَاطِنِ لَأُمَثِّلَنَّ بِثَلَاثِينَ رَجُلاً مِنْهُمْ »

فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على من فعل بعمه مافعل قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لَنُمَثِّلَنَّ بهم مُثْلَةً لم يُمَثِّلْها أَحدٌ من العرب

قال ابن هشام : ولما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة قال : « لَنْ أُصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا ، مَاوَقَفْتُ مَوْقِفاً قَطُّ أَغْيَظَ إلَيَّ مِنْ هٰذَا » ثم قال : « جَاءَنِى جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِى أَنَّ حَمْزَةَ [بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ] مَكْتُوبٌ فى أَهْلِ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسَدُ اللهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد إخوة من الرضاعة ، أرضعتهم مولاة لأبى لهب [1]

قال ابن إسحق : وحدثنى بُرَيْدَةُ بن سفيان بن فَرْوَة الأسلمى ، عن محمد بن كعب القُرَظى ، وحدثنى من لا أتهم عن ابن عباس ، أن الله عز وجل أنزل فى ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول أصحابه (١٦ : ١٢٦) : (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَاعُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ

---

(١) هذه المولاة اسمها ثويبة

صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصبر ، ونهى عن المثلة

قال ابن إسحق : وحدثنى حُمَيْدٌ الطويلُ ، عن الحسن ، عن سَمُرَةَ ابن جُنْدب ، قال : ماقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مَقَامٍ قَطُّ ففارقته حتى يأمرنا بالصدقة وينهانا عن المثلة

صلاة رسول الله على حمزة وعلى شهداء احد

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم ، عن مِقْسَمٍ مولى عبد الله ابن الحرث ، عن ابن عباس ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فَسُجِّيَ بِبُرْدَةٍ ثم صُلِّيَ عليه فكبر سبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى يُوضَعُونَ إلى حمزة ، فصلى عليهم وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة

صبر صفية بنت عبد المطلب على أخيها حمزة

قال ابن إسحق : وقد أقبلت — فيما بلغنى — صفيةُ بنت عبد المطلب لتنظر إليه ، وكان أخاها لأبيها وأمها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام : « الْقَهَا فارْجِعْهَا لاَ تَرَى مَا بِأَخِيهَا » فقال لها : يا أُمَّتِ ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعى ، قالت : ولم وقد بلغنى أَنْ قد مُثِّل بأخى وذلك فى الله ؟ فما أرضانا بما كان من ذلك ، لَأَحْتَسِبَنَّ وَلَأَصْبِرَنَّ إن شاء الله ، فلما جاء الزبير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك قال : « خَلِّ سَبِيلَهَا » فأتته فنظرت إليه ، فصلَّتْ عليه ، واسترجعت ، واستغفرت له ، ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدُفن ؛ فزعم لى

---

(١) سجى : غطى ، والبردة : كساء يلتف به

آل عبدالله بن جَحْشٍ — وكان لِأُمَيْمَةَ بنت عبدالمطلب ، حَمْزَةَ خَالُهُ ، وقد [كان] مُثِّلَ به كما مُثِّلَ بحمزة ، إلا أنه لم يُبْقَرْ عن كبده — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفنه مع حمزة فى قبره ، ولم أسمع ذلك إلا عن أهله

أمر النبى بان يدفن الشهداء حيث صرعوا

قال ابن إسحق : و [كان] قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهُمْ إلى المدينة ، فدفنوهم بها ، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال : « ادْفِنُوهُمْ حَيْثُ صُرِعُوا »

منزلة الشهداء

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن مُسْلِم الزُّهْرِى ، عن عبد الله ابن ثعلبة بن صُعَيْر الْعُذْرى حليف بنى زهرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا أشْرَفَ على القتلى يوم أُحد قال : « أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلاَءِ أَنَّهُ مَامِنْ جَرِيحٍ يُجْرَحُ فِى [سبيل] اللهِ إِلاَّ وَاللهُ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدْمَى جُرْحُهُ : اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ ، والرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ ؛ انْظُرُوا أَكْثَرَ هَؤُلاَءِ جَمْعًا لِلْقُرْآنِ فاجْعَلُوهُ أَمَامَ أَصْحَابِهِ فى الْقَبْرِ » وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة فى القبر [الواحد]

وحدثنى عَمِّى موسى بنُ يسار ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « مَامِنْ جَرِيحٍ يُجْرَحُ فِى اللهِ إِلاَّ وَاللهُ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَدْمَى : اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ » .

قال ابن إسحق : وحدثنى أبى إسحقُ بن يسار ، عن أشياخ من بنى سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ — حين أَمَرَ بدفن القتلى — : « انْظُرُوا إِلَى عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ حَرَامٍ فَإِنَّهُمَا كَانَا مُتَصَافِيَيْنِ فِى الدُّنْيَا فَاجْعَلُوهُمَا فِى قَبْرٍ وَاحِدٍ »

رجوع رسول الله الى المدينة

قال ابن إسحق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة ، فلقيته حَمْنَةُ بنت جحش كما ذكر لى ، فلما لقيت الناس نُعِيَ لها أخوها عبد الله بن جَحْشٍ ، فَاسْتَرْجَعَتْ (١) واستغفرت له ، ثم نُعِيَ لها خالُهَا حمزةُ بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نُعِيَ لها زَوْجُهَا مُصْعَبُ بن عُمَيْر فصاحت وَوَلْوَلَتْ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ زَوْجَ الْمَرْأَةِ مِنْهَا لَبِمَكَانٍ » لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها

صنيع حمنة بنت جحش

بكاء نساء الانصار على حمزة

قال ابن إسحق : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بنى عبد الأشهل وظَفَرٍ ، فسمع البكاء والنوائح على قَتْلاَهم ، فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ، ثم قال : « لَكِنَّ حَمْزَةَ لاَ بَوَاكِيَ لَهُ » فلما رجع سعد بن معاذ وأُسَيْدُ بن حضير إلى دار بنى عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يَتَحَزَّمْنَ ثم يَذْهَبْنَ فيبكين على عَمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : حدثنى حكيم بن حكيم بن عَبَّاد بن حُنَيْف ، عن بعض رجال بنى عبد الأشهل ، قال : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بُكَاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه ، فقال : « ارْجِعْنَ يَرْحَمْكُنَّ اللهُ فَقَدْ آسَيْتُنَّ (٢) بِأَنْفُسِكُنَّ »

قال ابن هشام : ونهى يومئذ عن النَّوْح

---

(١) استرجعت : قالت « إنا لله وإنا إليه راجعون » فهذه الصيغة دالة ههنا على اختصار حكاية المركب ؛ وهذا المركب هو من قوله تعالى : (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون)

(٢) آسيتن : عزيتن وعاونتن ، وأكثر ما يقال « واسيتن » بالواو

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بكاءهن قال : « رَحِمَ اللهُ الأَنْصَارَ فإِنَّ المُوَاسَاةَ مِنْهُمْ مَاعَلِمْتُ لَقَدِيمَةٌ ؛ مُرُوهُنَّ فَلْيَنْصَرِفْنَ »

المرأة الدينارية وصبرها

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الواحد بن أبى عون ، عن إسماعيل ابن محمد بن [سعد بن] أبى وَقَّاص ، قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأُحد ، فلما نُعُوا لها قالت : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً ياأُمّ فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أَرُونِيهِ حتى أنظر إليه ، قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بَعْدَكَ جَلَلٌ ، تريد صغيرة

قال ابن هشام : الجلل : [يكون] من القليل ، ومن الكثير ، وهو ههنا من القليل ، قال امرؤ القيس فى الجلل القليل : —

لِقَتْلِ بَنِى أَسَدٍ رَبَّهُمْ أَلاَ كُلُّ شَىْءٍ سِوَاهُ جَلَلْ

[أى : صغير وقليل]

قال ابن هشام : والجلل أيضا : العظيم ، قال الشاعر وهو الحرث ابن وَعلة الجَرْمى : —

وَلَئِنْ عَفَوْتُ لَأَعْفُوَنْ جَلَلاً وَلَئِنْ سَطَوْتُ لَأُوهِنَنْ عَظْمِى

رسول الله يامر بغسل سيفه وعلى ابن أبى طالب

قال ابن إسحق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة ، فقال : « اغْسِلِي عَنْ هٰذَا دَمَهُ يَابُنَيَّةُ فَوَاللهِ لَقَدْ صَدَقَنِي الْيَوْمَ » وناولها على بن أبى طالب سيفه ، فقال : « وَهٰذَا [أَيْضًا] فَاغْسِلِي عَنْهُ دَمَهُ فَوَاللهِ لَقَدْ صَدَقَنِي الْيَوْمَ » فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : « لَئِنْ كُنْتَ صَدَقْتَ الْقِتَالَ لَقَدْ صَدَقَ مَعَكَ سَهْلُ ابْنُ حُنَيْفٍ وَأَبُو دُجَانَةَ »

قال ابن هشام : وكان يقال لسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو الفقار

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن ابن أبى نجيح قال : نادى منادٍ يوم أُحد : لاَسَيْفَ إِلاَّ ذُو الْفِقَارِ وَلاَ فَتًى إِلاَّ عَلِي

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبى طالب : « لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا »

خروج رسول الله ثانى يوم أحد

قال ابن إسحق : وكان يوم أُحد يوم السبت للنصف من شوّال ؛ فلما كان الغد [من] يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوّال أَذَّنَ مُؤَذِّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بطلب العدوّ ، وأَذَّن مؤذنه أن لا يخرجَنَّ معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس ، فكلمه جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام فقال : يا رسول الله ، إن أبى كان خَلَّفنى على أخوات لى سبع ، وقال : يابنىّ ، إنه لاينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لارَجُلَ فيهن ، ولست بالذى أُوثرك بالجهاد معَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى ، فَتَخَلَّفْ على أخواتك ، فتَخَلَّفْتُ عليهن ، فأَذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج معه ، وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مُرْهِبًا للعدوّ ، وليبلغهم أنه خرج فى طلبهم ليظنوا به قوة ، وأن الذى أصابهم لم يُوهِنْهُمْ عن عدوّهم

قال ابن إسحق : فحدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ،

عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان ، أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عبد الأشهل كان شهد أُحُدًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : شهدت أُحُدًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخٌ لى ، فرجعنا جريحين ، فلما أذَّن مؤذِّن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدوّ قلت لأخى أو قال لى : أتَفُوتُنَا غَزْوَةٌ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله مالنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنتُ أيْسَرَ جرحا منه ، فكان إذا غُلِبَ حملته عُقْبَةً[1] ومشى عُقْبَةً ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

قال ابن إسحق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حَمْرَاء الأسَد ، وهى من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحق : فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

صنيع معبد الخزاعى وتخويفه المشركين

وقد مَرَّ به — كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر — مَعْبَدُ بن أبى معبد الْخُزَاعِىُّ ، وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عَيْبَةَ[2] نصحِ رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة ، صَفَقَتُهُمْ معه ، لا يُخْفُونَ عنه شيئا كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك ، فقال : يامحمد ، أما والله لقد عَزَّ علينا ما أصابك فى

---

(١) يريد نتعاقب ركوبة ، كل واحد منا يركبها برهة والآخر يمشى

(٢) عيبة نصح رسول الله : أى موضع سره

(٣) صفقهم معه : يريد اتفاقهم وهواهم له واجتماعهم عليه ، تقول : أصفقت مع فلان على الأمر ؛ إذا أجمعت معه عليه ، وفى نسخة «صفقتهم»

أصحابك ، ولَوَدِدْنَا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحَمْرَاء الأَسد حتى لقى أبا سُفْيَان بن حرب ومن معه بالرَّوْحاء وقد أجمعوا الرَّجْعَةَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حَدَّ أصحابه وأشْرَافهم وقادتهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؛ لَنَكُرَّنَّ على بقيتهم فَلَنَفْرُغَنَّ منهم ، فلما رأى أبو سفيان مَعْبَداً قال : ماوراءك يامعبد ؟ قال : محمدٌ قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جَمْعٍ لم أر مثله قَطُّ يَتَحَرَّقُونَ عليكم[١] تَحَرُّقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم ، وندموا على ما ضَيَّعُوا ، فيهم من الحَنَق[٢] عليكم شئ لم أرَ مثله قط ؛ قال : ويحك ما تقول ! ؛ قال : والله ما أُرَى أن ترتحل حتى ترى نواصِىَ الخيل ، قال : فوالله لقد أجْمَعْنَا الكَرَّةَ عليهم لِنَسْتَأْصِلَ بقيتهم ، قال : فانى أنهاك عن ذلك ، ووالله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من شعر ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت : —

كَادَتْ تُهَدُّ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِى
إذْ سَالَتِ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأبَابِيلِ[٣]
تَرْدِى بِأُسْدٍ كِرَامٍ لاَتَنَابِلَةٍ   عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلاَ مِيلٍ مَعَازِيلِ[٤]

---

(١) يتحرقون عليكم : يلتهبون من الغيظ

(٢) الحنق : شدة الغيظ ، يقال : حنق عليه يحنق حنقا ، مثل فرح يفرح فرحا ، إذا اشتد غيظه عليه

(٣) تهد ـ بالبناء للمجهول ـ معناه تسقط من الاعياء لهول ما رأت من أصوات الجيش وكثرته . والجرد : الخيل العتاق ، الواحد أجرد . والأبابيل : الجماعات ، يقال : واحدهم إبول مثل عجول ، ويقال : لاواحد له

(٤) تردى : تسرع . والتنابلة : القصار . والميل : جمع أميل ، وهو

فَظَلْتُ عَدْوًا أَظُنُّ الْأَرْضَ مَائِلَةً ... لَمَّا سَمَوْا بِرَئِيسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ (١)

فَقُلْتُ : وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمُ ... إِذَا تَغَطْمَطَتِ الْبَطْحَاءُ بِالْجِيلِ (٢)

إِنِّى نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَسْلِ ضَاحِيَةً ... لِكُلِّ ذِى إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ (٣)

مِنْ جَيْشِ أَحْمَدَ لَاوَخْشٍ قَنَابِلُهُ ... وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالْقِيلِ (٤)

فثنى (٥) ذلك أبا سفيان ومن معه ، ومَرَّ به رَكْبٌ من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا : نريد المِيرَةَ قال : فهل أنتم مُبَلِّغُونَ عنى محمدا رسالة أرسلكم بها إليه وأُحَمِّلُ لكم هذه غدا زبيبا بعكاظ (٦) إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم ، قال : فاذا وافيتموه

الذى لارمح له ، وقيل : هو الذى لا ترس معه ، وقيل : هو الذى لايثبت على السرج ، والمعازيل : الذين لا سلاح معهم

(١) العدو : المشى السريع ، وسموا : علوا وارتفعوا

(٢) ابن حرب : هو أبو سفيان ، وتغطمطت : معناه اهتزت وارتجت ، ومنه قولهم : بحر غطامط ، إذا تعالت أمواجه واضطربت ، والبطحاء : السهل من الأرض ، والجيل : الصنف من الناس

(٣) البسل : الحرام ، وأراد بأهل البسل قريشا لأنهم أهل مكة ، ومكة حرام ، والضاحية : البارزة للشمس ، والاربة : العقل

(٤) الوخش : رذال الناس وأخساؤهم ، وقنابله : جمع قنبلة ، وهى القطعة من الخيل ، ويروى تنابلة ، وقد تقدم . والقيل : القول

(٥) ثناه : صرفه ورده

(٦) عكاظ : سوق كانت العرب تجتمع فيها

فأخبروه أنّا قد أجْمَعْنَا السير إليه و إلى أصحابه لنستأصل بقيتهم ، فمر الرَّكْبُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحَمْرَاءِ الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان [وأصحابه] ، فقال : « حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ »

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة ، أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد أراد الرجوع إلى المدينة ليستأصلوا [- فيما زعموا -] بقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم صفوان بن أمية بن خلف : لَا تَفْعَلُوا فانَّ القوم قد حَرِبوا [1] ، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذى كان ، فارجعوا ، فرجعوا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم هموا بالرجعة : « والَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَقَدْ سُوِّمَتْ لَهُمْ حِجَارَةٌ لَوْ صُبِّحُوا بِهَا لَكَانُوا كَأَمْسِ الذَّاهِبِ »

مقتل ابى عزة الجمحى

قال أبو عبيدة : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه ذلك قبل رجوعه إلى المدينة معاويةَ بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك بن مروان أبو أمه عائشة بنت معاوية ، وأبا عَزَّةَ الْجُمَحِيَّ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم [قد] أَسَرَهُ ببدر ثم مَنَّ عليه ، فقال : يارسول الله أَقِلْنِي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا وَاللهِ لاَ تَمْسَحُ عَارِضَيْكَ بِمَكَّةَ [بَعْدَهَا وَ] تَقُولُ خَدَعْتُ مُحَمَّداً مَرَّتَيْنِ ، اضْرِبْ عُنُقَهُ يَازُبَيْر » فضرب عنقه

قال ابن هشام : وبلغنى عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال له رسول صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لاَ يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ اضْرِبْ عُنُقَهُ يَاعَاصِمِ بْنَ ثابت » فضرب عنقه

---

(١) حربوا : غضبوا وتغيظوا

مقتل معاوية بن المغيرة بن أبي العاص

قال ابن هشام : ويقال : إن زيد بن حارثة وعمار بن ياسر قتلا معاوية ابن المغيرة بعد حَمْرَاء الأسد ، كان لجأ إلى عثمان بن عفان ، فاستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمَّنَهُ على أنه إن وُجِدَ بعد ثلاث قُتل ، فأقام بعد ثلاث وَتَوَارى ، فبعثهما النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « إنَّكُمَا سَتجِدَانه بموضع كذا وكذا » فوجداه فقتلاه

شأن عبد الله بن أبي ابن سلول

قال ابن إسحق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان عبدالله بن أبي ابن سلول — كما حدثني ابن شهاب الزهري — له مقَامٌ يقومه كل جمعة لا يُنْكَرُ شرفا له في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفا ، إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال : أيها الناس ، هٰذَا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم أكْرَمَكُمُ الله به وأعزكم به ، فانصروه وعزِّروه واسمعوا له وأطيعوا ، ثم يجلس ، حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع بالناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس أيْ عَدوَّ الله لست لذلك بأهل ، وقد صَنَعْتَ ما صنعت ، فخرج يتخطَّى رقابَ الناس وهو يقول : والله لَكَأَنَّمَا قُلْتُ بُجْراً (١) أَنْ قُمْتُ أُشَدِّد أمره ، فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد فقال : مالك وَيْلَكَ ؟ !! قال : قمتُ أُشَدِّدُ أمره ، فوثب عليَّ رجالٌ من أصحابه يَجْبِذُونَنِي ويُعَنِّفُونَنِي لكأنما قلت بُجْراً (١) أنْ قُمْتُ أشدِّد أمره ، قال : ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم !! قال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي

قال ابن إسحق : وكان يومُ أحدٍ يومَ بلاء ومُصيبة وتَمْحِيص ،

---

(١) في القاموس : « والبُجر ـ بالضم ـ الشر ، والأمر العظيم والعجب » اهـ

اخْتَبَرَ الله به المؤمنين ، ومَحَق [1] به المنافقين ممن كان يظهر الايمان بلسانه وهو مُسْتَخْفٍ بالكفر فى قلبه ، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته ، [والحمد لله كثيرا لا شريك له]

ذكر ما أنزل الله عز وجل فى أُحُدٍ من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زِيَادُ بن عبد الله الْبَكَّائِىُّ ، عن محمد بن إسحق المَّطَّلِبِىُّ ، قال :

نزول ستين آية من آل عمران وتفسير غريبها

فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى فى يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران : فيها صِفَةُ ما كان فى يومهم ذلك ، ومعاتبةُ من عاتب منهم يقول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (٣ : ١٢١ ــ ٠٠٠) : (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

قال ابن هشام : تُبَوِّئُ المؤمنين : تَتَّخِذُ لهم مقاعد ومنازل ، قال الكُمَيْتُ بن زيد : —

لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَهُ قَدْ تَبَوَّأْتُ مَضْجَعَا

وهذا البيت فى أبيات له

أى : سميع بما تقولون ، عليم بما تخفون (إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا) أى : تتخاذلا ، والطائفتان بنو سلمة بن جشم بن الخزرج و بنو حارثة بن النَّبيت من الأوس ، وهما الجناحان ، يقول الله تعالى : (وَاللهُ وَلِيُّهُمَا) أى : المدافع عنهما ما هَمَّتَا به من فشلهما ، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضَعْفٍ ووَهَنٍ أصابهما ، عن غير شك فى دينهما ، فتولى دفع

(١) فى نسخة « ومحن » بالنون

ذلك عنهما برحمته وعائدته حتى سلمتا من وهونهما وضعفهما ولحقتا بنبيهما صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : حدثنى رجل من الأسد من أهل العلم ، قال : قالت الطائفتان : مانُحِبُّ أنَّا لم نَهُمَّ بما هممنا به لِتَوَلِّى الله إيانا فى ذلك

قال ابن إسحق : يقول الله تعالى : (وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) أى : من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل على وليستعن بى أُعِنْهُ على أمره وأدافع عنه حتى أبلغ به وأدفع عنه وأقويه على نيته (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) أى : فاتقونى فانه شكر نعمتى ، ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أقل عددا وأضعف قوة (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) أى : إن تصبروا لعدوى وتطيعوا أمرى ويأتوكم من وجههم هذا أمددكم بخمسة آلاف من الملائكة مُسومين

قال ابن هشام : مُسَوَّمين : مُعَلَّمين ، بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن [البصرى] أنه قال : أعلموا على أذناب خيلهم ونواصيها بصُوفٍ أبيض ، فأما ابن إسحق فقال : كانت سيماهم يوم بدر عمائم بيضا ، وقد ذكرت ذلك فى حديث[1] بدر ، والسيما : العلامة ، وفى كتاب الله عز وجل : (٤٨ : ٣٩) : (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) أى : علامتهم ، و(١١ : ٨٢-٨٣): (حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً) يقول : معلمة ، بلغنا عن

---

(١) انظر (ج ٢ ص ٢٧٤) من هذا الكتاب

الحسن بن أبي الحسن [البصري] ، أنه قال : عليها علامة أنها ليست من حجارة الدنيا ، وأنها من حجارة العذاب ، قال رؤبة بن العجاج : —

فَالْآنَ تُبْلَى بِي الْجِيَادُ السُّهَّمُ   وَلَا تُجَارِينِي إِذَا مَا سُوِّمُوا (١)
وَشَخَصَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَجْذَمُوا (٢)

[أجذموا ــ بالذال معجمة ــ أي أسرعوا ، وأجدموا ــ بالدال مهملة ــ أقطعوا]

وهذه الأبيات في أرجوزة له

والمسومة أيضا : المَرْعِيَّةُ ، وفي كتاب الله تعالى : (٣ : ١٤) : (وَالْخَيْلُ الْمُسَوَّمَةِ) ومنه (١٦ : ١٠) : (شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) تقول العرب : سَوَّمَ خَيْلَهُ وإبله ، وأسامها ، إذا رعاها ، قال الكميت بن زيد : —

رَاعِياً كَانَ مُسْجِحاً فَفَقَدْنَا   هُ وَفَقْدُ الْمُسِيمِ هُلْكُ السَّوَامِ (٣)

[قال ابن هشام : مسجحا : سلس السياسة محسنا إلى الغنم]

وهذا البيت في قصيدة له

(وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) أي : ما سميت لكم من سميت من جنود ملائكتي إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به ؛ لما أعرف من ضعفكم ، وما النصر إلا من عندي لسلطاني وقدرتي ، وذلك أن العز والحكم إليّ لا إلى أحد من خلقي ، ثم قال : (لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ) أي : ليقطع طرفا من المشركين بقتل

---

(١) الجياد : الخيل العتاق ، والسهم : العابسة المتغيرة ، يعني في الحرب

(٢) أجذموا : أسرعوا

(٣) مسجحا : سلس القياد رفيقا بالنعم محسنا إليها ، ومنه قولهم : ملكت فأسجح ، وقد وقع تفسيره كذلك عن ابن هشام في بعض أصول الكتاب

ينتقم به منهم أو يردهم خائبين ، أى : ويرجع من بقى منهم فَلاًّ [1] خائبين لم ينالوا شيئا مما كانوا يأملون

قال ابن هشام : يكبتهم : يغمهم أشد الغم و يمنعهم ما أرادوا ، قال ذو الرمة : —

مَا أَنْسَ مِنْ شَجَنٍ لاَ أَنْسَ مَوْقِفَنَا

فِي حَيْرَةٍ بَيْنَ مَسْرُورٍ وَمَكْبُوتِ [2]

ويكبتهم أيضا : يصرعهم لوجوههم

قال ابن إسحق : ثم قال لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ) أى : ليس لك من الحكم شيء فى عبادى إلا ما أمرتك به فيهم ، أو أتوب عليهم برحمتى ؛ فان شئت فعلت ، أو أعذبهم بذنوبهم فبحقى فانهم ظالمون ، أى : قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إياى (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أى : يغفر الذنب و يرحم العباد على مافيهم ، ثم قال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً) أى : لا تأكلوا فى الاسلام إذ هداكم الله به ما كنتم تأكلون إذ أنتم على غيره مما لا يحل لكم فى دينكم (وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) أي : وأطيعوا الله لعلكم تنجون مما حذركم الله من عذابه وتدركون مارغبكم الله فيه من ثوابه (وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) أى : التى جعلت داراً لمن كفر بى ، ثم قال : (وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) معاتبة للذين عصوا

---

(١) فلا ـ بفتح الفاء وتشديد اللام ـ أى : منهزمين

(٢) الشجن ـ بفتح الشين والجيم جميعا ـ الحزن

رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — حين أمرهم بما أمرهم به فى ذلك اليوم وفى غيره — ثم قال : (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) أى : داراً لمن أطاعنى وأطاع رسولى (الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى السَّرَّاءِ وَالضَّراءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) أى : وذلك هو الاحسان ، وأنا أحب من عمل به (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وهُمْ يَعْلَمُونَ) أى : إن أتوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم بمعصية الله ذكروا نهى الله عنها وما حرم الله عليهم فاستغفروه لها وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو ، ولم يصروا على ما فعلوه وهم يعلمون ، أى : لم يقيموا على معصيتى كفعل من أشرك بى فيما غلوا به فى كفرهم وهم يعلمون ما حرمت عليهم من عبادة غيرى (أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) أى : ثواب المطيعين

ثم استقبل ذكر المصيبة التى نزلت بهم ، والْبَلَاء الذى أصابهم والتَّمْحيص لما كان فيهم واتخاذه الشهداء منهم ، فقال تعزية لهم وتعريفا لهم فيما صنعوا وفيما هو صانع بهم : (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِين) أى : قد مضت منى وقائع نقمة فى أهل التكذيب لرسلى والشرك بى عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مَدْيَنَ فرأوا مَثُلَاتٍ قد مضت منى فيهم ولمن هو على مثل ما هم عليه من ذلك منى فانى أَمْلَيْتُ لهم ، أى : لئلا يظنوا أن نقمتى انقطعت عن عدوكم وعدوى للدولة التى أَدَلْتُهُمْ بها عليكم ليبتليكم بذلك ليعلم ما عندكم ، ثم قال

تعالى : (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) أى : هذا تفسير للناس إن قبلو ، وهدًى وموعظة ، أى : نور وأدب للمتقين ، أى : لمن أطاعنى وعرف أمرى (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا) أى : لا تضعُفوا ولا تبتئسوا (عَلَى مَا أَصَابَكُمْ وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ) أى : لكم تكون العاقبة والظهور (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينْ) أى : إن كنتم صدّقتم نبيي بما جاءكم به عنى (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ) أى : جراح [1] (فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُه) أى : جراح مثلها (وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) أى : نُصرِّفها بين الناس للبلاء والتَّمحيص (وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَايُحِبُّ الظَّالِمِينَ) أى : ليميز بين المؤمنين والمنافقين ، وليكرم من أكرم من أهل الايمان بالشهادة ، والله لايحب الظالمين : أى المنافقين الذين يظهرون بألسنتهم الطاعة وقلوبهم مُصِرَّة على المعصية (وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا) أى : يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذى نزل بهم وكيف صبرهم ويقينهم (وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) أى : يبطل من المنافقين قولهم بألسنتهم ماليس فى قلوبهم حتى يظهر منهم كفرهم الذي يستترون به ، ثم قال تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ)أم حسبتم أن تدخلوا الجنة فتصيبوا من ثوابى الكرامة ولم أختبركم بالشدَّة وأبتليكم بالمكاره حتى أعلم صدق ذلك منكم بالايمان بى والصبر على ما أصابكم فىَّ (وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) ولقد كنتم تمنون الشهادة على الذى أنتم عليه من الحق قبل أن تلقوا عدوكم ، يعنى الذين استنهضوا

---

(١) قال أبو ذر : « قال الفراء : القرح ـ بفتح القاف ـ الجراح ، والقرح ـ بضم القاف ـ : ألم الجراح ، وغيره لا يفرق بينهما » اهـ

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خروجه بهم إلى عدوهم ، لما فاتهم من حضور اليوم الذى كان قبله ببدر ، ورغبةً فى الشهادة التى فاتتهم به فقال : (وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ) يقول : (فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) أى : الموت بالسيوف فى أيدى الرجال قد خلى بينكم و بينهم وأنتم تنظرون إليهم ثم صدهم عنكم (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ) أى : لقول الناس : قُتلَ محمد صلى الله عليه وسلم ، وانهزامهم عند ذلك ، وانصرافهم عن عدوهم أفإن مات أو قتل رَجَعْتُم عن دينكم كفاراً كما كنتم وتركتم جهاد عدوكم وكتاب الله وما خلف نبيه صلى الله عليه وسلم من دينه معكم وعندكم وقد بَيَّنَ لكم فيما جاءكم به عنى أنه ميت ومفارقكم ، (وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ) أى : يرجع عن دينه (فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا) أى لن يَنْقُصَ ذلك عزَّ الله تعالى ولا مُلْكه ولا سلطانه ولا قدرته (وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ) : أى من أطاعه وعمل بأمره ، ثم قال (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا)أى : إن لمحمد صلى الله عليه وسلم أجلاً هو بالغه ، فاذا أذن الله عزوجل فى ذلك كان(وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ) أى : من كان منكم يريد الدنيا ليست له رغبة فى الآخرة نؤته منها ما قسم له من رزق ولا يَعْدُوه فيها وليس له فى الآخرة من حَظ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ما وُعِدَ به مع ما يجرى عليه من رزقه فى دنياه وذلك جزاء الشاكرين : أى المتقين ، ثم قال : (وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)

أى : وكأين من نبى أصابه القتل ومعه ربيون كثير ، أى : جماعة ، فما وهنوا لفقد نبيهم ، وماضعفوا عن عدوهم ، وما استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن الله تعالى وعن دينهم ، وذلك الصبر ، والله يحب الصابرين (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)

قال ابن هشام : واحد الرِّبِّيِّينَ رِبِّيٌّ ، وقولهم « الرِّباب » لولد عبد مَنَاةَ ابن أدّ بن طابخة بن الياس ولضبة لأنهم تجمَّعُوا وتحالفوا من هذا ، يريدون الجماعات ، وواحدة الرِّبَاب رِبَّة ورِبَابَة ، وهى جماعات قِدَاحٍ أو عِصِيٍّ ونحوها ، فشبهوها بها ، قال أبو ذُؤَيْبٍ الهذلى[1] : —

وَكَأَنَّهُنَّ رِبَابَةٌ وَكَأَنَّهُ يَسَرٌ يَفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ

وهذا البيت فى أبيات له ، وقال أمية بن أبى الصَّلْت : —

حَوْلَ شَيَاطِينِهِمْ أَبَابِيلُ رِبِّـ يُّونَ شَدُّوا سَنَوَّراً مَدْسُورَا

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن هشام : والرِّبابة أيضا : الخرقة التى تُلَفُّ فيها القداح

قال ابن هشام : والسَّنَوَّر : الدروع ، والدُّسُر : هى المسامير التى فى الحلق ، يقول الله عز وجل (٥٤ : ١٣) : (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) قال أبو الأخْزَر الحِمَّانى من تميم : —

* دَسْراً بِأَطْرَافِ الْقَنَا الْمُقَوَّمِ *

قال ابن إسحق : أى : فقولوا مثل ماقالوا ، واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم ، واستغفروه كما استغفروه ، وامضوا على دينكم كما مَضَوْا على دينهم ، ولا تَرتَدُّوا على أعقابكم راجعين ، واسألوه كما سألوه أن يثبت أقدامكم ،

---

(١) سقط هذا البيت من بعض نسخ الكتاب

واستنصروه كما استنصروه على القوم الكافرين ، فكل هذا من قولهم قد كان وقد قُتِلَ نبيهم فلم يفعلوا كما فعلتم (فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا) بالظهور على عدوهم (وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ) ماوعد الله فيها (وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ) أي : عن عدوكم فتذهب دنياكم وآخرتكم (بَلِ اللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ) فان كان ماتقولون بألسنتكم صدقاً في قلوبكم فاعتصموا به ، ولا تستنصروا بغيره ، ولا ترجعوا على أعقابكم مُرْتَدِّينَ عن دينه (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ) أي : الذي به كنت أنصركم عليهم ، بما أشركوا بي مالم أجعل لهم من حجة : أي فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم ما اعتصمتم بي واتبعتم أمري للمصيبة التي أصابتكم منهم بذنوب قدمتموها لأنفسكم خالفتم بها أمري وعصيتم فيها نبي صلى الله عليه وسلم (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) أي : لقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم إذ تحسونهم بالسيوف ، أي : القتل ، باذني وتسليطي أيديكم عليهم وكفي أيديهم عنكم

قال ابن هشام : الحَسُّ : الاستئصال ، يقال : حَسَسْتُ الشيء : أي استأصلته بالسيف وغيره ، قال جرير : —

تَحُسُّهُمُ السُّيُوفُ كَمَا تَسَامَى
حَرِيقُ النَّارِ فِي الأَجَمِ الحَصِيدِ (١)

(١) تحسهم : تستأصلهم ، وتسامى : علا وارتفع ، والأجم : جمع

وهذا البيت فى قصيدة له ، وقال رؤبة بن العجاج : —

إِذَا شَكَوْنَا سَنَةً حَسُوسَا تَأْكُلُ بَعْدَ الْأَخْضَرِ الْيَبِيسَا [١]

وهذان البيتان فى أرجوزة له

قال ابن إسحق : (حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ) : أي تخاذلتم ، (وَتَنَازَعْتُمْ) فِي الْأَمْرِ : أى اختلفتم فى أمرى : أى تركتم أمر نبيكم وما عهد إليكم ، يعنى الرماة ، (مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ) : أى الفتح لاشك فيه وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم ، (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا) : أى الذين أرادوا النَّهْبَ فى الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة ، (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ) : أى الذين جاهدوا فى الله ولمْ يخالفوا إلى ما نُهُوا عنه لعرض من الدنيا رغبةً فيه رجاء ما عند الله من حسن ثوابه فى الآخرة : أى الذين جاهدوا فى الدِّين ولم يخالفوا إلى ما نُهُوا عنه لعرض من الدنيا ليختبركم وذلك ببعض ذنوبكم ، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك أن لا يهلككم بما أتيتم من معصية نبيكم ، ولكنى عُدْتُ بفضلى عليكم ، وكذلك مَنَّ الله على المؤمنين : إن عاقب ببعض الذنوب فى عاجل الدنيا أدباً وموعظةً فانه غيرُ مُسْتَأْصِل لكل ما فيهم من الحق له عليهم بما أصابوا من معصيته رحمةً لهم وعائدةً عليهم لما فيهم من الايمان .

ثم أنبهم بالفرار عن نبيهم صلى الله عليه وسلم وهم يُدْعَوْنَ ولا يعطفون عليه لدعائه إياهم ، فقال : (إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أحد

أجمة ، وهى الشجر الملتف ، والحصيد : المجذوذ المقطوع

(١) حسوسا : شديدة الاستئصال للأموال ، واليبيس : اليابس يريد أنها لاتبقى شيئا البتة

وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَافَاتَكُمْ وَلَا مَاأَصَابَكُمْ) أى : كَرْباً بعد كَرْب بقتل من قُتِل من إخوانكم وعُلُوّ عدوكم عليكم ، وبما وقع فى أنفسكم من قول من قال : قتل نبيكم ، فكان ذلك مما يتابع عليكم غما بغم ، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من ظهوركم على عدوكم بعد أن رأيتموه بأعينكم ، ولا ما أصابكم من قتل إخوانكم حتى فَرَّجْتُ ذلك الكرب عنكم (واللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) أى : وكان الذى فرج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذى أصابهم أن الله عز وجل رَدَّ عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حَيًّا بين أظهُرِهِمْ هَانَ عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم والمصيبة التى أصابتهم فى إخوانهم حين صرف الله القتل عن نبيهم صلى الله عليه وسلم (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَالَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ واللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) فأنزل الله النعاسَ أَمنةً منه على أهل اليقين به ، فهم نيام لا يخافون ، وأهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم [يظنون بالله غير الحق ظنَّ الجاهلية] تَخَوُّفَ القتل ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة ، فذكر الله عزوجل تَلاوُمَهُم وحَسْرتَهم على ما أصابهم ، ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم : (قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِى بُيُوتِكُم) لم تحضروا هذا الموطن

الذى أظهر الله فيه منكم ما أظهر من سرائركم لأخْرَجَ الذين كُتبَ عليهم القتل إلى[مضاجعهم : إلى] موطن غيره يُصْرَعُون فيه ، حتى يبتلى به ما فى صدورهم وليمحِّص [به] ما فى قلوبهم والله عليم بذات الصدور : أى لا يخفى عليه ما فى صدورهم مما استخفوا به منكم ، ثم قال : (يَاأَيها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِى الْأَرْضِ أوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا ومَا قُتلُوا لِيَجْعلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ واللهُ يُحْيِي ويُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) أى : لا تكونوا كالمنافقين الذين يَنْهَوْنَ إخوانهم عن الجهاد فى سبيل الله والضَّرْب فى الأرض فى طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، و يقولون إذا ماتوا أو قتلوا : لوأطاعونا ما ماتوا وما قتلوا ؛ ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم[أى:]لقلة اليقين بربهم ، والله يحيي و يميت : أى يُعَجِّلُ ما يشاء و يؤخر ما يشاء من ذلك من آجالهم بقدرته ، ثم قال تعالى : (وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) أى : إن الموت لكائن لابدَّ منه ، فموت فى سبيل الله أو قتل خير — لو علموا وأيقنوا — مما يجمعون من الدنيا التى لها يتأخرون عن الجهاد تخوُّفَ الموت والقتل بما جَمَعُوا من زَهْرَة الدنيا زهادةً فى الآخرة (وَلَئِنْ مُتُّم أوْ قُتِلْتُمْ) أيُّ ذلك كان (لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ) أى : إنَّ إلى الله المرجعَ فلا تغرنكم الدنيا ، ولا تغتروا بها ، ولْيَكُنْ الجهاد وما رغَّبكم الله فيه [من ثوابه] آثرَ عندكم منها ، ثم قال تبارك وتعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) أى : لتركوك (فَاعْفُ عَنْهُمْ) أى : فتجاوز عنهم (واسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)

فذكر لنبيه صلى الله عليه وسلم لينه لهم وصبره عليهم لضعفهم وقلة صبرهم على الغلظة لو كانت منه عليهم فى كل ما خالفوا عنه مما افترض عليهم من طاعة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ثم قال تبارك وتعالى :(فَاعْفُ عَنْهُمْ) أى : تجاوز عنهم(وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ)ذنوبهم من قارف[1] من أهل الايمان منهم ، (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) : أى لتريهم أنك تسمع منهم وتستعين بهم وإن كنت غنيا عنهم تألفاً لهم بذلك على دينهم ، (فَإِذَا عَزَمْتَ) : أى على أمر جاءك منى وأمر من دينك فى جهاد عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم إلا ذلك فامض على ما أمرت به على خلاف من خالفك وموافقة من وافقك ، (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) : أى أرضَ بهمن العبادات ، إن الله يحب المتوكلين (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ) مِنَ النَّاسِ (وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ) أى : لئلا تترك أمرى للناس وارفض أمر الناس إلى أمرى ،(وَعَلَى اللهِ) : لا على الناس ،(فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) ، ثم قال : (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) أى : ما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله به إليهم عن رهبة من الناس ولا رغبة ، ومن يفعل ذلك يأت يوم القيامة به ، ثم يجزى بكسبه غير مظلوم ولا مُتَعدَّى عليه (أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ) على ما أحبَّ الناس أُو سخطوا (كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ)لرضا الناس أولسخطهم ، يقول : أفمن كان على طاعتى فثوابه الجنة ورضوانٌ من الله كمن باء بسخط من الله واستوجب سخطه وكان مأواه جهنم وبئس المصير . ؟ أسواء المثلان فاعرفوا (هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) لِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَا عملوا فى الجنة

(١) يقال : قارف الرجل الذنب ، إذا دخل فيه ولابسه

والنار ، أى : إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته ، ثم قال : (لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ) أى : لقد مَنَّ الله عليكم ياأهل الايمان إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثتم وفيما عملتم ؛ فيعلمكم الخير والشر ؛ لتعرفوا الخير فتعملوا به ، والشر فتتقوه ، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته ، لتتخلصوا بذلك من نقمته وتدركوا بذلك ثوابه من جنته وإن كنتم من قبل لفى ضلال مبين : أى لفى عمياء من الجاهلية ، أى : لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة : صم عن الخير ، بكم عن الحق ، عمى عن الهدى

ثم ذكر المصيبة التى أصابتهم فقال : (أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أى : إن تك قد أصابتكم مصيبة فى إخوانكم بذنوبكم فقد أصبتم مثليها قبلُ من عدوكم فى اليوم الذى كان قبله ببدر قَتْلاً وأَسْرًا ، ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، أنتم أحللتم ذلك بأنفسكم ، إن الله على كل شىء قدير ، أى : إن الله على ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ) أى : ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فباذنى ، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصرى وصدقتكم وعدى ليميز بين المؤمنين والمنافقين (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا مِنْكُمْ) أى : ليظهر ما فيهم (وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا) يعنى عبد الله بن أبى

وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين سار إلى عدوه من المشركين بأحد — وقولهم : لو نعلم أنكم تقاتلون لسرْنا معكم ولدفعنا عنكم ، ولكننا لا نظن أنه يكون قتال ، فأظهر الله منهم ما كانوا يُخْفُونَ فى أنفسهم ، يقول الله عز وجل : (هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَالَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) أى : يظهرون لك الايمان وليس فى قلوبهم (وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) أى : ما يخفون (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ) الذين أصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم (وَقَعَدُوا لَوْأَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أى : إنه لا بد من الموت فان استعطتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا ، وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهاد فى سبيل الله حرصاً على البقاء فى الدنيا وفراراً من الموت .

منزلة الشهداء عند الله

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم يُرَغِّب المؤمنين فى الجهاد ويُهَوِّن عليهم القتل : (ولاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)أى : لاتظنَّنَّ الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً ، أى : قد أحييتهم فهم عندى يرزقون فى رَوْح الجنة وفضلها ، مسرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم : أى ويُسَرُّون بلحوق من لحقهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم ، قد أذهب الله عنهم الخوف والحزن ، يقول الله تعالى : (يَسْتَبْشِرُون بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لاَيُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) لما عاينوا من وفاء الموعود وعظيم الثواب

قال ابن إسحق : وحدثني إسمعيل بن أمية ، عن أبي الزبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فى أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ وتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِى إلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فى ظِلِّ الْعَرْشِ فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَشْرَبِهِمْ وَمَأْكَلِهِم وَحُسْنَ مَقِيلِهِم قَالُوا يَالَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ مَا صَنَعَ اللهُ بِنَا لِئَلاَّ يَزْهَدُوا فى الْجِهَادِ وَلاَ يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ ، فَقَالَ اللهُ تعالى : فَأَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ» فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هٰؤُلاَءِ الآيات (وَلاَ تَحْسَبَنَّ)

قال ابن إسحق : وحدثنى الحرث بن الفضيل ، عن محمود بن لبيد الأنصارى ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ نَهْرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ فى قُبَّةٍ خَضْرَاءَ يَخْرُجُ عَلَيْهِم رِزْقُهُم مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا »

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أنه سئل عن هؤلاء الآيات (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِم يُرْزَقُونَ) فقال : أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا : «إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجوافِ طيرٍ خُضْرٍ ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش ؛ فيطلع الله عز وجل عليهم اطلاعة فيقول : ياعبادى مَا تَشْتَهُونَ فأزيدكم ؟ [قال] : فيقولون : رَبَّنَا لاَ فَوْقَ ما أَعْطَيْتَنَا الْجَنَّةُ[1] نأكل منها حيث شئنا ، قال : ثم يطلع الله عليهم

---

(١) قال أبو ذر : « يروى هنا برفع الجنة وخفضه ؛ فرفعه على أنه

اطلاعة ، فيقول : ياعبادى مَاتَشْتَهُونَ فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لافوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا ، [قال : ثم يطلع عليهم اطلاعة ، فيقول : ياعبادى ماتشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لافوق ماأعطيتنا الجنة نأكل منهاحيث شئنا] ، إلا أنا نحب أن تُرَدَّ أرواحنا فى أجسادنا ثم نرد إلى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل فيك مرة أخرى»

قال ابن إسحق : وحدثنى بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : سمعت جابر بن عبدالله رضى الله عنهما يقول : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَلاَ أُبَشِّرُكَ يَاجَابِرُ » ؟ قال : قلت : بلى يانبى الله ، قال : « إِنَّ أَبَاكَ حَيْثُ أُصِيبَ بِأُحُدٍ أَحْيَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ قال له : ماتُحِبُّ ياعَبْدَ اللهِ بن عَمْرٍو أَنْ أَفْعَلَ بِكَ ؟ قال : أَيْ رَبِّ أُحِبُّ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأُقَاتِلَ فِيكَ فَأُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى »

قال ابن إسحق : وحدثنى عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، قال : قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُفَارِقُ الدُّنْيَا يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إِلاَّ الشَّهِيدَ فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُرَدَّ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى »

قال ابن إسحق : ثم قال تعالى : (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ) أى : الجراح ، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم أحد إلى حمراء الأسد على مابهم من ألم الجراح (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ

خبر مبتدأ محذوف ، وخفضه على البدل من ما فى قوله مما أعطيتنا » اه بتصرف

قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) الناس الذين قالوا لهم ماقالوا النفر من عبدالقيس الذين قال لهم أبو سفيان ماقال ، قالوا : إن أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم ، يقول الله عز وجل : (فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) لما صرف الله عنهم من لقاء عدوهم (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ) أى : لأولئك الرهط وما ألقى الشيطان على أفواههم (يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ) أى : يرهبكم بأوليائه (فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) أى : المنافقون (إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) أى : المنافقين (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ) أى : فيما يريد أن يبتليكم به لتحذروا ما يدخل عليكم فيه (وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ) أى : يعلمه ذلك (فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا) أى : ترجعوا وتتوبوا (فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ)

ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين والأنصار

من استشهد من المهاجرين

قال ابن إسحق : واستشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : من المهاجرين : من قريش ثم من بنى هاشم بن

عبدمناف : حَمْزَةُ بن عبد المطلب بن هاشم رضى الله عنه ، قتله وَحْشِىٌّ غلام جبَيْر بن مُطْعِم

ومن بنى أمية بن عبدشمس : عَبْدُ الله بن جَحْشٍ ، حليفٌ لهم من بنى أسد بن خزيمة

ومن بنى عبدالدار بن قصى : مُصْعَبُ بن عُمَيْر ، قتله ابن قَمِئة الليثي

ومن بنى مخزوم بن يَقَظَة :شَمَّاسُ بن عُثْمَان ، أربعة نفر

من استشهد من الانصار

ومن الأنصار ، ثم من بنى عبد الأشهل : عمرو بن مُعَاذ بن النعمان ، والحرثُ بن أنس بن رافع ، وعُمَارة بن زياد بن السكن

قال ابن هشام : السَّكَنُ بن رافع بن امرىء القيس ، ويقال : السَّكْن[(١)]

قال ابن إسحق : وسلمة بن ثابت بن وَقَش ، وعمرو بن ثابت بن وقش

قال ابن إسحق : وقد زعم لى عاصم بن عمر بن قتادة أن أباهما ثابتا قُتِلَ يومئذ

ورفاعةُ بن وقش ، وحُسَيْلُ بن جابر أبو حُذَيْفَةَ ، وهو اليمان ، أصابه المسلمون فى المعركة ولا يدرون فَتَصَدَّقَ حذيفة بديَتِهِ على من أصابه ، وَصَيْفِىٌّ بن قَيْظى ، وَحَبَاب[(٢)] بن قَيْظى ، وَعَبَّاد بن سَهْل ، والحرث بن أوس بن معاذ ، اثنا عشر رجلا

---

(١) « ويقال السكن » ضبط الأول فى بعض النسخ بفتح الكاف والثانى بسكونها ، والسين مفتوحة فيهما

(٢) قال أبو ذر : «وقع هنا بحاء مهملة مفتوحة وباء ، ووقع جناب

ومن أهل راتج[١] : إياسُ بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم ابن زعوراء بن جُشَم بن عبد الأشهل ، وعبيد بن التَّيِّهان

قال ابن هشام : ويقال : عتيك بن التَّيِّهان

وحبيب بن يزيد بن تيم ، ثلاثة نفر

ومن بنى ظَفَر : يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع ، رجل

ومن بنى عمرو بن عَوْف ، ثم من بنى ضُبَيْعَة بن زيد : أَبو سُفْيان ابن الحرث بن قيس بن زيد ، وحنظلة بن أبي عامر بن صَيْفِي بن نعمان ابن مالك بن أَمَة ، وهو غسيل الملائكة ؛ قتله شَدَّاد بن الأسود بن شَعُوب الليثي ، رجلان

قال ابن هشام : قيس بن زيد بن ضبيعة ، ومالك بن أمة ابن ضبيعة

قال ابن إسحق : ومن بنى عبيد بن زيد : أُنَيْسُ بن قتادة ، رجل

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف أبو حَبَّة [٢] وهو أخو سعد بن خيثمة لأمه

بالجيم المفتوحة والنون ـ حكاه الدارقطنى عن ابن إسحق ، قال : والمحفوظ بالخاء » اه

(١) « راتج » بكسر التاء المثناة فوق والجيم ـ أطم من أطم المدينة كذا بهامش بعض الأصول

(٢) وقع فى أصول الكتاب « أبو حية » بالياء المثناة بعد الحاء المهملة ـ لكن الذى فى شرح أبي ذر « أبو حبة » بالباء الموحدة ، قال : يروى هنا بالباء والنون معا والحاء المهملة ، وقال الدارقطنى : ابن إسحق وأبو معشر يقولون فيه أبو حبة بالباء ، والواقدى يقوله بالنون » اه كلامه

قال ابن هشام : أبو حبة : ابن عمرو بن ثابت

قال ابن إسحق : وعبد الله بن جبير بن النعمان ، وهو أمير الرماة ، رجلان .

ومن بنى السَّــلْم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس : خَيْثَمَةُ أُبو سعد بن خيثمة ، رجل

ومن حلفائهم من بنى الْعَجْلاَن : عَبْدُ الله بن سَلِمة [1] ، رجل

ومن بنى معاوية بن مالك : سُبَيْع بن حاطب بن الحرث بن قيس ابن هَيْشَةَ ، رجل

قال ابن هشام : ويقال : سُوَيْبِق بن الحرث بن حاطب بن هيشة

قال ابن إسحق : ومن بنى النجار ، ثم من بنى سَوَاد بن مالك بن غنم : عمرو بن قيس ، وابنه قيس بن عمرو

قال ابن هشام : عمرو بن قيس بن زيد بن سواد

قال ابن إسحق : وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن مَخْلَدِ ، أربعة نفر .

ومن بنى مبذول : أبو هبيرة بن الحرث بن علقمة بن عمرو بن ثَقْف ابن مالك بن مبذول ، وعمرو بن مُطَرِّف بن علقمة بن عمرو ، رجلان

ومن بنى عمرو بن مالك : أوسُ بن ثابت بن المنذر ، رجل

قال ابن هشام : أوس بن ثابت : أخو حسان بن ثابت

قال ابن إسحق : ومن بنى عدى بن النجار : أنسُ بن النَّضْر بن ضَمْضَم بن زَيْد بن حَرَام بن جُنْدب بن عامر بن غَنْم بن عدىّ بن النجار ، رجل

---

(١) قال أبو ذر : «عبد الله بن سلمة ، يروى هنا بكسر اللام وفتحها ، وسلمة بكسر اللام قيده الدارقطني » اه كلامه

قال ابن هشام : أنس بن النضر عَمُّ أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن بنى مازن بن النجار : قيس بن مُخَلَّدٍ ، وكَيْسَان ، عبدلهم ، رجلان .

ومن بنى دينار بن النجار : سُلَيْمُ بن الحرث ، ونعمان بن عبد عمرو ، رجلان

ومن بنى الحرث بن الخزرج : خارجةُ بن زَيْد بن أبى زُهَيْرٍ ، وسعد ابن الربيع بن عمرو بن أبى زهير ، دُفِنَا فى قبر واحد ، وأوسُ بن الأرقم ابن زيد بن قيس بن نعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب ، ثلاثة نفر

ومن بنى الأبجر ، وهم بنو خُدْرة : مالكُ بن سنان بن عُبَيد بن ثعلبة ابن عبيد بن الأبجر ، وهو أبو أبى سعيد الخدرى

قال ابن هشام : اسم أبى سعيد الخدرى : سنان ، ويقال : سعد

قال ابن إسحق : وسعيد بن سُوَيْد بن قيس بن عامر بن [عباد بن] الأبجر ، وعتبة بن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر ، ثلاثة نفر

ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ، وَسَقْف بن فَرْوَة بن الْبَدِيِّ ، رجلان

ومن بنى طريفٍ رَهْطِ سعد بن عُبَادة : عبد الله بن عَمْرو بن وَهْب ابن ثعلبة بن وَقَش بن ثعلبة بن طريف ، وضمرة ، حليفٌ لهم من بنى جهينة ، رجلان

ومن بنى عوف بن الخزرج ، ثم من بنى سالم ، ثم من بنى مالك بن

العجلان بن زيد بن غنم بن سالم : نَوْفَلُ بن عبد الله ، وعباس بن عُبَادة ابن نَضْلة بن مالك بن الْعَجْلاَن ، ونعمان بن مالك بن ثعلبة بن فهر بن غنم بن سالم ، وَالْمُجَذَّر بن ذياد ، حليف لهم من بَلِيٍّ ، وعُبَادة بن الْحَسْحَاس ، دفن النعمان بن مالك والمجذّر وعبادة فى قبر واحد ، خمسة نفر

ومن بنى الْحُبْلَى : رفاعةُ بن عمرو ، رجل

ومن بنى سلمة ، ثم من بنى حرام : عبدُ الله بن عَمْرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ، وعمرو بن الْجَمُوح بن زيد بن حرام ، دفنا فى قبر واحد ، وخَلاَّد بن عمرو بن الْجَمُوح [بن زيد بن حرام] ، وأبو أيمن مولى عَمْرو بن الجموح ، أربعة نفر

ومن بنى سَوَاد بن غَنْم : سُلَيْمُ بن عمرو بن حَدِيدة ، ومولاه عَنْترة ، وَسَهْلُ بن قيس بن أبى كعب بن الْقَيْن ، ثلاثة نفر

ومن بنى زُرَيْق بن عامر : ذَكْوَان بن عبد قيس ، وَعُبَيْدُ بن الْمُعَلَّى بن لَوْذان ، رجلان

قال ابن هشام : عبيد بن المعلى من بنى حبيب

عدة من استشهد من المسلمين

قال ابن إسحق : فجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار خمسةٌ وستون رجلا

استدراك ابن هشام على إحصاء ابن اسحق

قال ابن هشام : وممن لم يذكر ابن إسحق من السبعين الشهداء الذين ذكرنا : من الأوس ثم من بنى معاوية بن مالك : مالك بن نُمَيْلَة حليفٌ لهم من مُزَيْنة

ومن بنى خَطْمة (واسم خَطْمَةَ عَبْدُ الله بن جُشَم بن مالك بن الأوس) الحرثُ بن عدىّ بن خَرَشة بن أمية بن عامر بن خَطمة

ومن الخزرج ، ثم من بنى سواد بن مالك : مالك بن إياس

ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار : إياس بن عدى

ومن بنى سالم بن عوف : عمرو بن إياس

ذكر من قتل من المشركين يوم أحد

قتلى قريش يوم أحد وتسمية قاتليهم

قال ابن إسحق : وقُتِلَ من المشركين يوم أحد : من قريش ، ثم من بنى عبد الدار بن قصى من أصحابِ اللواء : طلحةُ بن أبى طلحة ، واسم أبى طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وأبو سعد بن أبى طلحة ، قتله سعد بن أبى وقاص

قال ابن هشام : ويقال قتله على بن أبى طالب

قال ابن إسحق : وعثمان بن أبى طلحة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، ومسافع بن طلحة ، وَالْجُلَاسُ بن طلحة ، قتلهما عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، وكلاب بن طلحة ، والحرث بن طلحة ، قتلهما قُزْمَان حليف لبنى ظَفَر

قال ابن هشام : ويقال : قتل كلابًا عَبْدُ الرحمن بن عوف

قال ابن إسحق : وأَرْطَاةُ بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، وأبو يزيد بن عمير بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قُزْمَان ، وصُؤَاب ، غلامٌ [له] حبشى ، قتله قُزْمَان

قال ابن هشام : ويقال : قتله على بن أبى طالب ، ويقال : سعد بن أبى وقاص ، ويقال : أبو دُجانة

قال ابن إسحق : والقاسط بن شُرَيْح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قُزْمان ، أحَدَ عَشَرَ رجلا

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : عَبْدُ الله بن حميد بن زهير ابن الحرث بن أسد ، قتله على بن أبى طالب ، رجل

ومن بنى زُهْرَة بن كلاب : أبو الحَكَم بن الأخنس بن شَريق ابن عمرو بن وَهْب الثقفى ، حليف لهم ، قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وَسِبَاعُ بن عبد العُزَّى ، واسم عبد العزى عَمْرو بن نَضْلة من غُبْشَان بن سُلَيْم بن مَلْكان بن أفصَى ، حليفٌ لهم من خزاعة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، رجلان

ومن بنى مَخْزُوم بن يَقَظة : هشامُ بن أبى أمية بن المغيرة ، قتله قُزمان ، والوليدُ بن العاص بن هشام بن المغيرة ، قتله قُزمان ، وأبو أمية ابن أبى حُذَيفة بن المغيرة ، قتله على بن أبى طالب ، وخالدُ بن الأعلم ، حليف لهم ، قتله قُزمانُ ، أربعة نفر

ومن بنى جُمَحَ بن عمرو : عمرو بن عبد الله بن عُمَيْر بن وَهْب بن حذافة بن جُمَح ، وهو أبو عَزَّة ، قتله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صَبْرًا ، وَأُبَىُّ بن خَلَف بن وَهب بن حُذَافة بن جُمَح ، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، رجلان

ومن بنى عامر بن لُؤَى : عُبَيْدَةُ بن جابر ، وَشَيْبَةُ بن مالك بن المُضَرِّب ، قتلهما قُزمَان ، رجلان

قال ابن هشام : ويقال : قتل عبيدةَ بن جابر عبدُ الله بن مسعود

قال ابن إسحق : فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أُحد من المشركين اثنان وعشرون رجلا

إحصاء قتلى قريش يوم أحد

ذكر ماقيل من الشعر يوم أحد

قال ابن إسحق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم أُحد قَوْلُ هُبَيْرَةَ ابن أبى وَهْب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم

قال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم : —

قصيدة هبيرة بن أبى وهب المخزومى

مَابَالُ هَمٍّ عَمِيدٍ بَاتَ يَطْرُقُنِى
بِالْوُدِّ مِنْ هِنْدَ إِذْ تَعْدُو عَوَادِيهَا (١)

بَاتَتْ تُعَاتِبُنِى هِنْدٌ وَتَعْذِلُنِى وَالْحَرْبُ قَدْ شُغِلَتْ عَنِّى مَوَالِيهَا

مَهْلاً فَلَا تَعْذِلِينِى إِنَّ مِنْ خُلُقِى
مَا قَدْ عَلِمْتِ وَمَا إِنْ لَسْتُ أُخْفِيهَا

مُسَاعِفٌ لِبَنِى كَعْبٍ بِمَا كَلِفُوا حَمَّالُ عِبْءٍ وأَثْقَالٍ أُعَانِيهَا (٢)

وَقَدْ حَمَلْتُ سِلَاحِى فَوْقَ مُشْتَرِفٍ
سَاطٍ سَبُوحٍ إِذَا تَجْرِى يُبَارِيهَا (٣)

---

(١) العميد : الموجع المؤلم ، وأصل العميد البعير الذى انشق سنامه لكثرة اللحم فيه ، والعوادى : الشواغل

(٢) مساعف : مطيع موات ، بما كلفوا : أولعوا به وأحبوه ، والعبء : الحمل الثقيل ، وأراد به هنا ما يكلفونه من مشاق الأمور وعظامها ؛ وأعانيها : أكابدها وأحتملها

(٣) مشترف : يروى بفتح الراء وبكسرها ؛ فمن رواه بفتح الراء عنى

كَأَنَّهُ إِذْ جَرَى عَيْرٌ بِفَدْفَدَةٍ　　مُكَدَّمٌ لاَحِقٌ بِالْعُونِ يَحْمِيهاَ[١]

مِنْ آلِ أَعْوَجَ يَرْتَاحُ النَّدِيُّ لَهُ
كَجِذْعِ شَعْرَاءَ مُسْتَعْلٍ مَرَاقِيهاَ[٢]

أَعْدَدْتُهُ وَرُقَاقَ الْحَدِّ مُنْتَخَلاً　　وَمَارِناً لِخُطُوبٍ قَدْ أُلاَقِيهاَ[٣]

هٰذَا وَبَيْضَاءَ مِثْلَ النِّهْيِ مُحْكَمَةً
نِيطَتْ عَلَيَّ فَمَا تَبْدُو مَسَاوِيهاَ[٤]

به فرسا يستشرفه الناس ، أي : ينظرون إليه ويتطلعون نحوه لحسنه ، ومن رواه بكسر الراء عنى به شرفا عاليا مشرفا على الأرض ، وساط : أي بعيد الخطو إذا مشى ، والسبوح : الذي يسبح في جريه كأنه يعوم ، ويباريها : أي يعارضها ويجاريها ، و الضمير المستتر عائد إلى الفرس الذي وصفه ، والضمير البارز عائد إلى الخيل ، وقد أضمر الخيل وإن لم يجر لها ذكر لأن الكلام يدل عليها

(١) العير : حمار الوحش ، والفدفدة : الفلاة ، ومكدم : معضوض عضته آتنه ، ولاحق : معناه ضامر ، والعون : جماعات حمر الوحش

(٢) أعوج : اسم فرس مشهور في الجاهلية ، ويرتاح له : يستبشر به ويهتز لمرآه ، والندى : المجلس فيه القوم ، والجذع : الفرع ، والشعراء هنا : نخلة كثيرة الأغصان ، ومراقيها : معاليها

(٣) رقاق الحد — بضم الراء — أراد به سيفا ، ويروى رقاق — بكسر الراء — فهو جمع رقيق ، والأول أحسن لأفراد الضمائر بعده ، ومنتخلا : متخيرا ، والمارن : الرمح اللين عند الاهتزاز ، والخطوب : حوادث الدهر ، واحدها خطب

(٤) بيضاء : عنى بها درعا ، والنهى : الغدير من الماء ، وهو بفتح النون وكسرها ، ونيطت : علقت ، ويروى «لطت» بالبناء للمجهول — ومعناه ألصقت ؛ ومساويها : عيوبها

سُقْنَا كِنَانَةَ مِنْ أَطْرَافِ ذِى يَمَنٍ
عُرْضَ الْبِلَادِ عَلَى مَا كَانَ يُزْجِيهَا [١]

قَالَتْ كِنَانَةُ أَنَّى تَذْهَبُونَ بِنَا
قُلْنَا النَّخِيلَ فَأَمُّوهَا وَمَنْ فِيهَا [٢]

نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْجَرِّ مِنْ أُحُدٍ
هَابَتْ مَعَدٌّ فَقُلْنَا نَحْنُ نَأْتِيهَا [٣]

هَابُوا ضِرَابًا وَطَعْنًا صَادِقًا خَذِمًا
مِمَّا يَرَوْنَ وَقَدْ ضُمَّتْ قَوَاصِيهَا [٤]

ثُمَّتَ رُحْنَا كَأَنَّا عَارِضٌ بَرِدٌ وَقَامَ هَامُ بَنِي النَّجَّارِ يَبْكِيهَا [٥]

كَأَنَّ هَامَهُمُ عِنْدَ الْوَغَى فِلَقٌ
مِنْ قَيْضِ رُبْدٍ نَفَتْهُ عَنْ أَدَاحِيهَا [٦]

---

(١) العرض - بضم فسكون - السعة ، ويزجيها : يسوقها

(٢) النخيل : أراد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأموها : قصدوها

(٣) الجر - بالجيم مفتوحة - أصل الجبل

(٤) الخذم - بفتح الخاء وكسر الذال المعجمتين - الذى يقطع اللحم سريعا ، والقواصى : جمع قاصية ، وهى ما تفرق وبعد

(٥) العارض : السحاب ، والبرد - بفتح الباء وكسر الراء - الذى فيه برد ، والهام : جمع هامة ، وأصله الطائر الذى تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل ، وربما أطلق على رءوس القوم ووجوههم

(٦) الهام : جمع هامة ، وهى الرأس ، والوغى : الحرب ، والفلق : جمع فلقة ، وهى القطعة من الشيء ، والقيض : بفتح القاف وسكون الياء

أَوْ حَنْظَلٌ زَعْزَعَتْهُ الرِّيحُ فِي غُصُنٍ
بَالٍ تَعَاوَرُهُ مِنْهَا سَوَافِيهَا (١)

قَدْ نَبْذُلُ الْمَالَ سَحًّا لاَ حِسَابَ لَهُ
وَنَطْعُنُ الْخَيْلَ شَزْراً فِي مَآقِيهَا (٢)

ولَيْلَـةٍ يَصْطَلِى بِالْفَرْثِ جَازِرُهَا
يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى الْمُثْرِينَ دَاعِيهَا (٣)

وَلَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةٍ جَرْبَا جُمَادِيَّةٍ قَدْ بِتُّ أَسْرِيهَا (٤)

وآخره ضاد معجمة ـ وهو قشر البيض الأعلى ، والربد : جمع ربداء ، وهى التى لونها بين السواد والبياض ، وأراد ههنا النعام : والأداحى : جمع أدحى ، وهو الموضع الذى تبيض فيه النعام

(١) زعزعته : حركته وأثارته ، وتعاوره : تتداوله ، وأصله تتعاوره فحذف إحدى التاءين ، والسوافى : جمع سافية ، وهى الريح التى تقلع التراب والرمل من الأرض

(٢) السح : الصب ، يريد أنه عطاء كثير ، والشزر : الطعن عن يمين وشمال ، والمآقى : مجارى الدموع فى العين ، أو المقدمات

(٣) الفرث : ما يخرج من كرش الحيوان ، ويصطلى : أي يتسخن ، والنقرى ـ بفتحات ـ أن يدعو قوما دون قوم فيخص بدعوته لايعم بها الناس ، ويقابله الجفلى ، وهوأن يدعو دعوة عامة لايخص بها أحدا ، والمثرين جمع مثر ، وهو اسم فاعل من أثرى ، إذا صار ماله كثيرا كالثرى ، وهو التراب

(٤) من جمادى : يريد أنها من ليالى الشتاء ، وجربا : أصله جرباء ، يريد شديدة البرد مؤلمة . وأسريها : أسير فيها

لاَ يَنْبَحُ الْـكَلْبُ فِيهاَ غَيْرَ وَاحِدَةٍ
مِنَ الْقَرِيسِ وَلاَ تَسْرى أَفَاعِيهاَ (١)
أَوْقَدْتُ فِيهاَ لِذِى الضَّرَّاءِ حَامِيَةً
كَالْبَرْقِ ذَاكِيَةَ الْأَرْكَانِ أَحْمِيهَا (٢)
أَوْرَثَنِي ذَلِـكُمْ عَمْرٌو وَوالِدُهُ
مِنْ قَبْلِهِ كَانَ بِالْمَثْنَى يُغَالِيهاَ (٣)
كَانُوا يُبَارُونَ أَنْوَاءَ النُّجُومِ فَماَ
دَنَّتْ عَنِ السُّورَةِ الْعُلْياَ مَسَاعِيهَا (٤)

قال ابن إسحق : فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه ، فقال : —

حسان بن ثابت يجيب هبيرة بن أبي وهب

سُقْتُمْ كِنَانَةَ جَهْلاً مِنْ سَفَاهَتِكُمْ
إلَي الرَّسُولِ فَجُنْدُ اللهِ مُخْزِيهاَ
أَوْرَدْتُمُوهَا حِيَاضَ الْمَوْتِ ضَاحِيَةً فَالنَّارُ مَوْعِدُهاَ وَالْقَتْلُ لاَقِيهاَ (٥)

(١) القريس : البرد مع الصقيع ، والصقيع : الثلج الذى يلصق بالنبات وهو الجليد أيضا ، والأفاعى : جمع أفعى

(٢) لذى الضراء : أراد به صاحب الحاجة والفقر ، وحامية : أراد نارا ، ويروى فى مكانه «جاحمة» وهى النار الملتهبة ، وذاكية : أراد مضيئة

(٣) المثنى : أراد مرة بعد مرة ، ويروى «أورثنى ذاكم»

(٤) يبارون : يعارضون ويفعلون مثل ما تفعل ، ودنت ـ بالنون مشددة ـ أى قصرت ، يقال : رجل أدن العنق ، إذا كان قصير العنق ، والسورة : الرفعة والمنزلة ، والمساعى : جمع مسعاة ، وهى ما يسعى فيه من المكارم

(٥) الحياض : جمع حوض ، والضاحية : البارزة للشمس

جمعتُمُوهُمْ أَحَابِيشًا بِلاَ حَسَبٍ
أَئِمَّةَ الْكُفْرِ غَرَّتْكُمْ طَوَاغِيهَا (١)

أَلاَّ اعْتَبَرْتُمْ بِخَيْلِ اللهِ إِذْ قَتَلَتْ أَهْلَ الْقَلِيبِ وَمَنْ أَلْقَيْنَهُ فِيهَا (٢)

كَمْ مِنْ أَسِيرٍ فَكَكْنَاهُ بِلاَ ثَمَنٍ
وَجَزِّ نَاصِيَةٍ كُنَّا مَوَالِيهَا (٣)

قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك

قال ابن هشام : وبيت هبيرة بن أبى وهب الذى يقول فيه : —

وَلَيْلَةٍ يَصْطَلِى بِالْفَرْثِ جَازِرُهَا يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى الْمُثْرِينَ دَاعِيهَا

يروى لِجَنُوبَ أخت عَمْرٍو ذى الكَلْبِ الهُذَلى فى أبيات لها فى غير يوم أحد

قال ابن إسحق : وقال كَعْبُ بن مالك يجيب هُبَيْرَةَ بن أبى وهب أيضا : —

كعب بن مالك يجيب هبيرة ابن أبى وهب

أَلاَ هَلْ أَتَى غَسَّانَ عَنَّا وَدُونَهُمْ
مِنَ الْأَرْضِ خَرْقٌ سَيْرُهُ مُتَنَعْنِعُ (٤)

---

(١) الحسب : الشرف ، وطواغيها : جمع طاغية ، وهو المتكبر المتمرد

(٢) أهل القليب : أراد بهم من قتل فى بدر من المشركين فطرح فى القليب وهو البئر

(٣) مواليها : أهل النعمة وأصحاب المنة عليها ، يريد أنهم فكوا كثيرا من أسرى قريش يوم بدر بغير فداء فكانوا لذلك أصحاب النعمة واليد البيضاء عليهم فلو كان عند هؤلاء شىء من حفظ الجميل لقبعوا فى بيوتهم فلم يخرجوا لقتالهم .

(٤) الخرق : الفلاة الواسعة التى تخرق فيها الريح ، وقوله « متنعنع »

صَحَارٍ وَأَعْلَامٌ كَأَنَّ قَتَامَهَا مِنَ الْبُعْدِ نَقْعٌ هَامِدٌ مُتَقَطِّعُ (١)

تَظَلُّ بِهِ الْبُزْلُ الْعَرَامِيسُ رُزَّحًا وَيَخْلُو بِهِ غَيْثُ السِّنِينَ فَيُمْرِعُ (٢)

بِهِ جِيَفُ الْحَسْرَى يَلُوحُ صَلِيبُهَا
كَمَا لَاحَ كَتَّانُ التِّجَارِ الْمُوَضَّعُ (٣)

بِهِ الْعِينُ وَالْآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَبِيضُ نَعَامٍ قَيْضُهُ يَتَفَلَّعُ (٤)

مُجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا كُلُّ فَخْمَةٍ مُدَرَّبَةٍ فِيهَا الْقَوَانِسُ تَلْمَعُ (٥)

يروى بالنون وبالتاء ، فمن رواه بالنون فمعناه المضطرب ، ومن رواه بالتاء فمعناه المتردد ، والمعنى قريب ، وتقول : تعتع فى الكلام ، إذا تردد فيه

(١) الأعلام : الجبال المرتفعة ؛ واحدها علم ، مثل سبب وأسباب وجبل وأجبال ، وقتام ـ كسحاب ـ ما مال لونه إلى السواد منها ، والنقع : الغبار ، والهامد : المتلبد الساكن

(٢) البزل : الابل القوية ، واحدها بازل ، وأصله الذى فطر نابه ، وهذا زمان القوة والشدة ، العراميس : الشديدة ، والرزح : جمع رازح ، وهو المعيى ، ويمرع : يخصب

(٣) الصليب : الودك ، وهو الشحم ، والموضع : المبسوط المنقوش

(٤) العين جمع عيناء ، وهى البقرة من بقر الوحش ، والآرام : البيض البطون السمر الظهور ، واحدها رئم ، وأصل آرام : أرآم ، بزنة أحمال ، فقدمت الهمزة على الراء ثم قلبت الهمزة ألفا لسكونها إثر همزة مفتوحة ، وقوله « خلفة » أى : يمشين قطعة خلف قطعة ، ، والقيض : قشر البيض الأعلى ، ويتفلع : معناه يتشقق

(٥) فخمة : يريد كتيبة عظيمة ، ومدربة : يروى بالدال مهملة وبالذال معجمة ؛ فمن رواه بالدال فهو من الدربة ، يريد أنهم معلمون معودون قد دربوا على القتال ، ومن رواه بالذال فمعناه محددة ، والذرب : الحاد ، والقوانس : رءوس بيض السلاح

وَكُلُّ صَمُوتٍ فِي الصِّوَانِ كَأَنَّهَا إِذَا لُبِسَتْ نِهْيٌ مِنَ الْمَاءِ مُتْرَعُ (١)
وَلَكِنْ بِبَدْرٍ سَائِلُوا مَنْ لَقِيتُمُ مِنَ النَّاسِ وَالْأَنْبَاءُ بِالْغَيْبِ تَنْفَعُ
وَإِنَّا بِأَرْضِ الْخَوْفِ لَوْ كَانَ أَهْلُهَا
سِوَانَا لَقَدْ أَجْلَوْا بِلَيْلٍ فَأَقْشَعُوا (٢)
إِذَا جَاءَ مِنَّا رَاكِبٌ كَانَ قَوْلُهُ
أَعِدُّوا لِمَا يُزْجِي ابْنُ حَرْبٍ وَيَجْمَعُ
فَمَهْمَا يُهِمُّ النَّاسَ مِمَّا يَكِيدُنَا فَنَحْنُ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَوْسَعُ
فَلَوْ غَيْرُنَا كَانَتْ جَمِيعاً تَكِيدُهُ الْـ
بَرِيَّةُ قَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَوَرَّعُوا (٣)
نُجَالِدُ لَا تَبْقَى عَلَيْنَا قَبِيلَةٌ
مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يُهَابُوا وَيُفْظَعُوا (٤)
وَلَمَّا ابْتَنَوْا بِالْعِرْضِ قَالَ سَرَاتُنَا
عَلَامَ إِذَا لَمْ نَمْنَعِ الْعِرْضَ نَزْرَعُ (٥)

---

(١) الصموت : هي الدرع التي أحكم نسجها وتقارب حلقها فليس يسمع لها صوت ، والصوان : كل ما يصان فيه الشيء درعا كان أو ثوبا أو غيرهما ، والنهي بفتح النون أو كسرها : الغدير ، ومترع : أي مملوء ماء

(٢) أقشعوا : فروا وذلوا

(٣) تورعوا : يروى بالراء المهملة وبالزاى : فمن رواه بالراء المهملة فمعناه ذلوا وهانوا ، ومن رواه بالزاى فمعناه تقسموا وانشعبوا

(٤) يفظعوا ـ مبنى للمجهول : يهالوا ويفزعوا ، من الشيء الفظيع ، وهو الذى يهولك منظره

(٥) ابتنوا : ضربوا أبنيتهم وهى القباب والأخبية ، والعرض : موضع خارج المدينة ، وسراتنا : خيارنا

وفِينَا رَسُولُ اللهِ نَتْبَعُ أَمْرَهُ إِذَا قَالَ فِينَا القَوْلَ لاَ نَتَطَلَّعُ (١)
تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ يُنَزَّلُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ وَيُرْفَعُ (٢)
نُشَاوِرُهُ فِيمَا نُرِيدُ وَقَصْرُنَا إِذَا مَا اشْتَهَى أَنَّا نُطِيعُ وَنَسْمَعُ (٣)
وَقَالَ رَسُولُ اللهِ لَمَّا بَدَوْا لَنَا
ذَرُوا عَنْكُمُ هَوْلَ المَنِيَّاتِ وَاطْمَعُوا
وَكُونُوا كَمَنْ يَشْرِي الحَيَاةَ تَقَرُّبًا إِلَى مَلِكٍ يُحْيَا لَدَيْهِ وَيُرْجَعُ
وَلَكِنْ خُذُوا أَسْيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُوا
عَلَى اللهِ إِنَّ الأَمْرَ لِلَّهِ أَجْمَعُ
فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ جَهْرَةً فِي رِحَالِهِمْ
ضُحَيًّا عَلَيْنَا البِيضُ لاَ نَتَخَشَّعُ (٤)
بِمَلْمُومَةٍ فِيهَا السَّنَوَّرُ وَالْقَنَا إِذَا ضَرَبُوا أَقْدَامَهَا لاَ تَوَرَّعُ (٥)

---

(١) لا نتطلع : يروى بالطاء المهملة وبالظاء ؛ فمن رواه بالطاء المهملة فمعناه لا ننظر إليه إجلالا له وهيبة منه ، ومن رواه بالظاء المعجمة فمعناه لا نميل عنه ولا نعدل عما قاله

(٢) الروح : هو جبريل أمين الوحى عليه السلام ، وهو مأخوذ من قوله تعالى : (نزل به الروح الأمين)

(٣) قصرنا : غايتنا ونهاية أمرنا ؛ تقول : قصرك وقصاراك وقصارى أمرك ، ومعناه غاية أمرك

(٤) البيض ـ بكسر الباء ـ جمع أبيض ، والمراد بها السيوف ، والبيض ـ بفتح فسكون ـ جمع بيضة السلاح

(٥) الملمومة : الكتيبة التى اجتمع بعضها إلى بعض ، والسنور :

فجئْنَا إلى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسْطَهُ أحابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ (١)
ثلاثةَ آلافٍ وَنحْنُ نَصِيَّةٌ ثَلاثُ مِئِينَ إنْ كَثُرْنَا فَأرْبَعُ (٢)
نُغَاوِرُهُمْ تَجْرِى الْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا
نُشَارِعُهُمْ حَوْضَ الْمَنَايَا وَنَشْرَعُ (٣)
تَهَادَى قِسِيُّ النَّبْعِ فِينَا وَفِيهِمُ وَمَا هُوَ إلاَّ الْيَثْرِبِيُّ الْمُقَطَّعُ (٤)
وَمَنْجُوفَةٌ حِرْمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ
يُذَرُّ عَلَيْهَا السَّمُّ سَاعَةَ تُصْنَعُ (٥)
تَصُوبُ بِأبْدَانِ الرِّجَالِ وَتَارَةً تَمُرُّ بِأعْرَاضِ الْبِصَارِ تَقَعْقَعُ (٦)

السلاح ، وقوله ، « لا تورع » يروى بالراء المهملة وبالزاى ، فمن رواه بالراء المهملة فمعناه لا تكف ، ومن رواه بالزاى فمعناه لا يفرقها أحد

(١) الحاسر : الذى لا درع له ولا مغفر ، والمقنع : الذى لبس المغفر على رأسه

(٢) النصية : الخيار من القوم

(٣) نغاورهم : يروى بالغين المعجمة ويروى بالعين المهملة ، فمن رواه بالغين المعجمة فمعناه نغير عليهم من الغارة ، ومن رواه بالعين المهملة فمعناه نداولهم ، ونشارعهم : نشاربهم ، ونشرع : نشرب ، يريد أنه قد كانت بينهم مغاورات ينتصرون عليهم مرة ويظفرون بهم مرة

(٤) النبع : شجر تصنع منه القسى ، واليثربى : الأوتار المنسوبة إلى يثرب

(٥) المنجوفة : أراد بها سهاما ، وحرمية : منسوبة إلى أهل الحرم ، ويقال : هذا رجل حرمى — بكسر فسكون — إذا كان من أهل الحرم ، وصاعدية : منسوبة إلى صانع اسمه صاعد

(٦) تصوب : تقع ، والبصار — بكسر الباء وتخفيف الصاد — الحجارة اللينة ، يريد أنها تصيب مرة وتخطىء مرة

وَخَيْلٍ تَرَاهَا بِالْفَضَاءِ كَأَنَّهَا جَرَادُ صَبًا فِي قَرَّةٍ يَتَرَبَّعُ (١)

فَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَدَارَتْ بِنَا الرَّحَا
وَلَيْسَ لِأَمْرٍ حَمَّهُ اللهُ مَدْفَعُ (٢)

ضَرَبْنَاهُمُ حَتَّى تَرَكْنَا سَرَاتَهُمْ
كَأَنَّهُمُ بِالْقَاعِ خُشْبٌ مُصَرَّعُ (٣)

لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى اسْتَفَقْنَا عَشِيَّةً كَأَنَّ ذَكَانَا حَرُّ نَارٍ تَلَفَّعُ (٤)

وَرَاحُوا سِرَاعاً مُوجَعِينَ كَأَنَّهُمْ
جَهَامٌ هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مُقْلِعُ (٥)

وَرُحْنَا وَأُخْرَانَا بِطَاءٌ كَأَنَّنَا أُسُودٌ عَلَى لَحْمٍ بِبِيشَةَ ضُلَّعُ (٦)

فَنِلْنَا وَنَالَ الْقَوْمُ مِنَّا وَرُبَّمَا
فَعَلْنَا وَلٰكِنْ ما لَدَى اللهِ أَوْسَعُ

---

(١) الفضاء : المتسع من الأرض ، والصبا : الريح الشرقية ، والقرة : البرد ، ويتربع : يجيء ويذهب

(٢) رحى الحرب : معظم موضع القتال فيها ، وحمه الله : قدره

(٣) سراتهم : خيارهم ، والقاع : المنخفض من الأرض ، وخشب : أصله بضمتين فسكن الشين اضطراراً

(٤) ذكانا : أراد اشتعال نار حربنا والتهابها ، وتلفع : يشتمل حرها على من دنا منها

(٥) موجعين : يروى بالعين المهملة مبنيا للمجهول من الايجاع ، وهو الايلام ، ويروى موجفين ـ بالفاء مبنيا للمعلوم ـ ومعناه مسرعون ، والجهام ـ كسحاب ـ السحاب الرقيق الذى ليس معه مطر ،

(٦) بيشة : اسم موضع تنسب إليه الأسود ، وضلع : جمع ضالع ، وهو من صفة الأسود

وَدَارَتْ رَحَانَا وَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمُ
وقَدْ جَعَلُوا كُلٌّ مِنَ الشَّرِّ يَشْبَعُ
وَنَحْنُ أُنَاسٌ لا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
عَلَى كُلِّ مَنْ يَحْمِي الذِّمَارَ وَيَمْنَعُ (١)
جِلَادٌ عَلَى رَيْبِ الْحَوَادِثِ لاَ تَرَى
عَلَى هَالِكٍ عَيْناً لَنَا الدَّهْرَ تَدْمَعُ (٢)
بَنُو الْحَرْبِ لاَ نَعْيَا بِشَيْءٍ نَقُولُهُ
وَلاَ نَحْنُ مِمَّا جَرَّتِ الْحَرْبُ نَجْزَعُ
بَنُو الْحَرْبِ إِنْ نَظْفَرْ فَلَسْنَا بِفُحَّشٍ
وَلاَ نَحْنُ مِنْ إِظْفَارِهَا نَتَوَجَّعُ (٣)
وكُنَّا شِهَاباً يَتَّقِي النَّاسُ حَرَّهُ
وَيَفْرُجُ عَنْهُ مَنْ يَلِيهِ وَيَسْفَعُ (٤)
فَخَرْتَ عَلَيَّ ابْنَ الزِّبَعْرَى وَقَدْ سَرَى
لَكُمْ طَلَبٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُتْبِعُ

---

(١) الذمار ـ ككتاب ـ ما يجب على الرجل أن يحميه

(٢) جلاد : جمع جليد ، وهو الصبور

(٣) فحش ـ بضم الفاء وتشديد الحاء المهملة ـ جمع فاحش ، يريد أنهم إن ظفروا لم يطغهم ظفرهم فيسبوا ويفحشوا أو يمثلوا بقتلاهم كما فعلت قريش فى أحد ، وإن ظفر عليهم لم يجزعوا لذلك ؛ لعلمهم أن الدهر يومان يوم لهم ويوم عليهم ، وأن الظفر لا يدوم والهزيمة لا تدوم

(٤) الشهاب : القطعة من النار ، ويسفع : يحرق ويغير اللون ، تقول : سفعته النار ، إذا غيرت لونه

فَسَلْ عَنْكَ فى عَلْيَا مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا
مِنَ النَّاسِ مَنْ أَخْزَى مَقَامًا وَأَشْنَعُ
ومَنْ هُوَ لَمْ تَتْرُكْ لَهُ الْحَرْبُ مَفْخَرًا
وَمَنْ خَدُّهُ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ أَضْرَعُ (١)
شَدَدْنَا بِحَوْلِ اللهِ وَالنَّصْرِ شَدَّةً
عَلَيْكُمْ وَأَطْرَافُ الْأَسِنَّةِ شُرَّعُ (٢)
تَكُرُّ الْقَنَا فِيكُمْ كَأَنَّ فُرُوعَهَا عَزَالَى مَزَادٍ مَاؤُهَا يَتَهَزَّعُ (٣)
عَمَدْنَا إلَى أَهْلِ اللِّوَاءِ ومَنْ يَطِرْ بِذِكْرِ اللِّوَاءِ فَهْوَ فى الْحَمْدِ أَسْرَعُ
فَخَانُوا وقَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَخَاذَلُوا أَبَى اللهُ إلاَّ أَمْرَهُ وَهْوَ أَصْنَعُ (٤)

قال ابن هشام : و [قد كان كعب بن مالك قد قال :

* مُجَالِدُنَا عَنْ جِذْمِنَا كُلُّ فَخْمَةٍ (٥) *

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَيَصْلُحُ أَنْ تَقُولَ مُجَالِدُنَا

---

(١) أضرع : ذليل ، يقال : أضرعته الحاجة ، إذا أذلته

(٢) شرع : مائلة للطعن ، يقال : أشرعت الرمح قبله ، إذا أملته إليه لتطعنه به

(٣) الفروع : الطعن المتسع ، والعزالى : جمع عزلاء ، وهى فم المزادة أو السقاء ، ويتهزع : يروى بالراء المهملة وبالزاء الموحدة ، فمن رواه بالراء المهملة فمعناه يتفرغ ويسرع سيلانه ، ومن رواه بالزاى فمعناه يتقطع

(٤) لخانوا : يروى بالحاء المهملة من الحين وهو الهلاك ، ويروى بالخاء المعجمة من الخيانة

(٥) « عن جذمنا » الجذم ـ بكسر فسكون ـ هو الأصل

عَنْ دِينِنَا »؟ فقال كعب : نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فَهُوَ أَحْسَنُ » فقال كعب : مُجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا

قال ابن إسحق : وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى فى يوم أحد :

قصيدة أخرى لعبد الله ابن الزبعرى

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ فَقُلْ ... إِنَّمَا تَنْطِقُ شَيْئًا قَدْ فُعِلْ
إِنَّ لِلْخَيْرِ وَلِلشَّرِّ مَدًى ... وَكِلَا ذَلِكَ وَجْهٌ وَقَبَلْ (١)
وَالْعَطِيَّاتُ خِسَاسٌ بَيْنَهُمْ ... وَسَوَاءٌ قَبْرُ مُثْرٍ وَمُقِلْ (٢)
كُلُّ عَيْشٍ وَنَعِيمٍ زَائِلٌ ... وَبَنَاتُ الدَّهْرِ يَلْعَبْنَ بِكُلْ (٣)
أَبْلِغَا حَسَّانَ عَنِّى آيَةً ... فَقَرِيضُ الشِّعْرِ يَشْفِى ذَا الْغُلَلْ (٤)
كَمْ تَرَى بِالْجَرِّ مِنْ جُمْجُمَةٍ ... وَأَكُفٍّ قَدْ أُتِرَّتْ وَرِجِلْ (٥)
وَسَرَابِيلَ حِسَانٍ سُرِيَتْ ... عَنْ كُمَاةٍ أُهْلِكُوا فِى الْمُنْتَزَلْ (٦)

---

(١) المدى : الغاية التى يصل إليها ، وقبل ــ بفتح القاف والباء الموحدة ــ المقابلة والمواجهة

(٢) خساس : حقيرة ، ومثر : غنى ، اسم فاعل من أثرى ، ومقل : فقير ، وهو اسم فاعل من أقل ، إذا صار ماله قليلا

(٣) بنات الدهر : حوادثه ومصائبه

(٤) الآية : العلامة ، والغلل ــ بضم ففتح ــ جمع غلة ، وهى الحرارة والعطش .

(٥) الجر : الجبل ، والجمجمة : أراد بها الرأس ، وأترت ــ بالبناء للمجهول ــ قطعت ، والرجل : أصله بكسر فسكون ، فكسر الجيم إتباعا لكسرة الراء

(٦) سريت : جردت ، والكماة : الشجعان ، وأحدهم كمى ، والمنتزل : موضع النزال والحرب

كَمْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدٍ ... مَاجِدِ الْجَدَّيْنِ مِقْدَامٍ بَطَلْ (١)

صَادِقِ النَّجْدَةِ قَرْمٍ بَارِعٍ ... غَيْرِ مُلْتَاثٍ لَدَى وَقْعِ الْأَسَلْ (٢)

فَسَلِ الْمِهْرَاسَ مَاسَاكِنُهُ ... بَيْنَ أَقْحَافٍ وَهَامٍ كَالْحَجَلْ (٣)

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلْ

حِينَ حَكَّتْ بِقُبَاءٍ بَرْكَهَا

وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي عَبْدِ الْأَشَلْ (٤)

ثُمَّ خَفُّوا عِنْدَ ذَاكُمْ رُقَّصًا ... رَقَصَ الْحَفَّانِ يَعْلُو فِي الْجَبَلْ (٥)

فَقَتَلْنَا الضِّعْفَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ ... وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرٍ فَاعْتَدَلْ

لَا أَلُومُ النَّفْسَ إِلَّا أَنَّنَا ... لَوْ كَرَرْنَا لَفَعَلْنَا الْمُفْتَعَلْ

بِسُيُوفِ الْهِنْدِ تَعْلُو هَامَهُمْ ... عَلَلًا تَعْلُوهُمُ بَعْدَ نَهَلْ (٦)

---

(١) المقدام : الذى يقدم على المكروه لا يباليه ، والبطل : الشجاع

(٢) النجدة : القوة والشجاعة ، والقرم بالفتح الفحل من الابل فى الأصل ثم أطلقوه على الرجل الماجد الكريم ، والبارع : المبرز على غيره ، والملتاث : الضعيف ، والأسل : الرماح

(٣) المهراس ـ بكسر أوله ـ ماء بجبل أحد ، والأقحاف : جمع قحف ، وهو ـ بكسر أوله ـ العظم فوق الدماغ وماانفلق من الجمجمة ، والهام : جمع هامة ، وهى الرأس ، والحجل ـ بفتح الحاء والجيم ـ طائر فى حجم الحمام طيب اللحم

(٤) البرك ـ بفتح فسكون ـ الصدر ، واستحر القتل : اشتد ، وعبد الأشل : أراد عبد الأشهل فحذف الهاء

(٥) الرقص : ضرب من المشى السريع ، والحفان ـ بفتح الحاء وتشديد الفاء ـ صغار النعام

(٦) النهل ـ بفتح النون والهاء ـ الشرب الأول ، والعلل ـ بوزان

فأجابه حسان بن ثابت [الأنصاري رضى الله عنه] ، فقال : —

حسان بن ثابت يجيب ابن الزبعرى

ذَهَبَتْ بِابْنِ الزِّبَعْرَى وَقْعَةٌ كَانَ مِنَّا الْفَضْلُ فِيهَا لَوْ عَدَلْ

ولَقَدْ نِلْتُمْ ونِلْنَا مِنْكُمْ وَكَذَاكَ الْحَرْبُ أَحْيَانًا دُوَلْ

نَضَعُ الْأَسْيَافَ فِي أَكْتَافِكُمْ حَيْثُ نَهْوَى عَلَلاً بَعْدَ نَهَلْ (١)

نُخْرِجُ الْأَصْبَحَ مِنْ أَسْتَاهِكُمْ كَسُلَاحِ النِّيبِ يَأْكُلْنَ الْعَصَلْ (٢)

إِذْ تُوَلُّونَ عَلَى أَعْقَابِكُمْ هَرَبًا فِي الشِّعْبِ أَشْبَاهَ الرَّسَلْ (٣)

إِذْ شَدَدْنَا شَدَّةً صَادِقَةً فَأَجَأْنَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلْ (٤)

النهل — الشرب الثانى ، وضرب ذلك مثلا لمعاودتهم القتال ورجوعهم إليه

(١) « نضع الأسياف » يروى فى مكانه « نضع الخطى » والأسياف جمع سيف ، والخطى : الرمح المنسوب إلى الخط ، وهو موضع

(٢) « نخرج الأصبح » الأصبح : الذى لونه الصبحة ، وهى سواد إلى الحمرة ، أو هى لون يضرب إلى الشهبة ، أو إلى الصهبة ، ويروى « نخرج الأضياح» وهى رواية أبى ذر ، والأضياح : جمع ضيح ، وهو اللبن المخلوط بالماء ، والسلاح : بضم السين ، تقول : سلح يسلح سلاحاً ، والنيب : النوق المسان ، والعصل : نبات تأكله الأبل فيخرج منها أحمر

(٣) الرسل - بفتح الراء والسين - الابل المرسلة بعضها فى أثر بعض ، ويقال : الرسل : الجماعة من كل شىء

(٤) أجأناكم : ألجأناكم واضطررناكم ، ومنه قوله تعالى : « فأجاءها

بِخَنَاطِيلَ كَأَشْدَافِ الْمَلَا ... مَنْ يُلاقُوهُ مِنَ النَّاسِ يُهَلْ (١)

ضَاقَ عَنَّا الشِّعْبُ إِذْ نَجْزَعُهُ ... وَمَلأْنَا الْفُرْطَ مِنْهُ وَالرِّجَلْ (٢)

بِرِجَالٍ لَسْتُمُ أَمْثَالَهُمْ ... أُيِّدُوا جِبْرِيلَ نَصْراً فَنَزَلْ (٣)

وَعَلَوْنَا يَوْمَ بَدْرٍ بِالتُّقَى ... طَاعَةَ اللهِ وَتَصْدِيقَ الرُّسُلْ

وَقَتَلْنَا كُلَّ رَأْسٍ مِنْهُمُ ... وَقَتَلْنَا كُلَّ جَحْجَاحٍ رِفَلّْ (٤)

وَتَرَكْنَا فِى قُرَيْشٍ عَوْرَةً ... يَوْمَ بَدْرٍ وَأَحَادِيثَ الْمَثَلْ

وَرَسُولُ اللهِ حَقًّا شَاهِدٌ ... يَوْمَ بَدْرٍ وَالتَّنَابِيلُ الْهُبَلْ (٥)

المخاض إلى جذع النخلة » أى : ألجأها ، وسفح الجبل : جانبه المقارب لأصله .

(١) الخناطيل : الجماعات وأصلها جماعات الجراد ، وقوله « كأشداف الملا » يروى فى مكانه « كأمذاق الملا » ويروى « كجنان الملا » فأما الأشداف : فمعناه الأشخاص ، وأما الأمذاق : فالأخلاط من الناس ، وأما الجنان فمعناه الجن ، والملا : المتسع من الأرض ؛ ويهل : مضارع ، أهاله يهيله مبنيا للمجهول ، ومعناه يفزع

(٢) نجزعه : نقطعه ، والفرط : ماعلا وارتفع من الأرض ؛ والرجل : جمع رجلة ، وهو ما اطمأن من الأرض

(٣) « أيدوا جبريل » قال أبو ذر : « أراد أيدوا بجبريل ، فحذف حرف الجر وعدى الفعل » اه وعليه فهو مبنى للمجهول ، ولو جعلناه مبنيا للمعلوم ولا حذف لم يكن المعنى بعيداً

(٤) الجحجاح : السيد ؛ وجمعه جحاجيح وجحاجحة ، وجحاجح ، والرفل - بكسر الراء وفتح الفاء وتشديد اللام - الذى يجر ثوبه خيلاء مأخوذ من قولهم : رفل فى ثوبه ، إذا مشى فيه وهو يجره

(٥) التنابيل : القصار اللئام ، ويروى فى مكانه « والقبائل » وهو جمع

فى قُرَيْشٍ مِنْ جُمُوعٍ جَمَّعُوا
مِثْلَ مَا يُجْمَعُ فى الْخِصْبِ الْهَمَلْ (١)

نَحْنُ لاَ أَمْثَالُكُمْ وُلْدَ اسْتِهَا
نَحْضُرُ الْبَأْسَ إِذَا الْبَأْسُ نَزَلْ (٢)

قال ابن هشام: وأنشدنى أبو زيد الأنصارى «وأحاديث المثل» والبيت الذى قبله، وقوله «فى قريش من جموع جمعوا» عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق: وقال كعب بن مالك يبكى حمزة بن عبد المطلب وقتلى أحد من المسلمين رضى الله عنهم: —

قصيدة لكعب ابن مالك يرثى حمزة وشهداء أحد

نَشَجْتَ وَهَلْ لَكَ مِنْ مَنْشَجٍ
وكُنْتَ مَتَى تَذَّكِرْ تَلْجَجِ (٣)

تَذَكُّرَ قَوْمٍ أَتَانِى لَهُمْ أَحَادِيثُ فى الزَّمَنِ الْأَعْوَجِ
فَقَلْبُكَ مِنْ ذِكْرِهِمْ خَافِقٌ مِنَ الشَّوْقِ وَالْحُزْنِ الْمُنْضَجِ
وَقَتْلاَهُمُ فِى جِنَانِ النَّعِيمِ كِرَامُ الْمَدَاخِلِ وَالْمَخْرَجِ

قبيلة، والمراد بها ههنا القطعة من الخيل، والهبل: يروى بضمتين وبفتحتين وبضم ففتح كصرد، فمن رواه بضم الهاء والباء فمعناه الذين ثقلوا لكثرة اللحم عليهم، تقول: رجل مهبل، إذا كثر لحمه، ومن رواه بفتح الهاء والباء أو بضم ففتح فهو من الثكل، يقال: هبلته أمه، إذا ثكلته

(١) الهمل: الابل المهملة، وهى التى ترسل فى المرعى دون راع

(٢) وُلد بضم فسكون ـ جمع ولد بفتحتين، مثل أسد وأسد

(٣) نشجت: بكيت، والنشيج: البكاء مع صوت متردد، وتلجج، هو من اللجج، وهو التمادى فى الشىء والاقامة عليه

بِمَا صَبَرُوا تَحْتَ ظِلِّ اللِّوَاءِ

لِوَاءِ الرَّسُولِ بِذِي الْأَضْوُجِ (١)

غَدَاةَ أَجَابَتْ بِأَسْيَافِهَا جَمِيعاً بَنُو الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ

وَأَشْيَاعُ أَحْمَدَ إِذْ شَايَعُوا عَلَى الْحَقِّ ذِي النُّورِ وَالْمَنْهَجِ (٢)

فَمَا بَرِحُوا يَضْرِبُونَ الْكُمَاةَ

وَيَمْضُونَ فِي الْقَسْطَلِ الْمُرْهِجِ (٣)

كَذَلِكَ حَتَّى دَعَاهُمْ مَلِيكٌ إِلَى جَنَّةٍ دَوْحَةِ الْمَوْلِجِ (٤)

فَكُلُّهُمُ مَاتَ حُرَّ الْبَلَاءِ عَلَى مِلَّةِ اللهِ لَمْ يَحْرَجِ (٥)

---

(١) الأضوج - بضم الواو - جمع ضوج ، وهو جانب الوادى ، وقد جاء بالأضوج كما جاء بالأنور عمر بن أبي ربيعة المخزومى فى قوله : —

* مَصَابِيحُ شُبَّتْ فِى الْعِشَاءِ وَأَنْوُرُ *

وكما قالوا : أثوب ، وأسيف ، وأعين ، ونحو ذلك مما عينه حرف علة ، وقياسه أضواج ، وأنوار ، وأثواب ، وأسياف ، وأعيان . ويروى « بذى الأضوج » بفتح الواو ، فهو على ذلك اسم مكان

(٢) شايعوا : تابعوا وكانوا شيعة وتبعا ، والمنهج : الطريق الواضح

(٣) الكماة : الشجعان وأحدهم كمى ، والقسطل : الغبار ، والمرهج : الذى ثار حتى علا وارتفع فى الجو

(٤) الدوحة : الكثيرة الأغصان ، والمولج : المدخل ، تقول : ولج فى البيت ؛ إذا دخله ، وأراد ههنا أنها كثيرة الأبواب

(٥) « لم يحرج » معناه لم يأثم

كَحَمْزَةَ لَمَّا وَفَى صَادِقًا ... بِذِى هَبَّةٍ صَارِمٍ سَلْجَجِ (١)
فَلاَقَاهُ عَبْدُ بَنِي نَوْفَلٍ ... يُبَرْبِرُ كَالْجَمَلِ الْأَدْعَجِ (٢)
فَأَوْجَرَهُ حَرْبَةً كَالشِّهَابِ ... تَلَهَّبُ فى اللَّهَبِ الْمُوهَجِ (٣)
وَنُعْمَانُ أَوْفَى بِمِيثَاقِهِ ... وَحَنْظَلَةُ الْخَيْرِ لَمْ يُحْنَجِ (٤)
عَنِ الْحَقِّ حَتَّى غَدَتْ رُوحُهُ ... إِلَى مَنْزِلٍ فَاخِرِ الزِّبْرِجِ (٥)
أُولَئِكَ لاَ مَنْ ثَوَى مِنْكُمُ ... مِنَ النَّارِ فى الدَّرَكِ الْمُرْتَجِ (٦)

فأجابه ضرار بن الخطاب الفهرى [فقال] :

ضرار بن الخطاب الفهرى يرد على كعب ابن مالك

أَيَجْزَعُ كَعْبٌ لِأَشْيَاعِهِ ... وَيَبْكِي مِنَ الزَّمَنِ الْأَعْوَجِ (٧)
عَجِيجَ الْمُذَكِّى رَأَى إِلْفَهُ ... تَرَوَّحَ فى صَادِرٍ مُحْنَجِ (٨)

---

(١) بذى هبة : أراد به سيفا ، وهبة السيف : وقوعه بالعظم ، والصارم القاطع ، وسلجج : مرهف حاد قاطع

(٢) أراد بعبد بنى نوفل وحشيا غلام جبير بن مطعم الذى قتل حمزة رضى الله عنه ، ويبربر : يتكلم بما لا يفهم ، والجمل الأدعج : الأسود

(٣) أوجره : طعنه فى صدره ، والشهاب : القطعة من النار ، والموهج : المتقد

(٤) لم يحنج : لم يصرف عن وجهه الذى أراد من الحق ، وتقول : حنجت الشىء ، إذا أملته عن وجهه

(٥) الزبرج : الوشى ، وهو أيضا الذهب

(٦) المرتج : المغلق ، تقول : أرتجت الباب ، إذا أغلقته

(٧) أشياعه : أتباعه

(٨) العجيج : الصوت ، والمذكى : المسن من الابل ، وأكثر ما يقال

فَرَاحَ الرَّوَايَا وغَادَرْنَهُ ... يُعَجْعِجُ قَسْرًا وَلَمْ يُحْدَجِ (١)

فَقُولاَ لِكَعْبٍ يُثَنِّى الْبُكَا ... وَلِلنَّيءِ مِنْ لَحْمِهِ يَنْضَجِ

لِمَصْرَعِ إِخْوَانِهِ فى مَكَرٍّ

مِنَ الْخَيْلِ ذِى قَسْطَلٍ مُرْهِجِ (٢)

فَيَالَيْتَ عَمْرًا وَأَشْيَاعَهُ ... وَعُتْبَةَ فى جَمْعِنَا السَّوْرَجِ (٣)

فَيَشْفُوا النُّفُوسَ بِأَوْتَارِهَا

بِقَتْلَى أُصِيبَتْ مِنَ الْخَزْرَجِ (٤)

وَقَتْلَى مِنَ الْأَوْسِ فى مَعْرَكٍ

أُصِيبُوا جَمِيعًا بِذِى الْأَضْوُجِ (٥)

وَمَقْتَلِ حَمْزَةَ تَحْتَ اللِّوَاءِ ... بِمُطَّرِدٍ مَارِنٍ مُخْلَجِ (٦)

فى الخيل ، والصادر : اسم للجماعة الصادرة عن الماء ، أى : الراجعة عنه ، والمحنج : المصروف عن وجهه

(١) الروايا : الابل التى تحمل الماء ، وغادرنه : تركنه ، ويعجعج : يصوت ، وقسرا : قهرا ، ولم يحدج : لم يجعل عليه الحدج ، والحدج ـ بكسر فسكون ـ مركب من مراكب النساء

(٢) القسطل : الغبار ، ومرهج : مرتفع ثائر

(٣) السورج : المتوقد

(٤) الأوتار : جمع وتر ، وهو طلب الثأر

(٥) المعرك : موضع الحرب ، وقوله « بذى الأضوج » تقدم القول فيه مستوفى فى قصيدة كعب التى ينقضها ضرار

(٦) المطرد : الذى يهتز ، وأراد به رمحا ، والمارن : اللين ، والمخلج : الذى يطعن بسرعة

وَحَيْثُ انْثَنَى مُصْعَبٌ ثَاوِياً بِضَرْبَةِ ذِى هَبَّةٍ سَلْجَجِ (١)
بِأُحْدٍ وَأَسْيَافُنَا فِيهِمُ تَلَهَّبُ كَاللَّهَبِ الْمُوهَجِ
غَدَاةَ لَقِينَاكُمُ فِي الْحَدِيدِ كَأُسْدِ الْبَرَاحِ فَلَمْ نُعْنَجِ (٢)
بِكُلِّ مُجَلَّحَةٍ كَالْعُقَابِ وَأَجْرَدَ ذِى مَيْعَةٍ مُسْرَجِ (٣)
فَدُسْنَاهُمُ ثَمَّ حَتَّى انْثَنَوْا سِوَى زَاهِقِ النَّفْسِ أَوْ مُحْرَجِ (٤)

قال ابن هشام : و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار ، وقول كعب « ذى النور والمنهج » عن أبى زيد الأنصارى

قال ابن إسحق : وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى فى يوم أحد [يبكى الْقَتْلَى] : —

قصيدة لعبدالله بن الزبعرى يرثى فيها قتلى أحد من المشركين

أَلاَ ذَرَفَتْ مِنْ مُقْلَتَيْكَ دُمُوعُ
وَقَدْ بَانَ مِنْ حَبْلِ الشَّبَابِ قُطُوعُ (٥)

---

(١) ذى هبة : أراد به السيف ، وقد مضى بيان أصله فى كلمة كعب ابن مالك ، وسلجج : هو المرهف الحاد القاطع

(٢) البراح : المتسع من الأرض ، وقوله « لم نعنج » معناه لم يصرفنا أحد ، ولم يكفنا عما أردناه بكم ، تقول : عنجت البعير ، إذا كففته بخطامه

(٣) المجلحة : يروى بجيم فلام فحاء مهملة ، ويروى محجلة — بحاء مهملة فجيم فلام — فعلى الأول معناه المصممة ، وعلى الثانى هو من التحجيل ، وهو بياض فى قوائم الفرس ، والمراد على الروايتين فرس سريعة ، والأجرد : الفرس العتيق ، والميعة — بفتح الميم وسكون الياء — النشاط والحدة

(٤) دسناهم : وطئناهم ، والمحرج : الذى ضيقت عليه الأمور

(٥) ذرفت : سالت ، تقول : ذرفت عينه ؛ إذا سال دمعها ، وبان : ظهر

وَشَطَّ بِمَنْ تَهْوَى الْمَزَارُ وَفَرَّقَتْ
نَوَى الْحَيِّ دَارٌ بِالْحَبِيبِ فَجُوعُ (١)
وَلَيْسَ لِمَا وَلَّى عَلَى ذِى حَرَارَةٍ
وَإِنْ طَالَ تَذْرَافُ الدُّمُوعِ رُجُوعُ (٢)
فَذَرْ ذَا ، ولَكِنْ هَلْ أَتَى أُمَّ مَالِكٍ
أَحَادِيثُ قَوْمِى والْحَدِيثُ يَشِيعُ (٣)
وَمَجْنَبُنَا جُرْداً إِلَى أَهْلِ يَثْرِبٍ عَنَاجِيجَ مِنْهَا مُتْلَدٌ وَنَزِيعُ (٤)
عَشِيَّةَ سِرْنَا فِى لُهَامٍ يَقُودُنَا
ضَرُورُ الْأَعَادِى لِلصَّدِيقِ نَفُوعُ (٥)
نَشُدُّ عَلَيْنَا كُلَّ زَغْفٍ كَأَنَّهَا
غَدِيرٌ بِضَوْجِ الْوَادِيَيْنِ نَقِيعُ (٦)

---

(١) شط : بعد ، والمزار : الزيارة ، والنوى : الفراق والبعد ، وفجوع : صيغة مبالغة من الفجيعة

(٢) رجوع : هو اسم ليس فى أول البيت وخبرها الجار والمجرور ، والجملة الشرطية اعتراض بين ليس واسمها

(٣) ذر : دع واترك ، وفى بعض النسخ « فذرنا » ونظنه تحريفا ، والحديث يشيع : أى يفشو وينتشر

(٤) مجنبنا : مصدر ميمى من قولهم : جنبت الفرس ، إذا قدتها ولم تركبها ، والجرد : جمع أجرد ، وهو العتيق من الخيل ، والعناجيج : الطوال الحسان ، واحدها عنجوج ، والمتلد : الذى ولد عندك ، والنزيع : الغريب

(٥) اللهام : الجيش الكثير العدد ، وضرور : صيغة مبالغة من الضر ، ونفوع : صيغة مبالغة أيضا من النفع

(٦) الزغف : الدرع اللينة ، والضوج ـ بفتح فسكون ـ جانب الوادى ، ونقيع : مملوء ماء ، فعيل بمعنى مفعول

فَلَمَّا رَأَوْنَا خَالَطَتْهُمْ مَهَابَةٌ وَعَايَنَهُمْ أَمْرٌ هُنَاكَ فَظِيعُ
وَوَدُّوا لَوَ انَّ الْأَرْضَ يَنْشَقُّ ظَهْرُهَا
بِهِمْ وَصَبُورُ الْقَوْمِ ثَمَّ جَزُوعُ
وقَدْ عُرِّيَتْ بِيضٌ كَأَنَّ وَمِيضَهَا
حَرِيقٌ تَرَقَّى فِي الْأَبَاءِ سَرِيعُ(١)
بِأَيْمَانِنَا نَعْلُو بِهَا كُلَّ هَامَةٍ وَمِنْهَا سِمَامٌ لِلْعَدُوِّ ذَرِيعُ(٢)
فَغَادَرْنَ قَتْلَى الْأَوْسِ عَاصِبَةً بِهِمْ
ضِبَاعٌ وَطَيْرٌ يَعْتَفِينَ وُقُوعُ(٣)
وَجَمْعُ بَنِي النَّجَّارِ فِي كُلِّ تَلْعَةٍ بِأَبْدَانِهِمْ مِنْ وَقْعِهِنَّ نَجِيعُ(٤)
وَلَوْلَا عُلُوُّ الشِّعْبِ غَادَرْنَ أَحْمَداً وَلٰكِنْ عَلَا وَالسَّمْهَرِيُّ شَرُوعُ(٥)
كَمَا غَادَرَتْ فِي الْكَرِّ حَمْزَةَ ثَاوِياً
وَفِي صَدْرِهِ مَاضِي الشَّبَاةِ وَقِيعُ(٦)

---

(١) الوميض : الضوء ، والأباء : الأجمة الملتفة الأغصان

(٢) ذريع : سريع القتل لايبقى على شاربه

(٣) عاصبة بهم : لاصقة بهم مجتمعة عليهم ، وضباع : ضرب من السباع ، واحدها ضبع ، مثل سبع وسباع ، ويعتفين : يطلبن رزقهن ، تقول : اعتفى وعفى ؛ إذا طلب ، والعافى والمعتفى : طالب الرزق

(٤) التلعة ـ بفتح التاء المثناة وسكون اللام ـ الماء فى أعلى الوادى ، والنجيع : الدم

(٥) الشعب : الطريق فى الجبل ، والسمهرى : الرمح ، وشروع : مائل للطعن

(٦) شباة كل شىء ـ بفتح الشين وتخفيف الباء ـ حده ، ووقيع : محدد

وَنُعْمَانَ قَدْ غَادَرْنَ تَحْتَ لِوَائِهِ عَلَى لَحْمِهِ طَيْرٌ يَجِفْنَ وُقُوعُ (١)

بِأُحْدٍ وَأَرْمَاحُ الْكُمَاةِ يَرُدْنَهُمْ
كَمَا غَالَ أَشْطَانَ الدِّلاَءِ نُزُوعُ (٢)

فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه ، فقال : —

قصيدة لحسان ابن ثابت ، يرد بها على ابن الزبعرى

أَشَاقَكَ مِنْ أُمِّ الْوَلِيدِ رُبُوعُ بَلاَقِعُ مَامِنْ أَهْلِهِنَّ جَمِيعُ (٣)

عَفَاهُنَّ صَيْفِيُّ الرِّيَاحِ وَوَاكِفٌ
مِنَ الدَّلْوِ رَجَّافُ السَّحَابِ هَمُوعُ (٤)

---

(١) يحفن : تروى هذه الكلمة بثلاث روايات : أولاها « يحفن » بحاء مهملة مكسورة وبعدها فاء — ومعناه أنهن وقعن على لحمه فلا يغادرنه ، تقول : وحف يحف — كوعد يعد — إذا قصده ودنا منه ، وهم يقولون : ناقة ميحاف ، إذا كانت لا تفارق مبركها ، والرواية الثانية «يجفن» بجيم بعدها فاء — ومعناه يدخلن جوفه أو يطلبن مافى جوفه ، والثالثة « يحمن » بحاء مهملة مضمومة بعدها ميم ، ومعناه يستدرن حوله

(٢) الكماة : الشجعان ، واحدهم كمى ، وغال : أهلك ، والأشطان الحبال ، واحدها شطن ، مثل سبب وأسباب وبطل وأبطال ، والدلاء — بكسر الدال — جمع دلو ، ونزوع : يروى بضم النون وبفتحها ، فمن رواه بضم النون فهو مصدر نزع الدلو من البئر ، إذا جذبها ، ومن رواه بفتح النون فهو فعول بمعنى فاعل من ذلك

(٣) ربوع : جمع ربع ، وهو المنزل ، وبلاقع : جمع بلقع ، وهو القفر الخالى ، وجميع : مجتمع مؤتلف

(٤) عفاهن : غيرهن ودرس جدتهن ، والواكف : المطر السائل ، وقوله «من الدلو» أراد به نجم الدلو ، ورجاف : متحرك شديد الصوت ، وهموع : سائل كثير السيلان

فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ مَوْقِدُ النَّارِ حَوْلَهُ
رَوَاكِدُ أَمْثَالُ الْحَمَامِ كُنُوعُ (١)

فَدَعْ ذِكْرَ دَارٍ بَدَّدَتْ بَيْنَ أَهْلِهَا
نَوًى لِمَتِينَاتِ الْحِبَالِ قَطُوعُ (٢)

وَقُلْ إِنْ يَكُنْ يَوْمٌ بِأُحْدٍ يَعُدُّهُ
سَفِيهٌ فَإِنَّ الْحَقَّ سَوْفَ يَشِيعُ (٣)

فَقَدْ صَابَرَتْ فِيهِ بَنُو الْأَوْسِ كُلُّهُمْ
وَكَانَ لَهُمْ ذِكْرٌ هُنَاكَ رَفِيعُ

وَحَامَى بَنُو النَّجَّارِ فِيهِ وصَابَرُوا وَمَا كَانَ مِنْهُمْ فِي اللِّقَاءِ جَزُوعُ
أَمَامَ رَسُولِ اللهِ لاَ يَخْذلُونَهُ لَهُمْ نَاصِرٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَشَفِيعُ

وَفَوْا إِذْ كَفَرْتُمْ يَاسَخِينَ بِرَبِّكُمْ
ولاَ يَسْتَوِي عَبْدٌ وَفِيٌّ وَمُضِيعُ (٤)

---

(١) رواكد : جمع راكدة وهي الثابتة ، وأراد بالرواكد الأثافي ، وهي الحجارة التي كانوا ينصبونها لوضع القدور عليها ، وكنوع : أي لاصقة بالأرض

(٢) والنوى : البعد ، ومتينات الحبال : الغليظ الشديد منها ، وقطوع : شديدة القطع ، وأراد هنا بالحبال الوصال والاجتماع بين الأهل والمحبين

(٣) يشيع : يفشو أمره وينتشر ذكره وينبه شأنه

(٤) « ياسخين » أراد « ياسخينة » فرخم بحذف التاء ، وأصل السخينة حساء يتخذ من الدقيق ، وكانت قريش في الجاهلية تنبز بذلك لمداومتهم على شرب السخينة ، وفي ذلك يقول حسان أيضا : —

زَعَمَتْ سَخِينَةُ أَنْ سَتَغْلِبُ رَبَّهَا وَلَيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الْغَلاَّبِ

بِأَيْدِيهِمْ بِيضٌ إِذَا حَمِشَ الْوَغَى
فَلاَ بُدَّ أَنْ يَرْدَى لَهُنَّ صَرِيعُ(١)
كَمَا غَادَرَتْ فِى النَّقْعِ عُتْبَةَ ثَاوِيًا
وَسَعْدًا صَرِيعًا وَالْوَشِيجُ شُرُوعُ(٢)
وقَدْ غَادَرَتْ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ مُسْنَدًا
أُبَيًّا وَقَدْ بَلَّ الْقَمِيصَ نَجِيعُ(٣)
بِكَفِّ رَسُولِ اللهِ حَيْثُ تَنَصَّبَتْ
عَلَى الْقَوْمِ مِمَّا قَدْ يُثِرْنَ نُقُوعُ(٤)
أُولَئِكَ قَوْمٌ سَادَةٌ مِنْ فُرُوعِكُمْ
وَفِى كُلِّ قَوْمٍ سَادَةٌ وفُرُوعُ
بِهِنَّ نُعِزُّ اللهَ حَتَّى يُعِزَّنَا   وَإِنْ كَانَ أَمْرٌ يَاسَخِينَ فَظِيعُ(٥)
فَلاَ تَذْكُرُوا قَتْلَى وَحَمْزَةُ فِيهِمُ   قَتِيلٌ ثَوَى لِلهِ وَهْوَ مُطِيعُ
فَإِنَّ جِنَانَ الْخُلْدِ مَنْزِلَةٌ لَهُ   وَأَمْرُ الَّذِى يَقْضِى الْأُمُورَ سَرِيعُ

(١) حمش : اشتد وقوى ، والوغى : الحرب ، ويردى : يهلك، تقول : ردى يردى - كرضى يرضى - إذا هلك

(٢) غادرت : تركت ، والنقع : الغبار ، وثاويا : مقيما ، ويروى تاويا - بالتاء المثناة - أى هالكا ، والوشيج : الرماح ، وشروع : مائلة للطعن

(٣) العجاجة : الغبرة والتراب الثائر ، والنجيع : الدم

(٤) النقوع : جمع نقع ، وهو الغبار

(٥) « ياسخين » قد مضى تفسير هذه الكلمة قريبا جداً ، والفظيع : الثقيل الكريه

وَقَتْلاَ كُمُ فى النَّارِ أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ حَمِيمٌ مَعًا فى جَوْفِهَا وضَرِيعُ (١)

قال ابن هشام : و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان وابن الزبعرى، وقوله « ماضى الشباة » « وطير يَحِفْنَ » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق: وقال عَمْرو بن العاص [فى] يوم أحد : —

قصيدة لعمرو بن العاص فى يوم أحد

خَرَجْنَا مِنَ الْفَيْفَا عَلَيْهِمْ كَأَنَّنَا
مَعَ الصُّبْحِ مِنْ رَضْوَى الْحَبِيكُ الْمُنَطَّقُ (٢)

تَمَنَّتْ بَنُو النَّجَّار جَهْلاً لِقَاءَنَا
لَدَى جَنْبِ سَلْعٍ وَالْأَمَانِىُّ تَصْدُقُ (٣)

فَمَا رَاعَهُمْ بالشَّرِّ إِلاَّ فُجَاءَةً
كَرَادِيسُ خَيْلٍ فى الْأَزِقَّةِ تَمْرُقُ (٤)

أَرَادُوا لِكَيْمَا يَسْتَبِيحُوا قِبَابَنَا
وَدُونَ الْقِبَابِ الْيَوْمَ ضَرْبٌ مُحَرِّقُ

---

(١) الحميم : الحار ، والضريع : نبات أخضر يرمى به البحر

(٢) الفيفا : الأرض القفر التى لاتنبت شيئاوأصله ممدود ، وقد قصره هنا حين اضطر إلى ذلك ، ورضوى : اسم جبل ، والحبيك : الذى فيه طرائق ، والمنطق : المحزم الشديد

(٣) سلع ـ بفتح فسكون ـ اسم جبل ، وقال الأزهرى : سلع : موضع قريب من المدينة

(٤) الكراديس : جماعات الخيل ، وتمرق : تخرج كما يمرق السهم من الرميـة

وكَانَتْ قِبَاباً أُومِنَت قَبْلَ مَا تَرَى
إِذَا رَامَهَا قَوْمٌ أُبِيحُوا وَأُحْنِقُوا (١)
كَأَنَّ رُءوسُ الْخَزْرَجِيِّينَ غُـــدْوَةً
وَأَيْمَانَهُمْ بِالْمَشْرَفِيَّـــةِ بَرْوَقُ (٢)

فأجابه كعب بن مالك — فيما ذكر ابن هشام — فقال : —

كلمة لكعب بن مالك يجيب بها عمرو بن العاص

أَلاَ أَبْلِغَا فِهْرًا عَلَى نَأْيِ دَارِهَا
وَعِنْدَهُمُ مِنْ عِلْمِنَا الْيَوْمَ مَصْدَقُ
بِأَنَّا غَدَاةَ السَّفْحِ مِنْ بَطْنِ يَثْرِبٍ
صَبَرْنَا وَرَايَاتُ الْمَنِيَّةِ تَخْفِقُ (٣)
صَبَرْنَا لَهُمْ وَالصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةٌ
إِذَا طَارَتِ الْأَبْرَامُ نَسْمُو وَنَرْتُقُ (٤)
عَلَى عَادَةٍ تِلْكُمْ جَرَيْنَا بِصَبْرِنَا
وَقِدْمًا لَدَى الْغَايَاتِ نَجْرِي فَنَسْبِقُ

---

(١) أحنقوا - بالبناء للمجهول - فعل بهم مايغيظهم ويغضبهم ، يريد أنهم أعزة لايقدر أحد عليهم

(٢) البروق — بوزان جعفر — نبات له أصول يشبه البصل ، يريد أنهم ضعاف ، ويروى البيت هكذا : —

كَأَنَّ رُءوسَ الْخَزْرَجِيِّينَ غُدْوَةً لَدَى جَنْبِ سَلْعٍ حَنْظَلٌ مُتَفَلِّقُ

وفى بعض النسخ ذكر بيتين صدر كل منهما هو صدر هذا البيت ، وعجز أولهما هذا الذى ذكرناه وعجز الثانى هو الذى أثبتناه فى الأصل

(٣) السفح : جانب الجبل ، وتخفق : تضطرب من مكان إلى مكان

(٤) السجية : الطبيعة والخليقة والعادة ، والأبرام : جمع برم وهو فى

لَنَا حَوْمَةٌ لَا تُسْتَطَاعُ يَقُودُهَا
نَبِيٌّ أَتَى بِالْحَقِّ عَفٌّ مُصَدَّقُ (١)

أَلاَ هَلْ أَتَى أَفْنَاءَ فِهْرِ بْنِ مَالِكٍ
مُقَطَّعُ أَطْرَافٍ وَهَامٌ مُفَلَّقُ (٢)

قال ابن إسحق : وقال ضرار بن الخطاب : —

كلمة أخرى لضرار ابن الخطاب الفهرى يوم أحد

إِنِّى وَجَدِّكَ لَوْلاَ مُقْدَمِى فَرَسِى
إِذْ جَالَتِ الْخَيْلُ بَيْنَ الْجِزْعِ وَالْقَاعِ (٣)

مَازَالَ مِنْكُمْ بِجَنْبِ الْجِزْعِ مِنْ أُحُدٍ
أَصْوَاتُ هَامٍ تَزَاقَى أَمْرُهَا شَاعِى (٤)

الأصل الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر لبخله ولؤمه ودناءته ، ثم استعمل فى اللئيم الدنىء ، ونسمو : نرتفع ونعلو ، ونرتق : نسد ونصلح

(١) الحومة : الجماعة ، وقوله « لاتستطاع » أى : لايتمكن منها أحد لشجاعتها وتماسكها ، وعف : عفيف

(٢) الأفناء : القبائل المختلطة ، ومقطع : مصدر ميمى بمعنى التقطيع ، والهام : جمع هامة ، وهى الرأس

(٣) الجزع : منعطف الوادى ، والقاع : المنخفض من الأرض

(٤) الهام : جمع هامة ، وهى ههنا الطائر الذى تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل فلا يزال يصيح قائلا « اسقونى » حتى يأخذوا بثأره ، وقوله « تزاقى » أى تصيح ، والزقاء ـ بضم أوله ـ صوت الديكة وشبهها ، وقوله « شاع » أراد شائعا ، فقدمت العين على الهمزة ، ثم قلبت الهمزة ياء لتطرفها بعد كسرة ، ثم حذفت هذه الياء كما تحذفها فى نحو قاض ، فوزنه فال ، ومثله كثير نحو نال وصات وقال من القول وهاع ولاع

وَفَارِسٌ قَدْ أَصَابَ السَّيْفُ مَفْرِقَهُ
أَفْلَاقُ هَامَتِهِ كَفَرْوَةِ الرَّاعِي (١)
إِنِّى وَجَدِّكَ لَا أَنْفَكُّ مُنْتَطِقاً
بِصَارِمٍ مِثْلِ لَوْنِ الْمِلْحِ قَطَّاعِ (٢)
عَلَى رِحَالَةِ مِلْوَاحٍ مُثَابِرَةٍ
نَحْوَ الصَّرِيخِ إِذَا مَاثَوَّبَ الدَّاعِي (٣)
وَمَا انْتَمَيْتُ إِلَى خُورٍ وَلَا كُشُفٍ
وَلَا لِئَامٍ غَدَاةَ الْبَأْسِ أَوْرَاعِ (٤)
بَلْ ضَارِبِينَ حَبِيكَ الْبِيضِ إِذْ لَحِقُوا
شُمِّ الْعَرَانِينَ عِنْدَ الْمَوْتِ لُذَّاعِ (٥)

---

(١) المفرق : حيث يتفرق الشعر فوق الجبهة ، وقوله « كفروة الراعى » يروى بالفاء وبالقاف ؛ فمن رواه بالفاء فهو الفروة المعروفة ، ومن رواه بالقاف فانما عنى به إناء من خشب يحمله الراعى معه

(٢) منتطقا : أى محتزما ، والصارم : السيف القاطع النافذ ، وقوله « مثل لون الملح » يريد أبيض

(٣) الرحالة : السرج ، والملواح : الفرس الشديدة التى ضمر لحمها ، ومثابرة : متابعة ، والصريخ : الاستغاثة ، وثوب : رجع وأعاد وكرر

(٤) الخور : جمع أخور ، وهو الضعيف الجبان ، والكشف : جمع أكشف ، وهو الذى لا ترس له فى الحرب ، وكان أصله بضم فسكون ، ولكنه ضم الشين إتباعا لضمة الكاف ، والأوراع : جمع ورع ، وهو الجبان ، ويروى « أوزاع » بالزاى ومعناه المتفرقون

(٥) الحبيك : الأبيض الطرائق ، والشم : جمع أشم ، وهو المرتفع والعرانين : جمع عرنين ــ بكسر أوله وسكون ثانيه ــ وهو الأنف ، وهم يكنون بذلك عن العزة ، ولذاع : جمع لاذع

شُمٍّ بَهَالِيلَ مُسْتَرْخٍ حَمَـائِلُهُمْ
يَسْعَوْنَ لِلْمَوْتِ سَعْياً غَيْرَ دَعْدَاعِ (١)

وقال ضرار بن الخطاب أيضا : —

كلمة أخرى لضرار ابن الخطاب الفهرى فى يوم أحد

لَمَّا أَتَتْ مِنْ بَنِي كَعْبٍ مُزَيَّنَةٌ
وَالْخَزْرَجِيَّةُ فِيهَا الْبِيضُ تَأْتَلِقُ (٢)

وَجَرَّدُوا مَشْرَفِيَّـاتٍ مُهَنَّـدَةً
وَرَايَةً كَجَنَاحِ النَّسْرِ تَخْتَفِقُ (٣)

فَقُلْتُ يَوْمٌ بِأَيَّامٍ ومَعْرَكَةٌ
تُنْبِي لِمَا خَلْفَهَا مَاهُزْهِزَ الْوَرَقُ (٤)

---

(١) بهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد الماجد ، وقوله «مسترخ حمائلهم» كناية عن طول قامتهم ، وأراد بالحمائل حمائل السيوف ، واسترخاؤها طولها ، وهم يكنون عن طول القامة بطول حمالة السيف ، والدعداع ـ بالدال المهملة ـ الضعيف ، يريد أنهم شجعان يسيرون للموت بخطى واسعة لا يهابونه

(٢) مزينة : أراد بها كتيبة فيها ألوان من السلاح ، وكأنهم تزينوا بسلاحهم ، وتأتلق : تضيء وتلمع

(٣) المشرفيات : السيوف ، وذلك لأنها كانت تصنع فى مشارف الشام وهى قرى من قراه ، وتختفق : تضطرب وتتحرك من مكان إلى مكان

(٤) يوم بأيام : هذا اليوم بالذى كان قبله ، والمعركة : مكان القتال ، وقوله « تنبي » أراد « تنبيء » ولـكنه خفف الهمزة بقلبها ياء ، ويروى « ثنيا » ومعناه ثانية على أولى ، وقوله « ماهزهز » يروى بالبناء للمعلوم ومعناه تحرك ، ويروى بالبناء للمجهول ومعناه حرك ، فهو متعدو لازم ، وفى الحديث « ماتهزهزت رؤسكما » أى ما تحركت

قَدْ عُوِّدُوا كُلَّ يَوْمٍ أنْ تَكُونَ لَهُمْ
رِيحُ الْقِتَالِ وَأَسْلاَبُ الَّذِينَ لَقُوا (١)

خَبَّرْتُ نَفْسِى عَلَى مَا كَانَ مِنْ وجَلٍ
مِنْهَا وَأَيْقَنْتُ أَنَّ الْمَجْدَ مُسْتَبَقُ (٢)

أَكْرَهْتُ مُهْرِى حَتَّى خَاضَ غَمْرَتَهُمْ
وَبَلَّهُ مِنْ نَجِيعٍ عَانِكٍ عَلَقُ (٣)

فَظَلَّ مُهْرِى وَسِرْبَالِى جَسِيدُهُمَا
نَفْخُ الْعُرُوقِ رَشَاشُ الطَّعْنِ وَالْوَرَقُ (٤)

أَيْقَنْتُ أَنِّى مُقِيمٌ فِى دِيَارِهِمُ
حَتَّى يُفَارِقَ مَافِى جَوْفِهِ الْحَدَقُ (٥)

---

(١) الأسلاب : جمع سلب ، وهو ما يأخذه القاتل من ثياب القتيل وسلاحه وسائر عدته

(٢) الوجل — محركا — الخوف والفزع ، ومستبق : مكان استباق يتنافس فيه الشجعان

(٣) غمرتهم : جماعتهم ، والنجيع : الدم ، والعانك : الأحمر ، ويروى «عاند» بالدال المهملة — ومعناه الدائم السيلان الذى لاينقطع ، والعلق : اسم من أسماء الدم

(٤) جسيدهما : المراد به هنا لونهما ، وقوله «نفح العروق» يروى بالحاء المهملة ، ومعناه ماترمى به العروق من الدم ، ويروى بالخاء المعجمة ، وهو معلوم ، والورق : الدم المنقطع ، ويروى فى مكانه «العرق»

(٥) الحدق : جمع حدقة ، وهى سواد العين

لاَ تجْزَعُوا يَابَنِي مَخْزُومَ إِنَّ لَكُمْ
مِثْلَ ٱلْمُغِيرَةِ فِيكُمْ مَابِهِ رَهَقُ (١)

صَبْراً فِدًى لَكُمُ أُمِّي ومَا وَلَدَتْ
تَعَاوَرُوا الضَّرْبَ حَتَّى يُدْبِرَ الشَّفَقُ (٢)

وقال عمرو بن العاص :

قصيدة لعمرو بن العاص فى يوم أحد

لَمَّا رَأَيْتُ الْحَرْبَ يَنْـ * ـزُو شَرُّهَا بِالرَّضْفِ نَزْوَا (٣)
وَتَنَازَلَتْ شَهْبَاء تَلْـ * ـحُو النَّاسَ بِالضَّرَّاءِ لَحْوَا (٤)
أَيْقَنْتُ أَنَّ الْمَوْتَ حَـ * ـقٌّ وَالْحَيَاةُ تَكُونُ لَغْوَا
حَمَّلْتُ أَثْوَابِي عَلَى * عَتَدٍ يَبُذُّ الْخَيْلَ رَهْوَا (٥)
سَلِسٍ إِذَا نَكَّبْنَ فِي الْـ * ـبَيْدَاءِ يَعْلُو الطَّرْفَ عُلْوَا (٦)
وَإِذَا تَنَزَّلَ مَاؤُهُ * مِنْ عِطْفِهِ يَزْدَادُ زَهْوَا (٧)

---

(١) « مابه رهق » يريد ما به عيب ، وفى نسخة «ما به زهق» بالزاى بدل المهملة

(٢) تعاوروا : تداولوا

(٣) ينزو : يرتفع ويثب ، والرضف : الحجارة المحماة بالنار

(٤) شهباء : يعنى بها كتيبة كثيرة السلاح ، وتلحو الناس : تضعفهم وتقلل من شأنهم ، وأصله من قولهم : لحوت العدد ، إذا قشرته

(٥) العتد : الفرس الشديد ، ويبذ الخيل : يسبقها ، والرهو : الساكن اللين

(٦) سلس : سهل المقادة لايجمح ، والبيداء : القفر ، ويعلو الطرف : يسبقه ، يريد أنه سريع

(٧) « تنزل ماؤه » أراد بمائه ههنا عرقه ، وعطفه : جانبه ، والزهو : الاعجاب والتكبر ، يريد أنه لايضعف ولا يفتر مهما جرى

رَبِذٍ كَيَعْفُورِ الصَّرِيـ ... مَةِ رَاعَهُ الرَّامُونَ دَحْوَا (١)
شَنِـجٍ نَسَـاهُ ضَابِطٍ ... لِلْخَيْلِ إِرْخَاءً وَعَدْوَا (٢)
فَفِدًى لَهُمْ أُمِّي غَدَا ... ةَ الرَّوْعِ إِذْ يَمْشُونَ قَطْوَا (٣)
سَيْرًا إِلَى كَبْشِ الْكَتِيـ ... بَةِ إِذْ جَلَتْهُ الشَّمْسُ جَلْوَا (٤)

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعمرو

قال ابن إسحق: فأجابهما كعب بن مالك [رضى الله عنه]، فقال: —

قصيدة لكعب بن مالك يرد بها على ضرار بن الخطاب وعمرو بن العاص

أَبْلِـغْ قُرَيْشًا وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ ... وَالصِّدْقُ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَقْبُولُ (٥)
أَنْ قَدْ قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا سَرَاتَكُمُ ... أَهْلَ اللِّوَاءِ فَفِيمَا يَكْثُرُ الْقِيلُ (٦)
وَيَوْمَ بَدْرٍ لَقِينَاكُمْ لَنَا مَدَدٌ ... فِيهِ مَعَ النَّصْرِ مِيكَالٌ وَجِبْرِيلُ

(١) ربذ: سريع خفيف القوائم فى مشيه وهو براء مهملة فباء موحدة فذال معجمة، واليعفور: ولد الظبية، والصريمة: الرملة المنقطعة، وراعه: أخافه وأفزعه، والدحو: الانبساط، يصف فرسه بأنه شديد السرعة فكأنه حين يجرى ظبي فى منقطع الرمل قد أفزعه الرماة ورأى الصيادين فهو يجرى جريا متتابعا لايلوى على شيء

(٢) شنج: منقبض، والنسا: عرق مستبطن الفخذين، وضابط: أى ممسك، والارخاء والعدو: ضربان من السير

(٣) القطو: مشى فيه تبختر كمشى القطاة

(٤) كبش الكتيبة: رئيسها، وجلته: أبرزته

(٥) الألباب: جمع لب، وهو العقل

(٦) سراتكم: خياركم، والقيل والقال والقول بمعنى واحد

إنْ تَقْتُلُونَا فَدِينُ الْحَقِّ فِطْرَتُنَا
وَالْقَتْلُ فِي الْحَقِّ عِنْدَ اللهِ تفضِيلُ
وَإِنْ تَرَوْا أَمْرَنَا فِي رَأْيِكُمْ سَفَهاً
فَرَأْيُ مَنْ خَالَفَ الْإِسْلَامَ تَضْلِيلُ
فَلَا تَمَنَّوْا لِقَاحَ الْحَرْبِ وَاقْتَعِدُوا
إِنَّ أَخَا الْحَرْبِ أَصْدَى اللَّوْنِ مَشْعُولُ (١)
إنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا ضَرْباً تُرَاحُ لَهُ
عُرْجُ الضِّبَاعِ لَهُ خَذْمٌ رَعَابِيلُ (٢)
إنَّا بَنُو الْحَرْبِ نَمْرِيهَا وَنَنْتُجُهَا
وَعِنْدَنَا لِذَوِي الْأَضْغَانِ تَنْكِيلُ (٣)

---

(١) لقاح الحرب : زيادتها ونموها ، وأصدى اللون : أراد أصدأ اللون ، فقلب الهمزة ألفا ، والأصدأ : الذى لونه بين السواد والحمرة ، وقوله « مشعول » يروى بالعين المهملة ويروى بالغين المعجمة ، فمن رواه بالعين المهملة فهو من اشتعال النار ، ومعناه متقد ملتهب ، ومن رواه بالغين المعجمة فهو من اشتغال البال ، وهو معلوم

(٢) تراح له : تفرح وتهتز من السرور ، وقوله « خذم » يروى بضم الخاء وبفتحها ؛ فمن رواه بفتح الخاء فهو مصدر قولك : خذم اللحم ـ من باب ضرب ـ إذا قطعه ، ومن رواه بضم الخاء فانما هو جمع ، ومعناه القطع ، ورعابيل : متقطعة

(٣) نمريها : نستدرها ، وننتجها : من النتاج ، والأضغان : جمع ضغن ـ بكسر فسكون ـ وهو العداوة ، والتنكيل : أشد الزجر وآلمه

إِنْ يَنْجُ مِنْهَا ابْنُ حَرْبٍ بَعْدَ مَا بَلَغَتْ
مِنْهُ التَّرَاقِي وَأَمْرُ اللهِ مَفْعُولُ (١)

فَقَدْ أَفَادَتْ لَهُ حِلْمًا وَمَوْعِظَةً … لِمَنْ يَكُونُ لَهُ لُبٌّ وَمَعْقُولُ (٢)

وَلَوْ هَبَطْتُمْ بِبَطْنِ السَّيْلِ كَافَحَكُمْ
ضَرْبٌ بِشَاكِلَةِ الْبَطْحَاءِ تَرْعِيلُ (٣)

تَلْقَاكُمُ عُصَبٌ حَوْلَ النَّبِيِّ لَهُمْ … مِمَّا يُعِدُّونَ لِلْهَيْجَا سَرَابِيلُ (٤)

مِنْ جِذْمِ غَسَّانَ مُسْتَرْخٍ حَمَائِلُهُمْ … لاَ جُبَنَاءُ وَلاَ مِيلٌ مَعَازِيلُ (٥)

يَمْشُونَ تَحْتَ عَمَايَاتِ الْقِتَالِ كَمَا
تَمْشِي الْمَصَاعِبَةُ الْأُدْمُ الْمَرَاسِيلُ (٦)

---

(١) التراقى : عظام الصدر .

(٢) لب ـ بضم اللام ـ أى عقل ، ومعقول : هو العقل أيضا

(٣) كافحكم : واجهكم ، أو حاربكم ، والبطحاء : الأرض السهلة ، شاكلة البطحاء : جانبها ، والترعيل : الضرب السريع ، وفى بعض النسخ « ضرب بشاكلة البطحا وترعيل » وهو تحريف

(٤) الهيجا : الحرب ، وأصله ممدود فقصره اضطرارا

(٥) الجذم ـ بكسر فسكون ـ الأصل ، وقوله « مسترخ حمائلهم » أى : طويلة حمائل سيوفهم ، وهذه كناية عن طول قامتهم ، والعرب تستدل بالمناظر الخلقية والملامح على الأخلاق والسجايا ، والميل : جمع أميل ، وهو الذى لا ترس له ، والمعازيل : الذين لا رماح معهم

(٦) عمايات القتال : ظلماته ، ويروى فى مكانه « غيايات القتال » ومعناه سحاباته ، والمصاعبة : الفحول من الأبل ، واحدها مصعب ، والأدم : جمع آدم ، وهو الأبيض إلى سمرة ، والمراسيل : التى يمشى بعضها فى إثر بعض

أَوْ مِثْلَ مَشْيِ أُسُودِ الطَّلِّ أَلْثَقَهَا
يَوْمُ رَذَاذٍ مِنَ الْجَوْزَاءِ مَشْمُولُ (١)

فى كُلِّ سَابِغَةٍ كَالنِّهْيِ مُحْكَمَةٍ
قِيَامُهَا فَلَجٌ كَالسَّيْفِ بُهْلُولُ (٢)

تَرُدُّ حَدَّ قِرَانِ النَّبْلِ خَاسِئَةً
وَيَرْجِعُ السَّيْفُ عَنْهَا وَهْوَ مَفْلُولُ (٣)

وَلَوْ قَذَفْتُمْ بِسَلْعٍ عَنْ ظُهُورِكُمُ
وَلِلْحَيَاةِ وَدَفْعِ الْمَوْتِ تَأْجِيلُ (٤)

مَازَالَ فى الْقَوْمِ وِتْرٌ مِنْكُمُ أَبَدًا
تَعْفُو السِّلاَمُ عَلَيْهِ وَهْوَ مَطْلُولُ (٥)

عَبْدٌ وَحُرٌّ كَرِيمٌ مُوثَقٌ قَنَصًا
شَطْرَ الْمَدِينَةِ مَأْسُورٌ ومَقْتُولُ (٦)

---

(١) الطل : الضعيف من المطر ، وألثقها : بلها ، والرذاذ : المطر الضعيف أيضا ، والجوزاء : اسم نجم معروف ، ومشمول : هبت فيه ريح الشمال .

(٢) السالفة : الدرع الكاملة الشاملة ، والنهى ـ بكسر النون أو فتحها ـ الغدير من الماء ، يريد أنها لينة ، وقيامها : أراد به القائم بأمرها ، وفلج : نهر يريد أن القائم عليها رجل يشبه النهر ، والبهلول : الأبيض ، أراد أنه كريم ماجد

(٣) خاسئة : ذليلة ، يريد أن هذه الدرع لا تمكن النبل من صاحبها فهى ترده عنه

(٤) سلع : اسم جبل

(٥) تعفو : تدرس وتذهب آثارها ، والسلام ـ بزنة كتاب ـ الحجارة ومطلول : لم يؤخذ بثأره

(٦) قنصا : صيداً ، وشطر المدينة : نحوها وفى جهتها وقصدها

كُنَّا نُؤَمِّلُ أُخْرَاكُمْ فَأعْجَلَكُمْ
مِنَّا فَوَارِسُ لا عُزْلٌ وَلا مِيلُ (١)

إذَا جَنَى فِيهِمُ الْجَانِي فَقَدْ عَلِمُوا
حَقًّا بأنَّ الَّذِى قَدْ جَرَّ مَحْمُولُ

مَا يَجْنِ لا يَجْنِ مِنْ إثْمٍ مُجَاهَرَةً
وَلَا مَلُومٌ وَلَا فى الْغُرْمِ مَخْذُولُ

وقال حسان بن ثابت يذكر عدة أصحاب اللواء يوم أحد :

[قال ابن هشام : هذه أحسن ماقيل] : —

قصيدة لحسان بن ثابت يذكر فيها اصحاب اللواء يوم أحد

مَنَعَ النَّوْمَ بِالْعِشَاءِ الْهُمُومُ   وَخَيَالٌ إِذَا تَغُورُ النُّجُومُ (٢)
مِنْ حَبِيبٍ أَصَابَ قَلْبَكَ مِنْهُ   سَقَمٌ فَهْوَ دَاخِلٌ مَكْتُومُ (٣)
يَالَقَوْمِى هَلْ يَقْتُلُ الْمَرْءَ مِثْلِي   وَاهِنُ الْبَطْشِ وَالْعِظَامِ سَؤُومُ (٤)
لَوْ يَدِبُّ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ   عَلَيْهَا لَأَنْدَبَتْهَا الْكُلُومُ (٥)

---

(١) العزل ـ بضم فسكون ـ جمع أعزل ، وهو الذى لاسلاح معه والميل : جمع أميل ، وهو الذى لاترس له

(٢) تغور النجوم : تسقط للغروب

(٣) « أصاب قلبك » يروى فى مكانه « أضاف قلبك » ومعناه نزل به وزاره

(٤) الواهن : الضعيف ، والسؤوم ـ بفتح السين ـ : الملول الكثير الملال

(٥) الحولى: الصغير، وأندبتها: جرحتها ، والكلوم: الجراحات، واحدها كلم

شَأْنُهَا الْعِطْرُ وَالْفِرَاشُ وَيَعْلُو ... هَا لُجَيْنٌ وَلُؤْلُؤٌ مَنْظُومُ (١)

لَمْ تَفُتْهَا شَمْسُ النَّهَارِ بِشَيْءٍ ... غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ يَدُومُ

إِنَّ خَالِي خَطِيبُ جَابِيَةِ الْجَوْ ... لاَنِ عِنْدَ النُّعْمَانِ حِينَ يَقُومُ (٢)

وَأَنَا الصَّقْرُ عِنْدَ بَابِ ابْنِ سَلْمَى ... يَوْمَ نُعْمَانُ فِى الْكُبُولِ مُقِيمُ (٣)

وَأُبَىٌّ وَوَاقِدٌ أُطْلِقَا لِى ... يَوْمَ رَاحَا وَكَبْلُهُمْ مَحْطُومُ (٤)

وَرَهَنْتُ الْيَدَيْنِ عَنْهُمْ جَمِيعاً ... كُلُّ كَفٍّ جُزْءٌ لَهَا مَقْسُومُ (٥)

وَسَطَتْ نِسْبَتِى الذَّوَائِبَ مِنْهُمْ ... كُلُّ دَارٍ فِيهَا أَبٌ لِى عَظِيمُ (٦)

---

(١) اللجين : الفضة ، واللؤلؤ : الجوهر

(٢) الجابية : الحوض الصغير ، الجولان ـ بفتح الجيم وسكون الواو ـ موضع بالشأم ، وعنى بخاله مسلمة بن مخلد بن الصامت ، وعنى بالنعمان بنى جفنة الغساسنة لأن مساكنهم كانت فى بلاد الشام

(٣) الصقر : السيد الكريم ، وابن سلمى : هو النعمان بن المنذر اللخمى ونعمان : هو نعمان بن مالك بن قوقل بن عوف بن عمرو بن عوف ، وكان حبسه النعمان بن المنذر فوفد فيه وفى غيره حسان بن ثابت فأطلقهم له ، والكبول : القيود ، وفى بعض النسخ « فى الكبول سقيم »

(٤) أبى : هو أبى بن كعب بن قيس بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، وواقد : هو واقد بن عمرو بن الاطنابة بن عامر بن زيد منـاة ، وقوله «وكبلهم محطوم» وقع فى ديوانه «وقفلهم محطوم» يريد أنهما أطلقا من الأسر لأجله

(٥) ورهنت اليدين عنهم : يريد ضمنتهم ، وذلك لأن الضامن يقول لصاحبه : لك يدى ، وقوله « جزء بها » وقع فى الديوان وفى نسخة أبى ذر بدل ذلك قوله « فيها جز » بضم الجيم والزاء وطرح الهمزة بعد نقل حركتها إلى الزاء

(٦) وسطت : توسطت ، والذوائب الأعالى ، وأراد بهم الأشراف

وَأَبِي فِي سُمَيْحَةَ الْقَائِلُ الْفَا ... صِلُ يَوْمَ الْتَقَتْ عَلَيْهِ الْخُصُومُ (١)
تِلْكَ أَفْعَالُنَا وَفِعْلُ الزِّبَعْرَى ... خَامِلٌ فِي صَدِيقِهِ مَذْمُومُ
رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا ... لِ وَجَهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ (٢)
[إِنَّ دَهْرًا يَبُورُ فِيهِ ذَوُو الْعِلْـ ... ـمِ لَدَهْرٌ هُوَ الْعَتُوُّ الزَّنِيمُ] (٣)
لاَ تَسُبَّنَّنِي فَلَسْتَ بِسِبِّي ... إِنَّ سِبِّي مِنَ الرِّجَالِ الْكَرِيمُ (٤)
مَا أُبَالِي أَنَبَّ بِالْحَزْنِ تَيْسٌ ... أَمْ لَحَانِي بِظَهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ (٥)
وَلِيَ الْبَأْسُ مِنْكُمُ إِذْ رَحَلْتُمْ ... أُسْرَةٌ مِنْ بَنِي قُصَيٍّ صَمِيمُ (٦)
تِسْعَةٌ تَحْمِلُ اللِّوَاءَ وَطَارَتْ ... فِي رَعَاعٍ مِنَ الْقَنَا مَخْزُومُ (٧)

---

(١) سميحة : اسم بئر بالمدينة كان عندها احتكام الأوس والخزرج فى حروبهم ، وكان ثابت بن المنذر والد حسان حكمهم ، وقوله « الفاصل » بالصاد المهملة ـ أى الذى يفصل فى الأمور ويقطع برأيه فيها ، ووقع « الفاضل » بالضاد المعجمة فى بعض النسخ ، وأظنه تحريفا

(٢) غطى : يروى بتخفيف الطاء وبتشديدها ، فمن رواه بالتخفيف فمعناه علاه وارتفع عليه ، ومن رواه بالتشديد فمعناه ستره

(٣) سقط هذا البيت من بعض أصول الكتاب ، ولا ذكر له فى الديوان مع هذه القصيدة

(٤) السب ـ بكسر السين ـ الذى يقاوم الرجل فى السب ويكون له من الشرف ما يدانى شرفه

(٥) نب : صاح ، ونبيب التيس يكون عند وثوبه للسفاد ، والحزن : ماغلظ من الأرض ، ولحانى : شتمنى ، يقول : سواء عندى نبيب التيس بنجوة من الأرض وشتم اللئيم إياى فى غيبتى فلست آبه لشىء منهما ولا أكترث

(٦) الصميم : الخالص نسبهم ، يريد التنويه بشأن بنى عبد الدار بن قصى إذ صبروا يوم أحد ، والاشادة بما كان منهم

(٧) الرعاع : الضعفاء ، ويريد فى هذا البيت التنديد ببنى مخزوم

وَأَقَامُوا حَتَّي أُبِيحُوا جَمِيعًا فِى مَقَامٍ وَكُلُّهُمْ مَذْمُومُ (١)
بِدَمٍ عَانِكٍ وَكَانَ حِفَاظًا أَنْ يُقِيمُوا إِنَّ الْكَرِيمَ كَرِيمُ (٢)
وَأَقَامُوا حَتَّى أُزِيرُوا شَعُوبًا وَالْقَنَا فِى نُحُورِهِمْ مَحْطُومُ (٣)
وَقُرَيْشٌ تَفِرُّ مِنَّا لِوَاذًا أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَّ مِنْهَا الْحُلُومُ (٤)

والتشهير بهم ، إذ انخذلوا وفروا ، وكان قد حمل اللواء من بنى عبد الدار وحلفائهم ومواليهم يومئذ تسعة نفر كلما قتل منهم واحد حمله آخر منهم ، أولهم طلحة بن أبى طلحة بن عبد العزى ، ثم أخوه عثمان بن أبى طلحة ، ثم سعيد بن أبى طلحة ، ثم مسافع بن أبى طلحة ، ثم الجلاس بن طلحة ، ثم كلاب بن طلحة ، ثم الحارث بن طلحة ، ثم قاسط بن شريح بن عثمان بن عبد الدار ، ثم غلام لهم عبد أسود اسمه صوَّاب

(١) قوله « وأقاموا » فى رواية الديوان « لم يولوا » والمعنى واحد وقوله « حتى أبيحوا » يروى فى مكانه « حتى أبيدوا » وقوله « وكلهم مذموم » تروى هذه الكلمة بالدال المهملة ، وتروى بالذال المعجمة ، فأما من رواه بالذال المعجمة فهو من الذم ، وهو معلوم ، وأما من رواه بالدال المهملة فالمعنى أن كلهم جريح مطلى بالدم

(٢) « بدم عاند » العاند — بالدال المهملة — الذى لاينقطع ، ويروى فى مكانه « بدم عانك » بالكاف ، ومعناه الأحمر

(٣) «شعوب» بفتح الشين — اسم من أسماء الموت ، و «أزيروا شعوبا» معناه قتلوا ، وهذا كقول الشاعر وهو عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب :

فَمَا بَرِحَتْ أَقْدَامُنَا فِى مَكَانِنَا ثَلَاثَتِنَا حَتَّى أُزِيرُوا الْمَنَائِيَا

يريد أنهم أوردوهم موارد الموت ، وقوله « محطوم » أى مكسور

(٤) « تفر منا » فى رواية الديوان « تلوذ منا » ولواذا : أى استتارا وأراد مستترين ، وهذا كقوله تعالى : (يتسللون منكم لواذا) ، والحلوم : العقول ، يقول : إن قريشا كانوا يهربون منا ويولون الأدبار فارين مستترين فى

لَمْ تطِقْ حَمْلَهُ الْعَوَاتِقُ مِنْهُمْ إِنَّمَا يَحْمِــلُ اللِّوَاءَ النُّجُومْ (١)

[قال ابن هشام : قال حسان هذه القصيدة : —

* مَنَعَ النَّوْمَ بِالْعَشَاءِ الْهُمُومُ *

ليلاً ، فدعا قومه ، فقال لهم : خشيتُ أن يُدْرِكَنى أجَلِى قبل أن أُصْبح فلا تَرْوُوَها عنى]

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة للحَجَّاج بن عِلاَّطٍ السُّلَمِى يَمْدحُ على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ويذكر قتله طلحة بن أبى طَلْحة بن عبد الْعُزَّى بن عُثْمان بن عبد الدار صاحب لواء المشركين يوم أحد : —

كلمة للحجاج بن علاط

لِلّهِ أَيُّ مُذَبِّبٍ عَنْ حُرْمَـــةٍ
أَعْنِي ابْنَ فَاطِمَةَ الْمُعِمَّ الْمُخْوِلاَ (٢)
سَبَقَتْ يدَاكَ لَهُ بِعَاجِـلِ طَعْنَةٍ
تَرَكَتْ طُلَيْحَةَ لِلْجَبِينِ مُجَدَّلاَ (٣)
وَشَدَدْتَ شَدَّةَ بَاسِلٍ فَــكَشَفْتَهُمْ
بِالْجَرِّ إِذْ يَهْوُونَ أَخْوَلَ أَخْوَلاَ (٤)

فرارهم وقد طارت عقولهم وذهبت عنهم ألبابهم لهول ما نزل بهم

(١) العواتق : جمع عاتق ، وهو ما بين الكتف والعنق ، والنجوم : أراد بها المشاهير من الناس

(٢) المذبب : المدافع عن الشىء ، يقال : ذبب عن حرمته ، إذا دافع عنها ، وقوله « أعنى ابن فاطمة » أراد به على بن أبى طالب رضى الله عنه فإن أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وهى أول هاشمية ولدت لهاشمى ، والمعم : الكريم الأعمام ، والمخول : الكريم الأخوال

(٣) مجدلا : صريعا على الجدالة ، والجدالة : الأرض

(٤) باسل : شجاع جرىء ، والجر : أصل الجبل ، ويهوون : يسقطون

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه يُبَكّى حمزة ابن عبد المطلب ومن أصيب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد رضى الله عنهم : —

قصيدة أخرى لحسان ابن ثابت يبكى فيها شهداء أحد

يَامَيُّ قُومِى فَانْدُبِنَّ بِسُحْرَةٍ شَجْوَ النَّوَائِحْ (١)
كَالْحَامِلاَتِ الْوَقْرَ بِالـ ثِّقْلِ الْمُلِحَّاتِ الدَّوَالِحْ (٢)
الْمُعْوِلاَتِ الْخَامِشَا تِ وُجُوهَ حُرَّاتٍ صَحَائِحْ (٣)
وَكَأَنَّ سَيْلَ دُمُوعِهَا الْأَ نْصَابُ تُخْضَبُ بِالذَّبَائِحْ (٤)
يَنْقُضْنَ أَشْعَارًا لَهُنَّ هُنَاكَ بَادِيَةَ الْمَسَائِحْ (٥)

وقوله « أخول أخولا » أى واحدا بعد واحد ، وهو مبنى على فتح الجزءين فى محل نصب على الحال ، أى : يهوون متفرقين ، ومثل ذلك قول ضابىء البرجمى يصف ثورا يطعن الكلاب بقرنه : —

يُسَاقِطُ عَنْهُ رَوْقُهُ ضَارِيَاتِهَا سِقَاطَ شَرَارِ الْقَيْنِ أَخْوَلَ أَخْوَلَا

(١) الشجو : الحزن ، والنوائح : جمع نائحة ، وهى الباكية

(٢) الوقر : الثقل ، والملحات : الثابتات التى لا تبرح مكانها ، يقال : ألح الجمل ، كما يقال : حرن الفرس ، والدوالح : التى تحمل الأثقال

(٣) المعولات : جمع معولة ، وهى اسم فاعل من قولهم : أعولت المرأة ؛ إذا بكت بصوت مرتفع ، والخامشات : الخادشات ، وحرات : جمع حرة ، وصحائح : جمع صحيحة

(٤) الأنصاب : حجارة كانوا يذبحون عندها ويطلونها بالدم ، والذبائح جمع ذبيحة

(٥) المسائح : ذوائب الشعر ، واحدها مسيحة ، بفتح الميم وكسر السين

وَكَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْـ ... ـلٍ بِالضُّحَى شُمْسٍ رَوَامِحْ (١)
مِنْ بَيْنِ مَشْزُورٍ ومَجْـ ... ـزُورٍ يُذَعْذَعُ بِالْبَوَارِحْ (٢)
يَبْكِينَ شَجْوَ مُسَلِّبَا ... تٍ كَدَّحَتْهُنَّ الكَوَادِحْ (٣)
ولقَدْ أَصَابَ قُلُوبَهَا ... مَجْلٌ لَهُ جُلَبٌ قَوَارِحْ (٤)
إذْ أَقْصَدَ الْحِدْثَانُ مَنْ ... كُنَّا نُرَجِّى إذْ نُشَايِحْ (٥)
أصحَابَ أُحْـدٍ غَالَهُمْ ... دَهْرٌ أَلَمَّ لَهُ جَوَارِحْ (٦)

---

(١) شمس : نوافر ، ويقال للواحد شموس ، والرواح : التى ترمح بأرجلها أى تدفع عن أنفسها بها

(٢) مشزور ـ بالزاى وآخره راء مهملة ـ وفى أكثر أصول الكتاب « مشرور » براءين مهملتين ـ فمشزور أى مفتول ، ومشرور : أى متفرق ، يقال : شررت الملح ؛ أى فرقته ، ويذعذع : يفرق ، والبوارح : الرياح الشديدة

(٣) الشجو : الحزن ، والمسلبات : يروى بفتح اللام مشددة وبكسرها كذلك ؛ فمن رواه بالفتح أراد اللائى سلبن وانتزع منهن أعزاؤهن ، ومن رواه بالكسر أراد اللابسات ثياب الحزن ، وكدحتهن : أثرت فيهن ، والكوادح : حوادث الدهر وفواجعه

(٤) المجل : الجرح إذا كان فيه ماء ، وتقول : مجلت يدى من العمل ؛ إذا جرحت ، وجلب ـ بضم ففتح ـ جمع جلبة ، وهى قشرة الجرح التى تظهر حينما يأخذ فى البرء ، وقوارح : موجعة مؤلمة

(٥) أقصد : أصاب ، والحدثان : حادثات الدهر ، ونشايح : نحذر ونخاف ، والمراد أن الدهر قد أصاب منهم الذى كانوا يأملونه عند مجىء وقت الخوف وعند الشدائد

(٦) غالهم : أهلكهم ، وألم : نزل ، وقوله « جوارح » روى أبو ذر فى مكانه « بوارح » والبوارح : الأحزان الشديدة المبرحة والآلام الموجعة

مَنْ كَانَ فَارِسَنَا وَحَا ... مِينَا إِذَا بُعِثَ الْمَسَالِحْ (١)
يَا حَمْــزَ ، لَا وَاللهِ لَا ... أَنْسَاكَ مَاصُرَّ اللَّقَائِحْ (٢)
لِمُنَاخِ أَيْتَــامٍ وَأَضْـ ... ـيَافٍ وأَرْمَلَةٍ تُــلَامِحْ (٣)
وَلِمَا يَنُوبُ الدَّهْرُ فِى
حَـرْبٍ لِحَرْبٍ وهْىَ لَاقِحْ (٤)
يَافَارِسًا يَامِـــدْرَهًا ... يَاحَمْزَ قد كُنْتَ الْمُصَامِحْ (٥)
عَنَّا شَـدِيدَاتِ الْخُطُو ... بِ إِذَا يَنُوبُ لَهُنَّ فَادِحْ (٦)

---

(١) المسالح : القوم الذين يقدمون طليعة الجيش ، وأصل اشتقاقه من لفظ السلاح

(٢) صر اللقــائح : معناه ربطت أخلافها ليجتمع فيها اللبن خوفا من فصيلها أن يرضعها ، واللقائح : جمع لقحة ، وهى الناقة ذات اللبن

(٣) المناخ : المنزل ، والأرملة : التى لازوج لهــا ، وتلامح : تنظر بعينيها نظرا سريعا ثم ترده

(٤) اللاقح من الحروب : هى التى يتزايد شرها ويتطاير شرارها

(٥) المدره ـ بكسر الميم وسكون الدال وفتح الراء ـ المدافع عن القوم بلسانه ويده ، وقوله « المصامح » بالميم قبل الحاء ـ ومعناه المدافع الشديد الدفاع ، ويجوز أن يكون من قولهم : صمحت الشىء ؛ إذا أذبته ، فكأنه يذيب الخطوب بدفاعه ، ويروى فى مكانه « المصافح » بالفاء ـ ومعناه الذى يرد عنهم العوادى ، من قولهم : صفحت فلانا عن حاجته ، إذا رددته عنها ويجوز أن يكون من المصافحة ، ويكنى بذلك عن شجاعته وإقدامه وعدم تهيبه الخطوب ، فهو يقبل عليها إقبال من يصافحها غير مبال بها

(٦) فادح ، تقول : فدحنى الخطب ؛ إذا ثقل عليك حمله وأعياك القيام به

ذَكَّرْتَنِي أَسَدَ الرَّسُو لِ وذَاكَ مِدْرَهُنَا المُنَافِحُ (١)
عَنَّا وَكَانَ يُعَدُّ إِذْ عُدَّ الشَّرِيفُونَ الجَحَاجِحْ (٢)
يَعْلُو القَمَاقِمَ جَهْرَةً
سَبْطَ اليَدَيْنِ أَغَرَّ وَاضِحْ (٣)
لاَ طَائِشٌ رَعِشٌ وَلاَ ذُو عِلَّةٍ بِالحِمْلِ آنِحْ (٤)
بَحْرٌ فَلَيْسَ يُغِبُّ جَا رًا مِنْهُ سَيْبٌ أَوْ مَنَادِحْ (٥)
أَوْدَى شَبَابُ أُولِي الحَفَا ئِظِ وَالثَّقِيلُونَ المَرَاجِحْ (٦)
المُطْعِمُونَ إِذَا المَشَا تِي مَا يُصَفِّقُهُنَّ نَاضِحْ (٧)

---

(١) المنافح : المدافع عن القوم ، وكان حمزة رضى الله عنه ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) الجحاجح : السيد الكريم ، واحدهم جحجاح

(٣) القماقم : السادة ، واحدهم قمقام ، وسبط اليدين : أى كريم جواد ويقال للبخيل : جعد اليدين ، وأغر : أى أبيض ، وواضح : أى مضىء مشرق

(٤) الطائش : الخفيف الذى لا وقار له ، والآنح : البعير الذى إذا حمل شيئا أخرج من صدره صوتا

(٥) السيب : العطاء ، والمنادح ـ بالدال ـ يجوز أن يكون بفتح الميم جمع مندوحة ، وهى السعة ، وكان حقه أن يقول مناديح ، ولكنه حذف الياء ضرورة ، ويجوز أن يكون واحده مندحة ، ويجوز أن يكون بضم الميم اسم فاعل : أى مكاثر ، ويروى فى مكانه « مانح » بالهمزة ـ وهو جمع منيحة ، وهى العطية

(٦) أودى : هلك ، والحفائظ : جمع حفيظة ، وهى الغضب ، والمراجح : الذين يزيدون على غيرهم فى الحلم

(٧) يصفقهن : يحلبهن مرة واحدة فى اليوم ، ويروى « يصففهن » بفاءين ـ أى يحلبهن بجميع كفه ، والناضح : الذى يشرب دون الرى

لْحَمَ أُلْجِـلاَدِ وَفَوْقَهُ مِنْ شَحْمِهِ شُطَبٌ شَرَائِـحْ(١)

لِيُـدَافِعُوا عَنْ جَارِهِمْ
مَارَامَ ذُو الضِّغْنِ الْمُـكَاشِـحْ(٢)

لَهْفِي لَشُبَّانٍ رُزِئْـ نَاهُمْ كَأَنَّهُمُ الْمَصَابِـحْ(٣)

شُمٍّ بَطَارِقَةٍ غَطَا رِفَةٍ خَضَارِمَةٍ مَسَامِـحْ(٤)

الْمُشْـتَرُونَ الْحَمْـدَ بِالْأَ مْوَالِ إِنَّ الْحَمْدَ رَابِـحْ

وَالْجَامِزُونَ بِلُجْمِهِـــمْ يَوْمًا إِذَا مَاصَاحَ صَائِحْ(٥)

مَنْ كَانَ يُرْمَى بِالنَّـوَا قِرِ مِنْ زَمَانٍ غَيْرِ صَالِحْ(٦)

---

(١) الجلاد : الابل القوية ، والشطب ـ بضم الشين وفتح الطاء ـ جمع شطبة ، وهى القطعة من سنام البعير ، والشرائح : جمع شريحة ، وهى القطعة من اللحم ، ومن الظباء الذى يجاء به يابسا

(٢) رام : أراد وقصد ، والضغن ـ بكسر الضاد ـ الحقد والعداوه ، والمكاشح : المعادى

(٣) رزئناهم : فقدناهم ، والمصابح : جمع مصباح ، وكان حقه أن يقول مصابيح لحذف الياء

(٤) الشم : جمع أشم ، وأراد بهم الأعزاء . والبطارقة : الرؤساء ، واحدهم بطريق ، والخضارمة : الذين يكثرون العطاء ، واحدهم خضرم ، والمسامح : الأجواد ، واحدهم مسماح

(٥) الجامزون . الوائبون ، يقال : جمز ، إذا وثب ، واللجم : جمع لجام

(٦) النواقر ـ بالنون ـ جمع ناقرة ، وهى الداهية من دواهى الدهر ، وكأنها تنقر عن الانسان ، أى : تبحث عنه ، ويروى فى مكانه « البواقر » بالباء ـ وهى الداهية أيضاً

مَا إنْ تَزَالُ رِكَابُهُ ... يرْسِمْنَ فِي غُبْرٍ صَحَاصِحْ (١)
رَاحَتْ تَبَارَى وَهْوَ فِي ... رَكْبٍ صُدُورُهُمُ رَوَاشِحْ (٢)
حَتَّي تَؤُبَ لَهُ الْمَعَا ... لِى لَيْسَ مِنْ فَوْزِ السَّفَائِحْ (٣)
يَا حَمْزَ ، قَدْ أَوْحَدْتَنِي ... كَالْعُودِ شَذَّبَهُ الْكَوَافِحْ (٤)
أَشْكُو إِلَيْكَ وَفَوْقَكَ الْ ... تُرْبُ الْمُكَوَّرُ وَالصَّفَائِحْ (٥)
مِنْ جَنْدَلٍ يُلْقِيهِ فَوْ ... قَكَ إذْ أَجَادَ الضَّرْحَ ضَارِحْ (٦)
فِي وَاسِعٍ يَحْثُونَهُ ... بِالتُّرْبِ سَوَّتْهُ الْمَمَاسِحْ (٧)
فَعَزَاؤنَا أَنَّا نَقُو ... لُ وَقَوْلُنَا بَرْحٌ بَوَارِحْ (٨)

---

(١) يرسمن : من الرسيم ، وهو ضرب من السير ، والركاب : الابل ، والغبر : جمع غبراء ، والصحاصح : جمع صحصح ، وهى الأرض المستوية

(٢) تبارى : تعارض ، ورواشح : أى ترشح بالعرق

(٣) السفائح : جمع سفيح ، وهو أحد قداح الميسر ، ويقال : هى جمع سفيحة ، وهى الجوالق ونحوه

(٤) شذبه : أزال أغصانه وشوكه ، والكوافح : الذين يقابلونه بالقطع

(٥) المكور : الذى بعضه فوق بعض ، والصفائح : الحجارة العريضة

(٦) الجندل : الحجارة ، والضرح : مصدر ضرح ، أى : شق ، ويريد به شق القبر ، ومنه يسمى القبر ضريحا ، وهو فعيل بمعنى مفعول ، والضارح : اسم فاعل من ذلك

(٧) يحثونه : يصبونه ، تقول : حثوت التراب فى القبر ، إذا صببته ، والمماسح : مايمسح به التراب ويسوى كالفأس ونحوها

(٨) البرح : الأمر الشاق

مَنْ كَانَ أمْسَى وَهْوَ عَمَّـ ـا أَوْقَع الْحِدْثَانُ جَانِحْ (١)
فَلْيأْتِنَا فَلْتَبْكِ عَيْـ ـنَاهُ لِهلْكَانَا النَّوافِحْ (٢)
الْقَائلِينَ الْفَـاعِلِيـ ـنَ ذَوِى السَّمَاحَةِ وَالْمَادِحْ (٣)
مَنْ لَايَزَالُ نَدَى يَدَيْـ ـهِ لَهُ طِوَالَ الدَّهْرِ مَائِح (٤)

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان ، و بيته « المطعمون إذا المشاتى » و بيته « والجامزون بلُجْمِهِمْ » و بيته « مَنْ كان يُرْمَى بالنواقر » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكى حمزةَ بن عبد المطلب رضى الله عنه : —

قصيدة أخرى لحسان ابن ثابت يرثى فيها حمزه

أَتَعْرِفُ الدَّارَ عَفَا رَسْمُهَا بَعْدَكَ صَوْبُ الْمُسْبِلِ الْهَاطِلِ (٥)

---

(١) جانح : مائل إلى جهة

(٢) النوافح : الذين كانوا ينافحون عنا ويدافعون ، أو الذين كانوا ينفحوننا بالعطايا والمنح

(٣) المادح : الأمور التى يتمدح بها .

(٤) المائح ـ بالهمز ـ الذى ينزل فى البئر فيملأ الدلو ، وذلك إذا كان ماء البئر قليلا : والماتح ـ بالتاء ـ الذى يجذب الدلو من أعلى البئر ، وقد ضرب ذلك مثلا ، يريد أن الناس مايزالون ينتجعونه ويطلبون نداه ويستجدون معروفه

(٥) عفا : غير ودرس ، ورسمها : أثرها ، والصوب : المطر ، والهاطل : الكثير السيلان

بَيْنَ السَّرَادِيحِ فَأُدْمَانَةٍ   فَمَدْفَعِ الرَّوْحَاءِ فِي حَائِلِ (١)
سَأَلْتُهَا عَنْ ذَاكَ فَاسْتَعْجَمَتْ
لَمْ تَدْرِ مَا مَرْجُوعَةُ السَّائِلِ (٢)
دَعْ عَنْكَ دَاراً قَدْ عَفَا رَسْمُهَا
وَابْكِ عَلَى حَمْزَةَ ذِى النَّائِلِ (٣)
الْمَالِىءِ الشِّيزَى إِذَا أَعْصَفَتْ
غَبْرَاءُ فِي ذِى الشَّبِمِ الْمَاحِلِ (٤)
وَالتَّارِكِ الْقِرْنَ لَدَى لِبْدَةٍ
يَعْثُرُ فِي ذِى الْخُرْصِ الذَّابِلِ (٥)
وَاللاَّبِسِ الْخَيْلَ إِذَا أَحْجَمَتْ   كَاللَّيْثِ فِي غَابَتِهِ الْبَاسِلِ (٦)

---

(١) السراديح : جمع سرداح ، وهو الوادى ، ويقال : المكان المتسع ، وأدمانة : مكان بعينه ، والمدفع : حيث يندفع السيل ، والروحاء : اسم موضع ، وحائل : جبل

(٢) استعجمت : لم ترد جوابا ، ومرجوعة السائل : رجوع جوابه

(٣) النائل : العطاء

(٤) الشيزى : الجفان التى تصنع من خشب الشيز . وأعصفت : اشتدت ، يقال : عصفت الريح وأعصفت ، إذا اشتد هبوبها ، والغبراء : التى تثير الغبار وتهيجه ، والشبم ـ بالباء ـ الماء البارد ، والماحل : من المحل ، وهو القحط

(٥) القرن : الذى يقاومك فى القتال ، واللبدة : الغبار الملبد ، وذو الخرص : الرمح ، والخرص : سنانه ، وجمعه خرصان ، والذابل : الرقيق الشديد

(٦) أحجمت : تأخرت ونكصت هيبة لما تراه ، ويروى «أجحمت»

أَبْيَضُ فِى الذِّرْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَمْ يَمْرِ دُونَ الحَقِّ بِالْبَاطِلِ (١)

مَالَ شَهِيداً بَيْنَ أَسْيَافِكُمْ

شَلَّتْ يَدَا وَحْشِيٍّ مِنْ قَاتِلِ (٢)

أَيَّ امْرِىءٍ غَادَرَ فِى أَلَّةٍ مَطْرُورَةٍ مَارِنَةِ الْعَامِلِ (٣)

أَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِفِقْدَانِهِ وَاسْوَدَّ نُورُ الْقَمَرِ النَّاصِلِ (٤)

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ مُكْرَمَةِ الدَّاخِلِ

بتقديم الجيم - وهو بمعناه ، والليث : الأسد ، والغابة : موضع الأسد وهو الشجر الملتف الأغصان ، والباسل : الكريه المنظر المخيف

(١) الذروة : الأعلى ، وقوله « لم يمر » يريد لم يمار ولم يجادل ، قاله أبو ذر

(٢) « وحشى » هو قاتل حمزة ، وقد حذف تنوينه ضرورة ، والعلم قد يترك صرفه كثيرا ، ومثل ذلك قول العباس بن مرداس :ـ

فَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِى مَجْمَعِ

ومنع من جواز ذلك البصريون ، واحتج الكوفيون لاجازته بأن الشاعر قد يحذف من الكلمة الحرف والحرفين ، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة :

* دَرَسَ الْمَنَا بِمَتَالِعٍ فَأَبَانِ *

يريد : درس المنازل ، فلأن يجوز له حذف التنوين من الكلمة أولى

(٣) غادر : ترك ، وألة : الحربة التى لها سنان طويل ، والمطرورة : المحددة ، والمارنة : اللينة ، والعامل : أعلى الرمح

(٤) الناصل : الخارج من السحاب ، تقول : نصل القمر من السحاب ، إذا خرج منه

كُنَّا نَرَى حَمْزَةَ حِرْزاً لَنَا فِي كُلِّ أَمْرٍ نَابَنَا نَازِلِ (١)
وَكَانَ فِي الْإِسْلَامِ ذَا تُدْرَإٍ
يَكْفِيكَ فَقْدَ الْقَاعِدِ الْخَاذِلِ (٢)
لَا تَفْرَحِي يَاهِنْدُ وَاسْتَحْلِبِي
دَمْعاً وَأَذْرِي عَبْرَةَ الثَّاكِلِ (٣)
وَابْكِي عَلَى عُتْبَةَ إِذْ قَطَّهُ
بِالسَّيْفِ تَحْتَ الرَّهَجِ الْجَائِلِ (٤)
إِذْ خَرَّ فِي مَشْيَخَةٍ مِنْكُمُ مِنْ كُلِّ عَاتٍ قَلْبُهُ جَاهِلِ (٥)
أَرْدَاهُمُ حَمْـزَةُ فِي أُسْرَةٍ يَمْشُونَ تَحْتَ الْحَلَقِ الْفَاضِلِ (٦)
غَـدَاةَ جِبْرِيلُ وَزِيرٌ لَهُ نِعْمَ وَزِيرُ الفَارِسِ الْحَامِلِ

---

(١) حرزا : مكانا نتحرز به ونمتنع فيه من نوازل الدهر وأحداثه

(٢) ذا تدرأ – بضم التاء وسكون الدال وفتح الراء – يريد أنه كان كثير الدفاع عنا

(٣) أذرى : اسكبي واسترخصي ، والعبرة – بفتح العين – الدمعة ، والثاكل : المرأة التي فقدت ولدها

(٤) عتبة : هو أبو هند امرأة أبي سفيـان بن حرب ، وكان حمزة قد قتله في يوم بدر ، وقطه : قطعه نصفين ، والرهج : الغبار ، والجائل : المتحرك الثائر مما أثارته سنابك الخيل وأقدام المتحاربين

(٥) خر : سقط صريعا ، و « عات قلبه » أي : شديد القسوة لا يلين للحق ولا يخضع له

(٦) أرداهم : أوردهم الردى ، وهو الهلاك ، وأسرة : قرابة ، وذلك لأن حمزة قتل مع عتبة شيبة بن ربيعة أخاه ، وحنظلة بن أبي سفيان بن

وقال كعب بن مالك يبكى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه : —

قصيدة لكعب بن مالك يرثى فيها حمزه

طَرَقَتْ هُمُومُكَ فَالرُّقَادُ مُسَهَّدُ
وجَزِعْتَ أَنْ سُلِخَ الشَّبَابُ الْأَغْيَدُ (١)

وَدَعَتْ فُؤَادَكَ لِلْهَوَى ضَمْرِيَّةٌ
فَهَوَاكَ غَوْرِىٌّ وَصَحْبُكَ مُنْجِدُ (٢)

فَدَعِ التَّمادِى فِى الْغَوَايَةِ سَادِراً
قَدْ كُنْتَ فِى طَلَبِ الْغَوَايَةِ تُفْنَدُ (٣)

وَلَقَدْ أَنَى لَكَ أَنْ تَنَاهَى طَائِعاً
أَوْ تَسْتَفِيقَ إِذَا نَهَاكَ الْمُرْشِدُ (٤)

هند ، وآخرين ، والحلق : الدروع ، والفاضل : الذى يفضل عن لابسه ويزيد عنه وينجر على الأرض

(١) المسهد : القليل النوم فى الأصل ، وأراد المسهد صاحبه ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، وهو الضمير المخفوض ، فصار الضمير نائب فاعل ، فاستتر فى المسهد ، ومثله قوله « سلخ الشباب الأغيد » أى : الأغيد صاحبه ، وسلخ : أزيل ، والأغيد : الناعم

(٢) ضمرية : منسوبة إلى ضمرة ، وهى قبيلة ، وغورى : منسوب إلى الغور ، وهو المنخفض من الأرض ، وقوله « وصحبك منجد » يروى فى مكانه « وصحوك منجد »

(٣) الغاوى : ضد الراشد ، وهو المتحير فى سبل الضلال ، وتفند : تلام وتعذل وتكذب ، والفند أيضا : الكلام الذى لا يعقل

(٤) أنى : حان

وَلَقَدْ هُدِدْتَ لِفَقْدِ حَمْزَةَ هَدَّةً
ظَلَّتْ بَنَاتُ الْجَوْفِ مِنْهَا تُرْعَدُ (١)

وَلَوَ أَنَّهُ فُجِعَتْ حِـرَاءِ بِمِثْلِهِ
لَرَأَيْتَ رَاسِيَ صَخْرِهَا يَتَبَدَّدُ (٢)

قِرْمٌ تَمَـكَّنَ فِى ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ
حَيْثُ النُّبُوَّةُ وَالنَّدَى وَالسُّؤْدَدُ (٣)

وَالْعَاقِرُ الْـكُومِ الْجِلَادِ إِذَا غَدَتْ
رِيحٌ يَـكَادُ الْمَاءُ فِيهَا يَجْمُدُ (٤)

وَالتَّارِكُ الْقِرْنَ الْـكَمِيَّ مُجَدَّلاً
يَوْمَ الْـكَرِيهَةِ وَالْقَنَا يَتَقَصَّدُ (٥)

وَتَرَاهُ يَرْفُلُ فِى الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ
ذُو لِبْدَةٍ شَثْنُ الْبَرَاثِنِ أَرْبَدُ (٦)

---

(١) بنات الجوف : أراد قلبه وما اتصل به من كبده وأمعائه ، وسمى ذلك بنات الجوف لأن الجوف يضمها ويشتمل عليها

(٢) حراء : اسم جبل ، وأنثه باعتباره بقعة من الأرض ، والراسى : الثابت ، ويتبدد : يريد يتفتت

(٣) القرم : الفحل ، وذؤابة هاشم : أعاليها ، وأراد أسمى أنسابها وأرفعها

(٤) الكوم : جمع كوماء ، وهى من الابل العظيمة السنام ، والجلاد القوية ، وقوله « ريح ـ الخ » أراد أيام الشتاء ، وهى عندهم أيام القحط والجدب ، وهم يتمدحون بالانفاق فى هذه الأيام لأن الجواد يظهر فيها

(٥) الكمى : الشجاع ، ومجدلا : مطروحا على الجدالة وهى الأرض ويتقصد : يتكسر

(٦) يرفل : يمشى مشى المختال ، والحديد : أراد به الدروع ، وذو لبدة

عَمُّ النَّبِيِّ مُحَمَّـــدٍ وَصَفِيُّهُ
وَرَدَ الْحِمَامَ فَطَابَ ذَاكَ الْمَوْرِدُ

وَأَتَى الْمَنِيَّـةَ مُعْلِمًا فى أُسْرَةٍ
نَصَرُوا النَّبِيَّ وَمِنْهُمُ الْمُسْتَشْهِدُ (١)

وَلَقَدْ إِخَالُ بِذَاكَ هِنْدًا بُشِّرَتْ
لِتُمِيتَ دَاخِلَ غُصَّةٍ لاَ تَبْرُدُ (٢)

مِمَّـا صَـبَحْنَا بِالْعَقَنْقَلِ قَوْمَهَا
يَوْمًا تَغَيَّبَ فِيهِ عَنْهَا الْأَسْعَدُ (٣)

وَببِئْرِ بَدْرٍ إِذْ يَرُدُّ وُجُوهَهُـمْ
جِبْرِيلُ تَحْتَ لِوَائِنَا وَمُحَمَّـــدُ

حَتَّى رَأَيْتُ لَدَى النَّبِيِّ سَرَاتَهُمْ
قِسْمَيْنِ نَقْتُلُ مَنْ نَشَاءُ ونَطْرُدُ (٤)

أراد به الأسد ، واللبدة : الشعر الذى على كتفى الأسد ، وشثن : غليظ ، والبراثن : هى للأسد بمنزلة الأصابع للانسان ، وأربد : أغبر يخالط لونه سواد .

(١) معلما : مشهرا نفسه بعلامة تميزه عن سائر المحاربين ، وأسرة : رهط .

(٢) إخال : أظن ، وهى بكسر الهمزة فى لغة بنى تميم ، والغصة : ما يقف فى الحلق فيخنق ، وأراد بها ما فى صدرها من الغليل والحرارة

(٣) العقنقل : الكثيب من الرمل وأراد به كثيب بدر الذى حدثت عنه الموقعة ، وصبحناهم : أتيناهم صباحا للغارة عليهم

(٤) سراتهم : أشرافهم وخيارهم ، ونطرد : نسوقه كما تساق الأنعام . يريد أنا قتلنا منهم قسما وأسرنا قسما آخر

فَأَقَامَ بِالْعَطَنِ الْمُعَطَّنِ مِنْهُمُ
سَبْعُونَ عُتْبَةُ مِنْهُمُ وَالْأَسْوَدُ (١)
وَابْنَ الْمُغِيرَةِ قَدْ ضَرَبْنَا ضَرْبَةً
فَوْقَ الْوَرِيدِ لَهَا رَشَاشٌ مُزْبِدُ (٢)
وَأُمَيَّــةُ الْجُمَحِي قَوَّمَ مَيْــلَهُ
عَضْبٌ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ مُهَنَّدُ (٣)
فَأَتَاكَ فَلُّ الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ
ـ وَالْخَيْلُ تَثْفِنُهُمْ ـ نَعَامٌ شُرَّدُ (٤)
شَتَّانَ مَنْ هُوَ فِى جَهَنَّمَ ثَاوِياً
أَبَدًا وَمَنْ هُوَ فِى الْجِنَانِ مُخَلَّدُ (٥)

وقال كعب أيضا يبكى حمزة رضى الله عنهما : — كعب بن مالك يرثى حمزة أيضا

صَفِيَّةُ قُومِي وَلَا تَعْجِزِى وَبَكِّي النِّسَاءَ عَلَى حَمْزَةِ

---

(١) العطن : مبرك الأبل حول المـاء ؛ والمعطن : الذى قد عود أن يتخذ عطنا

(٢) الوريد : عرق فى صفحة العنق ، ورشاش مزبد : يريد دما تعلوه الرغوة

(٣) عضب : سيف قاطع

(٤) فل المشركين ـ بفتح الفاء وتشديد اللام ـ المنهزمون منهم ، وتثفنهم : تطردهم وتتبع آثارهم ، وأصله الأول من ثفنات البعير ، وهى ماحول الخف منه ؛ ويروى « تنفيهم » ووقع فى بعض النسخ « تنفشهم » وشرد : جمع شاردة

(٥) ثاويا : مقيا ليس يبرحها ، ويروى « تاويا » بالتاء المثناة ، وهو الهالك

وَلاَ تَسْأَمِى أَنْ تُطِيلِى الْبُكَا عَلَى أَسَدِ اللهِ فى الْهِزَّةِ (١)
فَقَدْ كانَ عِزًّا لِأَيْتَامِنَا وَلَيْثَ الْمَلاَحِمِ فى الْبِزَّةِ (٢)
يُرِيدُ بِذَاكَ رِضَا أَحْمَدٍ وَرِضْوَانَ ذِى الْعَرْشِ وَالْعِزَّةِ

وقال كعب رضى الله عنه أيضا فى يوم أحد : —

إنَّكِ عَمْرَ أَبِيكِ الْكَرِيـ
ـمِ إنْ تَسْأَلِى عَنْكِ مَنْ يَجْتَدِينَا (٣)
فإِنْ تَسْأَلِى ثُمَّ لاَ تُكْذَبِى يُخَبِّرْكِ مَنْ قَدْ سَأَلْتِ الْيَقِينَا
بِأَنَّا لَيَالِىَ ذَاتِ الْعِظَا
ـمِ كُنَّا ثِمَالاً لِمَنْ يَعْتَرِينَا (٤)
تَلُوذُ النَّجُودُ بِأَذْرَائِنَا
مِنَ الضُّرِّ فى أَزَمَاتِ السِّنِينَا (٥)

---

(١) الهزة : الاختلاط فى الحرب

(٢) الملاحم : جمع ملحمة ، وهى الحرب التى يكثر فيها القتل ، والبزة ـ بكسر الباء ـ الحرب أيضاً ، ويروى بفتح الباء فمعناه حينئذ الاستلاب ، وتقول : بزه ، إذا سلبه

(٣) « عمر أبيك » يجوز فيه الرفع على أنه مبتدأ حذف خبره ، ويجوز فيه النصب ، فان أدخلت اللام فقلت « لعمر أبيك » وجب رفعه ، ويجتدينا : يطلب جدوانا وعطاءنا

(٤) « ليالى ذات العظام » أى : الليالى التى كانت تجمع فيها العظام لتطبخ ويستخرج ودكها وهو ما فيها من الشحم ، يريد ليالى الشدة والقحط والثمال : الغياث والملجأ والمستعان ، ويعترينا : ينزل بنا ويزورنا

(٥) النجود ـ بفتح النون ـ المرأة المكروبة ، والنجود من الابل

بجَدْوَى فضولِ أُولى وُجْدِنَا
وَبالصَّبْرِ والْبَذْلِ فى الْمُعْدِمِينَا (١)
وَأبْقَتْ لنَا جَلَمَاتُ الْحُرُو
بِ مِمَّنْ نُوَازِى لَدُنْ أنْ بُرِينَا (٢)
مَعَاطِنَ تَهْوِى إلَيْهَا الْحُقُو قُ يَحْسَبُهَا مَنْ رَآهَا الْفَتِينَا (٣)
تُخَيَّسُ فِيهَا عِتَاقُ الْجِمَا
لِ صُحْمًا دَوَاجِنَ حُمْرًا وَجُونَا (٤)

القوية ، ويروى « البجود » بضم الباء ـ وهو جمع بجد ، وهو جماعة الناس ، ووقع فى نسخة «النجوم » وهو تصحيف وقوله « بأذراتنا » هو جمع ذرى ، من قولهم : كنت فى ذرى فلان ، أى : فى ستره ، وتقول العرب : ليس فى الشجر أذرى من السلم ، أى : أدفأ ذرى منه

(١) الجدوى : العطية ، والوجد ـ بضم الواو وسكون الجيم ـ السعة فى المال

(٢) جلمات الحروب : ما أبقت الحروب من المال ، ويروى « جلبات » بالباء ، «نوازى » نساوى ، و « برينا » بالبناء للمجهول ـ أى خلقنا ، وأصله « برئنا » بالهمز ، فسهل الهمزة ، وتقول : برأ الله الخلق ، أى : خلقهم ، يريد هذه حالنا من لدن أن خلقنا

(٣) المعاطن : مواضع بروك الابل حول الماء ، وقد يكون إنما أراد هنا بالمعاطن الابل نفسها من باب إطلاق اللفظ الدال على المحل والمكان وهو يريد الذى يحل فيه ، و « تهوى إليها الحقوق » يريد أن الناس يرون لهم فيها حقوقا لأننا عودناهم الجود عليهم بها ، يريد أنهم كرام أجواد ، والفتينا : الحرار ، وهى أراض ذوات حجارة سوداء ، يريد أنها عظيمة الجسم سوداء ، وهذه أفضل أنواع الابل عندهم

(٤) تخيس ـ بالبناء للمجهول ـ تراض وتذلل ، والصحم : السود ،

وَدُفَّاعَ رَجْلٍ كَمَوْجِ الْفُرَا
تِ يَقْدُمُ جَأْوَاءَ جُولاً طَحُونَا (١)

تَرَى لَوْنَهَا مِثْلَ لَوْنِ النُّجُو
مِ رَجْرَاجَةً تُبْرِقُ النَّاظِرِينَا (٢)

فَإِنْ كُنْتَ عَنْ شَأْنِنَا جَاهِلاً فَسَلْ عَنْهُ ذَا الْعِلْمِ مِمَّنْ يَلِينَا

بِنَا كَيْفَ نَفْعَلُ إِنْ قَلَّصَتْ
عَوَاناً ضَرُوساً عَضُوضاً حَجُونَا (٣)

واحدها أصحم أو صحماء » ، ويروى فى مكانه « طحما » بالطاء ، ويروى « طخما » بالطاء وخاء معجمة ، والمراد بالكل واحد ، ودواجن : أى مقيمات تقول : دجن بالمكان ، إذا أقام فيه ، والجون : السود ، وربما أطلق الجون على البيض ، فهو ضد

(١) دفاع : هو فى الأصل ما يندفع مع السيل ، والرجل : أراد الرجالة ، شبه كثرتهم بما يندفع مع السيل ، والفرات : نهر معروف ، والجأواء : الكتيبة إذا كان لونها بين السواد والحمرة من كثرة السلاح فيها ، والجول : الحركة والاضطراب ، قال الشارح : « الجول : جانب البئر ، والجول أيضا العقل ، وأحسبه إنما أراد معنى الجولان والحركة فى الأرض ، أو شبهها بجول البئر لأنها مهلكة كالبئر » اه ويروى فى مكانه « جونا » وهو السواد على ما تقدم ، والطحون : التى تهلك ما مرت به

(٢) رجراجة ، يموج بعضها فى بعض ، وتبرق : تحير وتبهت

(٣) قلصت : ارتفعت وانقبضت ، وقال الشارح : « قلصت : أى صارت قلوصا - يعنى الحرب - يريد إنا نذلل صعبها ونلين من ضراسها » اه والعوان : الحرب التى قوتل فيها مرة بعد مرة ، والضروس : الشديدة والعضوض : الكثيرة العض ، والحجون : المعوجة الأسنان ، مأخوذ من قولك « حجنت العود » إذا لويته

أَلَسْنَا نَشُدُّ عَلَيْهَا الْعِصَا ... بَ حَتَّى تَدِرَّ وَحتى تلينا (١)

وَيَوْمٍ لَهُ رَهَجٌ دَائِمٌ ... شَدِيدِ التَّهَاوُلِ حَامِي الْإِرِينَا (٢)

طَوِيلٍ شَدِيدِ أُوَارِ الْقِتَا ... لِ تَنْفِي قَوَاحِزُهُ الْمُقْرِفِينَا (٣)

تَخَالُ الْكُمَاةَ بِأَعْرَاضِهِ ... ثِمَالاً عَلَى لَذَّةٍ مُتْرَفِينَا (٤)

تَعَاوَرُ أَيْمَانُهُمْ بَيْنَهُمْ ... كُؤُوسَ الْمَنَايَا بِحَدِّ الظُّبِينَا (٥)

---

(١) العصاب : ما يعصب الضرع ، وتدر : تعطى اللبن ، وتلين : تذل بعد شماس وتسلس بعد امتناع

(٢) « له رهج » يروى بالراء وبالواو ، فمن رواه بالراء أراد به الغبار ، ومن رواه بالواو أراد به الحر الشديد ، والتهاول : الهول والشدة والارين : جمع إرة ـ بكسر الهمزة وفتح الراء مخففة ـ وهى حفرة النار

(٣) الأوار ـ بضم الهمزة ـ الحر ، والقواحز : من القحز وهو القلق وعدم التثبت ، ويروى فى مكانه « قوازحه » وقال الشارح : « جمع قازح وهو الوثاب القلق » فهو كما قبله ، ووقع فى بعض النسخ « فواجره » وفى بعضها « فواخره » وما نراه إلا تصحيفا عما ذكرنا ، والمقرفين : اللئام

(٤) الكماة : الشجعان ، واحدهم كمى ، وأعراضه : نواحيه ، وثمالا : يروى بكسر الثاء ، وبفتحها وآخره ألف الجمع كسكارى ، وهم السكارى ، وقوله « مترفينا » هو جمع مترف وهو المسرف فى النعيم ، ويروى « منزفينا » بالنون والزاى ـ أى ذهبت الخمر بعقولهم

(٥) « الظبون » : جمع ظبة ـ بضم الظاء وفتح الباء مخففة ـ وهى حد السيف

شَهِدْنَا فَكُنَّا أُولِى بَأْسِهِ ... وَتَحْتَ الْعَمَايَةِ وَالْمُعْلَمِينَا (١)

بِخُرْسِ الْحَسِيسِ حِسَانٍ رِوَاءٍ ... وبُصْرِيَّةٍ قَدْ أَجِمْنَ الْجُفُونَا (٢)

فَمَا يَنْفَلِلْنَ وَمَا يَنْحَنِينَ ... وَمَا يَنْتَهِينَ إِذَا مَا نُهِينَا (٣)

كَبَرْقِ الْخَرِيفِ بِأَيْدِى الْكُمَاةِ ... يُفَجِّعْنَ بِالظِّلِّ هَامًا سُكُونَا (٤)

وَعَلَّمَنَا الضَّرْبَ آبَاؤُنَا ... وَسَوْفَ نُعَلِّمُ أَيْضاً بَنِينَا

---

(١) العماية : السحابة المرتفعة أو الكثيفة أو الممطرة أو الرقيقة أو السوداء أو البيضاء أو التى أراقت ماءها ، ويروى فى مكانه « الغمامة » وأراد العجاج الذى تثيره سنابك الخيل فيصعد فوق رءوس المحاربين وقوله « المعلمينا » هو معطوف على « أولى بأسه » وهم الذين يعلمون أنفسهم بعلامات يعرفون بها فى الحرب

(٢) خرس : جمع أخرس ، والحسيس : الصوت ، وأراد بخرس الحسيس السيوف ، وإنما وصفهم بالخرس لأنه يريد أنها إنما تقع على لحوم أعدائهم وفى مقاتلهم فتغرز فلا يسمع لها صوت ، ورواء : أى ممتلئة من الدم ، وبصرية : منسوبة إلى بصرى ، وهو موضع بالشأم ، وأجمن : أى كرهن وعفن وسئمن ، والجفون : جمع جفن ، وهو غمد السيف وقرابه

(٣) ما ينفللن : يريد أنهن حداد لا تفل أطرافها ولا يثلم حدها ، وما ينتهين أراد أنهن ماضيات

(٤) كبرق الخريف : شبه به لمعان سيوفهم ، ويفجعن بالظل : تروى بالظاء المعجمة ، وأراد بها ظلال السيوف ، ويروى بالطاء المهملة مفتوحة ، وأراد به ما سال من دماء قتلاهم المطلولة التى لا يؤخذ لها بثأر ، والهام : جمع هامة ، وهى هنا الرأس ، والسكون : أراد بها المقيمات الثوابت

جِلَادَ الْكُمَاةِ وَبَذْلَ التِّلَا
دِ عَنْ جُلِّ أَحْسَابِنَا مَا بَقِينَا (١)
إِذَا مَرَّ قِرْنٌ كَفَى نَسْلُهُ   وَأَوْرَثَهُ بَعْدَهُ آخَرِينَا (٢)
نَشِبُّ وَتَهْلِكُ آبَاؤُنَا   وَبَيْنَا نُرَبِّي بَنِينَا فَنِينَا
سَأَلْتُ بِكَ ابْنَ الزِّبَعْرَى فَلَمْ   أُنَبَّأْكَ فِي الْقَوْمِ إِلَّا هَجِينَا (٣)
خَبِيثًا تُطِيفُ بِكَ الْمُنْدِيَاتُ
مُقِيمًا عَلَى اللُّؤْمِ حِينًا فَحِينَا (٤)
تَبَجَّسْتَ تَهْجُو رَسُولَ الْمَلِيـ   ـكِ قَاتَلَكَ اللهُ جِلْفًا لَعِينَا (٥)
تَقُولُ الْخَنَا ثُمَّ تَرْمِي بِهِ   نَقِيَّ الثِّيَابِ تَقِيًّا أَمِينَا (٦)

قال ابن هشام : أنشدنى بيته « بنا كيف نفعل » والبيت الذى يليه

---

(١) الجلاد : المضاربة ومجالدة الأعداء ، والجلاد : مفعول لقوله « نعلم » فى البيت السابق ، وهذا من عيوب الشعر ، والكماة : الشجعان ، والتلاد ـ بكسر التاء ـ المال القديم ، وجل الشىء ـ بضم الجيم ـ معظمه

(٢) القرن ـ بكسر القاف ـ الذى يقاومك فى شدة أوقتال أونحوها ، فأما بفتح القاف فهو الأمة من الناس

(٣) الهجين : أرادبه الدنىء ، يريد أنه سأل عنه فلم يخبر عنه بغير ذلك

(٤) المنديات : المخزيات ، وأصلها اسم فاعل من أنداه إذابلّه؛ والمخازى تبل وجه المرء بالخجل والحياء

(٥) تبجست : يروى بالباء الموحدة بعد التاء ، ويروى بالنون فى مكان الباء ، فمن رواه بالباء أراد أكثرت ، وذلك كما يتبجس الماء ويتفجر ويسيل ومن رواه بالنون فإنما أراد دخلت فى أهل النجس والخبث ، والجلف ـ بكسر فسكون ـ الجافى الغليظ الطبع

(٦) الخنى : الكلام الذى فيه فحش

والبيت الثالث منه وصـــدر الرابع منه ، وقوله « نشب وتهلك آباؤنا » والبيت الذى يليه والبيت الثالث منه أبو زيد الأنصارى

قصيدة أخرى لكعب بن مالك فى يوم أحد

قال ابن إسحق : وقال كعب بن مالك رضى الله عنه فى يوم أُحد :

سَائِلْ قُرَيْشًا غَدَاةَ السَّفْحِ مِنْ أُحُدٍ
مَاذَا لَقِينَا وَمَا لاَقَوْا مِنَ الْهَرَبِ (١)
كُنَّا الأُسُودَ وَكَانُوا النُّمْرَ إِذْ زَحَفُوا
مَاإِنْ نُرَاقِبُ مِنْ إِلٍّ وَلاَ نَسَبِ (٢)
فَكَمْ تَرَكْنَا بِهَا مِنْ سَيِّدٍ بَطَلٍ
حَامِي الذِّمَارِ كَرِيمِ الْجَدِّ وَالْحَسَبِ (٣)
فِينَا الرَّسُولُ شِهَابٌ ثُمَّ نَتْبَعُهُ   نُورٌ مُضِيءٌ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الشُّهُبِ
الْحَقُّ مَنْطِقُهُ وَالْعَدْلُ سِيرَتُهُ
فَمَنْ يُجِبْهُ إِلَيْهِ يَنْجُ مِنْ تَبَبِ (٤)

---

(١) السفح : جانب الجبل مما يلى أصله

(٢) النمر ـ بضم فسكون هنا ـ جمع نمر ـ بوزان كتف ـ وهو ضرب من السباع ، وأصل جمعه نمور ، مثل أسود ، ثم حذف الواو كما حذفها الراجز فى قوله :

* فِيهَا عَيَائِيلُ أُسُودٌ وَنُمُرْ *

فصار نمر بضمتين ، ثم سكن وسطه ، وقوله « زحفوا » معناه مشوا إلينا وساروا نحونا ، و«إن» فى قوله « ما إن نراقب » زائدة ، والال ـ بكسر الهمزة وتشديد اللام ـ العهد ، وفى بعض النسخ « من آل » ومعناه أهل ، ولعلها أحسن

(٣) الذمار ـ بزنة كتاب ـ مايجب على الرجل أن يدفع عنه ويقوم دونه

(٤) التبب ـ بفتح أوله وثانيه ـ ومثله التباب ـ بفتح أوله أيضا ـ هو

نَجْدُ الْمُقَدَّمِ مَاضِي الْهَمِّ مُعْتَزِمٌ
حِينَ الْقُلُوبُ عَلَى رَجْفٍ مِنَ الرُّعُبِ (١)

يَمْضِي وَيَذْمُرُنَا عَنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ
كَأَنَّهُ الْبَدْرُ لَمْ يُطْبَعْ عَلَى الْكَذِبِ (٢)

بَدَا لَنَا فَاتَّبَعْنَاهُ نُصَدِّقُهُ وَكَذَّبُوهُ فَكُنَّا أَسْعَدَ الْعَرَبِ

جَالُوا وَجُلْنَا فَمَا فَاءُوا وَمَا رَجَعُوا
وَنَحْنُ نَثْفِنُهُمْ لَمْ نَأْلُ فِي الطَّلَبِ (٣)

لَيْسَا سَوَاءً وَشَتَّى بَيْنَ أَمْرِهِمَا
حِزْبُ الْإِلَهِ وَأَهْلُ الشِّرْكِ وَالنُّصُبِ (٤)

قال ابن هشام : أنشدني من قوله « يمضي ويذمرنا » إلى آخرها أبو زيد الأنصاري

الخسران والهلاك، ومنه قوله تعالى (تبت يدا أبي لهب وتب) أي : خسرت يده وهلكت وخسر هو وهلك

(١) نجد المقدم : يريد أنه شجاع ، والنجد : ذو النجدة الذي يغيث ويدافع عمن يدعوه ، والمقدم : مصدر ميمي بمعنى الاقدام ، والرجف : التحرك ، والرعب : الفزع والخوف ، وأصله بضم فسكون فضم ثانيه إتباعا لضم أوله كما يقال عصر وعصر

(٢) يذمرنا : يحضنا ويدفعنا ، ولم يطبع : أي لم يخلق

(٣) جالوا : تحركوا ، وفاءوا : رجعوا ، ومنه قوله تعالى : (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) وقوله « نثفنهم » معناه نطردهم ، ولم نأل : أي لم نقصر

(٤) النصب — بضمتين — حجارة كانوا يذبحون لها ويعظمونها

قال ابن إسحق : وقال عبد الله بن رَوَاحة يبكى حمزة بن عبدالمطلب

قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك .

قصيدة تنسب لعبد الله بن رواحة وتنسب لكعب بن مالك فى رثاء حمزة

بَكَتْ عَيْنِي وحُقَّ لَهَا بُكَاهَا ... وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلاَ الْعَوِيلُ (١)
عَلَى أَسَدِ الْإِلٰهِ غَدَاةَ قَالُوا ... أَحَمْزَةُ ذَاكُمُ الرَّجُلُ الْقَتِيلُ
أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعاً ... هُنَاكَ وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ
أَبَا يَعْلَى لَكَ الأَرْكَانُ هُدَّتْ ... وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوَصُولُ (٢)
عَلَيْكَ سَلاَمُ رَبِّكَ فِي جِنَانٍ ... مُخَالِطُهَا نَعِيمٌ لاَ يَزُولُ
أَلَا يَاهَاشِمُ الأَخْيَارُ صَبْراً ... فَكُلُّ فَعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلُ
رَسُولُ اللهِ مُصْطَبِرٌ كَرِيمٌ ... بِأَمْرِ اللهِ يَنْطِقُ إِذْ يَقُولُ
أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى لُؤَيًّا ... فَبَعْدَ الْيَوْمِ دَائِلَةٌ تَدُولُ (٣)
وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا عَرَفُوا وذَاقُوا ... وَقَائِعَنَا بِهَا يُشْفَى الْغَلِيلُ (٤)
نَسِيتُمْ ضَرْبَنَا بِقَلِيبِ بَدْرٍ ... غَدَاةَ أَتَاكُمُ الْمَوْتُ الْعَجِيلُ (٥)
غَدَاةَ ثَوَى أَبُو جَهْلٍ صَرِيعاً ... عَلَيْهِ الطَّيْرُ حَائِمَةً تَجُولُ (٦)

---

(١) العويل : البكاء مع ارتفاع صوت

(٢) أبو يعلى : هى كنية حمزة رضى الله عنه ، وكان حمزة يكنى بابنه يعلى ، ولم يعش لحمزة ولد غيره ، وأعقب يعلى خمسة من البنين ثم انقرض عقبهم ، وكان كذلك يكنى أباعمارة ، وعمارة بنت له : وقد سبق تكنيته فى ذكر المبعث بهذه ، والماجد : الشريف

(٣) دائلة تدول : يريد دائرة الحرب

(٤) الغليل : حرارة الجوف من عطش أو حزن

(٥) العجيل : العاجل السريع

(٦) حائمة : تدور حوله ، تقول : حام الطائر حول الماء ، إذا دار حوله ، وتجول : تجيء وتذهب

وعُتْبَةُ وَابْنُهُ خرَّا جَمِيعاً ... وَشَيْبَةُ عَضَّهُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ (١)

وَمَتْرَكْنَا أُمَيَّةَ مُجْلَعِبًّا ... وَفِى حَيْزُومِهِ لَدْنٌ نَبِيلٌ (٢)

وَهَامَ بَنِي رَبِيعَةَ سَائِلُوهَا ... فَفِي أَسْيَافِنَا مِنْهَا فُلُولُ

أَلَا يَاهِنْدُ فَابْكِى لاَ تَمَلِّى ... فَأَنْتِ الْوَالِهُ الْعَبْرَى الْهَبُولُ (٣)

أَلَا يَاهِنْدُ لَا تُبْدِى شَمَاتًا ... بِحَمْزَةَ إِنَّ عِزَّكُمُ ذَلِيلُ

قال ابن إسحق : وقال كعب بن مالك رضى الله عنه أيضا :—

كلمة أخرى لكعب بن مالك فى يوم أحد

أَبْلِغْ قُرَيْشًا عَلَى نَأْيِهَا ... أَتَفْخَرُ مِنَّا بِمَا لَمْ تَلِى (٤)

فَخَرْتُمْ بِقَتْلَى أَصَابَتْهُمُ ... فَوَاضِلُ مِنْ نِعَمِ الْمُفْضِلِ

فَحَلُّوا جِنَانًا وَأَبْقَوْا لَكُمْ ... أُسُودًا تُحَامِى عَنِ الْأَشْبُلِ (٥)

تُقَاتِلُ عَنْ دِينِهَا وَسْطَهَا ... نَبِيٌّ عَنِ الْحَقِّ لَمْ يَنْكُلِ (٦)

رَمَتْهُ مَعَدٌّ بِعُورِ الْكَلَامِ ... وَنَبْلِ الْعَدَاوَةِ لاَ تَأْتَلِى (٧)

---

(١) خرا جميعا : سقطا على الأرض

(٢) مجلعبا : معناه أنه ممتد مع الأرض ، والحيزوم : أسفل الصدر ، واللدن : الرمح اللين ، والنبيل : العظيم

(٣) الواله : الشديدة الحزن ، أو هى الفاقد ؛ والعبرى : الكثيرة الدمع ؛ والهبول : التى فقدت عزيزها

(٤) النأى : البعد ، وقوله « بما لم تلى » يريد كيف تفخر بأنها قتلت منا وليس ذلك من فعلها

(٥) تحامى : تدافع ؛ والأشبل : جمع شبل ، وهو ولد الأسد

(٦) لم ينكل : لم يرجع ولم يتقهقر

(٧) عور الكلام : جمع عوراء ، وهى الكلمة القبيحة ، وقوله « لاتأتلى » يريد أنها جهدت لذلك ولم تقصر

قال ابن هشام : أنشدنى قوله «لم تلى» وقوله« من نعم المفضل» أبو زيد الأنصارى

قال ابن إسحق : وقال ضرار بن الخطاب فى يوم أحد :—

قصيدة لضرار بن الخطاب فى يوم أحد

مَا بَالُ عَيْنَيْكَ قَدْ أَزْرَى بِهَا السُّهُدُ كَأَنَّمَا جَالَ فِى أَجْفَانِهَا الرَّمَدُ (١)

أَمِنْ فِرَاقِ حَبِيبٍ كُنْتَ تَأْلَفُهُ
قَدْ حَالَ مِنْ دُونِهِ الْأَعْدَاءُ وَالْبُعُدُ (٢)

أَمْ ذَاكَ مِنْ شَغْبِ قَوْمٍ لَا جَدَاءَ بِهِمْ
إِذَا الْحُرُوبُ تَلَظَّتْ نَارُهَا تَقِدُ (٣)

مَا يَنْتَهُونَ عَنِ الْغَيِّ الَّذِى رَكِبُوا
وَمَا لَهُمْ مِنْ لُؤَىٍّ وَيْحَهُمْ عَضُدُ (٤)

---

(١) فى نسخة « ما بال عينك » بالأفراد ، وهو الأنسب لما بعده ، وقوله أزرى بها : أى قصر بها عن إدراك ماتأمله ، تقول : أزريت بالرجل ، إذا قصرت به ، وتقول : زرى عليه ، إذا عابه وانتقص منه ، والسهد : عدم النوم ، والرمد : وجع العين ، وجال : تحرك

(٢) البعد ـ بضمتين هنا ـ وأصله بضم فسكون فأتبع العين للفاء فى حركتها.

(٣) شغب قوم : تهييجهم الشر ، ويقال بفتح فسكون وبفتحتين ، وقوله « لاجداء لهم » هو من أوصاف القوم ، ومعناه لامنفعة عندهم ولا غناء لهم ولا قوة بهم ، وتلظت : التهبت واستعرت نارها ، ومنه قوله تعالى : (فأنذرتكم نارا تلظى) يريد تلتهب ، وتقد : مثل تتقد فى المعنى

(٤) مالهم عضد : أى ليس لهم معين ، وقوله « ويحهم » هو جملة دعائية اعترض بها بين الخبر ومبتدئه

وَقَدْ نَشَدْنَاهُمُ بِاللهِ قَاطِبَـةً
فَمَا تَرُدُّهُمُ الْأَرْحَامُ وَالنِّشَدُ (١)
حَتَّى إِذَا مَاأَبَوْا إلا مُحَارَبَةً
وَاسْتَحْصَدَتْ بَيْنَنَاالْأَضْغَانُ وَالحِقَدُ (٢)
سِرْنَا إِلَيْهِمْ بِجَيْشٍ فى جَوَانِبِهِ
قَوَانِسُ الْبَيْضِ وَالْمَحْبُوكَةُ السُّرُدُ (٣)
وَالْجُرْدُ تَرْفُلُ بالْأَبْطَـالِ شَازِبَةً
كَأَنَّهَا حِـدَأٌ فى سَيْرِهَا تُؤَدُ (٤)
جَيْشٌ يَقُودُهُمُ صَخْرٌ وَيَرْأَسُهُمْ
كَأَنَّهُ لَيْثُ غَابٍ هَاصِرٌ حَرِدُ (٥)

---

(١) قاطبة : أى جميعا ، والنشـــد ـ بكسر النون وفتح الشين ـ جمع نشدة ، وهى اليمين ، تقول : نشدتك الله ، وناشدتك الله ، ونحو ذلك

(٢) استحصدت : قويت واستحكمت ، وأصله قولك : حبل محصد ، إذا كان شديد الفتل محكمه ، والأضغان : جمع ضغن ، وهو العداوة ، والحقد ـ بكسر ففتح ـ العداوات أيضا

(٣) القوانس : أعالى بيض السلاح ، والمحبوكة : الشديدة ، والسرد : المنسوجة ، يريد بها الدروع

(٤) الجرد : جمع أجرد ، وأراد بها الخيل العتاق ، وترفل بالأبطال : تمشى بهم مشى المتبختر ، وقوله « شازبة » يريد ضامرة شديدة اللحم ، والحدأ ـ بكسر الحاء وفتح الدال ـ جمع حدأة وهى طائر معروف ، وتؤد : أى تمهل وترفق وتأن

(٥) صخر : هو أبو سفيان ، وغاب : جمع غابة ، وهى موضع

فَأَبْرَزَ الْحَيْنُ قَوْمًا مِنْ مَنَازِلِهِمْ
فَـكَانَ مِنَّا وَمِنْهُمْ مُلْتَقًى أُحُدُ
فَغُودِرَتْ مِنْهُمُ قَتْلَى مُجَدَّلَةً
كَالْمَعْزِ أَصْرَدَهُ بِالصَّرْدَحِ الْبَرَدُ (١)
قَتْلَى كِرَامٌ بَنُو النَّجَّارِ وَسْطَهُمُ
وَمُصْعَبٌ مِنْ قَنَانَا حَوْلَهُ قِصَدُ (٢)
وَحَمْزَةُ الْقَرْمُ مَصْرُوعٌ تُطِيفُ بِهِ
ثَـكْلَى وَقَدْ حُزَّ مِنْهُ الْأَنْفُ وَالْـكَبِدُ (٣)
كَأَنَّهُ حِينَ يَـكْبُو فِي جَدِيَّتِهِ
تَحْتَ الْعَجَاجِ وَفِيهِ ثَعْلَبٌ جَسِدُ (٤)

الأسد ، وهاصر : كاسر ، يعدو على فريسته فيكسرها إذا أخذها ، وحرد ـ بفتح الحاء وكسر الراء ـ أي غاضب

(١) مجدلة : لاصقة بالجدالة ، وهي الأرض ، وأصرده : أي بالغ في إبراده ، والصرد : البرد ، والصردح : المكان الصلب الغليظ

(٢) قصد ـ بكسر القاف وفتح الصاد ـ أي قطع متكسرة ، واحدتها قصدة .

(٣) القرم ـ بفتح القاف ـ أصله الفحل من الابل ، وهو هنا الرجل السيد ، والثكلى : الحزينة الفاقد ، وحز: قطع ، وكانت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان حين مثلت بقتلى أحد قد قطعت أنف حمزة وأذنه وكبده

(٤) يكبو : يسقط ، والجدية ـ بفتح الجيم وكسر الدال وتشديد الياء ـ طريقة الدم ، والعجاج ـ كسحاب ـ الغبار ، والثعلب هنا : ما دخل من الرمح في السنان ، وجسد : أي قد يبس عليه الدم

حُوَارُ نَابٍ وَقَدْ وَلَّى صَـحَابَتُهُ
كَمَا تَوَلَّى النَّعَامُ الْهَارِبُ الشُّرُدُ [١]
مُجَلِّحِينَ وَلاَ يَلْوُونَ قَدْ مُلِئُوا
رُعْبًا فَنَجَّتْهُمُ الْعَوْصَاءُ والْـكُؤُدُ [٢]
تَبْـكِي عَلَيْهِمْ نِسَاءٌ لاَبُعُولَ لَهَا
مِنْ كُلِّ سَالِبَةٍ أَثْوَابُهَا قِدَدُ [٣]
وقَدْ تَرَكْنَاهُمُ لِلطَّـيْرِ مَلْحَمَةً
وَلِلضِّبَاعِ إِلَى أَجْسَادِهِمْ تَفِدُ [٤]

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار

قال ابن إسحق : وقال أبو زَعْنَةَ [٥] بن عبـد الله بن عمرو بن عُتْبَةَ أخو بنى جُشَم بن الخزرج يوم أُحد :

---

(١) الحوار ـ كغراب ـ ولدالناقة ، والناب : المسنة من الابل ، والشرد : النافرة

(٢) مجلحين : مصممين لايردهم شيء ، والرعب : الفزع والخوف ، والعوصاء : عقبة صعبة تعتاص على سالكها ، والكؤد : جمع كؤود ـ بفتح الكاف ـ وهى الصعبة المرتقى

(٣) سالبة : هى التى لبست ثياب الحزن ، وقدد : أى قطع ، يريد أنها مزقت ثيابها ، وهى من عادة النساء فى الأحزان

(٤) الملحمة : الموضع الذى يلتحم فيه المتحاربون وتخرفيه القتلى ، والضباع : جمع ضبع ، وهو ضرب من السباع ، وتفد : أى تقدم عليهم وتزور أجسادهم ، يريد أنها تأكل أجسامهم

(٥) «أبوزعنة» قال أبوذر : «وقع هنا بالنون ، وزعبة بالزاى والعين المهملة والباء المنقوطة بواحدة ، وهكذا قيده الدارقطنى » اه

كلمة أبي زعنة في يوم أحد

أَنَا أَبُو زَعْنَــةَ يَعْدُو بِي الْهُزَمْ
لَمْ تُمْنَعِ الْمَخْزَاةُ إلاَّ بالأَلَمْ (١)
يَحْمِي الذِّمَارَ خَزْرَجِيٌّ مِنْ جُشَمْ

قال ابن إسحق : وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه

كلمة تنسب لعلى ابن أبي طالب في يوم أحد

قال ابن هشام : قالها رجل من المسلمين يوم أُحد غير على ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر ولم أر أحدًا منهم يعرفها لعلى رضي الله عنه : —

لاَهُمَّ إنَّ الْحٰرِثَ بْنَ الصِّمَّهْ ... كانَ وَفِيًّا وَبِنَا ذَا ذِمَّهْ (٢)
أَقْبَلَ فى مَهَامِهٍ مُهِمَّــهْ ... كَلَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ مُدْلَهِمَّهْ (٣)
بَيْنَ سُيُوفٍ وَرِمَاحٍ جَمَّهْ ... يَبْغِي رَسُولَ اللهِ فِيمَا ثَمَّهْ (٤)

قال ابن هشام : قوله « كليلة » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال عكرمة بن أبي جهل في يوم أُحد : —

كلمة لعكرمة بن أبي جهل

كُلُّهُمُ يَزْجُرُهُ أَرْحِبْ هَلاَ ... وَلَنْ يَرَوْهُ الْيَوْمَ إلاَّ مُقْبِلاَ (٥)

---

(١) يعدوبى : يسرع بى ، والهزم ـ بضم الهاء وفتح الزاى وآخره ميم ـ اسم فرس له ، ومن الناس من يرويه بفتح الهاء وكسر الزاى على أنه صفة ومعناه السريع الجرى

(٢) الذمار : مايجب على الرجل أن يحميه

(٣) الذمة : العهد هنا

(٤) المهامه : جمع مهمه ، وهو القفر ، والمدلهمة : الشديدة السواد

(٥) جمة : كثيرة

(٦) « أرحب هلا » هاتان كلمتان يزجر بكل واحدة منهما الخيل ،

يَحْمِلُ رُمْحًا وَرَئِيسًا جَحْفَلاَ (١)

وقال الأعشى بن زُرَارة بن النَّبَّاش التميمى

قال ابن هشام : ثم أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم يبكى قتلى بنى عبد الدار يوم أُحد :—

كلمة للأعشى بن زرارة بن النباش

حُيِّىَ مِنْ حَيٍّ عَلَى نَأْيِهِمْ   بَنُوأَبِي طَلْحَةَ لاَتُصْرَفُ (٢)

يَمُرُّ سَاقِيهِمْ عَلَيْهِمْ بِهَا   وَكُلُّ سَاقٍ لَهُمُ يَعْرَفُ

[لاَ جَارُهُمْ يَشْكُو وَلاَ ضَيْفُهُمْ

مِنْ دُونِهِ بَابٌ لَهُمْ يَصْرِفُ] (٣)

يقال : أرحب ، ويقال : هلا ، وفى بعض نسخ الكتاب رواية أول هذه الكلمة هكذا :ـ

كُلُّهُمُ ابْنُ حُرَّةٍ أَرْحِبْ هَلاَ

(١) الجحفل : الكثير العظيم

(٢) « حيي » فعل ماض مبنى للمجهول ، وهو خبر يراد به إنشاء الدعاء ، والنأى : البعد ، وقوله « لاتصرف » معناه لاترد ، يريد أن هذه التحية لايردها أحد ، فأعاد الضمير إلى التحية التى تفهم من قوله حيي ،وذلك كناية عن اشتهار فضلهم حتى لا يستطيع أحد أن ينكر عليه تحيتهم

(٣) سقط هذا البيت من بعض نسخ الأصل ، وهو مشروح فى نسخة أبى ذر ، وقوله «يصرف» فىآخر البيت معناه يصوت ، والصريف : الصوت قال النابغة الذبيانى :ـ

لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفُ الْقَعْوِ بِالْمَسَدِ

(القعو : البكرة ، والمسد : الحبل) ومعنى قوله « ولاضيفهم من دونه باب لهم يصرف » أنهم لا يقفلون بابهم عن الضيف فيسمع له صوت

كلمة لعبد الله بن الزبعرى

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى في يوم أُحد : —

قَتَلْنَا ابْنَ جَحْشٍ فَاغْتَبَطْنَا بِقَتْلِهِ
وَحَمْزَةَ فِى فُرْسَانِهِ وَابْنَ قَوْقَلِ (١)

وَأَفْلَتَنَا مِنْهُمْ رِجَالٌ فَأَسْرَعُوا
فَلَيْتَهُمُ عَاجُوا وَلَمْ نَتَعَجَّلِ (٢)

أَقَامُوا لَنَا حَتَّى تَعَضَّ سُيُوفُنَا سَرَاتَهُمُ وَكُلُّنَا غَيْرُ عُزَّلِ (٣)

وحَتَّى يَكُونَ الْقَتْلُ فِينَا وَفِيهِمُ
وَيَلْقَوْا صَبَاحًا شَرُّهُ غَيْرُ مُنْجَلِي (٤)

قال ابن هشام : وقوله « وكلنا » وقوله « ويلقوا صباحاً » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أخاها حمزة ابن عبد المطلب رضي الله عنه وعنها : —

صفية بنت عبد المطلب ترثى أخاها حمزة

أَسَائِلَةٌ أَصْحَابَ أُحْدٍ مَخَافَةً بَنَاتُ أَبِي مِنْ أَعْجَمٍ وَخَبِيرِ (٥)
فَقَالَ الْخَبِيرُ إِنَّ حَمْزَةَ قَدْ ثَوَى وَزِيرُ رَسُولِ اللهِ خَيْرُ وَزِيرِ

---

(١) اغتبطنا : سررنا وفرحنا

(٢) عاجوا : عطفوا وأقاموا

(٣) سراتهم : خيارهم ، وعزل : لا سلاح معهم

(٤) « صباحا » وقع فى بعض أصول الكتاب « صبوحا » والصبوح بفتح الصاد — شرب الغداة ، وإنما أراد هنا أنهم يسقونهم كأس المنية ، وغير منجل : غير منكشف

(٥) الأعجم : هو الذى لا يفصح عما فى نفسه ، وأرادت هنا الذى لاعلم عنده ، ولهذا قابلته بالخبير

دَعَاهُ إِلٰهُ الْحَقِّ ذُو الْعَرْشِ دَعْوَةً إِلَى جَنَّةٍ يَحْيَا بِهَا وَسُرُورِ
فَذَلِكَ مَا كُنَّا نُرَجِّى وَنَرْتَجِى لِحَمْزَةَ يَوْمَ الْحَشْرِ خَيْرَ مَصِيرِ
فَوَاللهِ لاَ أَنْسَاكَ مَاهَبَّتِ الصَّبَا
بُكَاءً وَحُزْنًا مَحْضَرِى ومَسِيرِى (١)
عَلَى أَسَدِ اللهِ الَّذِى كَانَ مِدْرَهًا
يَذُودُ عَنِ الْإِسْلاَمِ كُلَّ كَفُورِ (٢)
فَيَالَيْتَ شِلْوِى عِنْدَ ذَاكَ وَأَعْظُمِى
لَدَى أَضْبُعٍ تَعتَادُنِى وَنُسُورِ (٣)
أَقُولُ وَقَدْ أَعْلَى النَّعِىَّ عَشِيرَتِى :
جَزَى اللهُ خَيْراً مِنْ أَخٍ وَنَصِيرِ (٤)

---

(١) الصبا : الريح الشرقية ، ومحضرى : هو فى الأصل مصدر بمعنى الحضور ، وأرادت منه ههنا معنى الظرفية ، ومسيرى : فى الأصل مصدر بمعنى السير ، وأرادت منه الظرف ، ولم تردوقت السير ، ولكن أرادت وقت المغيب ، بقرينة مقابلته بالمحضر

(٢) المدره ـ بكسر الميم وسكون الدال وفتح الراء ، بزنة منبر ـ الذى يدافع عن القوم بلسانه وسيفه، وقولها « يذود كل كفور » معناه يدفعه عن قومه ويمنعه من الوصول إليهم

(٣) الشلو ـ بكسر الشين وسكون اللام ـ البقية ، وأضبع : جمع ضبع ، وهو ضرب من السباع ، ونسور : جمع نسر ، وهو ضرب من كواسر الطير ، وتعتادنى : تعود إلى مرة بعد مرة وتتعاهدنى

(٤) « النعى » هو بفتح النون وكسر العين وتشديد الياء ـ ويروى منصوبا ومرفوعا ، فأما من رواه منصوبا ، فقد جعله مفعولا لأعلى وجعل الفاعل هو قولهاعشيرتى ، والنعى ـ على ذلك ـ بمعنى النوح، البكا والمعنى

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قولها : —

* بُكَاءً وَحُزْناً مَحْضَرِى وَمَسِيرِى *

قال ابن إسحق : وقالت نُعْمُ امرأة شَمَّاس بن عُثْمَان تبكى شَمَّاساً وأُصيب يوم أحد : —

نعم بنت سعيد تبكى زوجها شماس بن عثمان

يَا عَيْنُ جُودِى بِفَيْضٍ غَيْرِ إِبْسَاسِ
عَلَى كَرِيمٍ مِنَ الْفِتْيَانِ لَبَّاسِ (١)

صَعْبِ الْبَدِيهَةِ مَيْمُونٍ نَقِيبَتُهُ حَمَّالِ أَلْوِيَةٍ رَكَّابِ أَفْرَاسِ (٢)

أَقُولُ لَمَّا أَتَى النَّاعِى لَهُ جَزَعاً :
أَوْدَى الْجَوَادُ وَأَوْدَى الْمُطْعِمُ الْكَاسِى (٣)

وَقُلْتُ لَمَّا خَلَتْ مِنْهُ مَجَالِسُهُ :
لَايُبْعِدُ اللهُ عَنَّا قُرْبَ شَمَّاسِ (٤)

رفعت عشيرتى أصواتها بالنوح والبكاء ، وأما من رواه مرفوعا فقد جعله فاعل أعلى ، ومعناه حينئذ الذى يأتى بخبر الميت

(١) إبساس : أى قليل ، وقولها « لباس » هو صيغة مبالغة من اللبس تريد أنه يلبس أداة الحرب ، ويروى فى مكانه « أباس » بفتح الهمزة وتشديد الباء — وهو الشديد الذى يغلب غيره ويقهره

(٢) البديهة : أول الأمر والرأى ، وميمون نقيبته : أى مسعود الفعال ، والألوية : جمع لواء ، وهو العلم

(٣) الناعى : الذى يأتى بخبر الميت ، أودى : هلك ، والمطعم : اسم فاعل من أطعم ، والكاسى : اسم فاعل من كسا ، تريد أنه كريم يطعم الضيفان ويكسو الفقراء

(٤) خلت منه مجالسه : كناية عن أنه مات

فأجابها أخوها — وهو أبو الحَكَمِ بن سعيد بن يَرْبُوع — يُعَزِّيها فقال :— أبو الحكم بن سعيد يعزي أخته نعماًن زوجها شماس

إِقْنَىْ حَيَاءَكِ فِي سِتْرٍ وَفِي كَرَمٍ
فَإِنَّمَا كَانَ شَمَّاسٌ مِنَ النَّاسِ (١)
لاَتَقْتُلِي النَّفْسَ إِذْ حَانَتْ مَنِيَّتُهُ
فِي طَاعَةِ اللهِ يَوْمَ الرَّوْعِ وَالْبَاسِ (٢)
قَدْ كَانَ حَمْزَةُ لَيْثَ اللهِ فَاصْطَبِرِي
فَذَاقَ يَوْمَئِذٍ مِنْ كَأْسِ شَمَّاسِ

وقالت هِنْدُ بنت عُتْبَة حين انصرف المشركون عن أُحد :— كلمة لهند بنت عتبة

رَجَعْتُ وَفِي نَفْسِي بَلاَبِلُ جَمَّةٌ
وَقَدْ فَاتَنِي بَعْضُ الَّذِي كَانَ مَطْلَبِي (٣)
مِنَ أُصْحَابِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ
بَنِي هَاشِمٍ مِنْهُمْ وَمِنْ أَهْلِ يَثْرِبِ
وَلٰكِنَّنِي قَدْ نِلْتُ شَيْئاً وَلَمْ يَكُنْ
كَمَا كُنْتُ أَرْجُو فِي مَسِيرِي وَمَرْكَبِي

قال ابن هشام : وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر قولها :—

* وَقَدْ فَاتَنِي بَعْضُ الَّذِي كَانَ مَطْلَبِي *

وبعضهم ينكرها لهند ، والله أعلم

---

(١) اقنى حياءك : يريد حافظي عليه ولا تخرجي عنه ، وليكن مدخراً عندك بمنزلة القنية

(٢) حانت : دنت وجاء وقتها ، والمنية : الموت ، والروع : الفزع والخوف ، والباس : الشجاعة

(٣) البلابل : الأحزان ، وجمة : أي كثيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر يوم الرَّجيع في سنة ثلاث

قال : حدثنا أبو محمد عبدُ الملك بن هشام ، قال : حدثنا زِيَادُ بن عبد الله الْبَكَّائِيُّ ، عن محمد بن إسحق المطلبي ، قال :

قدوم رهط من عضل والقارة على رسول الله

حدثني عاصم بن عُمَرَ بن قَتَادَةَ ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أُحُدٍ رَهْطٌ من عَضَل والْقَارَة

قال ابن هشام : عَضَلٌ وَالْقَارة : من الْهَوْن بن خُزَيمة بن مُدْرِكة

[قال ابن هشام] : ويقال : الهُون [بضم الهاء]

مطلبهم أن يرسل معهم من يعلمهم

قال ابن إسحق : فقالوا : يارسولَ الله ، إنَّ فينا إسلاما ، فابْعَثْ معنا نَفَرًا من أصحابك يُفَقِّهُونَنَا فى الدين ، ويُقْرِئوننا القرآن ، ويُعَلِّمُونَنَا شرائع الاسلام ؛ فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نَفَرًا ستةً (١) من أصحابه ، وهم مَرْثَد بن أبي مَرْثَد الْغَنَوِيُّ حليفُ حمزة بن عبد المطلب ، وخالد بن الْبُكَير اللَّيْثِيُّ حليف بنى عدى بن كعب ، وعاصِمُ بن ثابت ابن أبي الأقلح أخو بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وخُبَيْب ابن عَدِيّ أخو بنى جَحْجَبَى بن كُلْفَةَ بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدَّثِنَّة بن معاوية أخو بنى بَيَاضة بن عمرو (٢) بن زُرَيْق [بن عبد حارثة بن

أسماء النفر الذين أرسلهم رسول الله مع الرهط

---

(١) جزم ابن سعد بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل معهم عشرة رجال ، وزاد على من ذكرهم ابن إسحق معتب بن عبيد ، ولم يسم باقيهم ، وفى سيرة موسى بن عقبة ذكر الستة الذين ذكرهم بن إسحق وزاد عليهم مغيث بن عوف ، قال الحافظ ابن حجر : ولعل الثلاثة الآخرين كانوا أتباعا فلم يحصل الاعتناء بتسميتهم . اه من الزرقانى على المواهب

(٢) فى نسخة «عامر»

مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج] وعَبْدُ الله بن طارق حليف بنى ظَفَر [بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس] وأَمَّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مَرْثَد بن أبى مرثد الْغَنَوى ، فخرج مع القوم حتى إذا كانوا على الرَّجيع — ماء لهُذَيل بناحية الحجاز — على صدر الهَدْأة (١) غدَرُوا بهم، فاستصرخوا (٢) عليهم هُذَيلا ، فَلَمْ يَرُعِ القومَ — وهم فى رحالهم — إلا الرجالُ بأيديهم السيوف قد غَشُوهُم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم ، فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم ، فأما مرثد ابن أبى مرثد وخالد بن الْبُكَيْر وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عَهْدًا ولا عَقْداً أبدا ، فقال عاصم بن ثابت : —

---

(١) الهدأة - بفتح الهاء وسكون الدال وبعدها همزة - اسم موضع بين عسفان ومكة على سبعة أميال من عسفان ، وقد ذكر ذلك الموضع فى مقتل عاصم أحد هؤلاء النفر ، وهكذا وقع مضبوطا فى نسخ الأصل ، ولكن وقع فى شرح أبى ذر : « الهدة يروى ههنا بتخفيف الدال وتشديدها ، وهو اسم موضع ، قال ابن السراج : أراد الهدأة فنقل الحركة ، فهو مخفف على هذا » اه والذى يؤخذ من مراجعة ياقوت أن الهدة - بدون همز - موضع آخر غير الهدأة - بهمزة بعد الدال - فانه ذكر الهدة بتخفيف الدال والهدة بتشديدها والهدأة بالهمز، وأفرد لكل واحد من هذه الثلاثة ترجمة ، وقال فى أحد المواضع « وقال أبو حاتم : يقال لموضع بين مكة والطائف الهدة بغير ألف ، وهو غير الهدأة ، وذكر معه لنفى الوهم » اه ، وقال الزرقانى : « الهدأة : بفتح الهاء ، قال الحافظ . وسكون الدال بعدها همزة مفتوحة ، لأكثر الرواة ، وللكشميهنى بفتح الدال وتسهيل الهمزة وعند ابن إسحاق بالهدة بتشديد الدال بغير ألف » اه

(٢) استصرخوا عليهم هذيلا : استغاثوا بهذيل ليعينوهم عليهم

مَا عِلَتِي وَأَنَا جَلْدٌ نَابِلُ ... وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌ عُنَابِلُ (١)
تَزِلُّ عَنْ صَفْحَتِهَا الْمَعَابِلُ ... الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلُ (٢)
وَكُلُّ مَاحَمَّ الْإِلٰهُ نَازِلُ ... بِالْمَرْءِ وَالْمَرْءُ إِلَيْهِ آئِلُ (٣)
إِنْ لم أُقَاتِلْكُمْ فَأُمِّى هَابِلُ (٤)

قال ابن هشام : هابل : ثاكل

وقال عاصم [بن ثابت] أيضا : —

أَبُو سُلَيْمَانَ وَرِيشُ الْمُقْعَدِ ... وَضَالَةٌ مِثْلُ الْجَحِيمِ الْمُوقَدِ (٥)
إِذَا النَّوَاحِي افْتُرِشَتْ لَمْ أُرْعَدُ ... وَمُجْنَأٌ مِنْ جِلْدِ ثَوْرٍ أَجْرَدِ (٦)
وَمُؤْمِنٌ بِمَا عَلَى مُحَمَّدِ

---

(١) النابل : صاحب النبل ، ويروى فى مكانه « بازل » ومعناه قوى شديد ، وعنابل : غليظ شديد

(٢) المعابل : جمع معبلة ، وهو نصل عريض طويل

(٣) حم الآلة : قدره ، وهو ههنا مبنى للمعلوم كما هو فى قول الشاعر :—

* وَلَيْسَ لِأَمْرٍ حَمَّهُ اللهُ رَاجِــع *

وآئل : اسم فاعل من آل الشىء يؤول ، بمعنى رجع يرجع

(٤) هابل : فاقد وثاكل ، تقول : هبلته أمه ، أى ثكلته وفقدته ، يدعو على نفسه بالموت إن لم يقاتلهم

(٥) ريش : يروى بكسر الراء وبفتحها ؛ فأما من رواه بكسر الراء فهو جمع ريشة ، وأما من رواه بفتح الراء فهو مصدر قولهم : راش سهمه يريشه والمقعد : لقب رجل كان يريش النبال ، والضالة : شجرة تصنع منها القسى والسهام ، وأراد ههنا القوس

(٦) النواحى : يروى بالحاء مهملة وبالجيم ؛ فأما من رواه بالحاء فهو

وقال عاصم [بن ثابت] أيضا : —

أَبُو سُلَيْمانَ وَمِثْلِي رَامَا وَكَانَ قَوْمِي مَعْشَرًا كِرَامَا

وكان عاصم [بن ثابت] يكنى أبا سليمان ، ثم قاتل القوم [عاصم] حتى قُتِل وقُتِل صاحباه ، فلما قتل عاصم أرادت هُذَيْلٌ أخذ رأسه ليبيعوه من سُلافَةَ بنت سعد بن شهيد ، وكانت قد نَذَرَتْ — حين أصاب ابنيها يوم أحد — لئن قَدَرَتْ على رأس عاصم لَتَشْرَبَنَّ فى قِحْفِهِ الخمر ، فمنعته الدَّبْرُ [1] ، فلما حالت بينهم وبينه [الدَّبْرُ] قالوا : دَعُوهُ حتى يُمْسِى فيذهب عنه فنأخذه ، فبعث الله الوادىَ فاحتمل عاصما فذهب به ، وقد كان عاصم قد أعْطَى الله عهداً أن لا يَمَسَّهُ مشرك ولا يمس مشركا أبداً تنجسا ، فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول حين بلغه أن الدَّبْرَ منعته : يحفظ الله العبدَ المؤمن ، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدًا فى حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته

عاصم بن ثابت حمى الدبر

وأما زيد بن الدَّثِنَّة وخُبَيْب بن عَدِىّ وعبد الله بن طارق فَلاَنُوا ورَقّوا ورغبوا فى الحياة ، فأعْطَوْا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظَّهْرَان انتزع عبدُ الله بن طارق يده

جمع ناحية ؛ وأراد من افتراش النواحى عمرانها وكثرة من فيها ، وأما من رواه بالجيم فهو جمع ناجية ، وهى الناقة السريعة ، وأراد من افتراشها ركوبها وقوله « لم أرعد » هو بالبناء للمجهول ، ومعناه لم أخف ولم أفزع ، ومجنأ يروى بالحاء المهملة وبالجيم ؛ فأما من رواه بالحاء فقد أراد به قوسافيه انحناء وأما من رواه بالجيم فهو الترس الذى لا حديد به ، وهو على كل من الروايتين بضم الميم وسكون ما بعدها وفتح النون وآخره همزة ، والأجرد : الأملس

(١) الدبر — بفتح الدال وسكون الباء الموحدة — اسم لجماعة النحل

من الْقِرَان (١) ثم أخذ سَيْفَه واستأخر عنه القوم فَرَمَوْهُ بالحجارة حتى قتلوه فَقَبْرُهُ [رحمه الله] بالظَّهْرَان (٢) وأما خُبَيْب بن عدى و زيد بن الدَّثِنَّة فقدموا بهما مكة

قال ابن هشام : فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة

قال ابن إسحق : فابتاع خُبَيْبًا حُجَيْرُ بن أبى إهاب التميمى حليف بنى نوفل لعُتْبَةَ بن الحرث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب أخا الحرث ابن عامر لأمه ، ليقتله بأبيه

قال ابن هشام : الحرث بن عامر : خال أبى إهاب ، وأبو إهاب : أحد بنى أُسَيْد بن عمرو بن تميم ، و يقال : أحد بنى عُدَس بن زيد بن عبد الله ابن دارم من بنى تميم

مقتل زيد بن الدثنة

قال ابن إسحق : وأما زيد بن الدَّثِنَّة فابتاعه صَفْوَان بن أمية ليقتله بأبيه أُمَيَّةَ بن خلف ، و بعث به صَفْوان بن أميـة مع مولى يقال له : نَسْطَاس ، إلى التنعيم ، وأخرجوه من الحرم ليقتله ، واجتمع رَهْطٌ من قريش منهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أَنْشُدُكَ الله يازيد، أَتُحِبُّ أن محمدا عندنا الآن فى مكانك نضرب عنقه وأنك فى أهلك ؟ قال : والله ماأحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شَوْكة تؤذيه وأنى جالس فى أهلى ، قال: يقول أبو سفيان : مارأيت من

---

(١) القران - بزنة كتاب - الحبل الذى يربط به الأسير ، وأصل تسميته بذلك لأن الأسرى كانوا يقرنون بعضهم إلى بعض فى حبل واحد

(٢) الظهران - بفتح الظاء وسكون الهاء و بعد الراء المهملة ألف وآخره نون - اسم موضع

الناس أحدًا يُحبُّ أحدًا كَحُبِّ أصحاب محمد محمدًا ، ثم قتله نَسْطاس يرحمه الله

شأن خبيب بن عدى

وأما خُبَيْبُ بن عدى فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح أنه حُدِّث عن ماوِيَّةَ[١] مولاة حُجَيْر بن أبى إهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان خُبَيْب عندى ، حُبِسَ فى بيتى ، فلقد اطَّلَعْتُ عليه يوما و إن فى يده لقِطْفًا[٢] من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم فى أرض الله عنباً يؤكل

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى نجيح جميعا أنها قالت : قال لى حين حضره القتل : ابعثي إلىَّ بحديدة أتطهر بها للقتل ، قالت : فأعطيت غلاما من الحى الموسى ، فقلت له : أدخل بها على هذا الرجل البيت ، قالت : فوالله ماهو إلا أن وَلَّى الغلام بها إليه فقلت : ماذا صَنَعْتُ ؟ أصاب والله الرجل ثأره ، يقتل هذا الغلام فيكون رجلا برجل ، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال : لَعَمرك ماخافت أُمُّكَ غَدْرى حين بعثتك بهذه الحديدة إلى ، ثم خلى سبيله

قال ابن هشام : ويقال : إن الغلام ابنها

قال ابن إسحق : قال عاصم : ثم خرجوا بخُبَيْب حتى إذا جاءوا به إلى التَّنْعيم ليصلبوه قال لهم : إنْ رأيتم أنْ تَدَعُونى حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركَع ، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على

---

(١) « ماوية » بالواو والياء مشددة ، وفى بعض الروايات فى غير سيرة ابن إسحاق « مارية » براء مهملة وبعدها ياء مثناة مخففة

(٢) قطفا ـ بكسر القاف وسكون الطاء ـ العنقود ، وهو بمعنى مفعول ، لأنه قد قطف من غصنه : أى قطع

القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طوّلتُ جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة، قال: فكان خُبَيْبُ بن عَدِيّ أولَ من سنَّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين ، قال : ثم رفعوه على خشبة، فلما أوثقوه قال: اللّهمَّ إنا قد بلّغْنا رسالة رسولك فبلّغْهُ الغداةَ مايصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحْصِهِمْ عدَدًا ، وَاقتُلْهُمْ بِددًا[1] ، ولاتغادِرْ منهم أحدا ، ثم قتلوه رحمه الله ، فكان معاوية ابن أبى سفيان يقول : حضَرْتُه يومئذ فيمن حضره مع أبى سفيان ، فلقد رأيته يلقينى إلى الأرض فَرَقاً من دعوة خُبَيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذ دُعِيَ عليه فاضطجع لجنبه زلّتْ عنه

قال ابن إسحق: وحدثنى يحيى بن عَبَّاد بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عقبة بن الحرث ، قال : سمعته يقول : ما أنا والله قتلت خُبَيْبا لأنَا كُنْتُ أصغر من ذلك ، ولكنَّ أبا مَيْسَرَةَ أخابنى عبد الدار أخذ الحربة فجعلها فى يدى ثم أخذ بيدى و بالحربة ثم طعنه بها حتى قتله

قال ابن إسحق : وحدثنى بعض أصحابنا ، قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل سعيد بن عامر بن حِذْيَم الجُمَحى على بعض الشام فكانت تصيبه غَشْيَةٌ وهو بين ظَهْرَى القوم ، فذُكر ذلك لعمر بن الخطاب ، وقيل : إن الرجل مصاب ، فسأله عمر رضى الله عنه فى قَدْمَةٍ قَدِمها عليه ، فقال : ياسعيد ، ما هذا الذى يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين مابى من بأس ، ولكنّى كنت فيمن حضر خُبَيْبَ بن عَدِيٍّ حين قتل وسمعتُ دَعْوَتَه ، فو الله ما خطرت على قلبى وأنا فى مجلس قط إلا غُشِيَ علىَّ ، فزادته عند عمر رضى الله عنه خيرا

---

(١) بددا — بكسر الباء وفتح الدال — جمع بدة — بكسر الباء — وهى الفرقة ويصح فى قوله « بددا » أن يكون بفتح الباء مصدرا، ومعناه التبدد أى التفرق

قال ابن هشام : أقام خُبَيْبٌ رضى الله عنه فى أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم ، ثم قتلوه

قال ابن إسحق : وكان مما نزل من القرآن فى تلك السرية ، كما حدثنى مولًى لآل زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : قال ابن عباس : لما أُصيبت السَّرِيَّة التى كان فيها مَرْثَد وعاصم بالرَّجيع قال رجال من المنافقين : ياوَيْحَ هؤلاء المَفْتُونين الذين هلكوا هكذا ، لا هُمْ قعدُوا فى أهليهم ، ولا هُمْ أدَّوْا رسالة صاحبهم ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول المنافقين وما أصاب أولئك النفر من الخير الذى أصابهم فقال سبحانه : (٢ : ٢٠٤ — ٢٠٧) (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أى : لما يظهر من الاسلام بلسانه (وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِى قَلْبِهِ) وهو مخالف لما يقوله بلسانه (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) أى : ذو جدال إذا كلمك وراجعك

قال ابن هشام : الألد : الذى يَشْغَبُ فتشتد خصومته ، وجمعه لُدٌّ ، [وفى كتاب الله عز وجل (١٩ : ٩٧) : (وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا)] ، وقال المهلهل بن ربيعة التغلبى ، واسمه امرؤ القيس ، ويقال عدى بن ربيعة :—

إِنَّ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَدًّا وَلِينًا ... وَخَصِيمًا أَلَدَّ ذَا مِعْلَاقِ (١)

ويروى « ذَا مِغْلَاقٍ » فيما قال ابن هشام ، وهذا البيت فى قصيدة له ، وهو الألندد ، قال الطِّرِمَّاح بن حكيم الطائى يصف الحِرْبَاء : —

---

(١) حدا : معناه حدة ، وهى الشدة ، يريد أنه شديد قاس حديد القلب على أعدائه ، ولين هادىء وادع الخلق على أوليائه ، ويروى فى مكان ذلك قوله « إن تحت التراب حزما وجودا » والألد : الشديد الخصومة ، وقوله « ذامعلاق » يروى بالغين المعجمة وبالعين المهملة كما ذكر ابن هشام ،

يُوفِي عَلَى جِذْمِ الْجُذُولِ كَأَنَّهُ خَصْمٌ أَبَرَّ عَلَى الْخُصُومِ أَلَنْدَدُ (١)

وهذا البيت فى قصيدة له

(وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِى الْأَرْضِ) [قال ابن إسحق : حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال :] أى خرج من عنـدك سَعَى فِى الْأَرْضِ (لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ) أى : لا يحب عمله ولا يرضاه (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) أى : قد شَرَوْا أنفسهم من الله بالجهاد فى سبيله والقيام بحقه حتى هلـكوا على ذلك ، يعنى تلك السَّرِيَّة

قال ابن هشام : يشرى نفسه : يبيع نفسه ، وشَرَوْا : باعوا ، قال يزيد [ابن ربيعة] بن مُفَرِّغٍ الْحِمْيَرِىُّ : —

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِى مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَهْ (٢)

فأما من رواه بالغين المعجمة فانما عنى به أنه يغلق على خصمه أبواب الحجة فلا يمكنه أن يتكلم

(١) يوفى : يشرف ، والجذم : الأصل أو القطعة من الشىء ، والجذول : جمع جذل ، وهو الأصل ، وأبر : زاد وظهر عليهم ، ويروى فى مكانه «أبن» بالنون ، ومعناه أقام أو لم يفهم الخصومة ، تقول : أبن الرجل بالمكان إذا أقام به ولم يرتحل عنه ، والحرباء : دويبة تصعد على أعلى الشجر وتدور مع الشمس حيثما دارت

(٢) قوله « من بعد برد » يروى فى مكانه « من قبل برد » وبرد : بضم فسكون ، والهامة : الطائر الذى تزعم العرب أنه يخرج من رأس

برد : غلام له باعه ، وهذا البيت فى قصيدة له

وشرى أيضا : اشترى ، قال الشاعر : —

فَقُلْتُ لَهَا لاَ تَجْزَعِي أُمَّ مَالِكٍ عَلَى ابْنَيْكِ إِنْ عَبْدٌ لَئِيمٌ شَرَاهُمَا

قال ابن إسحق : وكان مما قيل فى ذلك من الشعر قول خُبَيْبِ بن عَدِيٍّ يرحمه الله حين بلغه أن القوم قد أجمعوا لصلبه

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له : —

قصيدة لخبيب بن عدى حين قدم للقتل

لَقَدْ جَمَّعَ الْأَحْزَابُ حَوْلِي وَأَلَّبُوا
قَبَائِلَهُمْ وَاسْتَجْمَعُوا كُلَّ مَجْمَعِ (١)
وَكُلُّهُمُ مُبْدِي الْعَدَاوَةِ جَاهِدٌ
عَلَيَّ لِأَنِّي فِي وِثَاقٍ مُضَيَّعِ (٢)
وَقَدْ جَمَعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ
وَقُرِّبْتُ مِنْ جِذْعٍ طَوِيلٍ مُمَنَّعِ
إِلَى اللهِ أَشْكُو غُرْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي
وَمَا أَرْصَدَ الْأَحْزَابُ لِي عِنْدَ مَصْرَعِي (٣)

القتيل فلا يزال يصيح بقوله : اسقونى حتى يؤخذ له بثأره ، و أراد ليته كان قدمات قبل أن يبيع بردا ، وهذا كناية عن شدة تعلقه به وجزعه على فراقه وحزنه لمغادرته

(١) ألبوا ـ بتشديد اللام ـ معناه جمعوا ، تقول : ألبت القوم على فلان إذا جمعتهم عليه وحضضتهم وحرشتهم به ، فتألبوا : أى اجتمعوا ، ومجمع ـ فى آخر البيت ـ مكان الاجتماع ، وانتصب كل على الظرفية

(٢) مبدى العداوة : مظهرها ، وجاهد : مجتهد فى إيذائه ، والوثاق ما يربط به الأسير

(٣) أرصد : أعد وهيأ ، والأحزاب : الجماعات ، واحدهم حزب ، ومصرعى : المكان أصرع فيه : أى أقتل

فَذَا الْعَرْشِ صَبِّرْنِي عَلَى مَا يُرَادُ بِي
فَقَدْ بَضَعُوا لَحْمِي وَقَدْ يَاسَ مَطْمَعِي (١)

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ
يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ (٢)

وَقَدْ خَيَّرُونِي الْكُفْرَ وَالْمَوْتُ دُونَهُ
وَقَدْ هَمَلَتْ عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مَجْزَعِ (٣)

ومَابِي حِذَارُ الْمَوْتِ إِنِّي لَمَيِّتٌ
وَلَكِنْ حِذَارِي جَحْمُ نَارٍ مُلَفَّعِ (٤)

فَوَاللهِ مَا أَرْجُو إِذَا مُتُّ مُسْلِمًا
عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي (٥)

---

(١) بضعوا : قطعوا ، والبضعة من اللحم : القطعة منه ، وقوله «ياس» معناه يئس

(٢) الأوصال : المفاصل أو مجتمع العظام ، والشلو ـ بكسر الشين وسكون اللام ـ البقية ، والممزع : المقطع

(٣) هملت عيناى : سال دمعهما ، والمجزع : مصدر ميمى بمعنى الجزع ، وهو الخوف

(٤) الجحم : الملتهب المتقد ، ومنه سميت النار جحيما ، والملفع : المشتمل ومنه قولهم : تلفع بثوبه ، إذا اشتمل به

(٥) يروى فى مكان صدر هذا البيت قوله « ولست أبالى حين أقتل مسلما » وأرجو فى هذا الموضع بمعنى أخاف ، وقد حمل كثير من المفسرين على ذلك قول الله تعالى : (ما لكم لا ترجون لله وقارا) أى : لا تخافون

فَلَسْتُ بِمُبْدٍ لِلْعَــــدُوِّ تَخَشُّعًا
وَلاَ جَزَعًا إِنِّى إِلَى اللهِ مَرْجِعِى (١)

وقال حسان بن ثابت يبكى خُبَيْباً : —

قصيدة لحسان بن ثابت يرثى فيها خبيبا

مَابَالُ عَيْنَيْـكَ لاَ تَرْقَا مَـدَامِعُهَا
سَحًّا عَلَى الصَّدْرِ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ الْقَلِقِ (٢)
عَلَى خُبَيْبٍ فَتَى ٱلْفِتْيَانِ قَدْ عَلِمُوا
لاَفَشِلٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَلاَ نَزِقِ (٣)
فَاذْهَبْ خُبَيْبُ جَزَاكَ اللهُ طَيِّبَةً
وجَنَّةَ الْخُلْدِ عِنْدَ الْحُورِ فِى الرُّفَقِ (٤)
مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِىُّ لَكُمْ
حِينَ الْمَلاَئِكَةُ الْأَبْرَارُ فِى الْأُفُقِ

---

(١) تخشعا : تذللا ، ومنه قول شاعر الحماسة : —

فَلاَ تَحْسَبِي أَنِّى تَخَشَّعْتُ بَعْدَكُمْ لشىء ، وَلاَ أَنِّى منَ القَيْدِ أَفْرَق

ومرجعى : مصدر ميمى بمعنى الرجوع

(٢) « عينيك » يروى فى مكانه « عينك » بالافراد ، وهو أنسب بقوله «مدامعها » ؛ وقوله « لا ترقى» أصله لا ترقأ - بالهمز - فسهل الهمزة وتقول : رقأ الدمع يرقأ ، إذا انقطع ، وسحا : مصدر بمعنى الصب ، واللؤلؤ: كبار الجوهر ، والقلق - بفتح القاف وكسر اللام - المضطرب المتحرك المتساقط

(٣) الفشل - بفتح الفاء وكسر الشين - الضعيف القوة الجبان ، والنزق - بفتح النون وكسر الزاى - السىء الخلق

(٤) الحور فى الأصل : جمع حوراء ، وهى التى اشتد سواد سواد عينها واشتد بياض بياضها ، والرفق : يروى بضم الراء والفاء جميعا ، فهو جمع رفيق ، قاله أبو ذر ، ويروى بضم الراء وفتح الفاء ، فهو جمع رفقة ، والرفقة - بسكون الفاء وراؤه مثلثة - اسم للجماعة الذين ترافقهم ويرافقونك

فِيمَ قَتَلْتُمْ شَهِيدَ اللهِ فى رَجُلٍ

طَاغٍ قَدْ أَوْعَثَ فِى الْبُلْدَانِ وَالرُّفَقِ (١)

قال ابن هشام : ويروى « الطُّرُقِ » وتركنا ما بقى منها لأنه أقذع فيها .

قال ابن إسحق : وقال حسان [بن ثابت] أيضا يبكى خُبَيْبًا : —

قصيدة أخرى لحسان يرثى فيها خبيبا

يَاعَيْنُ جُودِى بِدَمْعٍ مِنْكِ مُنْسَكِبِ

وَابْكِى خُبَيْبًا مَعَ الْفِتْيَانِ لَمْ يَؤُبِ (٢)

صَقْراً تَوَسَّطَ فِى الْأَنْصَارِ مَنْصِبُهُ

سَمْحَ السَّجِيَّةِ مَحْضًا غَيْرَ مُؤْتَشِبِ (٣)

قَدْ هَاجَ عَيْنِى عَلَى عِلاَّتِ عَبْرَتِهَا

إِذْ قِيلَ نُصَّ إِلَي جِذْعٍ مِنَ الْخَشَبِ (٤)

---

(١) أوعث : اشتد فساده ، والرفق : قد مضى فى تفسير البيت السابق ؛ وتكراره ههنا يعتبر من عيوب الشعر ، ولهذا بادر ابن هشام بقوله «ويروى فى الطرق »

(٢) منسكب : سائل ، ولم يؤب : لم يعد ولم يرجع

(٣) سمح : سهل لين ، والسجية : الطبيعة والخلق ، والمحض : الخالص وأراد خلوص نسبه من الشوائب ، وذلك بدليل قوله « غير مؤتشب » أى غير مختلط

(٤) علات : مشقات ، والعبرة : الدمعة ، ونص : رفع ؛ ومنه النص فى السير ، وهو أرفع أنواع السير

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْغَادِي لِطِيَّتِهِ
أَبْلِغْ لَدَيْكَ وَعِيدًا لَيْسَ بِالْكَذِبِ(١)

بَنِي كُهَيْنَةَ إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ لَقِحَتْ
مَحْلُوبُهَا الصَّابُ إِذْ تُمْرَى لِمُحْتَلِبِ(٢)

فِيهَا أُسُودُ بَنِي النَّجَّارِ تَقْدُمُهُمْ
شُهْبُ الْأَسِنَّةِ فِي مُعْصَوْصِبٍ لَجِبِ(٣)

قال ابن هشام : وهذه القصيدة مثل التى قبلها ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان ؛ وقد تركنا أشياء قالها حسان فى أمر خُبَيْب لما ذكرت .

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

قصيدة ثالثة لحسان يرثى فيها خبيبا

لَوْ كَانَ فِي الدَّارِ قَرْمٌ مَاجِدٌ بَطَلٌ
أَلْوَى مِنَ الْقَوْمِ صَقْرٌ خَالُهُ أَنَسُ(٤)

---

(١) الطية : ما انطوت عليه نيتك من الجهة التى تريد أن تتوجه إليها ، والوعيد : التهديد

(٢) بنو كهينة وفى بعض النسخ كهية ـ بالباء فى مكان النون ـ وهذا كما يقال : بنو ضوطرى ، وبنو درزة ، وكل ذلك يقصد به السب ويعبر به عن السفلة من الناس ، وأصل كهية من الكهبة ، وهى الغبرة ، وقد قالوا : بنو الغبراء لقبيلة ، ولقحت الحرب : ازداد شرها وعظم أمرها ، ومحلوبها : أى اللبن الذى يحلب منها ، والصاب : العلقم ، وتمرى : تمسح أضراعها لتحلب ، شبه الحرب بناقة قد صارت لاقحا ثم مضى فى البيت كله على هذا التشبيه

(٣) المعصوصب : الجيش الكثير ، واللجب : الكثير الأصوات

(٤) أصل القرم ، الفحل من الابل ، وأراد منه ههنا الرجل السيد ، والماجد : الشريف ، والبطل : الشجاع ، وألوى : شديد الخصومة

إِذَنْ وَجَدْتَ خُبَيْبًا مَجْلِساً فَسِحًا
وَلَمْ يُشَدَّ عَلَيْكَ السِّجْنُ وَالْحَرَسُ (١)
وَلَمْ تَسُقْكَ إِلَى التَّنْعِيمِ زِعْنِفَةٌ
مِنَ الْقَبَائِلِ مِنْهُمْ مَنْ نَفَتْ عُدَسُ (٢)
دَلَّوْكَ غَدْراً وَهُمْ فِيهَا أُولُو خُلُفٍ
وَأَنْتَ ضَيْمٌ لَهَا فِي الدَّارِ مُحْتَبَسُ (٣)

قال ابن هشام : أَنسٌ : الأصمُّ السُّلَمِىُّ خالُ مُطْعِمِ بن عَدِىٍّ بن نَوْفل بن عبد مناف ، وقوله « من نَفَتْ عُدَس » يعنى حُجَيْر بن أَبى إهاب ، ويقال : الأعشى بن زُرارة بن النَّبَّاش الأسدى ، وكان حليفا لبنى نوفل بن عبد مناف

قال ابن إسحق : وكان الذين أَجْلَبُوا (٤) على خُبَيْب فى قتله — حين

---

(١) خبيبا : هو منادى اعترض به بين الفعل ومفعوله ، وكان من حقه أن يبنيه على الضم لأنه علم ولكنه عامله معاملة النكرة ، ومثل ذلك قول المهلهل ابن ربيعة : —

* ياعَدِيًّا لقَدْ وَقَتْكَ الْأَوَاقِى *

(٢) الزعنفة : الأتباع الذين لا شرف لهم ، وهم الذين ينتمون إلى القبائل من غير أن يكونوا من صليبتها ، وأصل الزعنفة — بكسر الزاى والنون بينهما عين مهملة ساكنة — أطراف الحيوان ، وعدس : قبيلة من تميم

(٣) دلوك : معناه غروك ، ومنه قوله تعالى : (فدلاهما بغرور) ، وقوله « أولو خلف » أصله بضم الخاء وسكون اللام فلما اضطر أتبع اللام للخاء فضمها ، وقوله « وأنت ضيم » الضيم : الذل والقهر والغلبة ، وقد أخبر به عنه على غرار قولك : محمد عدل ، وزيد ضيف ، وعلى رضا ، ونحو ذلك

(٤) أجلبوا : اجتمعوا وصاحوا

قُتِل ـ منْ قريش عِكْرِمَةَ بن أبى جهل ، وسعيد بن عبد الله بن أبى قيس بن عبد وُدّ ، والأخنس بن شَرِيق الثَّقَفِيّ حليف بنى زُهْرَة ، وعبيدة بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوْقَص السُّلَمِيُّ حليف بنى أمية بن عبد شمس ، وأمية بن أبى عُتْبة ، وبنو الحَضْرَمِيّ

وقال حَسَّان أيضا يهجو هُذَيْلاً فيما صنعوا بِخُبَيْبِ بن عَدِيّ : —

كلمة لحسان بن ثابت يهجو فيها هذيلا

أَبْلِغْ بَنِي عَمْرٍو بِأَنَّ أَخَاهُمُ
شَرَاهُ امْرُؤٌ قَدْ كَانَ لِلْغَدْرِ لَازِمَا (١)

شَرَاهُ زُهَيْرُ بْنُ الْأَغَرِّ وَجَامِعٌ
وَكَانَا جَمِيعًا يَرْكَبَانِ الْمَحَارِمَا (٢)

أَجَرْتُمْ فَلَمَّا أَنْ أَجَرْتُمْ غَدَرْتُمُ
وَكُنْتُمْ بِأَكْنَافِ الرَّجِيعِ لَهَاذِمَا (٣)

فَلَيْتَ خُبَيْبًا لَمْ تَخُنْهُ أَمَانَةٌ وَلَيْتَ خُبَيْبًا كَانَ بِالْقَوْمِ عَالِمًا

---

(١) بنى عمرو : يريد بهم بنى عمرو بن عوف قوم خبيب ، وأخاهم : أراد به خبيا ، وشراه : باعه ، وهو من الأضداد ، وقد مضى قريبا استشهاد ابن هشام على استعماله فى هذا المعنى

(٢) المحارم : جمع محرم وهو الأمر المحظور إتيانه

(٣) لهاذما : تروى هذه الكلمة بالذال المعجمة ، وبالزاى ، فمن رواه بالذال المعجمة فانما أراد به الشجعان ، ومنه يقال : سيف لهذم ، إذا كان قاطعا ، يعيرهم بأنهم خرجوا بقضهم وقضيضهم على جماعة قليلة العدد قد أجاروهم فأمنوا لهم ، فتشاجعوا عليهم ، ومن رواه بالزاى فانما أراد به أنهم جبناء ضعفاء ، وأصل اللهزمة بضيعة فى أصل الحنك ، ومنه قول الشاعر : وأنشده سيبويه : ـ

قال ابن هشام : زهير [بن الأغر] وجامع الهذليان اللذان باعا خبيبا

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت أيضا :—

كلمة أخرى لحسان يهجو فيها بنى لحيان بطن من هذيل

إِنْ سَرَّكَ الْغَدْرُ صِرْفًا لَامِزَاجَ لَهُ
فَأْتِ الرَّجِيعَ فَسَلْ عَنْ دَارِ لَحْيَانِ (١)

قَوْمٌ تَوَاصَوْا بِأَكْلِ الْجَارِ بَيْنَهُمُ
فَالْكَلْبُ وَالْقِرْدُ وَالْإِنْسَانُ مِثْلَانِ

لَوْ يَنْطِقُ التَّيْسُ يَوْمًا قَامَ يَخْطُبُهُمْ وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَانِ

قال ابن هشام : وأنشدنى أبو زيد الأنصارى قوله :

لَوْ يَنْطِقُ التَّيْسُ يَوْمًا قَامَ يَخْطُبُهُمْ
وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَانِ

قال ابن إسحق : وقال حسان [بن ثابت] أيضا يهجو هذيلا : —

حسان أيضا يهجو هذيلا

سَالَتْ هُذَيْلٌ رَسُولَ اللهِ فَاحِشَةً
ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا سَالَتْ وَلَمْ تُصِبِ (٢)

وَكُنْتُ أَرَي زَيْداً كَمَا قِيلَ سَيِّدًا إِذَا أَنَّهُ عَبْدُ الْقَفَا وَاللَّهَازِمِ

و إنما وصفهم بالجبن على حقيقة حالهم ، فان الذى يعدو على هذه الصورة لا يكون شجاعا و إن غلب

(١) صرفا : خالصا من كل شىء ، وقد أكده بقوله «لا مزاج له» والرجيع: اسم مكان ، ولحيان : هو بكسر اللام أو بفتحها ، وهو ابن هذيل بن مدركة ابن الياس بن مضر ، وزعم الهمدانى النسابة أن أصل بنى لحيان من بقايا جرهم وأنهم دخلوا فى هذيل فنسبوا إليهم

(٢) « سالت » أراد سألت ، فخفف الهمزة بقلبها ألفا ، وقد تقول العرب : سال يسال ـ وهم يعنون سأل يسأل ـ وأراد بقوله « سالت

سَالُوا رَسُولَهُمُ مَالَيْسَ مُعْطِيَهُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ وَكَانُوا سُبَّةَ الْعَرَبِ

وَلَنْ تَرَى لِهُذَيْلٍ دَاعِيًا أَبَدًا
يَدْعُو لِمَكْرُمَةٍ عَنْ مَنْزِلِ الْحَرَبِ (١)

لَقَدْ أَرَادُوا خِلَالَ الْفُحْشِ وَيْحَهُمُ
وَأَنْ يُحِلُّوا حَرَامًا كَانَ فِي الْكُتُبِ (٢)

وقال حسان بن ثابت [أيضا] يهجو هُذَيْلاً : —

قصيدة أخرى لحسان ابن ثابت يهجو فيها هذيلا

لَعَمْرِي لَقَدْ شَانَتْ هُذَيْلَ بْنُ مُدْرِكٍ
أَحَادِيثُ كَانَتْ فِي خُبَيْبٍ وَعَاصِمِ (٣)

أَحَادِيثُ لِحْيَانٍ صَلُوا بِقَبِيحِهَا وَلِحْيَانُ جَرَّامُونَ شَرَّ الْجَرَائِمِ (٤)

أُنَاسٌ هُمُ مِنْ قَوْمِهِمْ فِي صَمِيمِهِمْ
بِمَنْزِلَةِ الزِّمْعَانِ دُبْرَ الْقَوَادِمِ (٥)

رسول الله فاحشة » التنديد بهذيل ، لأنها حين أرادت الاسلام طلبت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحل لها الزنى ، فهو يعيرهم بذلك ، ويروى « ذلت هذيل »

(١) الحرب — بفتح الحاء والراء — السلب ، تقول : حرب فلان ، إذا سلب .

(٢) الخلال — بكسر الخاء — الخصال

(٣) شانت : قبحت وعابت ، وكانت شينا لهم وعاراً عليهم

(٤) صلوا بقبيحها : أى أصابهم شرها ، وتقول : صلى النار يصلاها — مثل رضى يرضى — إذا أصابه حرها ، وجرامون : كاسبون ، ويروى فى مكانه «ركابون» والجرائم : جمع جريمة ، وهى الذنب والاثم

(٥) صميم القوم : خالصهم فى نسبه ، والزمعان : جمع زمع ، وهو

هُمُ غَدَرُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ وَأَسْلَمَتْ
أَمَانَتُهُمْ ذَاعِفَةٍ وَمَكَارِمِ
رَسُولَ رَسُولِ اللهِ غَدْرًا وَلَمْ تَكُنْ
هُذَيْلٌ تَوَقَّى مُنْكَرَاتِ الْمَحَارِمِ
فَسَوْفَ يَرَوْنَ النَّصْرَ يَوْمًا عَلَيْهِمُ
بِقَتْلِ الَّذِى تَحْمِيهِ دُونَ الْحَرَائِمِ (١)
أَبَابِيلُ دَبْرٍ شُمَّسٍ دُونَ لَحْمِهِ
حَمَتْ لَحْمَ شَهَّادٍ عِظَامَ الْمَلَاحِمِ (٢)
لَعَلَّ هُذَيْلاً أَنْ يَرَوْا بِمُصَابِهِ
مَصَارِعَ قَتْلَى أَوْمَقَامًا لِمَاتَمِ (٣)

الشعر الذى يكون فوق الرسغ من الدابة وغيرها ، ودبر : أى خلف ، والقوادم : يعنى بها اليدين لأنها تقدم الرجلين ، يقول : إن بنى لحيان وإن كانوا من صميم هذيل ولبابها وخالص نسبها إذا قيسوا بغيرهم كانوا بمنزلة هذا الشعر حقارة ، وكانوا متخلفين لا يتقدمون

(١) « بقتل الذى تحميه ـ الخ البيتين » أراد به عاصم بن أبى الأقلح الذى حمته الدبر ، ودون الحرائم : أى دون أن يمسه أحد

(٢) أبابيل : الجماعات ، يقال : واحدها إبول كعجول، ويقال : لا واحد لها ، والدبر ـ بفتح الدال وسكون الباء ـ اسم لجماعة النحل ، والشمس : المدافعة ، والملاحم : جمع ملحمة ، وهى المكان الذى يلتحم فيه الفريقان المتحاربان ، وحمت : له مفعولان أحدهما لحم شهاد ، والآخر عظام الملاحم .

(٣) المأتم : جماعة النساء يجتمعن فى الخير أو فى الشر ، ولكن المراد هنا اجتماعهن فى مناحة ، وأصله مأتم ـ بالهمز ـ إلا أنه خفف الهمزة

وَنُوقِعَ فِيهِمْ وَقْعَةً ذَاتَ صَوْلَةٍ
يُوَافِي بِهَا الرُّكْبَانُ أَهْلَ الْمَوَاسِمِ (١)

بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ إِنَّ رَسُولَهُ
رَأَى رَأْيَ ذِي حَزْمٍ بِلَحْيَانَ عَالِمِ

قُبَيِّلَةٌ لَيْسَ الْوَفَاءُ يَهُمُّهُمْ
وَإِنْ ظُلِمُوا لَمْ يَدْفَعُوا كَفَّ ظَالِمِ (٢)

إِذَا النَّاسُ حَلُّوا بِالْفَضَاءِ رَأَيْتَهُمْ
بِمَجْرَى مَسِيلِ الْمَاءِ بَيْنَ الْمَخَارِمِ (٣)

مَحَلُّهُمُ دَارُ الْبَوَارِ وَرَأْيُهُمْ إِذَا نَابَهُمْ أَمْرٌ كَرَأْيِ الْبَهَائِمِ (٤)

وقال حسان [بن ثابت] يهجو هُذَيْلاً :—

قصيدة أخرى لحسان بن ثابت يهجو هذيلا

لَحَا اللهُ لَحْيَانًا فَلَيْسَتْ دِمَاؤُهُمْ لَنَا مِنْ قَتِيلِي غَدْرَةٍ بِوَفَاءِ (٥)

فقلبها ألفاً ليستقيم له النظم ، لأن القصيدة إذا بنيت على التأسيس كان تركه من أكبر عيوب الشعر

(١) صولة : شدة ، ويوافى : يجىء ، والركبان : جماعة ركاب الابل والمواسم : جمع موسم الحج وغيره

(٢) قبيلة : هو بالتصغير فالقاف مضمومة والباء مفتوحة والياء مشددة ، يريد أنهم لا أخلاق لهم فلاهم أوفياء ولا هم شجعان ، فان وعدوا لم يفوا ، وإن يظلمهم أحد لايدفعوا عن أنفسهم

(٣) المخارم ـ بالخاء المعجمة ـ مسايل الماء التى يخرمها السيل ، أى : يقطعها

(٤) البوار ـ بفتح الباء والواو ـ الهلاك ، ونابهم أمر : نزل بهم

(٥) لحاالله : أضعفهم وبالغ فى ضرهم ، والأصل فىذلك قول العرب :

هُمُ قَتَلُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ ابْنَ حُرَّةٍ
أخَا ثِقَةٍ فِى وُدِّهِ وَصَفَاءِ
فَلَوْ قُتِلُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ بِأَسْرِهِمْ
بِذِى الدَّبْرِ مَا كَانُوا لَهُ بِكِفَاءِ (١)
قَتِيلٌ حَمَتْهُ الدَّبْرُ بَيْنَ بُيُوتِهِمْ لَدَى أَهْلِ كُفْرٍ ظَاهِرٍ وَجَفَاءِ (٢)
فَقَدْ قَتَلَتْ لَحيَانُ أَكْرَمَ مِنْهُمُ وَبَاعُوا خُبَيْبًا وَيْلَهُمْ بِلَفَاءِ (٣)
فَأُفٍّ لِلَحْيَانٍ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
عَلَى ذِكْرِهِمْ فِى الذِّكْرِ كُلُّ عَفَاءِ (٤)

لحوت العود ، إذا قشرته ، «قتيلى غدرة» يريد من قتلوهم غدراً وهم عاصم ومرثد وخالد بن البكير ، وقد مضى ذكر ذلك ، ووفاء : يريد مكافأة ، يريد أنهم لو قتلوا بهؤلاء الثلاثة لم يف قتلهم جميعا بثأر هؤلاء

(١) بذى الدبر : هو عاصم بن ثابت الذى جمع الله حوله النحل فلم يمكنهم من حز رأسه ليأخذوه ليبيعوه من أمرأة (وهى سلافة بنت سعد) كانت نذرت أن تشرب فى قحف رأسه الخمر ، وهذا البيت فى معناه تأكيد للبيت الأول ، بل هو ها هنا يقول : إنهم جميعا لايفى قتلهم بثأر أحد الثلاثة

(٢) الدبر : جماعة النحل ، وقد ذكرنا فى شرح البيت السابق كيف حمته .

(٣) اللفاء ـ كسحاب ـ الشىء القليل الحقير اليسير ، وهو التراب أيضا ، وفى أقوال العرب : اقنع من الوفاء باللفاء

(٤) أف : كلمة تقال عند التألم من الشىء ، وعند تعذره ، والعفاء بزنة سحاب ـ التغير والدروس ، وكل عفاء : مبتدأ خبره فى قوله «على ذكرهم» يعنى أنه إذا ذكر الناس لم يذكروا لأنهم خاملون

قُبَيِّلَةٌ بِاللُّؤْمِ وَالْغَدْرِ تَعْتَزِى فَلَمْ تُمْسِ يَخْفَى لُؤْمُهَا بِخَفَاءِ(١)

فَلَوْ قُتِلُوا لَمْ تُوفِ مِنْهُ دِمَاؤُهُمْ
بَلَى إِنَّ قَتْلَ الْقَاتِلِيهِ شِفَائِي

فَإِلاَّ أَمُتْ أَذْعَرْ هُذَيْلاً بِغَارَةٍ
كَغَادِي الْجَهَامِ الْمُغْتَدِي بِإِفَاءِ(٢)

بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ يَبِيتُ لِلَحْيَانِ الْخَنَا بِفَنَاءِ

يُصَبِّحُ قَوْمًا بِالرَّجِيعِ كَأَنَّهُمْ جِدَاءُ وَشَتَّاءِينَ غَيْرَ دِفَاءِ(٣)

وقال حسان [بن ثابت] أيضا يهجو هذيلا : —

قصيدة أخرى لحسان ابن ثابت يهجو هذيلا

فَلَا وَاللهِ مَاتَدْرِي هُذَيْلٌ أَصَافٍ مَاءُ زَمْزَمَ أَمْ مَشُوبُ(٤)

وَلَا لَهُمُ إِذَا اعْتَمَرُوا وَحَجُّوا مِنَ الْحِجْرَيْنِ وَالْمَسْعَى نَصِيبُ(٥)

---

(١) تعتزى — بالعين المهمله ، وبعد التاء زاى — أى تنتسب ، ورواه بعضهم « تغترى » بالغين المعجمة ، وبعد التاء راء مهملة — ومعناه يغرى بعضهم بعضا

(٢) أذعر هذيلا : يريد أخيفهم وأفزعهم ، وتقول : ذعرته ذعرا — مثل فتح فتحا — والذعر — بزنة قفل — الاسم ، ومعناه أخفته وأفزعته ، والغادى : المبكر الذى يأتى غدوة — والجهام — بزنة سحاب — السحاب الرقيق ، والافاء — بزنة كتاب — الغنيمة ، ومنه تقول : أفاء الله عليك ، أى : أغنمك ، وقال تعالى : (ما أفاء الله على رسوله)

(٣) جداء : جمع جدى ، وهو ولد المعز ، وشتاءين دخلوا فى الشتاء ، ودفاء : من الدفء

(٤) مشوب : مخلوط ، تقول : شبت الشىء بالشىء ، إذا خلطته به

(٥) الحجرين يريد حجر الكعبة ، وهو واحد ، وإنما ثناه لأنه قصده

وَلٰـكِنَّ الرَّجِيـعَ لَهُمْ مَحَلٌّ ... بِهِ اللُّؤْمُ الْمُبَيَّنُ وَالْعُيُوبُ
كَأَنَّهُمُ لَدَى الْـكَنَّاتِ أُصْلاً ... تُيُوسٌ بِالْحِجَازِ لَهَا نَبِيبُ(١)
هُمُ غَرُّوا بِذِمَّتِهِمْ خُبَيْبًا ... فَبِئْسَ الْعَهْدُ عَهْدُهُمُ الْـكَذُوبُ

قال ابن هشام: آخرها بيتًا عن أبي زيد [الأنصارى]

قال ابن إسحق: وقال حسان [بن ثابت] يبكى خُبَيْبًا وأصحابه: —

كلمة لحسان بن ثابت يبكى فيها خبيبا واصحابه

صَلَّى الْإِلٰهُ عَلَى الَّذِينَ تَتَابَعُوا
يَوْمَ الرَّجِيعِ فَأُكْرِمُوا وَأُثِيبُوا (٢)
رَأْسُ السَّرِيَّةِ مَرْثَدٌ وَأَمِيرُهُمْ ... وَابْنُ الْبُـكَيْرِ أَمَامَهُمْ وَخَبِيبُ(٣)

مع ما حوله، ويروى «الحجرين» بفتح الحاء والجيم - وهو مثنى حجر، والمراد به الحجر الأسود مع ما حوله أيضا، أو مع الحجر الذى فيه مقام إبراهيم فغلب أحد الوزنين على الآخر، وإن لم يكن هو الأخف، والمسعى: مكان السعى، وهو ما بين الصفا والمروة

(١) الكنات جمع كنة - بفتح الكاف وتشديد النون - وهو شىء يلصق بالبيت يكن به: أى يستتر، وأصلا: جمع أصيل، وهو وقت العشى وأصله أصل بضمتين فسكن الصاد تخفيفا، والنبيب: صوت التيس، وتقول منه: نب نبيبا، وقال حسان بن ثابت:

مَا أُبَالِي أَنَبَّ بِالْحَزْنِ تَيْسٌ ... أَمْ لَحَانِى بِظَهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ

(٢) أثيبوا - بالبناء للمجهول - أثابهم الله

(٣) خبيب: هذا الاسم فى حقيقته مصغر بضم الخاء وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة، وقد جاء به ههنا مكبرا بفتح الخاء وكسر الموحدة حين اضطر إلى ذلك، ومن الناس من يرويه على أصله وذلك عيب من عيوب الشعر أن تجمع فى قافية واحدة بين ياء ساكنة مفتوح ماقبلها وياء مكسور ماقبلها كأن تجمع بين عير بفتح فسكون وأمير، وبين عين وأمين، وبين قيد وشديد، ونحو ذلك، ويسمى هذا العيب بالتوجيه، وأراد مرثد بن أبى

وَابْنٌ لِطَارِقَ وَابْنُ دَثْنَةَ مِنْهُمُ
وَافَاهُ ثَمَّ حِمَامُهُ الْمَكْتُوبُ (١)

وَالْعَاصِمُ الْمَقْتُولُ عِنْدَ رَجِيعِهِمْ كَسَبَ الْمَعَالِيَ إِنَّهُ لَكَسُوبُ (٢)
مَنَعَ الْمَقَادَةَ أَنْ يَنَالُوا ظَهْرَهُ حَتَّى يُجَالِدَ إِنَّهُ لَنَجِيبُ (٣)

قال ابن هشام : ويروى « حتى يُجدَّل إنه لنجيب »

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان

قال ابن إسحق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيةَ شوال وذا القعدة وذا الحجة [والمحرم] ، وولى تلك الحجة المشركون وقت بئر معونة

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب بئر مَعُونة فى صفر ، على رأس أربعة أشهر من أحد

مرثد ، وخالد بن البكير الليثى ، وخبيب بن عدى أحد بنى جحجبى ، وقد تقدم أمرهم وسرد نسبهم

(١) ابن لطارق : هو عبد الله بن طارق حليف بنى ظفر ، وابن دثنة : أراد زيد بن الدثنة ، وأصل ضبطه بفتح الدال وكسر الثاء المثلثة وتشديد النون ، ولكن ذلك لايقوم به وزن البيت ، فعدل عنه إلى تسكين الثاء وتخفيف النون ، ووافاه : جاءه ، وثم بفتح الثاء ـ بمعنى هناك ، والحمام ـ بكسر الحاء ـ الموت ، وقد منع صرف طارق حين اضطر إلى ذلك أيضا

(٢) العاصم : أراد به حمى الدبر عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح وكسوب ـ بفتح الكاف ـ صيغة مبالغة

(٣) المقادة : المذلة والانقياد إلى أعدائه ، ويجالد : يضارب ويقاتل بالسيف ، ومن رواه « حتى يجدل » كما ذكر ابن هشام فمعناه حتى يقع على الجدالة وهى الأرض

حديث بئر معونة

قدوم أبي براء ملاعب الأسنة على رسول الله

وكان من حديثهم — كما حدثني أبي إسحٰقُ بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعبدُ الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم وغيره من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو بَرَاء عامرُ بن مالك بن جعفر ، مُلاَعِبُ (١) الأسِنَّة ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فعرض عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ، ودعاه إليه ، فلم يسلم ، ولم يَبْعُدْ من الاسلام ، وقال : يامحمد ، لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فَدَعَوْهُمْ إلى أمرك رَجَوْتُ أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنِّي أخْشَى عَلَيْهِمْ أهْلَ نَجْدٍ » قال أبو بَرَاء : أنالهم جَارٌ ؛ فابعثهم فَلْيَدْعُوا الناس إلى أمرك

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الْمُنْذِرَ بن عمرو أخا بني

---

(١) هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وإنما سمي ملاعب الأسنة في يوم سوبان ، ويوم سوبان هذا كان يوما من أيام جبلة وهي أيام كانت بين قيس وتميم ، وجبلة : اسم لهضبة عالية ، وكان سبب تسمية عامر ملاعب الأسنة في يوم سوبان أن أخاه طفيل بن مالك (وهو الذي يلقب فارس قرزل) كان قد أسلمه في هذا اليوم وفر ، فقال في ذلك بعض الشعراء :-

فَرَرْتَ وَأَسْلَمْتَ ابْنَ أُمِّكَ عَامِراً
يُلاَعِبُ أَطْرَافَ الْوَشِيجِ الْمُزَعْزَعِ

فسمي ملاعب الرماح وملاعب الأسنة ، وكان له إخوة أربعة : أحدهم طفيل فارس قرزل ، والآخر ربيعة والد لبيد بن ربيعة وكان يلقب ربيعة المعترين ، والثالث عبيدة الوضاح ، والرابع معاوية معود الحكماء

ساعدة المُعْنِقَ ليموت [١] فى أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين : منهم الْحرثُ بن الصِّمَّة ، وحَرَام بن مِلْحَانَ أخو بنى عدى بن النجار ، وعُرْوَة بن أسماء بن الصَّلْت السُّلَمِى ، ونافع بن بُدَيْل بن وَرْقاء الخزاعى وعامر بن فُهَيْرة مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فى رجال مُسَمَّيْن من خيار المسلمين

رسول الله يرسل جماعة يدعون أهل نجد للاسلام فى جوار أبى براء

فساروا حتى نزلوا بئر معونة — وهى بين أرض بنى عامر وَحَرَّة بنى سُلَيم ، كِلاَ البلدين منها قريب ، وهى إلى حرة بنى سليم أقرب — فلما نزلوها بعثوا حَرَام بن مِلْحَان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عَدُوِّ الله عامر بن الطُّفَيْل ؛ فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عَدَا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبَوْا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه ، وقالوا : لن نُخْفِرَ [٢] أبا براء ، وقد عَقَدَ لهم عَقْدًا وجوارا ، فاستصرخ عليهم قبائل من [بنى] سليم [من] عُصَيَّة وَرِعْل وذَكْوان ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غَشُوا القوم ، فأحاطوا بهم فى رحالهم ، فلما رَأَوْهُم أخذوا سُيُوفَهم ثم قاتلوهم حتى قُتِلُوا من عند آخرهم يَرْحَمُهُم الله ، إلا كعب بن زيد أخا بنى دينار بن النجار ، فإنهم تركوه وبه رَمَقٌ ، فارتُثَّ [٣] من بين القتلى ، فعاش حتى قتل يوم الخندق شَهِيداً [يرحمه الله] ، وكان فى سَرْح القوم عمرو بن أمية الضَّمْرِىّ ورجل من الأنصار أحد بنى عمرو بن عوف

عامر بن الطفيل يقتل أحد صحاب رسول الله

---

(١) المعنق : اسم فاعل من أعنق ، إذا سار العنق ، والعنق — بفتح العين والنون — السير السريع ، وإنما لقب المنذر بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة

(٢) لن نخفر : لن ننقض عهده

(٣) ارتث — بالبناء للمجهول — رفع وبه جراح ؛ وتقول : ارتث الرجل من معوكة الحرب ، إذا أخذ منها ولا تزال فيه بقية حياة

قال ابن هشام : وهو المنذر بن محمد بن عقبة بن أُحَيْحَةَ بن الْجُلاَح

قال ابن إسحق : فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تَحُومُ على العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأناً ، فأقبلا لينظرا ؛فاذا القوم فى دمائهم ، و إذا الخيل التى أصابتهم واقفة ، فقال الأنصارى لعمرو بن أمية : ماترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر ، فقال الأنصارى : لـكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنتُ لِتُخْبِرَنى عنه الرجال ، ثم قاتل القوم حتى قُتِل ، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مُضَر أطلقه عامر ابن الطفيل ، وجَزَّ ناصيته ، وأعتقه عن رقبةٍ زَعَمَ أنها كانت على أمه ، فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالْقَرْقَرَة من صدر قناة أقبل رجلان من بنى عامر

قال ابن هشام : [ثم] من بنى كلاب، وذكر أبو عمرو المدنى أنهما من بنى سُليم

قال ابن إسحاق : حتى نزلا معه فى ظل هو فيه ، وكان مع العامِرِيَّيْن عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجِوَار لم يعلم به عَمْرو ابن أمية — وقد سألهما حين نزلا : ممن أنتما ؟ فقالا : من بنى عامر — فأمهلهما حتى إذا ناما عَدَا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثُؤْرَةً (١) من بنى عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ قَتَلْتَ قَتِيلَيْنِ لَأَدِيَنَّهُمَا » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هٰذَا عَمَلُ أَبِى بَرَاءٍ ، قَدْ كُنْتُ لِهٰذَا كَارِهًا مُتَخَوِّفًا » فبلغ ذلك أبا براء ، فشقَّ عليه إخفار عامر إياه وما

---

(١) قوله ثؤرة اسم من الثأر

أصاب أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره ، وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة

قال ابن إسحق [١] : فحدثنى هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن عامر ابن الطفيل كان يقول : مَنْ رَجُلٌ منهم لما قُتِلَ رأيته رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء من دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فهيرة

قال ابن إسحق : وقد حدثنى بعض بنى جَبّار بن سَلْمى [٢] بن مالك بن جعفر ، قال : وكان جَبَّار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم ، فكان يقول : إن مما دعانى إلى الاسلام أنى طَعَنْتُ رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره فسمعته يقول : فُزْتُ والله ، فقلت فى نفسى : مافاز ، ألست قد قتلت الرجل ؟! قال : حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : الشهادة ، فقلت : فاز لعمر الله

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت يحرض بنى أبى بَرَاء على عامر بن الطفيل :

---

(١) هذه رواية البكائى عن ابن إسحاق ، وروى يونس بن بكير عنه بهذا الاسناد ، أن عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك وقال للنبى صلى الله عليه وسلم : من رجل لما طعنته رفع إلى السماء ؟ فقال : «هو عامر بن فهيرة» وروى عبد الرزاق أن عامر بن فهيرة التمس فى القتلى يومئذ ففقد ، فيرون أن الملائكة رفعته أو دفنته

(٢) قال أبوذر : «يروى هنا بفتح السين وضمها ، والصواب سلمى بفتح السين» اهـ

بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَلَمْ يَرُعْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدِ (١)
تَهَكُّمُ عَامِرٍ بِأَبِي بَرَاءٍ لِيُخْفِرَهُ وَمَا خَطَأٌ كَعَمْدِ (٢)
أَلاَ أَبْلِغْ رَبِيعَةَ ذَا الْمَسَاعِي فَمَا أَحْدَثْتَ فِي الْحِدْثَانِ بَعْدِي (٣)
أَبُوكَ أَبُو الْحُرُوبِ أَبُو بَرَاءٍ وَخَالُكَ مَاجِدٌ حَكَمُ بْنُ سَعْدِ

قال ابن هشام : حكم بن سعد : من الْقَيْن بن جَسْر ، وأُم البنين : بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وهى أم أبى براء

قال ابن إسحق : فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل ، فطعنه بالرمح ، فوقع فى فخذه فأشواه (٤) ووقع عن فرسه ، فقال : هذا عمل أبى بَرَاء ، إن أَمُتْ فدمى لعمِّى فلاَ يُتْبَعَنَّ به ، وإن أَعِشْ فسأرى رأيى فيما أتى إلىّ

أنس بن عباس السلمى يفخر بقتل نافع بن بديل

وقال أنس بن عباس السُّلَمِىُّ ، وكان خال طُعَيْمَة بن عدىّ بن نوفل ، وقتل يومئذ نافِعَ بن بُدَيْل بن وَرْقَاء الْخُزَاعِىَّ : —

(١) « بنو أم البنين » هم أبو براء وإخوته ، وقد ذكرناهم قريبا (ص ١٨٤ ، ١٨٥) وفيهم يقول لبيد بن ربيعة : —

* نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَهْ *

وإنما جعلهم أربعة وهم خمسة حين لم يستقم له الوزن إلا بذلك ، ويقال : كانوا أربعة . والذوائب فى قول حسان : جمع ذؤابة ، وهى أعلى الشيء

(٢) التهكم : الاستهزاء ، ليخفره : لينقض عهده

(٣) المساعى : جمع مسعاة ، وهى السعى فى طلب المجد والمكارم

(٤) أشواه : أخطأ مقتله ، وفى بعض الروايات : فلما أتى ربيعة شعر حسان أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، هل يغسل عن

تَرَكْتُ ابْنَ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيَّ ثَاوِياً
بِمُعْتَرَكٍ تَسْفِي عَلَيْهِ الْأَعَاصِرُ (١)

ذَكَرْتُ أَبَا الرَّيَّانِ لَمَّا رَأَيْتُهُ وَأَيْقَنْتُ أَنِّي عِنْدَ ذَلِكَ ثَائِرُ (٢)

وأبو الرَّيَّان : طعيمة بن عَدِيّ

عبدالله بن رواحة يرثى نافع بن بديل

وقال عبد الله بن رَوَاحة يبكى نافع بن بُدَيل بن وَرْقَاء : —

رَحِمَ اللهُ نَافِعَ بْنَ بُدَيْلٍ رَحْمَةَ الْمُبْتَغِي ثَوَابَ الْجِهَادِ

صَابِرٌ صَادِقٌ وَفِيٌّ إِذَا مَا أَكْثَرَ الْقَوْمُ قَالَ قَوْلَ السَّدَادِ

وقال حسان بن ثابت يبكى قتلى بئر معونة ، ويخص الْمُنْذِر [بن عمرو رحمه الله تعالى] : —

أبى هذه الغدرة ضربة أضربها عامرا أو أطعنه ؟ فقال له « نعم » فذهب فضرب عامرا ضربة فأشواه ، فوثب عليه قومه فأخذوه وقالوا لعامر : اقتص فأخرجه من الحى ، ثم حفر بئرا وقال : اشهدوا أنى قد جعلت ديته فى هذا البئر ، ثم رد فيها ترابها ، وعامر بن الطفيل العامرى هو ابن أخى أبى براء ملاعب الأسنة ، كما نقله الزرقانى (ج ٢ ص ٨٧) وقال ابن حجر فى الاصابة : « لم أجد من ذكر ربيعة بن أبى براء فى الصحابة إلا ما تفيده هذه القصة ، ورأيت له روايه عن أبى الدرداء ، فكأنه عمر فى الاسلام » اه

(١) المعترك : اسم مكان من اعترك القوم فى الحرب ، وقد يخص بالمكان الضيق فى الحرب ، وتسفى : تثير عليه التراب ، والأعاصر : الرياح التى يكون معها غبار

(٢) « أبا الريان » يروى بالراء المهملة وبالزاى ، قال أبو ذر : « وقع هنا بالزاى والباء ، ويروى أيضاً بالراء والياء باثنين من أسفل ، وهو الصواب ، وكذا قيده الدار قطنى » اه . وقوله « ثائر » معناه آخذ بثأره .

حسان بن ثابت يرثى شهداء بئر معونة

عَلَى قَتْلَى مَعُونَةَ فَاسْتَهِلِّى ... بِدَمْعِ الْعَيْنِ سَحًّا غَيْرَ نَزْرِ (١)

عَلَى خَيْلِ الرَّسُولِ غَدَاةَ لاَقَوْا ... وَلاَقَتْهُمْ مَنَايَاهُمْ بِقَدْرِ

أَصَابَهُمُ الْفَنَاءُ بِعَقْدِ قَوْمٍ ... تُخُوِّنَ عَقْدُ حَبْلِهِمُ بِغَدْرِ (٢)

فَيَا لَهْفِى لِمُنْذِرِ إِذْ تَوَلَّى ... وَأَعْنَقَ فِى مَنِيَّتِهِ بِصَبْرِ (٣)

وَكَائِنْ قَدْ أُصِيبَ غَدَاةَ ذَاكُمْ

مِنَ أَبْيَضَ مَاجِدٍ مِنْ سِرِّ عَمْرِو (٤)

قال ابن هشام : أنشدنى آخرها بيتا أبو زيد الأنصارى ؛ وأنشدنى لكعب بن مالك فى يوم بئر معونة يعير بنى جعفر بن كلاب

كعب بن مالك يعير بنى جعفر بن كلاب

تَرَكْتُمْ جَارَكُمْ لِبَنِى سُلَيْمٍ ... مَخَافَةَ حَرْبِهِمْ عَجْزاً وَهُونَا (٥)

فَلَوْ حَبْلاً تَنَاوَلَ مِنْ عُقَيْلٍ ... لَمَدَّ بِحَبْلِهَا حَبْلاً مَتِينَا (٦)

أَوِ الْقُرَطَاءَ مَا إِنْ أَسْلَمُوهُ ... وَقِدْمًا مَا وَفَوْا إِذْ لاَ تَفُونَا (٧)

---

(١) استهلى : أسيلى دموعك ، والسح : الصب الكثير ، والنزر : القليل

(٢) تخون : انتقص ، وهو مبنى للمجهول ؛ فهو بضم التاء والخاء وتشديد الواو مكسورة

(٣) أعنق : أسرع ، والعنق — بفتح العين والنون جميعا — السير السريع ، وهذا الفعل مأخوذ منه ، وقوله «لمنذر» إما أن يكون قد حذف التنوين من العلم المذكر لاضطراره إلى ذلك لاقامة الوزن ، وقد سبق القول فى اختلاف العلماء فى جواز مثل ذلك قريباً ، وإما أن يكون وصل همزة إذ ، وهذا أولى عندنا ، وهو الذى ضبطنا البيت عليه

(٤) «من سر عمرو» سر القوم : خالصهم ولبابهم

(٥) الهون : الهوان والذلة

(٦) الحبل : العهد والذمة ، والمتين : القوى الشديد الفتل

(٧) القرطاء : بطون من العرب من بنى كلاب ، وهم قرط وقريط (بضم ففتح مصغرا) وقريط (بفتح القاف وكسر الراء) ويقال لهم :

قال ابن هشام : القُرْطَاء : قبيلة من هوازن ، ويروى « مِنْ نُفَيْلٍ » مكان « مِنْ عُقَيل » وهو الصحيح ، لأن القرطاء من نفيل قريب .

أمر إجلاء بنى النَّضِير فى سنة أربع

ذهاب رسول الله إلى بنى النضير يستعينهم فى دية القتيلين

قال ابن إسحق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النضير يستعينهم فى دية ذَيْنِكَ القتيلين من بنى عامر اللَّذَيْن قَتَلَ عمرو ابن أمية الضَّمْرىُّ ، للجِوار الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما — كما حدثنى يزيد بن رُومَان — وكان بين بنى النَّضِير وبين بنى عامر عَقْدٌ وحِلْف ، فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم فى دية ذينك القتيلين ، قالوا : نعم ، ياأبا القاسم، نُعِينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض ، فقالوا : إنكم لَنْ تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جَنْب جِدَارٍ من بيوتهم قاعد ، فَمَنْ رَجُلٌ يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صَخْرَةً فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جَحَّاش[1] بن كعب أحَدُهم ، فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلىّ ، رضوان الله عليهم ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة

بنو النضير يتامرون على قتل رسول الله والله تعالى يحفظه

القروط ، أيضاً . قال ذلك كله أبو ذر ، وفى بعض كتب السيرة أنهم بطون من بنى عامر

(١) ضبطه الزرقانى (ج ٢ ص ٩٣) بفتح الجيم وتشديد الحاء وآخره شين ، ووجد فى بعض الأصول مضبوطا بكسر الجيم وتخفيف المهملة ، ولعل ما فى الزرقانى أثبت

فلما اسْتَلْبَثَ [(١)] النبيَّ صلى الله عليه وسلم أَصْحَابُهُ قاموا فى طلبه، فَلَقُوا رجلا مقبلا من المدينة ، فسألوه عنه ، فقال : رأيته داخلا المدينة ، فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انْتَهَوْا إليه [صلىَّ الله عليه وسلم] ، فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتَّهَيُّؤ لحربهم والسير إليهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم

قال ابن إسحق : ثم سار بالناس حتى نزل بهم

قال ابن هشام : وذلك فى شهر ربيع الأول ؛ فحاصرهم فيها ست ليال ، ونزل تحريم الخمر

قال ابن إسحق : فتحصَّنُوا منه فى الحصون ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقَطْع النخيل والتَّحْرِيق فيها ، فَنَادَوْه : أن يامحمد قد كُنْتَ تَنْهَى عن الفساد وتَعيبه على من صَنَعَهُ ، فما بال قطع النخيل وتحريقها ؟ وقد كان رَهْطٌ من بنى عوف بن الخزرج — : منهم عَدُوُّ الله عَبْدُ الله بن أُبَيّ ابن سلول ، ووديعة ، ومالك بن أبى قَوْقَل ، وسُوَيْد وداعس — قد بعثوا إلى بنى النَّضير : أن اثبتوا وتَمَنَّعوا فإنا لَنْ نُسْلِمَكم : إن قُوتِلْتُمْ قاتلنا معكم ، وإن أُخْرِجْتُمْ خرجنا معكم ، فتربَّصُوا ذلك من نَصْرهم ، فلم يفعلوا ، وقَذَفَ الله فى قلوبهم الرُّعْبَ ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُجْلِيَهُم ويَكُفَّ عن دِمائهم ؛ على أنَّ لهم ما حَمَلَت

---

(١) أى : لما وجدوا أنه أطال اللبث وهم فى انتظاره عند بنى النضير ، واللبث : الاقامة ، وعبارة المواهب : « فقام عليه الصلاة والسلام موهما أنه يقضى حاجته ، وترك أصحابه فى مجلسهم ، ورجع إلى المدينة ، واستبطأ النبي أصحابه فقاموا فى طلبه » .

الإبل من أموالهم إلا الحَلْقة (١) ففعل ؛ فاحتملوا من أموالهم ما استَقَلَّتْ به الإبل ؛ فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نِجَافِ (٢) بابه ، فيضعه على ظهر بعيره ، فينطلق به ، فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، فكان أشرافهم من سار [منهم] إلى خيبر سَلَّام بن أبى الحُقَيق ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، وحُيَيُّ بن أخطب ، فلما نزلوها دَانَ لهم أهلها (٣)

خروج بنى النضير بالخيلاء والزهو

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حُدِّثَ أنهم اسْتَقَلُّوا بالنساء والأبناء والأموال معهم الدُّفُوف والمزامير والقِيَانُ (٤) يَعْزِفْنَ (٥) خلفهم ، وإن فيهم لَأُمَّ عَمْرٍو صاحبةَ عُرْوَةَ بن الْوَرْدِ العبسى التى ابتاعوا منه ، وكانت إحدى نساء بنى غِفَار (٦) بزُهَاءٍ وفَخْرٍ ما رُئِيَ مثله من حَيٍّ من الناس فى زمانهم ، وخَلَّوُا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصةً يضعها حيث يشاء ؛ فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين

---

(١) « إلا الحلقة » بفتح الحاء وسكون اللام — أى : السلاح كله ، وقيل : خاص بالدروع .

(٢) نجاف بابه ـ بكسر النون، بزنة كتاب ـ هى العتبة التى بأعلى الباب ويقابله الأسكفة ـ بضم الهمزة والكاف بينهما سين مهملة ساكنة ، وبعد الكاف فاء مشددة مفتوحة ـ وهى العتبة التى بأسفل الباب .

(٣) « دان لهم أهلها » أى : أطاعوهم وخضعوا لهم ، تقول : دان الناس للملك ، إذا أطاعوه

(٤) القيان : جمع قينة ، وهى الجارية إذا كانت مغنية

(٥) يعزفن : أى يضربن بالدفوف

(٦) الزهاء : الزهو والتكبر والاعجاب

دون الأنصار (١) ، إلا أن سَهْلَ بن حُنَيْف وأبا دُجانة سِمَاكَ بن خَرَشَة (٢) ذكرا فقراً فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

أسلم من بنى النضير رجلان

ولم يُسْلِم من بنى النَّضير إلا رجلان : يَامِينُ بن عُمَيْر (٣) بن كعب ابن عمرو بن جحاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأَحْرَزَاها

قال ابن إسحق : وقد حدثنى بعض آل يامين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين : « أَلَمْ تَرَ مَالَقِيتُ مِنَ ابْنِ عَمِّكَ وَمَاهَمَّ بِهِ مِنْ شَأْنِى » فجعل يامين [بن عمير] لرجل جُعْلاً على أن يقتل [له] عمرو بن جحاش ، فقتله فيما يزعمون

نزول سورة الحشر فى بنى النضير

ونزل فى بنى النَّضير سورة الحشر بأسرها ، يذكر فيها ماأصابهم الله

---

(١) قال الزرقانى (ج ٢ ص ٩٩) : « ذكر البلاذرى أنه صلى الله عليه وسلم قال للأنصار : ليست لاخوانكم من المهاجرين أموال ؛ فان شئتم قسمت هذه وأموالكم بينهم وبينكم جميعا ، وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه خاصة ، فقالوا : اقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ماشئت فنزلت (ويؤثرون على أنفسهم) وقال أبو بكر رضى الله عنه : جزاكم الله خيرا يامعشر الأنصار ، ما مثلنا ومثلكم إلا كما قال الغنوى : —

جَزَى اللهُ عَنَّا جعفَراً حينَ أَزْلَقَتْ
بِنَا نَعْلُنَا فى الْوَاطِئِينَ فَزَلَّتِ

(٢) قال السهيلى : « وقال غير ابن إسحاق : أعطى ثلاثة ، فذكر الحرث بن الصمة » اه قال الزرقانى : « النظر فى الحرث بن الصمة بأنه قتل فى بئر معونة إنما يأتى على ما ذكر ابن إسحاق من أن إجلاء بنى النضير وقع بعد بئر معونة أما من ذكر أنه بعدها فلا نظر » اه

(٣) قال أبو ذر : « قوله يامين بن عمير بن كعب ، صوابه أبو كعب » اه

به من نقمته ، وما سَلَّط عليهم به رسولَهُ صلى الله عليه وسلم ، وما عمل به فيهم ، فقال تعالى : (٥٩ : — ٢ ....) (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) وذلك لهدمهم بيوتهم عن نُجُف أبوابهم إذا احتملوها (فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ) وكان لهم من الله نقمة (لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا) أي بالسيف (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ) مع ذلك (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا) واللينة : ماخالف العجوة من النخل (فَبِإِذْنِ اللهِ) أي : فبأمر الله قطعت ، لم يكن فساداً ولكن كان نقمة من الله (وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ)

قال ابن هشام : [قال أبوعبيدة] اللينة من الألوان : وهى مالم تكن بَرْنِيَّةً ولا عَجْوَةً من النخل فيما حدثنا أبو عبيدة ، قال ذو الرمة : —

كَأَنَّ قُتُودِي فَوْقَهَا عُشُّ طَائِرٍ
عَلَى لِينَةٍ سَوْقَاءَ تَهْفُو جُنُوبُهَا (١)

وهذا البيت فى قصيدة له

(مَاأَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ)قال ابن إسحق : يعنى من بنى النضير (فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أي : له خاصة .

---

(١) القتود : جمع قتد ـ بفتحتين ـ وهو الرحل مع أداته ، وسوقاء : غليظة الساق ، وتهفو : تهتز وتضطرب ، وجنوبها : نواحيها

قال ابن هشام : أوجفتم : حركتم وأتعبتم فى السير ، قال تميم بن أبى ابن مقبل أحد بنى عامر بن صَعْصَعة : —

مَذَاوِيدُ بِالْبِيضِ الْحَدِيثِ صِقَالُهَا
عَنِ الرَّكْبِ أَحْيَانًا إِذَا الرَّكْبُ أَوْجَفُوا (١)

وهذا البيت فى قصيدة له ، وهو الوجيف ، قال أبو زبيد الطائى واسمه حَرْمَلة بن المنذر : —

مُسْنَفَاتٌ كَأَنَّهُنَّ قَنَا الْهِنْـ
ـدِ لِطُولِ الْوَجِيفِ جَدْبَ الْمَرُودِ (٢)

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن هشام : [السناف : البطان (٣)] والوجيف أيضاً : وجيف القلب والكبد ، وهو الضَّرَبَان ، قال قيس بن الخطيم الظَّفَرِىُّ : —

إِنَّا وَإِنْ قَدَّمُوا الَّتِى عَلِمُوا أَكْبَادُنَا مِنْ وَرَائِهِمْ تَجِفُ

وهذا البيت فى قصيدة له

---

(١) مذاويد : جمع مذواد ، وهو الكثير الدفاع عن قومه ، والبيض: السيوف ، والحديث صقالها : القريب عهدها بالصقل

(٢) مسنفات : مشدودات بالسناف ، وهو الحزام وهو بزنة كتاب ، والجدب : المكان الذى لا نبات به ، والمرود : اسم مفعول من قولهم : راد المكان يروده ، إذا طلب فيه المرعى ، ومنه الرائد ، وهو الذى يسبق قومه ليعرف لهم أمكنة الرعى ، والوجيف هنا : ضرب من السير ، وانتصاب « جدب المرود » على الظرفية ، والاضافة فيه من إضافة الصفة للموصوف ، أى : لطول السير فى المكان الجدب . هذا ماظهر لنا

(٣) سقطت هذه العبارة من بعض النسخ ، وهى مذكورة فى شرح أبى ذر ، والبطان — بزنة كتاب — حزام منسوج

(مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ)

قال ابن إسحق: ما يوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب وفتح بالحرب عنوة فلله وللرسول (وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْلَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) يقول : هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين على ما وضعه الله عليه ، ثم قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا) يعنى عبد الله بن أُبىّ وأصحابه ومن كان على مثل أمرهم (يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) يعنى بنى النضير إلى قوله : (كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يعنى بنى قينقاع ، ثم القصة إلى قوله (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ)

قصيدة للقيم العبسى وتنسب لقيس بن بحر فى إجلاء بنى النضير

وكان مما قيل فى بنى النضير من الشعر قول ابن لُقَيْمٍ الْعَبْسِى ، ويقال : قالها قيس بن بحر بن طريف (قال ابن هشام : قيس ابن بحر الأشجعى) ، فقال : —

أَهْلِي فِدَاءٌ لِامْرِئٍ غَيْرِ هَالِكٍ ... أَحَلَّ الْيَهُودَ بِالْحَسِيِّ الْمُزَنَّمِ (١)

---

(١) قوله « بالحسى المزنم » رويت هذه الكلمة بالحاء المهملة والشين المعجمة ، على زنة غنى كما أثبتناه ، ورويت بحاء مهملة وسين مهملة أيضا ، فان صحت هذه الرواية وجب أن تكون « بالحساء المزنم » والحساء — بزنة رجال — جمع حسى ، وهو بزنة ظبى وبزنة قرد وبزنة إلى ، وهو ماء يغور فى الرمل فتمسكه الأرض فاذا حفرت وجدته ، والمزنم — على ذلك — اليسير

يَقِيلُونَ فِى جَمْرِ ٱلْغَضَاةِ وَبُدِّلُوا
أُهَيْضِبَ عُودَى بِالْوَدِىِّ ٱلْمُكَمَّمِ (١)

فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا بِمُحَمَّدٍ
تَرَوْا خَيْلَهُ بَيْنَ الصَّلاَ وَيَرَمْرَمِ (٢)

يَؤُمُّ بِهَا عَمْرَو بْنَ بُهْثَةَ إِنَّهُمْ
عَدُوٌّ وما حَىٌّ صَدِيقٌ كَمُجْرِمِ (٣)

عَلَيْهِنَّ أَبْطَالٌ مَسَاعِيرُ فِى الْوَغَى
يَهُزُّونَ أَطْرَافَ الْوَشِيجِ ٱلْمُقَوَّمِ (٤)

القليل ، والذى أثبتناه خير من ذلك ، والحشى : صغار الابل ، ويقال لابن المخاض وابن اللبون حشيان ، والمزنم الصغير وقد يكون أصله على معنى التشبيه أراد تشبيه صغار الابل بالمعز ، وإنما قيل للمعز مزنم للزنمتين اللتين فى أعناقها ، وهما الهنتان اللتان تتعلقان فى أعناقها

(١) الغضاة : شجر من الأشجار جمعه الغضا ، وهى أشد الأشجار لهبا وأقواها نارا ، انظر إلى قول ابن دريد : —

إِمَّا تَرَىْ رَأْسِىَ حَاكَى لَوْنُهُ
طُرَّةَ صُبْحٍ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى

وَاشْتَعَلَ ٱلْمُبْيَضُّ فِى مُسْوَدِّهِ ... مِثْلَ ٱشْتِعَالِ النَّارِ فِى جَمْرِ ٱلْغَضَا

والأهيضب : تصغير أهضب ، هو المكان المرتفع ، وعودى — بضم العين المهملة وآخره ألف تأنيث — اسم مكان ، والودى — بفتح الواو وكسر الدال وتشديد الياء — صغار النخل ، والمكمم : الذى خرج طلعه

(٢) الصلا ويرمرم : موضعان

(٣) يؤم : يقصد ، وعمرو بن بهثة : بطن من غطفان ؛ وسيذكره ابن هشام قريباً

(٤) مساعير : جمع مسعر ، وهو اسم فاعل من قولهم سعر الحرب — بتضعيف

وَكُلَّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدٍ
تُوُورِثْنَ مِنْ أَزْمَانِ عَادٍ وَجُرْهُمِ (١)
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى قُرَيْشًا رِسَالَةً
فَهَلْ بَعْدَهُمْ فِى الْمَجْدِ مِنْ مُتَكَرَّمِ
بِأَنَّ أَخَاكُمْ فَأَعْلَمُنَّ مُحَمَّداً
تَلِيدُ النَّدَى بَيْنَ الْحَجُونِ وَزَمْزَمِ (٢)
فَدِينُوا لَهُ بِالْحَقِّ تَجْسُمْ أُمُورُكُمْ
وَتَسْمُوا مِنَ الدُّنيَا إِلَى كُلِّ مُعْظَمِ (٣)
نَبِيٌّ تَلَافَتْهُ مِنَ اللهِ رَحْمَةٌ وَلَا تَسْأَلُوهُ أَمْرَ غَيْبٍ مُرَجَّمِ (٤)
فَقَدْ كَانَ فِى بَدْرٍ لَعَمْرِىَ عِبْرَةٌ
لَكُمْ يَا قُرَيْشًا وَالْقَلِيبِ الْمُلَمِّ (٥)

الحشو ـ وكذا يقال : أسعرها ، وذلك إذا هيجها وأذكاها ، والوشيج : الرماح

(١) عاد وجرهم : من القبائل القديمة ، يريد أن سيوفهم وأداة حربهم مما توارثوه كابرا عن كابر ، فهى مما تعودت جز الرقاب ، وذلك كقول النابغة الذبيانى فى مدح الغساسنة : ـ

تُوُرِّثْنَ مِنْ أَزْمَانِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ
إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ

(٢) تليد الندى : قديمه ، والندى : التكرم ، والحجون : موضع بمكة ، وزمزم : بئر البيت الحرام

(٣) دينوا له : أطيعوه واخضعوا لما يدعوكم إليه ، وتجسم أموركم : تعظم ، وأصله الأمر الجسيم : أى العظيم

(٤) المرجم : المظنون الذى لا تستيقنه النفس ولا يطمئن إليه العقل

(٥) الملم : المجموع ، وأراد الذى جمع فيه القتلى

غَدَاةَ أَتَى فِى الْخَزْرَجِيَّةِ عَامِداً
إِلَيْكُمْ مُطِيعاً لِلْعَظِيمِ الْمُكَرَّمِ

مُعَانًا بِرُوحِ الْقُدْسِ يَنْكِي عَدُوَّهُ
رَسُولاً مِنَ الرَّحْمٰنِ حَقًّا بِمَعْلَمِ (١)

رَسُولاً مِنَ الرَّحْمٰنِ يَتْلُو كِتَابَهُ
فَلَمَّا أَنَارَ الْحَقُّ لَمْ يَتَلَعْثَمِ (٢)

أَرَى أَمْرَهُ يَزْدَادُ فِى كُلِّ مَوْطِنٍ
عُلُوًّا لِأَمْرٍ حَمَّهُ اللّٰهُ مُحْكَمِ (٣)

قال ابن هشام : عمرو بن بهثة من غطفان ، وقوله « بالحسى لمزنم » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه يذكر جلاء بنى النضير وقتل كعب بن الأشرف

قال ابن هشام : قالها رجل من المسلمين غير علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فيما ذكر [لى] بعض أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلىّ رضوان الله عليه : —

---

(١) روح القدس : جبريل عليه السلام ، وينكى عدوه : يبالغ فى ضرره والمعلم : الموضع المرتفع المشرف

(٢) لم يتلعثم : لم يتوقف ولم يتردد ولم يتأخر

(٣) حمه الله : قدره وهيأ أسبابه (انظر ص ١٦٢ من هذا الجزء)

قصيدة تنسب لعلى ابن أبى طالب فى إجلاء بنى النضير

عَرَفْتُ وَمَنْ يَعْتَدِلْ يَعْرِفِ
وأَيْقَنْتُ حَقًّا وَلَمْ أَصْدِفِ (١)
عَنِ الْكَلِمِ الْمُحْكَمِ اللاءِ مِنْ
لدَى اللهِ ذِى الرَّأْفَةِ الأَرْأَفِ
رَسَائِلَ تُدْرَسُ فِى الْمُؤْمِنِينَ
بِهِنَّ اصْطَفَى أَحْمَدَ الْمُصْطَفِى
فَأَصْبَحَ أَحْمَدُ فِينَا عَزِيزًا عَزِيزَ الْمُقَامَةِ وَالْمَوْقِفِ (٢)
فَيَا أَيُّهَا الْمُوعِدُوهُ سَفَاهًا
وَلَمْ يَأْتِ جَوْرًا وَلَمْ يَعْنُفِ (٣)
أَلَسْتُمْ تَخَافُونَ أَدْنَى الْعَذَابِ
وَمَا آمِنُ اللهِ كَالأَخْوَفِ
وَأَنْ تُصْرَعُوا تَحْتَ أَسْيَافِهِ
كَمَصْرَعِ كَعْبٍ أَبِى الأَشْرَفِ
غَدَاةَ رَأَى اللهُ طُغْيَانَهُ
وَأَعْرَضَ كَالْجَمَلِ الأَجْنَفِ (٤)

(١) لم أصدف : لم أعرض ، تقول : صدف فلان عن الحق ، إذا أعرض عنه وتركه ؛ ويتعلق بقوله لم أصدف قوله فى البيت التالى «عن الكلم المحكم» وهذا أحد عيوب الشعر

(٢) المقامة : موضع الاقامة ، والموقف : مكان الوقوف

(٣) الموعدوه : الذين يتوعدونه ويتهددونه ، والسفاه ـ بفتح السين ـ الضلال ؛ ولم يعنف : لم يأت بالعنف ، وهو بضم العين وسكون النون ـ ضد الرفق واللين (٤) الأجنف : المائل إلى جهة

فَأَنْزَلَ جِبْرِيلَ فِي قَتْلِهِ ... بِوَحْيٍ إِلَى عَبْدِهِ مُلْطَفِ
فَدَسَّ الرَّسُولُ رَسُولاً لَهُ ... بِأَبْيَضَ ذِي هَبَّةٍ مُرْهَفِ (١)
فَبَاتَتْ عُيُونٌ لَهُ مُعْوِلاَتٌ ... مَتَى يُنْعَ كَعْبٌ لَهَا تَذْرِفِ (٢)
وَقُلْنَ لِأَحْمَدَ ذَرْنَا قَلِيلاً ... فَإِنَّا مِنَ النَّوْحِ لَمْ نَشْتَفِ
فَخَلَّاهُمُ ثُمَّ قَالَ : اظْعَنُوا ... دُحُورًا عَلَى رَغَمِ الْآنُفِ (٣)
وَأَجْلَى النَّضِيرَ إِلَى غُرْبَةٍ
وَكَانُوا بِدَارِ ذَوِي زُخْرُفِ (٤)
إِلَي أَذْرِعَاتٍ رُدَافَى وَهُمْ ... عَلَى كُلِّ ذِي دَبَرٍ أَعْجَفِ (٥)

---

(١) بأبيض : أراد به سيفاً ، والهبة ـ بفتح الهاء وتشديد الباء ـ الاهتزاز ، والمرهف ـ بفتح الهاء ـ المحدد القاطع

(٢) معولات : باكيات مع ارتفاع صوت ، وينع ـ بالبناء للمجهول ـ يذكر خبر موته ، وتذرف : تسيل بالدموع

(٣) اظعنوا : ارتحلوا ، والدحور : الذل والهوان ، ونصبه على أنه مفعول مطلق بتقدير ظعن دحور ، أو على الحال بتقدير داحرين ، ومنه قوله تعالى : « ويقذفون من كل جانب دحورا » وقوله « على رغم الآنف » يريد على المذلة والاستهانة بهم ، والآنف : جمع أنف ، وتقول : أرغم الله أنف فلان ، أي : أذله ، وأصل معناه ألصقه بالرغام وهو التراب

(٤) غربة : تروى بضم الغين ، وبفتحها ، فأما من رواه بالضم فانما عنى الاغتراب ، وأما من رواه بالفتح فقد عنى البعد ، والزخرف : الزينة وحسن التنعم

(٥) أذرعات : موضع بالشام ، وفيه يقول امرؤ القيس : —

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ ، وَأَهْلُهَا
بِيَثْرِبَ ، أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِ

فأجابه سَمَّاك اليهودى ، فقال : —

سماك اليهودى يرد على قصيدة على

إنْ تَفْخَرُوا فَهْوَ فخرٌ لَكُمْ ... بِقَتْلِ كَعْبٍ أَبِى الْأَشْرَفِ
غَدَاةَ غَدَوْتُمْ عَلَى حَتْفِهِ ... وَلَمْ يَأْتِ غَدْرًا ولَمْ يُخْلِفِ
فَعَلَّ اللَّيَالِى وَصَرْفَ الدُّهُورِ ... يُدِلْنَ مِنَ الْعَادِلِ الْمُنْصِفِ (١)
بِقَتْلِ النَّضِيرِ وأَحْلاَفِهَا ... وَعَقْرِ النَّخِيلِ وَلَمْ تُقْطَفِ (٢)
فَإِنْ لاَ أَمُتْ نَأْتِكُمْ بِالْقَنَا ... وَكُلِّ حُسَامٍ مَعًا مُرْهَفِ (٣)

وقوله « ردافى » هو مثل سكارى وزنا وهو جمـــع رد فى بوزن سكرى ، ومعناه مرتد فين بعضهم رديف لبعض ، أى راكب خلفه على ركوبته ، ويروى « ردافًا » بالتنوين ، وهو من معناه ، وقوله « على كل ذى دبر » يريد الجمل والدبر : جرح يكون فى البعير ، والأعجف : الهزيل الضعيف

(١) يدلن : من الادالة ، وهى أن تصيب من عدوك مثل ما أصاب منك ، والأصل فيه الدولة ، وهى التداول فى الأمور بحيث تكون لهـذا يوما ولذاك يوما آخر ، وعلى هذا المعنى قوله تعالى : (لـكيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) وأراد بالعادل المنصف النبى صلى الله عليه وسلم ، وإنمـا وصفه بذلك وهو لا يعتقد تهكما

(٢) أحلافهـا : جمع حلف ـ بكسر فسكون ـ وأراد به الحليف ، ويروى فى مكانه « إجلائها » وهو مصدر أجلاهم : أى أخرجهم من بلادهم وقوله « لم تقطف » يروى بالبناء للمجهول وبالبناء للمعلوم مع ضم حرف المضارعة فيهما ، فمن رواه بالبناء للمجهول أراد لم تقطف ثمرتها ، ومن رواه بالبنـاء للمعلوم أراد لم تبلغ النخل زمان القطاف ، تقول : أحصد الزرع وأجد الثمر وأقطف ، أى حان حصاده وقطعه وقطفه

(٣) الحسام ـ بزنة غراب ـ السيف القاطع ، مأخوذ من الحسم ، وهو القطع ، والمرهف : المحدد

بِكَفٍّ كَمِيٍّ بِهِ يَحْتَمِي مَتَى يَلْقَ قِرْنًا لَهُ يَتْلَفِ (١)
مَعَ الْقَوْمِ صَخْرٌ وَأَشْيَاعُهُ
إِذَا غَاوَرَ الْقَوْمَ لَمْ يَضْعُفِ (٢)
كَلَيْثٍ بِتَرْجٍ حَمَى غِيلَهُ أَخِي غَابَةٍ هَاصِرٍ أَجْوَفِ (٣)

قصيدة لكعب بن مالك فى إجلاء بنى النضير ومقتل كعب بن الأشرف

قال ابن إسحق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير وقتل كَعْب بن الأشرف : —

لَقَدْ خَزِيَتْ بِغَدْرَتِهَا الْحُبُورُ
كَذَاكَ الدَّهْرُ ذُو صَرْفٍ يَدُورُ (٤)

---

(١) الكمى — بفتح الكاف وكسر الميم وتشديد الياء — الشجاع ، وسمى بذلك لأنه يتكمى فى سلاحه : أى يستتر ، والقرن — بكسر القاف وسكون الراء — الذى يقاوم الرجل فى القتال ، ويتلف : يفسد ، يريد أنه يقتل كل من يلقاه

(٢) صخر : هو أبو سفيان بن حرب ، وقوله « غاور القوم » يريد حاربهم واشترك معهم كل يغير على صاحبه ، وأراد أنه شجاع لايجبن عند القتال

(٣) ترج — بفتح التاء المثناة وسكون الراء المهملة آخره جيم — قيل : هو جبل بالحجاز كثير الأسد ، ومما يدل على أنه جبل قول أبى أسامة الهذلى : —

أَلاَ يَابُؤْسَ لِلدَّهْرِ الشَّعُوبِ لَقَدْ أَعْيَا عَلَى الصَّنَعِ الطَّبِيبِ
يَحُطُّ الصَّخْرَ مِنْ أَرْكَانِ تَرْجٍ وَيَنْشَعِبُ الْمُحِبُّ مِنَ الْحَبِيبِ

وقيل : ترج قرية تقابل بيشة ، وهما بين مكة واليمن ، وهما جميعاً من مواطن الأسود ، يقال : أسد ترج ، ويقال : أسد بيشة ، والغيل — بكسر الغين المعجمة — أجمة الأسد ، وكذا الغابة ، والهاصر : الذى يكسر فريسته إذا أخذها ، والأجوف : العظيم الجوف (٤) الحبور : جمع حبر ، وهو العالم ،

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبٍّ ... عَزِيزٍ، أَمْرُهُ أَمْرٌ كَبِيرُ
وَقَدْ أُوتُوا مَعًا فَهْمًا وَعِلْمًا ... وَجَاءَهُمُ مِنَ اللهِ النَّذِيرُ
نَذِيرٌ صَادِقٌ أَدَّى كِتَابًا ... وَآيَاتٍ مُبَيَّنَةً تُنِيرُ
فَقَالُوا: مَا أَتَيْتَ بِأَمْرِ صِدْقٍ ... وَأَنْتَ بِمُنْكَرٍ مِنَّا جَدِيرُ(١)
فَقَالَ: بَلَى لَقَدْ أَدَّيْتُ حَقًّا ... يُصَدِّقُنِي بِهِ الْفَهِمُ الْخَبِيرُ
فَمَنْ يَتْبَعْهُ يُهْدَ لِكُلِّ رُشْدٍ
وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ يُجْزَ الْكَفُورُ(٢)
فَلَمَّا أُشْرِبُوا غَدْرًا وَكُفْرًا ... وَجَدَّ بِهِمْ عَنِ الْحَقِّ النُّفُورُ(٣)
أَرَى اللهُ النَّبِيَّ بِرَأْيِ صِدْقٍ ... وَكَانَ اللهُ يَحْكُمُ لَا يَجُورُ
فَأَيَّدَهُ وَسَلَّطَهُ عَلَيْهِمْ ... وَكَانَ نَصِيرَهُ، نِعْمَ النَّصِيرُ
فَغُودِرَ مِنْهُمُ كَعْبٌ صَرِيعًا ... فَذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرَعِهِ النَّضِيرُ
عَلَى الْكَفَّيْنِ ثَمَّ وَقَدْ عَلَتْهُ ... بِأَيْدِينَا مُشَهَّرَةٌ ذُكُورُ(٤)

ويقال فى جمعه الأحبار أيضا وقدخص فى الاستعمال الاسلامى بعلماء اليهود

(١) جدير: أى حقيق وخليق، تقول: هو جدير بكذا، إذا كان خليقاً به مستحقا له

(٢) «يجز الكفور» فى هذه العبارة استعمال الظاهر فى موضع المضمر، وهو واضح

(٣) «جدبهم» يروى فى مكانه «وحاد بهم» أى مال بهم وجعلهم يعدلون عن الحق

(٤) «مشهرة ذكور» أراد بها السيوف المشهورة التى شهرها أصحابها

بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلاً ... إِلَى كَعْبٍ أَخَا كَعْبٍ يَسِيرُ
فَمَا كَرَهُ فَأَنْزَلَهُ بِمَكْرٍ ... وَمَحْمُودٌ أَخُو ثِقَةٍ جَسُورُ
فَتِلْكَ بَنُو النَّضِيرِ بِدَارِ سَوْءٍ ... أَبَارَهُمُ بِمَا اجْتَرَمُوا الْمُبِيرُ[1]
غَدَاةَ أَتَاهُمُ فِي الزَّحْفِ رَهْوًا
رَسُولُ اللهِ وَهْوَ بِهِمْ بَصِيرُ[2]
وَغَسَّانُ الْحُمَاةُ مُوَازِرُوهُ
عَلَى الْأَعْدَاءِ وَهْوَ لَهُمْ وَزِيرُ[3]
فَقَالَ: السِّلْمَ وَيْحَكُمُ، فَصَدُّوا
وَحَالَفَ أَمْرَهُمْ كَذِبٌ وَزُورُ[4]
فَذَاقُوا غِبَّ أَمْرِهِمُ وَبَالاً
لِكُلِّ ثَلَاثَةٍ مِنْهُمْ بَعِيرُ[5]

---

(١) أبارهم: أهلكهم ، والبوار - بفتح الباء والواو - الهلاك ، واجترموا: اكتسبوا ، والمبير: المهلك

(٢) الزحف: أراد به الجيش الزاحف عليهم ، ورهوا - بفتح الراء المهملة وسكون الهاء - المشي في سكون ومهل . وانتصابه إما على أنه مفعول مطلق بتقدير إتيان رهو أو بتقدير مشي نحوكم رهوا ، وإما على أنه حال بتقدير متمهلا ؛ وبصير: أي عليم خبير

(٣) الحماة: جمع حام ، ووزير ههنا بمعنى الملجأ والمعين

(٤) السلم - بفتح السين أو كسرها - الصلح ، وويحكم: دعاء عليهم ، والويح: الهلاك كالويب والويس ، وحالف: صاحب ، يريد أن الكذب والزور كانا مصاحبين لهم فلم يعرفوا الرشد في أمرهم

(٥) غب أمرهم - بكسر الغين المعجمة وتشديد الباء عاقبته ، والوبال: النكال

وَأُجْـــــلُوا عَامِدِينَ لِقَيْنُقَاعٍ
وَغُودِرَ مِنْهُمُ نَخْـلٌ وَدُورُ (١)

فأجابه سَمَّاكٌ اليهودى ، فقال : —

قصيدة لسماك اليهودى يرد على كعب بن مالك

أَرِقْتُ وَضَافَنِي هَمٌّ كَبِيرٌ بِلَيْلٍ غَيْرُهُ لَيْلٌ قَصِيرُ (٢)
أَرَى الْأَحْبَارَ تُنْكِرُهُ جَمِيعًا
وَكُلُّهُمُ لَهُ عِلْمٌ خَبِـــــيرُ
وَكَانُوا الدَّارِسِينَ لِكُلِّ عِلْمٍ
بِهِ التَّوْرَاةُ تَنْطِقُ وَالزَّبُورُ
قَتَلْتُمْ سَيِّدَ الْأَحْبَارِ كَعْبًا
وَقِدْمًا كَانَ يَأْمَنُ مَنْ يُجِيرُ
تَدَلَّى نَحْوَ مَحْمُودٍ أَخِيهِ وَمَحْمُودٌ سَرِيرَتُهُ الْفُجُورُ (٣)
فَغَادَرَهُ كَأَنَّ دَمًا نَجِيعًا يَسِيلُ عَلَى مَدَارِعِهِ عَبِيرُ (٤)
فَقَدْ وَأَبِيكُمُ وَأَبِي جَمِيعًا أُصِيبَتْ إِذْ أُصِيبَ بِهِ النَّضِيرُ

---

(١) عامدين : قاصدين ؛ تقول : عمد إلى هذا الأمر ، إذا قصده ، وقينقاع - بفتح فسكون فضم - قبيلة من اليهود ، وغودر : ترك

(٢) أرقت : سهرت وامتنعت من النوم ، وضافنى : نزل بى وزارنى

(٣) انظر حديث مقتل كعب بن الأشرف فى الجزء الثانى (٤٣٦ ومابعدها)

(٤) النجيع : الدم الطرى ، وقوله « مدارعه » يروى بالدال المهملة وبالذال المعجمة ، فأما من رواه بالدال المهملة فهو جمع مدرعة - بكسر الميم وسكون الدال - وهو الثوب ، وخصه بعض أهل اللغة بما كان من صوف

فَإِنْ نَسْلَمْ لَكُمْ نَتْرُكْ رِجَالاً
بِكَعْبٍ حَوْلَهُمْ طَيْرٌ تَدُورُ (١)

كَأَنَّهُمُ عَتَائِرُ يَوْمَ عِيدٍ تُذَبَّحُ وَهْيَ لَيْسَ لَهَا نَكِيرُ (٢)

بِبِيضٍ لاَ تُلِيقُ لَهُنَّ عَظْماً
صَوَافِى الْحَدِّ أَكْثَرُهَا ذُكُورُ (٣)

كَمَا لاَقَيْتُمُ مِنْ بَأْسِ صَخْرٍ
بِأُحْدٍ حَيْثُ لَيْسَ لَكُمْ نَصِيرُ (٤)

وقال عبَّاس بن مِرْدَاس أخو بنى سُلَيم يمتدح رجال بنى النضير : —

كلمة لعباس بن مرداس يمدح بنى النضير

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الدَّارِ لَمْ يَتَصَدَّعُوا
رَأَيْتَ خِلاَلَ الدَّارِ مَلْهًى وَمَلْعَبَا (٥)

فَإِنَّكَ عَمْرِى هَلْ أُرِيكَ ظَعَائِناً
سَلَكْنَ عَلَى رُكْنِ الشَّطَاةِ فَتَيْأَبَا (٦)

وأما من رواه بالذال المعجمة فانه أراد يديه ورجليه ، ومذارع البعير : قوائمه ، فاستعارها ههنا لذلك ، والعبير : الزعفران

(١) « حولهم طير تدور » هذه كناية عن قتلهم ، وذلك لأن الطير تحوم حول القتلى

(٢) عتائر : جمع عتيرة ، وهى الذبيحة

(٣) لا تليق : لا تبقى

(٤) صخر : هو أبو سفيان بن حرب

(٥) لم يتصدعوا : لم يتفرقوا ، وخلال الدار : بين أجزائها وفى وسطها وملهى وملعبا : أراد مكان لهو ولعب

(٦) الظعائن : جمع ظعينة ، وهى المرأة مادامت فى الهودج ، والشطاة بفتح الشين والطاء ـ اسم موضع ، ولم يذكر ياقوت بهذا الاسم إلا موضعا

عَلَيْهِنَّ عِينٌ مِنْ ظِبَاءِ تَبَالَةٍ
أَوَانِسُ يُصْبِينَ الْحَلِيمَ الْمُجَرِّبَا[(١)]
إِذَا جَاءَ بَاغِى الْخَيْرِ قُلْنَ فُجَاءَةً
لَهُ بِوُجُوهٍ كَالدَّنَانِيرِ : مَرْحَبَا
وَأَهْلاً فَلاَ مَمْنُوعَ خَيْرٍ طَلَبْتَهُ
وَلاَ أَنْتَ تَخْشَى عِنْدَنَا أَن تُؤَنَّبَا [(٢)]
فَلاَ تَحْسَبَنِّى كُنْتُ مَوْلَى ابْنِ مِشْكَمٍ
سَلاَمٍ وَلاَ مَوْلَى حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَا [(٣)]

فأجابه خَوَّات بن جُبَيْر أخو بنى عمرو بن عوف ، فقال : —

خوات بن جبير يرد على العباس عن مرداس

تُبَكِّى عَلَى قَتْلَى يَهُودَ وَقَدْ تَرَى
مِنَ الشَّجْوِ لَوْ تَبْكِى أَحَبَّ وَأَقْرَبَا[(٤)]

فى الديار المصرية بينه وبين دمياط ثلاثة أميال ، وذكر أنها بلدة تصنع بها الثياب الرفيعة الغالية الثمن ، وتيأب : اسم موضع أيضا ، ولم يذكره ياقوت

(١) العين : جمع عيناء ، وهى الواسعة العين ، وتبالة ـ بفتح التاء المثناة وبعدها باء موحدة ـ اسم موضع ، ويصبين : يدعون إلى الصبوة وترك التعقل ، والمجرب : الذى قدجرب الأمور وعرك الدهر

(٢) تؤنب ـ بالبناء للمجهول ـ تلام ، تقول : أنبت الرجل ـ بتشديد النون ـ إذا لمته ووبخته

(٣) المولى ههنا : الحليف والصاحب ، وسلام : أصله بتشديد اللام فخففها حين اضطر لذلك كما خففها أبو سفيان فى قوله : —

سَقَانِى فَرَوَّانِى كُمَيْتًا مُدَامَةً عَلَى عَجَلٍ مِنِّى سَلاَمُ بْنُ مِشْكَمِ

(٤) الشجو : الحزن والأسى

فَهَلاَّ عَلَى قَتْـلَى بِبَطْنِ أُرَيْنِقٍ
بَكَيْتَ وَلَمْ تُعْوِلْ مِنَ الشَّجْوِ مُسْهِبَا(١)

إِذَا السِّلْمُ دَارَتْ فِي صَدِيقٍ رَدَدْتَهَا
وَفِي الدِّينِ صَدَّاداً وَفِي الْحَرْبِ ثَعْلَبَا(٢)

عَمَدْتَ إِلَى قَدْرٍ لِقَوْمِكَ تَبْتَغِي   لَهُمْ شَيْنَهَا كَيْمَا تَعِزَّ وَتَغْلِبَا
فَإِنَّكَ لَمَّا أَنْ كَلِفْتَ تَمَدُّحاً   لِمَنْ كَانَ عَيْباً مَدْحُهُ وَتَكَذُّبَا

رَحَلْتَ بِأَمْرٍ كُنْتَ أَهْلاً لِمِثْلِهِ
وَلَمْ تُلْفِ فِيهِمْ قَائِلاً لَكَ مَرْحَبَا

فَهَلاَّ إِلَى قَوْمٍ مُلُوكٍ مَدَحْتَهُمْ
تَبَنَّوْا مِنَ الْعِزِّ الْمُؤَثَّلِ مَنْصِبَا(٣)

إِلَى مَعْشَرٍ سَادُوا مُلُوكاً وَكُرِّمُوا
وَلَمْ يُلْفَ فِيهِمْ طَالِبُ الْعُرْفِ مُجْدِبَا(٤)

---

(١) أرينق ـ بالهمز بعدها راء مهملة أو زاى ثم ياء مثناة فنون ـ اسم موضع ، ولم يذكره ياقوت ، ولم تعول : أى لم ترفع صوتك بالبكاء ، والمسهب : هنا : المتغير الوجه

(٢) السلم ـ بفتح السين وكسرها ـ الصلح ، والصداد : صيغة مبالغة من الصد : وهو الذى يمنع الناس عن الدين والحق ، وأراد من قوله « وفى الحرب ثعلبا » أنه كثير الروغان لا ثبات له فيها

(٣) المؤثل : القديم ، والمنصب : المنزلة من الشرف والحسب

(٤) المجدب هنا : اسم فاعل من أجدب ، إذا صار ذا جدب وقحط وقلة خير ، وفى نسخة (إلى معشر صاروا ملوكا) وفى أخرى (إلى معشر ساروا)

أُولئِـكَ أحْرَى مِنْ يَهُودَ بِمِدْحَةٍ
تَرَاهُمْ وَفِيهِمْ عِزَّةُ الْمَجْدِ تُرْتَبَا (١)

العباس بن مرداس يرد ثانيا على خوات ابن جبير

فأجابه عباس بن مرداس السلمى ، فقال : —

هَجَوْتَ صَرِيحَ الْـكَاهِنَيْنِ وَفِيـكُمُ
لَهُمْ نِعَمٌ كَانَتْ مِنَ الدَّهْرِ تُرْتَبَا (٢)
أُولئِكَ أَحْرَى لَوْ بَـكَيْتَ عَلَيْهِمُ
وَقَوْمُكَ لَوْ أَدَّوْا مِنَ الْحَقِّ مُوجَبَا
مِنَ الشُّـكْرِ إِنَّ الشُّـكْرَ خَيْرُ مَغَبَّةٍ
وَأَوْفَقُ فِعْلاً لِلَّذِي كَانَ أَصْوَبَا (٣)
فَـكُنْتَ كَمَنْ أَمْسَى يُقَطِّعُ رَأْسَهُ
لِيَبْلُغَ عِزًّا كَانَ فِيـهِ مُرَكَّبَا
فَبَكِّ بَنِي هرُونَ وَاذْكُرْ فِعَالَهُمْ
وَقَتْلَهُمُ لِلْجُوعِ إِذْ كُنْتَ مُجْدِبَا (٤)

---

(١) ترتب : ثابت ، والتاء الأولى زائدة ، وأصله من رتب الأمر ، والتاء الثانية مضمومة أو مفتوحة

(٢) الصريح : الخالص النسب ، والكاهنين : قبيلان من يهود المدينة وهما يزعمان أنهما من ولد هارون عليه السلام ، ويروى هذا اللفظ على الجمع

(٣) مغبة الشيء ـ بفتح الميم والغين ـ عاقبته ، ومثله غب الشيء ـ بكسر الغين وتشديد الباء ـ وقوله « إن الشكر خير مغبة » أى إنه خير فيما يستقبل بعد ، يريد أن عواقبه خير العواقب

(٤) بك ـ بتشديد الكاف مثل ابك ، و « بنى هرون » هما الكاهنان

أَخَوَّاتُ أَذْرِ الدَّمْعَ بِالدَّمْعِ وَابْكِهِمْ
وَأَعْرِضْ عَنِ الْمَكْرُوهِ مِنْهُمْ وَنَكِّبَا(١)

فَإِنَّكَ لَوْ لاَقَيْتَهُمْ فِى دِيَارِهِمْ لَأُلْفِيتَ عَمَّا قَدْ تَقُولُ مُنَكِّبَا
سِرَاعٌ إِلَى الْعَلْيَا كِرَامٌ لَدَى الْوَغَى
يُقَالُ لِبَاغِي الْخَيْرِ أَهْلاً ومَرْحَبَا

قصيدة لكعب بن مالك أو لعبد الله بن رواحة فى جواب العباس بن مرداس

فأجابه كعب بن مالك ، أو عبد الله بن رَوَاحة فيما قال ابن هشام فقال : —

لَعَمْرِى لَقَدْ حَكَّتْ رَحَي الْحَرْبِ بعْدَ مَا
أَطَارَتْ لُؤَيًّا قَبْلُ شَرْقًا وَمَغْرِبَا
بَقِيَّةَ آلِ الْكَاهِنَيْنِ وَعِزَّهَا فَعَادَ ذَلِيلاً بَعْدَمَا كَانَ أَغْلَبَا(٢)
فَطَاحَ سَلاَمٌ وَابْنُ سَعْيَةَ عَنْوَةً
وَقِيدَ ذَلِيلاً لِلْمَنَايَا ابْنُ أَخْطَبَا(٣)

اللذان ذكرهما فى أول كلمته ، والمجدب : الذى أصابه الجدب والقحط ، يريد أنهم كانوا كرماء

(١) أذر الدمع : اسكبه واسترخصه على هؤلاء ، ونكبا : فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة فانقلبت ألفا ، كما فى قول الأعشى : —

وَإِيَّاكَ وَالْمَيْتَاتِ لاَ تَقْرَبَنَّهَا وَلاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللهَ فَاعْبُدَا

ومعنى نكب : عرج عنهم ولا تقدم عليهم ولا تقرب منهم ، ومثله قول الحماسى : —

إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ هَمَّهُ وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَا

(٢) آل الكاهنين : قد مضى تفسير ذلك فى قصيدة العباس بن مرداس ، وعاد : صار ، والأغلب : الشديد

(٣) طاح : هلك وذهب ، وعنوة ـ بفتح العين وسكون النون ـ معناه القهر والذلة ، وقيد : مبنى للمجهول من قاد

وَأَجْلَبَ يَبْغِي الْعِزَّ وَالذُّلَّ يَبْتَغِي
خِلَافَ يَدَيْهِ مَا جَنَى حِينَ أَجْلَبَا (١)

كَتَارِكِ سَهْلِ الْأَرْضِ وَالْحَزْنُ هَمُّهُ
وَقَدْ كَانَ ذَا فِي النَّاسِ أَكْدَى وَأَصْعَبَا (٢)

وَشَأْسٌ وَعَزَّالٌ وَقَدْ صَلِيَا بِهَا
وَمَا غُيِّبَا عَنْ ذَاكَ فِيمَنْ تَغَيَّبَا

وَعَوْفُ بْنُ سَلْمَى وَابْنُ عَوْفٍ كِلَاهُمَا
وَكَعْبٌ رَئِيسُ الْقَوْمِ حَانَ وَخُيِّبَا (٣)

فَبُعْدًا وَسُحْقًا لِلنَّضِيرِ وَمِثْلُهَا
إِنَ اُعْقِبَ فَتْحٌ أَوْ إِنِ اللهُ أَعْقَبَا (٤)

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : ثم غزا رسول الله صلى الله

---

(١) أجلب : تروى هذه الكلمة بالجيم وبالحاء المهملة ، فأما من رواه بالجيم فمعناه جمع وصاح ، وأما من رواه بالحاء المهملة فمعناه جمع أيضا ، والفرق بينهما أن الذى بالجيم لابد معه من الجلبة والصياح

(٢) سهل الأرض : ما انبسط وتطامن منها ، وحزن الأرض : ماعلا وغلظ وارتفع منها ؛ وأكدى : تقول : أكدى الرجل فى حاجته ، إذا لم يظفر بها ، والأصل فيه أن الرجل يحفر البئر ليبلغ الماء ، فاذا بلغ فى حفره صخرة ولم يجد ماء قيل : قد أكدى ، ثم توسع فى ذلك فصار يقال لكل من خاب فى سعيه ولم يظفر برغبته : أكدى

(٣) حان : هلك ؛ وخيبا ـ بالبناء للمجهول ـ أى خيب الله سعيه ، والألف فيه للاطلاق وليست للتثنية

(٤) « إن الله أعقبا » يريد إن جاء الله تعالى بالفتح

غزو بنى المصطلق كان بعد غزو بنى النضير

عليه وسلم بعد بنى النضـير بنى المصطلق ، وسأذكر حديثهم إن شاء الله فى الموضع الذى ذكره ابن إسحق فيه

غزوة ذات الرِّقَاع فى سنة أربع

قال ابن إسحق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينـة بعد غزوة بنى النَّضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى ، ثم غزا نَجْدًا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غَطَفَان ، واستعمل على المدينـة أباذَرٍّ الْغِفَارِىَّ ، ويقال : عُثْمَانَ بن عفان ، فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحق : حتى نزل نَخْلاً (١) ، وهى غزوة ذات الرِّقاع

قال ابن هشام : وإنما قيل لها غزوة ذات الرِّقاع لأنهم رَقَعُوا فيها راياتهم ، ويقال : ذاتُ الرِّقَاع شجرةٌ بذلك الموضع يقال لها : ذات الرقاع (٢)

قال ابن إسحق : فلقى بها جَمْعاً عظيما من غَطَفَان ، فتقَارَبَ الناسُ ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناسُ بعضهم بعضا ، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صَلاَةَ الْخَوْف ، ثم انصرف بالناس

صلاة الخوف والروايات عن النبى صلى الله عليه وسلم فى كيفيتها

قال ابن هشـام : حدثنا عَبْدُ الوارث بن سعيد التَّنُّورِىُّ — [وكان يكنى أبا عبيدة] — قال : حدثنا يونس بن عبيد ، عن الحسن بن

---

(١) « نخلا » قال ياقوت : منزل من منازل بنى ثعلبة من المدينة على مرحلتين ، وقيل : موضع بنجد ، من أرض غطفان ، مذكور فى غزوة ذات الرقاع ، اهـ كلامه ، وذكر قريبا من ذلك الزرقانى عن أبى عبيد البكرى (ج٢ ص ١٠٣) .

(٢) قال الزرقانى : « وأما تسميتها بذات الرقاع فلأنهم رقعوا فيها

أبى الحسن ، عن جابر بن عبد الله فى صلاة الخوف قال : صَلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صَلاَةَ الخوفِ بطائفة ركعتين ثم سَلَّم وطائفةٌ مُقْبِلُون على الْعَدُوّ ، قال : فجاءوا فصلّى بهم ركعتين أُخْرَيَيْن ثم سَلَّم

قال ابن هشام : وحدثنا عبدُ الوارث ، قال : حدثنا أيوبُ ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، قال : صَفَّنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صَفَّيْن ، فركع بنا جميعاً ، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسَجَدَ الصفُّ الأوّلُ ، فلما رفعوا سَجَدَ الذين يَلُونَهُمْ بأنفسهم ، ثم تأخر الصَّفُّ الأوّل وتقدم الصف الآخرُ حتى قاموا مَقَامهم ، ثم ركع النبى صلى الله عليه وسلم بهم جميعاً ، ثم سجد النبى صلى الله عليه وسلم وسَجَدَ الذين يَلُونه معه ، فلمَّا رفعوا رءوسهم سجد الآخرون بأنفسهم ؛ فركع النبى صلى الله عليه وسلم ، بهم جميعاً ، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين

قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد [التَّنُّورِىُّ] قال : حدثنا

راياتهم ، قاله ابن هشام ، وقيل : لشجرة فى ذلك المواضع يقال لها ذات الرقاع ، قيل : لأن هذه الشجرة كانت العرب تعبدها ، وكل من كان له حاجة منهم يربط فيها خرقة ، وهو غريب ، وقال الواقدى : سميت بجبل هناك فيه بقع ، وأغرب الداودى فقال : سميت ذات الرقاع لوقوع صلاة الخوف فيها ، فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها ، قال السهيلى : وأصح من هذه الأقوال كلها ماروواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه ، فنقبت أقدامنا ونقب قدماى وسقطت أظفارى فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا » اهـ كلامه باختصار .

أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : يقوم الإمام وتقوم معه طائفة ، وطائفةٌ ممَّا يَلِي عَدُوَّهم ؛ فيركع بهم الإمام ، ويسجد بهم ، ثم يتأخرون فيكونون مما يلى العدو ، ويتقدم الآخرون ، فيركع بهم الإمام ركعةً ويسجد بهم ، ثم تصلى كل طائفة بأنفسهم ركعة ، فكانت لهم مع الامام ركعة ركعة ، وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة ،

رجل من غطفان يحاول أن يفتك برسول الله

قال ابن إسحق : وحدثنى عَمْرو بن عُبَيْد ، عن الحسن ، عن جابر (١) ابن عبد الله ، أن رجلا من بنى مُحَارب يقال له غَوْرَث قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أَقْتُلُ لكم محمدا ، قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفْتِكُ به ، قال : فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وَسَيْفُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حِجْره ، فقال : يا محمد أنْظُرُ إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم ، وكان مُحَلًّى بفضة فيما قال ابن هشام ، قال : فأخذه فاسْتَلَّه ثم جَعَل يَهُزُّه ويَهُمُّ فَيَكْبِتهُ (٢) الله ، ثم قال : يا محمد ، أمَا تخَافُنِي ؟ قال : « لاَ ؛ وَمَا أَخَافُ مِنْكَ » قال : أما تخافنى وفى يدى السيف ؟ قال : «لاَ ، يَمْنَعُنِي اللهُ مِنْكَ » ثم عمد إلى سيف رسول الله

---

(١) الذى ذكره البخارى عن جابر أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل قفل معه ، فأدركتهم القائلة فى واد كثير العضاه ، فنزل النبى صلى الله عليه وسلم ، وتفرق الناس يستظلون بالشجر ، ونزل صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق بها سيفه ، قال جابر : فنمنا نومة ، فجاء رجل من المشركين وسيف النبى صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة وهو نائم فاخترطه ، فقال : تخافنى ؟ قال : لا ، قال : فمن يمنعك منى ؟ قال : الله يمنعنى منك ، فتهدده أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وأقيمت الصلاة ...... ثم ذكر صلاة الخوف . وقد وقعت مثل هذه القصة مرة أخرى من رجل اسمه دعثور (بضم الدال وسكون العين المهملة وبعدها ثاء مثلثة وآخره راء مهملة)

صلى الله عليه وسلم فَرَدَّهُ عليه ، قال : فأنزل الله فيه (٥ : ١١) (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)

قال ابن إسحق : وحدثني يزيد بن رُومَان أنها إنما أنزلت في عَمْرو ابن جَحَّاش أخي بني النَّضِير وما هَمَّ به [١] فالله أعلم أيُّ ذلك كان

حديث جابر مع رسول الله في الطريق الى المدينة

قال ابن إسحق : وحدثني وَهْبُ بن كَيسان ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غَزْوَةِ ذات الرِّقَاع من نَخْل على جَمَل لي ضعيف ، فلما قَفَلَ [٢] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : جعلت الرفاق تمضي وجعلت أَتَخَلَّفُ ، حتى أدركني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «مَالَكَ يَاجَابر» قال : قلت: يارسولَ الله ، أَبْطَأَ بِي جَمَلِي هذا ، قال : « أَنِخْهُ » قال : فأنختُه وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « أَعْطِنِي هٰذِهِ الْعَصَا مِنْ يَدِكَ » أو« اقْطَعْ لِي عَصًا مِنْ شَجَرَةٍ » قال : ففعلت ، قال : فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فَنَخَسَه بها نَخَسَاتٍ ثم قال : « ارْكَبْ » فركبتُ ، فخرج والذي بعثه بالحق يُوَاهِق ناقته مُوَاهَقَةً [٣] ، قال : وتحدَّثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : « أَتَبِيعُنِي جَمَلَكَ هٰذا يَاجَابر » قال : قلت : يارسولَ الله ، بل أَهَبُهُ لك ، قال : « لاَ وَلَـكِنْ بِعْنِيهِ » قال :

---

(١) انظر سبب إجلاء بني النضير (ص١٩١) من هذا الجزء

(٢) قفل : رجع

(٣) المواهقة : المسابقة والمجاراة والمعارضة في المشي والسرعة

قلت : فَسُمْنِيهِ يارسول الله ، قال : « قَدْ أَخَذْتُهُ بِدِرْهَمٍ » قال : قلت : لا إذن تَغْبِننِى يارسول الله ، قال : « فَبِدِرْهَمَيْنِ » قال : قلت : لا ، قال : فلم يزل يَرْفَع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمنه حتى بلغ الأُوقِيَّةَ قال : فقلت : أفَقَدْ رَضِيتَ يارسول الله ؟ قال : « نعم » قلت : فهولك ، قال : « قَدْ أَخَذْتُهُ » قال : ثم قال : « يَاجَابِرُ ، هَلْ تَزَوَّجْتَ بَعْدُ » ؟ قال : قلت : نَعَمْ يارسول الله ، قال : « أَثَيِّبًا أَمْ بِكْراً » قال : قلت : بل ثَيِّبًا ، قال : « أفَلاَ جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ » قال : قلت : يارسول الله إِنَّ أبى أصيب يَوْمَ أُحُدٍ وترك بنات له سبعًا فنكحتُ امرأة جامعة تجمع رُءوسهن وتقُوم عليهن ، قال : « أصَبْتَ إِنْ شَاءَ الله ، أَمَا إِنَّا لَوْ قَدْ جِئْنَا صِرَاراً [1] أَمَرْنَا بِجَزُورٍ فَنُحِرَتْ وَأَقَمْنَا عَلَيْهَا يَوْمَنَا ذَاكَ وَسَمِعَتْ بِنَا فَنَفَضَتْ نَمَارِقَهَا » [2] قال : قلت : والله يا رسول الله مالنا من نمارق

(١) قال ياقوت : صرار موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق ، قاله الخطابى ، وقال نصر : صرار : ماء قرب المدينة محتفر جاهلى على سمت العراق ، وقيل : أطم لبنى عبد الأشهل له ذكر كثير فى أيام العرب وأشعارها ...... وقال العمرانى : صرار : اسم جبل أنشدنى جار الله العلامة للأفطس العلوى ، وفى الأغانى أنهما لابن خريم الأسدى : —

كَأَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ يَوْمَ رَاحُوا ... وَعُرِّيَ مِنْ مَنَازِلِهِمْ صِرَارُ
شَمَارِيخُ السَّحَابِ إِذَا تَرَدَّتْ ... بِزِينَتِهَا وَجَاءَتْهَا الْقِطَارُ

وقال : هو من الجبال القبلية ، قال : وصرار أيضا بئر قديمة على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق ، وقيل : موضع بالمدينة . اهـ كلامه

(٢) النمارق : جمع نمرقة ـ بضم النون والراء وبينهما ميم ساكنة ـ وهى الوسادة الصغيرة .

قال : « إِنَّهَا سَتَكُونُ ، فَاذَا أَنْتَ قَدِمْتَ فَاعْمَلْ عَمَلاً كَيِّسًا » قال : فلما جئنا صِرَاراً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجَزُور فنُحِرَتْ وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا قال : فحدَّثْتُ المرأة الحديث وما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فَدُونَكَ ، سمع وطاعة ، قال : فلما أصْبَحْتُ أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنختُه على باب [مسجد] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ثم جلست فى المسجد قريبا منه ، قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى الجمل ، فقال : « مَا هٰذَا » ؟ قالوا : يارسول الله هـذا جمل جاء به جابر ، قال : « فَأَيْنَ جَابِر » ؟ قال : فَدُعِيت له ، قال : فقال: « يَاابْنَ أَخِي خُذْ بِرَأْسِ جَمَلِكَ فَهُوَ لَكَ » ودعا بلالا فقال له : اذهب بجابر فأعطه أوقية قال : فذهبتُ معه فأعطانى أوقية وزادنى شيئا يسيرا ، قال : فوالله مازال يَنْمِي عندى ويُرَى مكانُهُ من بيتنا ، حتى أُصيب أمس فيما أصيب لنا ، يعنى يوم الحَرَّة

قال ابن إسحق : وحدثنى عمى[1] صَدَقَةُ بْنُ يَسَار ، عن عقيل بن جابر ، عن جابر بن عبـد الله الأنصارى ، قال : خَرَجْنَا مع رسول الله

---

(١) قال أبو ذر « كذا وقع هنا ، وذكر عمى فى هذا الحديث خطأ ، وصدقة هذا جزرى ، سكن بمكة ، وليس بعم محمد بن إسحاق ، وقد خرجه أبو داود عن محمد بن إسحق ولم يذكر فيه عمى » اهـ كلامه . وقال الحافظ صفى الدين الخزرجى : « صدقة بن يسار الجزرى ، نزيل مكة ، عن طاوس وسـعيد بن جبير ، وعنه أبو إسحق (كذا وصوابه ابن إسحق كما فى التهذيب) وشعبة ومالك والسفيانان . وثقه أحمد وابن معين ، قال أبو داود : كان جمعة بمـكة وجمعة بالمدينة . قال ابن سعد : توفى فى أول خلافة بنى العباس » اهـ .

صلى الله عليه وسلم فى غَزْوَة ذات الرِّقَاع من نَخْل ، فأصاب رجلٌ امرأةَ رجلٍ من المشركين ، فلما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلا أتى زوجها — وكان غائباً — فلما أُخْبِرَ الخبر حَلَفَ لاينتهى حتى يُهَرِيق فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم دَماً ؛ فخرج يَتْبَعُ أَثَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْزِلاً فقال : « مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا [١] لَيْلَتَنَا [هٰذِهِ] » قال : فانتدب رجل من المهاجرين ورجل [آخر] من الأنصار ، فقالا : نحن يارسول الله ، قال : « فَكُونَا بِفَمِ الشِّعْبِ » قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا إلى شِعْبٍ من الوادى ، وهما عَمَّارُ بن ياسر ، وعَبَّاد بن بِشْر ، فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحق : فلما خرج الرجلان إلى فم الشِّعْب قال الأنصارى للمهاجرى : أى الليل تحب أن أكفيكه : أوّله أم آخره ؟ قال : بل اكفنى أوّله ، قال : فاضطجع المهاجرى ، فنام ، وقام الأنصارى يُصَلِّى ، قال : وأتى الرجلُ فلمَّا رأى شَخْص الرجل عرف أنه رَبِيئَة القوم [٢] قال : فرمى بسهم فوضعه فيه ، قال : فنزعه فوضعه ، فثبت قائما ، قال : ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه ، قال : فنزعه فوضعه ، وثبت قائما ، ثم عاد [له] بالثالث فوضعه فيه ، قال : فنزعه فوضعه ، ثم ركع وسجد ، ثم أهَبَّ [٣] صاحبه ،

---

(١) يكلؤنا : يحرسنا ويحفظنا

(٢) الربيئة : الطليعة الذى يحرس للقوم ، تقول : ربأ القوم ؛ إذا حرسهم .

(٣) أهب صاحبه : أى أيقظه من نومه ، تقول : هب الرجل من نومه إذا استيقظ ، وتقول : أهببته من نومه ، إذا أيقظته منه

فقال : اجلس ، فقد أُثْبِتُّ [(١)] قال : فوثب فلما رآهما الرجل عرف أنه قد نذرا [(٢)] به ، فهرب ، قال : ولما رأى المهاجرى مابالأنصارى من الدماء قال : سبحان الله ! ! أفلا أهْبَبْتَنِي أوَّلَ مارماك ؟ قال : كُنْتُ فى سورة أقرؤها فلم أحبَّ أن أقطعها حتى أنفذها ، فلما تابع علىَّ الرَّمْىَ ركعت فآذنتك ، وايْمُ الله لولا أن أُضَيِّعَ ثغرًا أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها ، أو أنفذها

قال ابن هشام : ويقال أُنْفِذَهَا

قال ابن إسحق : ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غَزْوَة ذات الرِّقَاع أقام بها بقيةَ جُمَادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً

غَزْوَة بدْرٍ الآخرة ، فى شعبان سنة أربع

خروج رسول الله للاقاة أبى سفيان

قال ابن إسحق : ثم خرج فى شعبان إلى بَدْرٍ لميعاد أبى سفيان ، حتى نزله .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن عبدالله بن أُبَىٍّ ابن سَلُولَ الأنصارى

قال ابن إسحق : فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل مَجَنَّة من ناحية الظَّهْرَان ، وبعض الناس يقول : قد بلغ عُسْفَان ، ثم بَدَا له فى الرجوع فقال : يامعشر قريش ، إنه

---

(١) رويت هذه الكلمة « فقد أثبت » بثاء مثلثه بعدها باء موحدة ، ومعناها قد جرحت جرحاً بليغا لا أستطيع معه الحركة ، ورويت « فقد أوتيت » بتاء مثناة فوقية فياء مثناة تحتية . وكلتا الروايتين بالبناء للمجهول

(٢) نذرا به : أى علما بوجوده وبمكانه . وهو بكسر الذال ، فأما نذر بفتح الذال فهو من النذر ، وفى بعض النسخ « أن قد نذرا به » بدون ضمير الشأن

لا يُصْلِحكم إلا عام خَصِيبٌ تَرْعَوْنَ فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، وإن عامكم هذا عام جَدْبٌ ، وإنى راجع فارجعوا ، فرجع الناس ، فسَمَّاهم أهلُ مكة جَيْشَ السَّوِيق ، يقولون : إنما خرجتم تشربون السويق

إقامة رسول الله على بدر

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أباسفيان لميعاده ، فأتاه مَخْشِىُّ بن عمرو الضَّمْرِىُّ — وهو الذى كان وادعه على بنى ضَمْرَة فى غزوة وَدَّان — فقال : يامحمد ، أجئْتَ للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : « نعَمْ يَاأَخَا بَنِى ضَمْرَةَ وَإِنْ شِئْتَ مَعَ ذَلِكَ رَدَدْنَا إِلَيْكَ مَا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ثُمَّ جَالَدْنَاكَ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ » قال : لا ، والله يامحمد مالنا بذلك منك من حاجة

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أبا سفيان ، فمرّ به مَعْبَدُ ابن أبى مَعْبَدٍ الْخُزَاعى ، فقال — وقد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وناقته تَهْوِى به [1] — :

قَدْ نَفَرَتْ مِنْ رُفْقَتَىْ مُحَمَّدِ وَعَجْوَةٍ مِنْ يَثْرِبٍ كَالْعَنْجَدِ [2]
تَهْوِى عَلَى دِينِ أَبِيهَا الْأَتْلَدِ قَدْ جَعَلَتْ مَاءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِى [3]
وَمَاءَ ضَجْنَانَ لَهَا ضُحَى الْغَدِ

وقال عبد الله بن رواحة فى ذلك : —

---

(١) تهوى به : أى تسرع السير به

(٢) العجوة : ضرب من التمر ، ويثرب : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهى شهيرة بنخلها وتمرها ، والعنجد : حب الزبيب ، ويقال : هو الزبيب الأسود ، والمراد تشبيه العجوة بالزبيب فى اللون

(٣) تهوى : تسرع ، ودين أبيها : عادته ودأبه وديدنه ، والأتلد : القديم ، وقديد ـ بضم ففتح ـ اسم موضع

قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد [الأنصارى] لكعب بن مالك : —

كلمة لعبد الله بن رواحة فى بدر الآخرة وتنسب لكعب ابن مالك

وَعَدْنَا أَبَا سُفْيَانَ بَدْراً فَلَمْ نَجِدْ لِمِيعَادِهِ صِدْقًا وَمَا كَانَ وَافِيَا

فَأُقْسِمُ لَوْ وَافَيْتَنَا فَلَقِيتَنَا لَأُبْتَ ذَمِيمًا وَافْتَقَدْتَ الْمَوَالِيَا (١)

تَرَكْنَا بِهِ أَوْصَالَ عُتْبَةَ وَابْنِهِ وَعَمْراً أَبَا جَهْلٍ تَرَكْنَاهُ ثَاوِيَا (٢)

عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللهِ أُفٍّ لِدِينِكُمْ
وَأَمْرِكُمُ السَّيْءِ الَّذِى كَانَ غَاوِيَا (٣)

فَإِنِّى وَإِنْ عَنَّفْتُمُونِى لَقَائِلٌ فِدًى لِرَسُولِ اللهِ أَهْلِى وَمَالِيَا (٤)

أَطَعْنَاهُ لَمْ نَعْدِلْهُ فِينَا بِغَيْرِهِ شِهَابًا لَنَا فِى ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا (٥)

وقال حسان بن ثابت فى ذلك : —

قصيدة لحسان بن ثابت فى غزوة بدر الآخرة

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا
جِلَادٌ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الْأَوَارِكِ (٦)

---

(١) افتقدت : فقدت ، والموالى : جمع مولى ، وله معان كثيرة ، منها ابن العم ، ومنها الناصر والمعين ، وكلا هذين يصلح هنا

(٢) الثاوى : المقيم ، تقول : ثوى بالمكان يثوى ، إذا أقام به

(٣) أف : كلمة تقال عند استقباح الشىء أو عند تعذره ، وقوله « وأمركم السىء » هو بفتح السين وسكون الياء وأصله بتشديد الياء فخففه ، كما قالوا : هين ، ولين ، وميت ، وقيل ، والأصل فى جميعها تشديد الياء ، وقال الشاعر :

* هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ *

(٤) عنفتمونى : لمتمونى

(٥) قوله « لم نعدله » يريد لم نعدل به : أى لم نجعله مع غيره سواء

(٦) الفلجات : الأودية ، واحدها فلج ، والمخاض : النوق الحوامل ،

بِأَيْدِى رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِـمْ
وَأَنْصَارِهِ حَقًّا وَأَيْدِى الْمَلَائِكِ

إِذَ سَلَكَتْ لِلْغَوْرِ مِنْ بَطْنِ عَالِجٍ
فَقُولاَ لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَالِكِ (١)

أَقَمْنَا عَلَى الرَّسِّ النَّزُوعِ ثَمَانِيًا
بِأَرْعَنَ جَرَّارٍ عَرِيضِ الْمَبَارِكِ (٢)

بِـكُلِّ كُمَيْتٍ جَوْزُهُ نِصْفُ خَلْقِهِ
وَقُبٍّ طِوَالٍ مُشْرِفَاتِ الْحَوَارِكِ (٣)

والأوارك : جمع آركة وهى التى رعت الأراك

(١) الغور - بفتح فسكون - المنخفض من الأرض ، وعالج : اسم مكان فيه رمل كثير

(٢) الرس : البئر ، وقوله «النزوع» يروى فى مكانه « النزيع » وهما بمعنى ، ومعناه التى ينزع ماؤها بالأيدى ، وذلك لأنها قريبة القعر ، والأرعن : هو المضطرب ، وأراد به جيشاً ، وسماه أرعن لكثرته ، وقيل : إنما قيل للجيش أرعن على تشبيهه برعن الجبل ، ورعن الجبل : الأنف العظيم منه الذى تراه متقدماً . والجرار : الذى له أتباع كثيرة وفضول ، وقوله « عريض المبارك » أراد به أيضا وصفه بالكثرة ، يريد أنه يأخذ لمبركه مساحة عظيمة ، وهذا البيت أول هذه الكلمة فى رواية الديوان ، وترتيب القصيدة فيه يخالف ترتيبها هنا كثيراً

(٣) الكميت - بضم الكاف وفتح الميم - الذى لونه الكمتة - بضم الكاف وسكون الميم - والكمتة : لون بين السواد والحمرة ، وأراد بذلك البعران ، وإنما حملناه على البعران ولم نحمله على الخيل لأنه سيعطف عليه الخيل بعد ذلك ، فناسب أن يكون هذا غير ما يأتى ، والابل السود والحمر

تَرَى الْعَرْفَجَ الْعَامِيَّ تُذْرِى أُصُولَهُ
مَنَاسِمُ أَخْفَافِ الْمَطِيِّ الرَّوَاتِكِ (١)
فَانْ نَلْقَ فِى تَطْوَافِنَا وَالْتِمَاسِنَا
فُرَاتَ بْنَ حَيَّانٍ يَكُنْ وَهْنَ هَالِكِ (٢)
وَإِنْ نَلْقَ قَيْسَ بْنَ امْرِىءِ الْقَيْسِ بَعْدَهُ
يُزَدْ فِى سَوَادِ لَوْنِهِ لَوْنُ حَالِكِ (٣)

أفضل أنواع الابل عندهم ، وجوزه : هو - بفتح الجيم وسكون الواو بعدها زاى - وسطه ، وأراد بطنه ، وخلقه - بفتح الخاء وسكون اللام - أراد به جسمه ، يريد أن بطن الجمل نصف جسمه كله . والقب - بضم القاف وتشديد الباء - جمع أقب ، وهو الضامر ، ومشرفات : مرتفعات ، والحوارك : جمع حارك ، وهو أعلى الكتفين من الفرس ، ويقال : الحارك عظم مشرف من جانبي الكاهل اكتنفه فرعا الكتفين

(١) العرفج : نبات ، والعامى الذى مضى عليه عام ، وقوله « تذرى أصوله » أى تقلعها وتطرحها ، والمناسم : جمع منسم ، وهو طرف خف البعير ، والخف للبعير بمنزلة الحافر للدابة ، والرواتك : جمع راتكة ، وهى المسرعة ، والرتك والرتكان - بفتح فسكون أو بفتحتين فى الأول ، وبفتحات فى الثانى - ضرب من السير فيه سرعة .

(٢) « يكن وهن هالك » الوهن : الضعف ، وأراد أنه يهلك ضعفا وجبنا ولا يقدر على التعرض لهم .

(٣) قيس بن امرىء القيس : هو العجلى الذى كان يجير عير قريش ، وقوله « يزد فى سواد لونه » هو فى بعض الروايات ببناء « يزد » للمجهول وارتفاع « لون حالك » وفى أخرى « نزد فى سواد وجهه لون حالك » بنون المضارعة وانتصاب « لون حالك » والحالك : الشديد السواد

فَأَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي رِسَالَةً
فَإِنَّكَ مِنْ شَرِّ الرِّجَالِ الصَّعَالِكِ (١)

فأجابه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، فقال : —

أبو سفيان بن الحرث يجيب حسان بن ثابت

أَحَسَّانُ إِنَّا يَا ابْنَ آكِلَةِ الْفَغَا
وَجَدِّكَ نَغْتَالُ الْخُرُوقَ كَذَلِكَ (٢)

خَرَجْنَا وَمَا تَنْجُو الْيَعَافِيرُ بَيْنَنَا وَلَوْ وَأَلَتْ مِنَّا بِشَدٍّ مُدَارِكِ (٣)

إِذَا مَا انْبَعَثْنَا مِنْ مُنَاخٍ حَسِبْتَهُ مُدَمَّنَ أَهْلِ الْمَوْسِمِ الْمُتَعَارِكِ (٤)

---

(١) « فانك من شر الرجال » هذه رواية الديوان ، وهي ظاهرة المعنى ، وفي نسخ السيرة وشرحها لأبي ذر « فانك من غر الرجال » والغر : جمع أغر ، وهو الأبيض ، وهذا ظاهره المدح ، فان صحت هذه الرواية فالمقصود بها التهكم ، والصعالك : جمع صعلوك ، وهو الفقير الذي لا مال له ، وكان من حقه أن يجمعه على صعاليك ، ولكنه حذف الياء حين اضطر إلى إقامة الوزن .

(٢) الفغا : ضرب من التمر ، أو هو قشر التمر إذا يبس ، أو هو قشرة تعلو التمر قبل أن يطيب ، وأراد أنهم أهل نخيل وتمر ، ونغتال : يريد نقطع ونجوب ، والخروق : جمع خرق ، وهو الفلاة الواسعة

(٣) اليعافير : جمع يعفور ، وهو ولد الظبية ؛ ووألت : اعتصمت ولجأت ، تقول : وألت إلى الجبل ، اذا اعتصمت به ، ومنه قيل للملجأ والملاذ موئل ، والشد : الجرى ، والمدارك : المتابع الذي يتلو بعضه بعضا

(٤) المدمن — بضم الميم وفتح الدال وتشديد الميم الثانية مفتوحة — الموضع الذي ينزلون فيه فيتركون به الدمن ، والدمن — بكسر الدال أو فتحها مع سكون الميم — آثار الدواب والابل وأرواثها وبعارها ، وأهل الموسم : يعني به جماعة الحاج ، وكل موضع كانت العرب تجتمع فيه فهو

أَقَمْتَ عَلَى الرَّسِّ النَّزُوعِ تُرِيدُنَا
وَتَتْرُكُنَا فِي النَّخْلِ عِنْدَ الْمَدَارِكِ (١)
عَلَى الزَّرْعِ تَمْشِي خَيْلُنَا وَرِكَابُنَا
فَمَا وَطِئَتْ أَلْصَقْنَهُ بِالدَّكَادِكِ (٢)
أَقَمْنَا ثَلَاثًا بَيْنَ سَلْعٍ وَفَارِعٍ بِجُرْدِ الْجِيَادِ وَالْمَطِيِّ الرَّوَاتِكِ (٣)
حَسِبْتُمْ جِلَادَ الْقَوْمِ عِنْدَ قِبَابِهِمْ
كَمَأْخَذِكُمْ بِالْعَيْنِ أَرْطَالَ آنُكِ (٤)

موسم ، إذا كان هذا الاجتماع عادة منهم فى ذلك المكان كسوق عكاظ والمجنة وذى المجاز وأشباهها ، والمتعارك : الذى يزدحم فيه الناس

(١) الرس : البئر ، والنزوع : القريبة القعر ، والمدارك : المواضع القريبة ، ويروى فى مكانه « المبارك » ـ بالباء الموحدة ـ وهى مواضع إناخة الابل .

(٢) الدكادك : جمع دكداك ، وهو الرمل اللين .

(٣) سلع : اسم جبل ، قال ياقوت : سلع جبل بسوق المدينة ، وقال الأزهرى : سلع موضع بقرب المدينة ، وفارع : اسم أطم من آطام المدينة ، والجرد : جمع أجرد ، وهو القصير الشعر ، والمطى : جمع مطية ، وهى الدابة سميت بذلك لأنها تمطو فى سيرها ، أى : تسرع ، والرواتك : جمع راتكة ، وهو اسم فاعل من الرتكان الذى هو سريع السير

(٤) جلاد القوم : مجالدتهم إياكم ، وقوله « كمأخذكم بالعين » يروى هكذا بالنون ، والعين : المال الحاضر ، وهو أيضا الدر ، وكلاهما يصلح هنا ، ويروى « كمأخذكم بالعير » والعير : الرفقة من الابل ، والأرطال : جمع رطل ، والآنك ـ بضم النون ـ الأسرب ، وهو القزدير

فَلَا تَبْعَثِ الْخَيْلَ الْجِيَادَ وَقُلْ لَهَا
عَلَى نَحْوِ قَوْلِ الْمُعْصِمِ الْمُتَمَاسِكِ (١)
سَعِدْتُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ كَانَ أَهْلَهَا
فَوَارِسُ مِنْ أَبْنَاءِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ
فَإِنَّكَ لَا فِي هِجْرَةٍ إِنْ ذَكَرْتَهَا
وَلَا حُرُمَاتِ الدِّينِ أَنْتَ بِنَاسِكِ (٢)

قال ابن هشام: بقيت منها أبيات تركناها لقبح اختلاف قوافيها، وأنشدني أبو زيد الأنصاري هذا البيت:

* خَرَجْنَا وَمَا تَنْجُو الْيَعَافِيرُ بَيْنَنَا *

والبيت الذي بعده، لحسان بن ثابت، في قوله:

* دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّأْمِ قَدْ حَالَ دُونَهَا *

وأنشدني له فيها بيته «فَأَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ»

غزوة دُومَةِ الْجَنْدَلِ

في شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحق: ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فأقام بها [أشهرا] حتى مضى ذو الحجة، وولي تلك الحجةَ المشركون، وهي سنة أربع من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

---

(١) «فلا تبعث» يروى في مكانه «فلا تنعت» والمعصم: المستمسك بالشيء

(٢) الناسك: المتبع لمعالم الدين وشرائعه. ويروى «ناسكي» وأصله بتشديد الياء لأنها ياء النسبة ثم خففها حين اضطر إلى ذلك

[قال ابن إسحق] : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دُومَة الجندل

قال ابن هشام : فى شهر ربيع الأول ، واستعمل على المدينة سِبَاعَ ابن عُرْفُطَة الْغِفَارِىّ

قال ابن إسحق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليها ، ولم يَلْقَ كَيْدًا ، فأقام بالمدينة بقية سنته

[غزوة] الْخَنْدَقِ [فى سنة خمس ، وقُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ]

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زِيادُ بن عبد الله الْبَكَّائِىُّ ، عن محمد بن إسحق الْمُطَّلِبِىِّ ، قال :

ثم كانت غَزْوَة الْخَنْدَق ، فى شوال سنة خمس ، فحدثنى يزيد بن رُومَان مولى آل الزبير ، عن عروة بن الزبير ، ومن لا أتهم عن عبد الله ابن كعب بن مالك ، ومحمدِ بْن كَعْبٍ الْقُرَظى ، والزُّهْرىُّ وعاصِمُ بن عمر بن قَتَادة وعبدُ الله بن أبى بكر وغيرهم من علمائنا ، كلٌّ قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق ، و بعضهم يحدث مالا يحدث به بعضٌ ، قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود — منهم سَلَّام بن أبى الْحُقَيْق النَّضرِىّ ، وحُيَىُّ بن أَخْطَبَ النَّضرى ، وكنانة [بن الربيع] بن أبى الْحُقَيْق النَّضرِىُّ ، وهَوْذَةُ بن قَيْس الْوَائلى ، وأبو عَمَّار الوائلى ، فى نفر من بنى النَّضير ، ونفر من بنى وائل ، وهم الذين حَزَّبُوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم — خرجوا حتى قدموا على قريشٍ مكةَ ، فدعَوْهُم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فقالت لهم قريش : يامَعْشَرَ

اليهود تحرض قريشا وتعدها المعونة

يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمدٌ أفدِيننا خيرٌ أم دِينهُ ؟ قالوا : بل دينكم خيرمن دينه ، وأنتم أولى بالحق [منه] ، فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم (٤ : ٥١—٥٥) (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هٰؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً) إلى قوله تعالى : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ) [أى : النبوة] (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً) قال : فلما قالوا ذلك لقريش سَرَّهم ونَشِطوا لما دَعَوْهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك واتَّعَدُوا له ، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غَطَفَان من قيس عَيْلان ، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه

اليهود تحرض غطفان أيضاوتذكر لها اتفاقهم مع قريش

قال ابن إسحق : فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حُذَيفة بن بَدْر فى بنى فزارة ، والحرثُ بن عوف بن أبى حارثة الْمُرِّيُّ فى بنى مُرَّة ، ومِسْعَر بن رُخَيْلة [1] بن نُوَيرة بن طريف بن سُحْمة بن عبد الله بن هِلَال بن خُلَاوَة [2] بن أشجع بن رَيْث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع .

خروج المشركين وأسماء قوادهم

(١) قال أبو ذر : « رخيلة : روى هنا بالجيم والخاء المعجمة ، ورخيلة بالخاء المعجمة والراء المضمومة قيده الدار قطنى » اه

(٢) قال أبو ذر « ابن خلاوة : كذا وقع هنا بالخاء المعجمة مضمومة

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أجمعوا له من الأمر حفر الخندق
ضَرَبَ الْخندق على المدينة ؛ فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيباً للمسلمين فى الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه ؛ فدأب فيه ودأبوا ، وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجال من المنافقين ، وجعلوا يُوَرُّون (١) بالضعيف من العمل ، ويَتَسَلَّلُون إلى أهليهم بغير علمٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا إذن ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التى لابد له منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويستأذن فى اللحُوق لحاجته فيأذن له ، فاذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبةً فى الخير واحتساباله ، فأنزل الله تعالى فى أولئك من المؤمنين (٢٤ : ٦٢) : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحِسْبَة والرَّغبة فى الخير والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال تعالى يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ويذهبون بغير إذن من النبى صلى الله عليه وسلم (٢٤ : ٦٣) : (لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

ومفتوحة ، وبالحاء المهملة كذلك ، وبالخاء المعجمة الجيدة » اهـ كلامه

(١) يورون : يستترون

تفسير اللواذ

قال ابن هشام : اللِّواذ : الاستتار بالشيء عند الهرب ، قال حسان بن ثابت : —

وَقُرَيْشٌ تَفِرُّ مِنَّا لِوَاذًا * أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَّ مِنْهَا الْحُلُومُ

وهذا البيت فى قصيدة له قد ذكرتها فى أشعار يوم أحد (١)

(٢٤ : ٦٤) : (أَلا إِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) قال ابن إسحق : مِنْ صدق أو كذب (وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

المسلمون يرتجزون والرسول يجيبهم ببعض مايقولون

قال ابن إسحق : وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جُعَيْل سَمَّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عَمْراً ، فقالوا : —

سَمَّاهُ مِن بَعْدِ جُعَيْلٍ عَمْرَا * وَكَانَ لِلْبَائِسِ يَوْماً ظَهْرَا (٢)

فاذا مرُّوا بعمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عَمْرًا » وإذا مروا بظهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ظهرا » (٣)

ماظهر لرسول الله من الآيات فى حفر الخندق

قال ابن إسحق : وكان فى حفر الخندق أحاديث بَلَغَتْنِي من الله تعالى فيها عِبْرَةٌ فى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيق نبوته ، عايَنَ ذلك المسلمون ، فكان فيما بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يحدث أنه

---

(١) أنظر (ص ١٢٤) من هذا الجزء

(٢) البائس : الفقير ، والظهر : القوة والمعونة ، والضمير المستتر فى «سماه» وفى« كان » راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبى صلى الله عليه وسلم للبائس الفقير أكبر عون وأشد نصير . وهذا أحسن الوجوه فى البيت

(٣) يريد أنهم كانوا إذا قالوا : سماه من بعد جعيل عمرا ، قال النبى صلى الله عليه وسلم « عمرا » التى هى آخر كلمة فيما قالوه ، وإذا قالوا : وكان للبائس يوما ظهرا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ظهرا » كذلك ، فكانوا يرتجزون بهذا البيت والنبي يقول أواخر كلمات طرفيه

اشْتَدَّتْ عليهم فى بعض الخندق كُدْيَةٌ[1] فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بإناء من ماء فَتَفَلَ فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نَضَح ذلك الماء على تلك الكُدْيَة ، فيقول من حضرها : فوالذى بعثه بالحق نبيا لا نْهَالَتْ[2] حتى عادت كالكَثِيب ، لاترد فَأساً ولا مسْحاة .

قال ابن إسحق : وحدثنى سعيد بن مِينَاء أنه حُدِّثَ أن ابنة لبشير ابن سَعْد أُخْتَ النعمان بن بشير قالت : دعتنى أمى عَمْرَةُ بنت رَوَاحة ، فأعطتنى حَفْنة[3] من تمر فى ثوبى ، ثم قالت : أى بُنَيَّة ، اذهبى إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بِغَدائهما ، قالت : فأخذتها ، فانطلقت بها ، فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبى وخالى ، فقال : « تَعَالَىْ يَابُنَيَّةُ ، مَاهٰذَا مَعَكِ ؟ » قالت : فقلت : يارسول الله ، هذا تمر بَعَثَتْنى به أمى إلى أبى بشير بن سعد وخالى عبد الله بن رواحة يتغديانه ، قال : « هَاتِيهِ » قالت : فصَبَبْتُهُ فى كَفَّىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبُسِطَ له ، ثم دَحَا بالتمر عليه فَتَبَدَّدَ فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : « اصْرُخْ فى أَهْلِ الخَنْدَقِ أَنْ هَلُمَّ إلَى الْغَدَاءِ » فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد ، حتى صَدَرَ أهلُ الخندق عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب

قال ابن إسحق : وحدثنى سعيد بن مِينَاء ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخندق ، فكانت عندى

(١) الكدية — بضم الكاف وسكون الدال — الصخرة العظيمة

(٢) انهالت : تفتتت وسقطت ، والكثيب : ما تكرس من الرمل

(٣) الحفنة — بفتح الحاء وسكون الفاء — مقدار ملء الكف

شُوَيْهَةً غَيْرُ جِدٍّ [1] سمينة ، قال : فقلت : والله لوصنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأمرت امرأتى ، فطحنت لنا شيئاً من شعير فصنعت لنا منه خبزاً وذبحت تلك الشاة فَشَوَيْنَاهَا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فلما أَمْسَيْنَا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق ، قال : وكنا نعمل فيه نَهَارَنَا ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا ، قال : قلت : يارسول الله إنى قد صنعت لك شُوَيْهَةً كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير ، فأحبُّ أن تنصرف معى إلى منزلى ، وإنما أُريد أن ينصرف معى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ، قال : فلما أن قلت له ذلك قال « نَعَمْ » ثم أمر صارخا فصرخ أن انْصَرِفُوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبد الله ، قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، قال : فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل الناس معه ، قال : فجلس وأخرجناها إليه ، قال : فَبَرَّكَ وسَمَّى [الله]، ثم أكل ، وَتَوَارَدَها الناسُ كُلَّمَا فَرَغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها

قال ابن إسحق : وحُدِّثتُ عن سَلْمَان الفارسيِّ أنه قال : ضَرَبْتُ فى ناحية من الخندق ، فَغَلُظَتْ علىَّ [صخرةٌ] ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قريبٌ منى ، فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان علىَّ نزل فأخذ المِعْوَلَ من يدى ، فضرب به ضربةً لمعت تحت المعول برقة ، قال : ثم ضرب به ضربةً أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، قال : ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى ، قال : قلت : بأبى أنتَ وأمى يارسول الله ما هذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : « أَوَ قَدْ

---

(١) يريد ليست كاملة السمن

رأيتَ ذَلِكَ يا سَلْمَانُ » ؟ قال : قلت : نعم ، قال : «أَمَّا الأُولَى فإنَّ الله فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الْيَمَنَ ، وأمَّا الثانيةُ فإنَّ الله فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الشَّأْمَ والمغربَ ، وأما الثالثةُ فإنَّ الله فتحَ عَلَيَّ بِهَا الْمَشْرِقَ »

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أَتَّهِمُ عن أبى هريرة أنه كان يقول — حين فُتِحَتْ هذه الأمصار فى زمان عمر وزمان عثمان وما بعده — : افْتَتِحُوا ما بدالكم ، فوالذى نفس أبى هريرة بيده ما افْتَتَحْتُمْ من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك

منازل المشركين حول المدينة

قال ابن إسحق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمُجْتَمَع الأسيال من دُومَةَ بين الْجُرُفِ وزَغَابة[1] فى عشرة آلاف من آحابيشهم ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غَطَفَانُ ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذَنَبِ نَقْمى إلى جانب أُحُد ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظُهُورَهُم إلى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم

حيى بن أخطب يحرض كعب بن أسد القرظى على رسول الله

قال ابن إسحق : وأمر بالذَّرَارِى والنساء ، فجُعِلوا فى الآطام ،[2] وخرج عَدُوُّ الله حُيَيُّ بن أَخْطَب النَّضَرِىُّ حتى أتى كعب بن أسد

(١) « بين الجرف وزغابة » قال أبو ذر : « وقع هنا بالزاى مفتوحة ورغابة بالراء المفتوحة هو الجيد ، وكذا رواه الوقشى » اه

(٢) الآطام : هى الحصون ، ويقال : هى القصور ، واحدها أطم بضمتين

القُرَظِيّ صاحب عقـد بنى قريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليـه وسلم على قومه ، وعاقده على ذلك [وعاهده] ، فلما سمع كعبٌ بحُيَيّ بن أَخْطَبَ أغلق دونه باب حِصْنه ، فاستأذن عليـه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حُيَيٌّ : ويحك يا كَعْبُ افتح لى ، قال : ويحك ياحُيَيُّ إنك امْرُؤٌ مَشْئُومٌ ، وإنى قد عاهدت محمداً ، فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أرَ منه إلا وفاءً وصِدْقًا ؛ قال : وَيْحَكَ افتح لى أُكَلِّمْكَ ، قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت الحِصْنَ دونى إلا تَخَوَّفْتَ على جشيشتك (١) أن آكل منها معك ؛ فأَحْفَظَ (٢) الرَّجُلَ ؛ ففتح له ، فقال : ويحك يا كعب جئتك بعزِّ الدهر وببَحْرٍ طامٍ (٣) جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من دومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذَنَب نَقْمَى إلى جانب أحد ، قد عاهدونى وعاقدونى على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمـداً ومن معـه ، قال : فقال له كعب : جئتنى والله بذُلّ الدهر ، وبجَهَامٍ (٤) قد هَرَاقَ ماءه ،[فهو] يُرْعِدُ ويُبْرِقُ ليس فيه شيء ، ويْحَكَ يا حُيَيُّ فدَعْنى وما أنا عليه ، فانى لم أَرَ مِنْ محمد إلا صدقا ووفاء ، فلم يزل

---

(١) الجشيشة : طعـام يصنع من الجشيش ، وهو البريطحن غليظا ، وهو الذى تقول له العامة دشيشة ، والصواب فيه الجيم

(٢) أحفظ الرجل : أغضبه وأثار حفيظته ، والحفيظة : الغضب

(٣) البحر الطامى : المرتفع الكثير المـاء ، وأراد تشبيه عدد القوم فى كثرته بالبحر لأنه يغطى جوانبه كلها

(٤) الجهام - بفتح الجيم والهاء - السحاب الرقيق الذى لاماء فيه ، وهراق: صب ، يريد أنه خال من المطر

حُيَيٌّ بكعب يَفْتِلُه فى الذِّرْوَة والغَارِب [1] حتى سمح له على أن أعطاه عهداً وميثاقا لئن رَجَعَتْ قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك فى حِصْنِك حتى يصيبنى ما أصابك ، فنقض كعب بن أسد عهده ، و برىء مما كان بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم

رسول الله يعلم بانتقاض كعب بن أسد فيرسل من يتأكد له من ذلك

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ ، و إلى المسلمين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَعْد بن مُعَاذ بن النعمان — وهو يومئذ سيد الأوس — وسَعْدَ بن عُبَادة بن دُلَيم أحَدَ بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج — وهو يومئذ سَيِّدُ الخزرج — ومعهما عَبْدُ الله بن رَواحة أخو بنى الحرث بن الخزرج ، وخَوَّاتُ بن جُبَيْر أخو بنى عمرو بن عوف ، فقال : « انْطَلِقُوا حَتَّى تَنْظُرُوا أَحَقٌّ مَا بَلَغَنَا عَنْ هؤُلاَءِ الْقَوْمِ أم لا ، فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَالْحَنُوا لِى لَحْنًا أَعْرِفُهُ [2] وَلاَ تَفُتُّوا فِى أَعْضَادِ [3] النَّاسِ وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَفَاءِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْهَرُوا بِهِ لِلنَّاسِ » قال : فخرجوا حتى أتَوْهُمْ ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : مَنْ رَسُولُ الله ؟ ! لا عَهْدَ بيننا و بين محمد ولا عقد ، فَشَاتَمَهُمْ سَعْدُ بن مُعَاذ وشاتموه ، وكان رجلا فيه حِدَّةٌ ،

(١) الذروة والغارب : أعلى ظهر البعير ، وإذا نفر البعير وشرد من صاحبه واستعصى عليه أخذ يمسح بيده على أعلى ظهره حتى يسكن ويطمئن إليه ويستأنس به فيجعل الخطام على رأسه ، أراد أنه لم يزل يخادعه كما يخادع البعير إذا كان نافرا

(٢) « فالحنوا لى لحنا » اللحن : أن يخالف ظاهر الكلام معناه ، وقال الشاعر : —

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْمَا تَفْهَمُوا ... وَاللَّحْنُ يَفْهَمُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ

(٣) يقال : فت فى عضده ، إذا ضعفه وأوهنه

فقال له سعد بن عبادة : دَعْ عَنْكَ مُشَاتمتهم ، فما بيننا وبينهم أَرْبَى من المشاتمة [١] ، ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلَّموا عليه ثم قالوا : عَضَلٌ والْقَارَة ، أى : كَغَدْرِ عَضَلٍ والْقَارة بأصحاب الرجيع خُبَيْبٍ وأصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله أكْبَرُ ، أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ »

اشتداد الخوف وظهور نفاق المنافقين

وعَظُمَ عند ذلك الْبَلاَء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عَدُوُّهم من فوقهم ومن أَسْفَلَ منهم ، حتى ظَنَّ المؤمنُون كُلَّ ظن ، و نَجَمَ النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال مُعَتِّبُ بن قُشير أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يَعِدُنا أنْ نأكُلَ كُنوزَ كسرى وقيصر ، وأَحَدُنَا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط

قال ابن هشام : وأخبرنى من أثق به من أهل العلم أن مُعَتِّب بن قُشَيْر لم يكن من المنافقين ، واحْتَجَّ بأنه كان من أهل بدر

قال ابن إسحق : وحتى قال أوْسُ بن قَيْظِيٍّ أحد بنى حارثة بن الحرث : يارسولَ الله ، إنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ من العدوّ ، وذلك عن مَلأٍ من رجال قومه ، فَأْذَنْ لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا فإنها خارج من المدينة

فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأقام [عليه] المشركون بضعاً وعشرين ليلةً قريبا من شهر ، لم يكن بينهم حرب إلا الرِّمِّيَّا [٢] بالنَّبْل والحصار .

---

(١) أربى من المشاتمة : أعظم وأكثر

(٢) « الرميا » بكسر الراء وتشديد الميم مكسورة وبعدها ياء مشددة مفتوحة وآخره ألف مقصورة ـ هو مصدر بمعنى الرمى ، مثل الحجيرى والخليفى فى قول عمر : « لولا الخليفى لأذنت » يريد لولا الخلافة ومشاغلها

قال ابن هشـام : ويقال : الرَّمْيَا

رسول الله يشرع في الصلح مع غطفان

فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — كما حدثني عاصم بن عمر بن قَتادة ومن لاَ أَتَّهِمُ ، عن محمد بن مُسْـلم بن عبيد الله بن شهاب الزُّهري ، إلى عيينة بن حِصن بن حذيفة بن بدر ، و إلى الحرث بن عوف بن أبي حارثة المُرِّيِّ — وهما قائدا غطفان — فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهما الصـلح ، حتى كتبوا الـكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح ، إلا المُرَاوَضة في ذلك ،

رسول الله يستشير سعد بن معاذ فيأبى قبول الصلح

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بعث إلى سعد بن مُعاذ وسعد بن عُبَادة ، فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه ، فقالا له : يارسولَ الله أمراً تحبُّـه فنصنعه ، أم شيئا أمرَكَ اللهُ به لا بُدَّ لنا من العمل به ، أم شيئا تصنعه لنا ؟ قال : « بَلْ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَـكُمْ ، وَاللهِ مَا أَصْنَعُ ذٰلِكَ إِلاَّ لِأَنَّنِي رَأَيتُ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْـكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ وكَالَبُوكُمْ[1] مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَأَرَدتُ أنْ أَكْسِرَ عَنكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ إِلَى أمْرٍ مَّا » فقال له سعد بن معاذ : يارسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبـد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قِرًى[2] أو بيعا ، أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزَّنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ ! ! [والله] مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى

---

(١) كالبوكم : اشتدوا عليكم ، والأصل فيه الكَلَب ـ بفتح الكاف واللام ـ وهو السعار

(٢) قوله « إلا قرى أو بيعا » القرى ـ بكسر القاف ـ الطعام الذى يقدم للضيف ، وقيل : هو المصدر ، يريد أن هؤلاء لم يكونوا ليطمعوا أن يذوقوا

يحكمَ الله بيننا و بينهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأَنْتَ وَذَاكَ » فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا مافيها من الكتاب ثم قال : لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا .

جماعة من المشركين يقتحمون الخندق بخيولهم

قال ابن إسحق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوُّهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قتال ، إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد وُدِّ بن أبي قيس أخو بني عامر بن لؤى

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن عَبْد بن أَبي قيس

قال ابن إسحق : وعِكْرِمَةُ بن أبي جَهْل وهُبَيْرَة بن أبي وَهْب ، المخزوميان ، وضِرَار بن الخَطَّاب [الشاعر] بن مِرْدَاس أخو بني محارب ابن فِهر ، تَلَبَّسُوا للقتال ، ثم خرجوا على خيلهم حتى مَرُّوا بمنازل بني كنانة ، فقالوا : تَهَيَّؤا يا بني كنانة للحرب ، فَسَتَعْلَمُون مَنِ الْفُرْسَان اليوم ، ثم أقبلوا تُعْنِقُ بهم (١) خيلهم ، حتى وقفوا على الخندق ، فلما رَأَوْه قالوا : والله إنَّ هذه لَمَكِيدَةٌ ما كانت العرب تكيدها

قال ابن هشام : ويقال : إن سَلْمَان [الْفَارِسِيَّ] أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم

تمر المدينة إلا بأحد سببين : إكرامهم إذا نزلوا بنا ضيوفا ، أو شرائهم منا ، فأما أن يأكلوه عن إتاوة يجب علينا أداؤها إليهم فذلك ما لم يكن وما لا نرضى به أبدا ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأقل حماسة منه ، ولكنه أراد أن يرى رأى أهل المدينة حتى يطمئن إلى رضاهم عن المجالدة والاستبسال في الدفاع حتى آخر رمق ، صلى الله عليه وسلم ، ما كان أحكمه ! ! وما كان أسد رأيه ! !

(١) تعنق بهم : تسرع ، وأصله العنق – بفتح العين والنون – وهو ضرب من السير السريع

قال ابن هشام : وحدثنى بعضُ أهل العلم أن المهاجرين يوم الخندق قالوا : سَلْمَانُ منا ، وقالت الأنصار : سَلْمَانُ مِنَّا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ »

قال ابن إسحق : ثم تيمَّمُوا مكاناً ضيِّقاً من الخندق ، فضربوا خيُولَهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم فى السَّبْخَة بين الخَنْدق وسَلْع ، وخرج على بن أبى طالب عليه السلام فى نَفَرٍ معه من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثُّغْرَة (١) التى أقحمُوا منها خيلهم ، وأقبلت الفُرْسَان تُعْنِقُ نحوَهم

على بن أبى طالب وعمرو بن عبد ود

وكان عَمْرُو بن عبد وُدٍّ قد قاتل يوم بَدْرٍ حتى أثبَتَتْه الجراحة ، فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلَماً (٢) لِيُرَى مكانه ، فلما وقف هو وخَيْلُهُ قال : من يبارز ؟ فَبَرَزَ له على بن أبى طالب ، فقال له : يا عَمْرُو ، إنك [قد] كنت عاهدت الله ألاَّ يَدْعُوكَ رجل من قريش إلى إحدى خَلَّتَيْن إلا أخذتها منه ، قال له : أجل ، قال له على : فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الاسلام ، قال : لا حاجة لى بذلك ، قال : فإنى أدعوك إلى النزال ، فقال له : لم يا ابن أخى ؟ فوالله ما أحبُّ أن أقتلك ، قال له على : ولكنِّى والله أحبُّ أن أقتلك ، فحَمِىَ عَمْرو (٣) عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه فعقَرَه وضرب وجهه ثم أقبل على علىٍّ ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله على رضى الله عنه ، وخرجت خَيْلُهُم منهزمةً حتى اقتحمت من الخندق هاربةً

---

(١) الثغرة ـ بضم الثاء وسكون الغين المعجمة ـ الثلمة التى كانت فى الخندق ، وكانوا قد اقتحموه منها

(٢) معلما ـ بضم الميم وسكون العين المهملة وكسر اللام ، وقد يقال بفتحها ـ هو الذى جعل لنفسه علامة وشعارا يعرف بها

(٣) حمى عمرو : غضب واشتد غضبه

قال ابن إسحق : وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى ذلك : —

كلة لعلى بن أبى طالب فى قتله عمرو ابن عبد ود

نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ   وَنَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِى (١)

فَصَدَرْتُ حِينَ تَرَكْتُهُ مُتَجَدِّلاً   كَالْجِذْعِ بَيْنَ دَكَادِكٍ وَرَوَابِى (٢)

وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوَ انَّنِى   كُنْتُ الْمُقَطَّرَ بَزَّنِى أَثْوَابِى (٣)

لاَ تَحْسَبُنَّ اللهَ خَاذِلَ دِينِهِ   وَنَبِيِّهِ يَا مَعْشَرَ الْأَحْزَابِ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلى [بن أبى طالب]

عكرمة بن أبى جهل يفر ويلقى رمحه

قال ابن إسحاق : وألقى عكرمة بن أبى جهل رُمْحَه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ، فقال حسان بن ثابت فى ذلك : —

---

(١) الحجارة : أراد بها الأصنام والأنصاب التى كان أهل الشرك ينصبونها ويعبدونها ويذبحون لها ، يقول : إنه جاء يحاربنا انتصارا لما هو عليه من السفاهة وفساد الرأى ، ونحن خرجنا له دفاعا عن الحق والصواب

(٢) متجدلا : لاصقا واقعا على الجدالة ، وهى بزنة سحابة الأرض ، وتقول : جدلته فتجدل ، والجذع : أراد به جذع النخلة ، والدكادك : جمع دكداك ، وهو الرمل اللين ، والروابى : جمع رابية ، وهى ماارتفع وعلا وأشرف من الأرض

(٣) المقطر : اسم مفعول من قولهم : قطرت الفارس ، إذا ألقيته على أحد قطريه (أى : جنبيه) وقال الشاعر :—

قَدْ عَلِمَتْ سَلْمَى وَجَارَاتُهَا   مَا قَطَّرَ الْفَارِسَ إِلاَّ أَنَا

وبزنى : سلبنى وغلبنى عليها ، يقول : إننى قتلته ولم أفكر فى سلبه ، ولو أن الأمر كان بالعكس فكان هو الذى قتلنى لأخذ أثوابى ، ومثله فى المعنى قول عنترة العبسى : —

هَلاَّ سَأَلْتِ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ   إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِى

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِى   أَغْشَى الْوَغَى وَأَعِفُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

فَرَّ وَأَلْقَى لَنَا رُمْحَهُ لَعَلَّكَ عِكْرِمَ لَمْ تَفْعَلِ حسان يهجو عكرمة
وَوَلَّيْتَ تَعْدُو كَعَدْوِ الظَّلِيـ ـمِ مَا إِنْ تَحُورُ عَنِ الْمَعْدِلِ (١)
وَلَمْ تُلْقِ ظَهْرَكَ مُسْتَأْنِساً كَأَنَّ قَفَاكَ قَفَا فُرْعُلِ

قال ابن هشام : الْفُرْعُل : صغير الضِّباع ، وهذه الأبيات فى أبيات له

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق و بنى قريظة « حٰم لاَ يُنْصَرُونَ » شعار رسول الله وأصحابه يوم الخندق

قال ابن إسحق : وحدثنى أبو ليلى عَبْدُ الله بن سهل بن عبد الرحمن [ابن سهل] الأنصارى أخو بنى حارثة ، أن عائشة أم المؤمنين كانت فى حِصْنِ بنى حارثة يوم الْخَنْدَق ، وكان من أَحْرزِ حُصُون المدينة ، قال : وكانت أمُّ سَعْد بن مُعَاذ معها فى الْحِصْن ، فقالت عائشة ، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب : فمر سَعْدٌ وعليه دِرْعٌ له مُقَلَّصَة (٢) قد خرجت منها ذراعه كلُّها ، وفى يده حَرْبته يَرْفُل (٣) بها و يقول : — سعد بن معاذ

---

(١) الظليم : ذكر النعام ، والنعام مضرب المثل فى العدو ، وتحور : ترجع ، والمعدل : العدول ، وأراد أنه لا يفكر فى الرجوع عما اعتزمه من الفرار عن الحرب ، يريد أنه فر على عزيمة ألا يعود وإنما يكون ذلك لأنه شهد من أعدائه صلابة واستبسالا ، وهذا ما يريده

(٢) مقلصة : أى قصيرة قد ارتفعت عن مكانها الذى ينبغى أن تصله ، تقول : تقلص الشيء ، إذا ارتفع وانقبض

(٣) يرفل بها : يريد يمشى بها متبخترا ، وهذا بعض الروايات فى هذه الكلمة ، ويروى « يرقد بها » بتشديد الدال المهملة ، ويروى « يرمد بها » بالميم وآخره دال مشددة ، والمعنى فيهما واحد ، تريد أنه يسرع بها ، وقال بعض أهل اللغة : الارقداد : سعى النافر

لَبِّثْ قَلِيلاً يَشْهَدِ الْهَيْجَا حَمَلْ
لاَ بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلْ (١)

فقالت له أمه : الْحَقْ أيْ بُنَيَّ فقد والله أَخَّرْتَ ، قالت عائشة : فقلت لها : ياأمَّ سعد ، والله لَوَدِدْتُ أن دِرْعَ سعد كانت أَسْبَغَ (٢) مما هى ، قالت : وخِفْتُ عليه حَيْثُ أصاب السهْمُ منه ، فرُمِىَ سعد بن مُعَاذ بسَهْم فقطع منه الْأَكْحَلَ (٣) ، رماه — كما حدثنى عاصم [بن عمر ابن قتادة] — حبَّانُ بن قيس بن الْعَرِقَة ، أحد بنى عامر بن لؤى ، فلما أصابه قال : خُذْها منى وأنا ابْنُ الْعَرِقَة ، فقال له سعد : عَرَّقَ اللهُ وَجْهَكَ فى النار ، اللهمَّ إنْ كنت أبقيتَ من حرب قريش شيئاً فأبْقِنِى لها ؛ فإنه لا قَوْمَ أحبَّ إلى أن أجاهد[هم] من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنتَ قد وَضَعْتَ الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ، ولا تُمِتْنِى حتى تُقِرَّ عينى من بنى قريظة

سعد بن معاذ يصاب بسهم

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذٍ إلا أبو أسامة الْجُشَمِىُّ حليف بنى مخزوم ، وقد قال أبو أسامة فى ذلك شعراً لعكرمة بن أبى جهل : —

---

(١) لبث : فعل أمر من التلبيث ، وهو المكث والانتظار والاستمهال ، وحمل - بالحاء المهملة - اسم رجل ، والرجز قديم تمثل به سعد بن معاذ رضى الله عنه هنا ، وقد وقع فى كثير من أصول الكتاب وفى تاريخ ابن كثير جمل بالجيم وهو تصحيف ، والهيجا : الحرب ، وأصله ممدود فقصره حين اضطر ، وحان : جاء حينه ووقته

(٢) أسبغ : أكمل وأضفى ، والدرع السابغة : الكاملة الضافية التى تملأ مكانها وتستر صاحبها

(٣) الأكحل : عرق فى الذراع

كلمة لأبي أسامة الجشمي يذكر فيها أنه الذي أصاب سعدا

أَعِكْرِمَ هَلاَّ لُمْتَنِي إِذْ تَقُولُ لِي : فِدَاكَ بِآطَامِ الْمَدِينَةِ خَالِدُ (١)
أَلَسْتُ الَّذِي أَلْزَمْتُ سَعْداً مُرِشَّةً
لَهَا بَيْنَ أَثْنَاءِ الْمَرَافِقِ عَانِدُ (٢)
قَضَى نَحْبَهُ مِنْهَا سُعَيْدٌ فَأَعْوَلَتْ
عَلَيْهِ مَعَ الشُّمْطِ الْعَذَارَى النَّوَاهِدُ (٣)
وَأَنْتَ الَّذِي دَافَعْتَ عَنْهُ وَقَدْ دَعَا
عُبَيْدَةُ جَمْعًا مِنْهُمُ إِذْ يُكَابِدُ
عَلَى حِينِ مَا هُمْ جَائِرٌ عَنْ طَرِيقِهِ
وَآخَرُ مَرْعُوبٌ عَنِ الْقَصْدِ عَامِدُ (٤)

---

(١) الآطام : جمع أطم ، بزنة عنق وأعناق ، والأطم : القصر أو الحصن

(٢) مرشة : اسم فاعل من أرش - بزنة أمد - أى أصابته فأطارت رشاش الدم منه ، وفى بعض النسخ « مريشة » على أنها اسم مفعول من راش السهم ، وهى بعيدة ، والمرافق : جمع مرفق ، وهو ما يعتمد عليه من الذراع ، والعاند - بالنون - العرق الذى لا ينقطع منه الدم

(٣) قضى نحبه : أى أجله ، يريد مات ، وسعيد : هو سعد بن معاذ وقد صغره ليستقيم له الوزن ، وكأنه أراد تحقيره ، وأعولت : بكت بأصوات مرتفعة ، والشمط : جمع شمطاء ، وهى المرأة التى خالط الشيب شعرها ، والعذارى : جمع عذراء ، وهى البكر من النساء ، والنواهد : جمع ناهد ، وهى التى نهد ثديها ، أى : ارتفع وظهر

(٤) المرعوب : الذى أصابه الرعب وهو الفزع والخوف ، ويروى « مرغوب » بالغين المعجمة — وهو على معنى النسب : أى ذو رغبة عن القصد ، والرواية الأولى التى أثبتناها أولى لأنها لا تحتاج إلى شىء من التكلف

والله أعلم أيُّ ذلك كان

قال ابن هشام : ويقال : إن الذى رمى سعداً خَفَاجة بن عاصم بن حِبَّان

شأن صفية بنت عبد المطلب واليهودى الذى يطيف بالحصن

قال ابن إسحق : وحدثنى يَحْيَى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبَّاد ، قال : كانت صَفِيَّةُ بنت عبد المطلب فى فارِعٍ حِصْنِ حَسَّان بن ثابت ، قالت : وكان حَسَّانُ بن ثابت معنا فيه مع النساء والصبيان ، قالت صفية رضي الله عنها : فَمَرَّ بنا رجل من يَهُود ، فجعل يُطِيف بالحصن ، وقد حَارَبَتْ بنو قريظة ، وَقَطَعَتْ مابيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبينهم أحد يَدْفَعُ عنا ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى نُحُور عَدُوِّهم لا يستطيعون أن يَنْصَرِفوا عنهم إلينا إنْ أتانا آتٍ ، قالت : فقلت : ياحسان ، إنَّ هذا اليهوديَّ كما ترى يُطِيفُ بالحصن ، وإنى والله ما آمنه أن يَدُلَّ على عَوْرَتنا مَنْ وراءنا من يهود ، وقد شُغِلَ عَنَّا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله ، قال : يغفر الله لك ياابنة عبد المطلب ، والله لقد عَرَفْتِ ما أنا بصاحب هذا ، قالت : فلما قال لى ذلك ولم أر عنده شيئاً احْتَجَزْتُ (١) ثم أخذت عَمُودًا (٢) ، ثم نزلت من الحصن إليه ، فضربته بالعمود حتى قَتَلْته ، قالت : فلما فَرَغْتُ منه رجعت إلى الحصن ، فقلت : ياحَسَّان ، انزل إليه فاسْلُبْه

والعناء وارتكاب غير الجادة مما تحتاجه هذه الرواية

(١) احتجزت . معناه شددت وسطى ، تقول : احتجز فلان بازاره ، إذا شد وسطه وربطه فيه ، وتروى هذه الكلمة « اعتجرت » ومعناه شددت معجرى ، والمعجر – بزنة منبر – الثوب تلتف به

(٢) العمود هنا : أحد أعمدة البيت التى يقام عليها ، وقد يكون العمود المقرعة من الحديد

فإنه لم يمنعني من سَلَبه إلا أنه رجل ، قال : مالى بسَلَبِهِ من حاجة ياابنة عبد المطلب (١)

قال ابن إسحق : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة ؛ لتظاهر عدوّهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فَوْقِهِم ومن أسْفَلَ منهم

نعيم بن مسعود الغطفانى بين يدى رسول الله يعلن اسلامه ويعرض معونته

ثم إن نُعَيْمَ بن مَسْعُود بن عامر بن أُنَيف بن ثَعْلبة بن قُنْفُذ بن هلال بن خَلاَوة بن أشجع بن رَيْث بن غَطَفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، إنى قد أسلمت ، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى ، فمُرْنى بما شئت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّمَا أنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ فَخَذِّلْ عَنَّا (٢) إنِ اسْتَطَعْتَ ؛ فَإنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ »

نعيم بن مسعود عند بنى قريظة يخذلهم

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قُرَيْظة — وكان لهم نديما فى الجاهلية — فقال : يابنى قريظة ، قد عرفتم وُدّى إيا كم ، وخاصَّةَ مابينى وبينكم ، قالوا : صَدَقْتَ ، لستَ عندنا بمُتَّهَم ، فقال لهم :

---

(١) أنكر قوم منهم أبو ذر شارح السيرة هذا الحديث ، واستبعد أن يكون حسان بن ثابت رضى الله عنه من الجبن بهذه المنزلة ، بل أنكر أن يكون جبانا ، وذهب إلى أنه يبعد أن تكون هذه الخليقة من أخلاقه ، وقد كان يهاجى كثيرا من الشعراء ويرميهم بالدناءة وكثير من الصفات فما نسبه أحد منهم إلى الجبن ، ولو كان جباناً لما كانوا تركوا ذلك فى مناقضاتهم له ، والقصة مذكورة فى كثير من الكتب الصحيحة بأسانيد صحاح ، وللاحظة أبى ذر وغيره وجه

(٢) خذل عنا : يريد ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضا فلا يقومون لنا ولا يستمرون على حربنا

إن قريشا وَغَطَفان ليسوا كأنتم : البلد بلدكم ؛ فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقـدرون على أن تحَوَّلوا منه إلى غيره ، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وَبَلَدُهُم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رَأَوْا نُهْزَةً (١) أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخَلَّوْا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُنًا من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ثقةً لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه ، فقالوا له : لقد أشرت بالرأى

نعيم بن مسعود عند قريش يخذلهم

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم وُدِّى لكم ، وفِرَاقى محمداً ، وإنه قد بلغنى أمرٌ قد رأيت عَلَىَّ حقًّا أن أبلغكموه نُصْحًا لكم ، فاكتموا عنى ، قالوا : نفعل ، قال : تَعَلَّمُوا أن معشر يهود قد نَدِمُوا على ماصنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على مافعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنُعطيَكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ، فأرسـل إليهم : [أنْ] نَعَم ، فإن بعَثَت إليكم يهود يلتمسون منكم رُهُنًا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحداً

نعيم بن مسعود عند غطفان يخذلهم

ثم خرج حتى أَتَى غَطَفَان ، فقال : يامعشر غَطَفَان ، إنـكم أَصْلِى وعَشِيرتى وأَحَبُّ النـاس إلى ، ولا أُرَاكم تَتَّهِموننى ، قالوا : صَدَقْتَ ما أنت عندنا بمُتَّهَمٍ ، قال : فاكتموا عَنِّي ، قالوا : نفعل ، [فما أمرك]

---

(١) نهزة — بضم النون وسكون الهاء — الفرصة ، وانتهـاز الشيء واختلاسه

ثم قال لهم مثل ما قال لقريش ، وحَذَّرَهُم ماحَذَّرَهم

رسل قريش وغطفان عند يهود تطلب اليهم الخروج للحرب فيطلبون منهم رهنا

فلما كانت ليلة السبت من شَوَّال سَنَةَ خمسٍ ، وكان من صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أنْ أرسل أبو سفيان بن حَرْب ورءوس غَطَفان إلى بنى قريظة عِكْرِمَةَ بن أبى جهل فى نَفَرٍ من قريش وغَطَفان فقالوا لهم : إنا لَسْنَا بدارِ مُقَامٍ وقَدْ هَلَكَ الْخُفُّ[١] والحافر فاغْدُوا للقتال حتى نُنَاجز محمداً ونَفْرُغَ مما بيننا وبينه ، فأرسلوا إليهم إنَّ اليوم يَوْمُ السَّبت وهو يوم لانعمل فيه شيئا ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حَدَثًا فأصابه مالم يَخْفَ عليكم ، ولسنا مع ذلك بالَّذين نُقَاتل معكم محمداً حتى تُعْطُونا رُهُناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقةً لنا حتى نُنَاجز محمدا ، فانا نخشى إن ضَرَّسَتْكُمْ[٢] الحرب واشْتَدَّ عليكم القتال أن تَنْشَمِروا[٣] إلى بلاكم وتتركونا والرجُل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه

قريش تأبى أن تعطى اليهود رهنا

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : والله إنَّ الذى حَدَّثكم نُعَيْمُ بن مَسْعود لَحَقٌّ ، فأرسلوا إلى بنى قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رَجُلاً واحدا من رجالنا ، فان كُنْتُمْ تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إنَّ الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لَحَقٌّ ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا ، فان رأوا فُرْصَةً انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انْشَمَروا إلى بلادهم وخَلَّوْا بينكم وبين الرجل فى بلدكم

---

(١) يعنى بالخف الابل ، وبالحافر الخيل

(٢) ضرستكم : نالت منكم ، كما ينال ذو الأضراس بأضراسه

(٣) تنشمروا : تنقبضوا وتسرعوا فى العودة إلى بلادكم ، وفى نسخة « فتنشمروا »

اليهود تأبى الاشتراك فى الحرب الآن يأخذوا رهنا

فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله لا نقاتل معكم [محمداً] حتى تعطونا رُهُناً فأبَوْا عليهم ، وخَذَّل الله بينهم ، وبعث الله عليهم الريح فى ليالٍ شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تَكْفأ قُدُورَهُم [(١)] وتطرح أبْنِيَتَهُم .

رسول الله يرسل حذيفة بن اليمان يتعرف له حال القوم

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جماعتهم ، دعا حُذَيْفَةَ بن اليَمَان فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلا .

قال ابن إسحق : فحدثنى يَزِيدُ بن زياد ، عن محمد بن كعب القُرَظى ، قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذَيْفَةَ بن اليمان : ياأبا عبدالله أرأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصَحِبْتُمُوهُ ؟ قال : نعم يا ابن أخى ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نَجْهَد ، قال : فقال : والله لو أدركناه ماتركناه يمشى على الأرض وَلَحَمَلْنَاه على أعناقنا ، قال : فقال حذيفة : ياابن أخى ، والله لقد رَأَيْتُنَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخَنْدَق ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَوِيًّا [(٢)] من الليل ثم التفت إلينا فقال : « مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ القَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ » يَشْرِطُ له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرَّجْعَة « أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ رَفِيقِى فِى الجَنَّةِ » فما قام رجل من القوم

---

(١) تكفأ قدورهم : تقلبها وتميلها ، تقول : كفأت الاناء ، إذا قلبته ، وقوله « وتطرح أبنيتهم » هكذا وقع فى أكثر النسخ ، وهى جمع بناء ، وأراد أخبيتهم وبيوتهم ، وفى نسخة « آنيتهم » جمع إناء .

(٢) « هويا من الليل » : بفتح الهاء أو ضمها وكسر الواو وتشديد الياء . أى : جزءاً منه وقطعة منه

من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لي بُدٌّ من القيام حين دعاني ، فقال : « ياحُذَيْفَةُ اذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ وَلاَ تُحْدِثَنَّ شَيْئاً حَتَّى تَأْتِيَنَا » قال : فذهبت ، فدخلت في القوم والريحُ وجُنُودُ الله تفعل بهم ما تفعل لا تُقِرُّ لهم قِدْراً ولا ناراً ولا بناء ، فقام أبوسفيان فقال : يامعشر قريش ، لِيَنْظُر امرؤ مَنْ جليسه ، قال حذيفة : فأخَذْتُ بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان ، ثم قال أبو سفيان : يامعشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدارِ مُقَام ، لقد هلك الْكُرَاع والْخُفُّ[1] وأَخْلَفَتْنَا بنو قُرَيظة ، وبَلَغَنَا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شِدَّة الريح ما تَرَوْنَ ؛ ماتطمئن لنا قِدْرٌ ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يَسْتَمْسِك لنا بناء ، فَارْتَحِلُوا فإني مُرْتَحِلٌ ، ثم قام إلى جمله وهو مَعْقُول فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عِقَاله إلا وهو قائم ، ولولا عَهْدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي أن لا تحدث شيئاً حتى تأتيني ثم شِئْتُ لقتلته بسَهْم .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهوقائم يُصَلِّي في مِرْطٍ[2] لبعض نسائه مرَاجِل

قال ابن هشام : المراجل : ضَرْبٌ من وَشْي اليمن

فلما رآني أدخلني إلى رِجْلَيْه ، وطَرَح عَلَيَّ طَرَفَ الْمِرْطِ[2] ، ثم

---

(١) الكراع : الخيل ، والخف : الابل

(٢) المرط ــ بكسر الميم وسكون الراء المهملة ــ الكساء ، وقد فسر ابن هشام المراجل بأنه ضرب من وشي اليمن

رجع وسجد وإني لَفِيهِ ، فلما سَلَّم أخبرته الخبر

وسمعت غَطَفَان بما فعلت قريش فا نْشَمَرُوا راجعين إلى بلادهم

غزوة بني قريظة ، في سنة خمس

قال ابن إسحق : ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة ، والمسلمون ، ووضعوا السلاح فلما كانت الظهر أتى جبريلُ عليه السلام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ـ كما حدثني الزُّهْرِيُّ ـ مُعْتَجِراً[١] بعمامة مِنْ إِسْتَبْرَقٍ[٢] على بغلة عليها رِحَالةٌ[٣] عليها قَطِيفة من ديباج ، فقال : أَوَقَدْ وَضَعْتَ السِّلاح يارسول الله ؟ قال : «نعم» ، فقال جبريل : فما وضعت الملائكةُ السلاحَ بعد وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله عز وجل يأمرك يامحمد بالمسير إلى بني قريظة ، فاني عامد إليهم فمُزَلْزِلٌ بهم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مُؤَذنا فأَذَّنَ في الناس : « مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا فَلاَ يُصَلِّيَنَّ الْعَصْرَ إِلاَّ بِبَنِي قُرَيْظَةَ » واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام

امر الله رسوله بالمسير الى بني قريظة

قال ابن إسحق : وقَدَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضوان الله عليه برايته إلى بني قريظة ، وابْتَدَرَهَا الناسُ ، فسار علي بن أبي طالب حتى إذا دنا من الْحُصُون سمع منها مَقَالَةً قبيحةً لرسول الله

علي بن ابي طالب يتقدم براية رسول الله

---

(١) الاعتجار : أن يتعمم الرجل دون أن يلتحي ، أي : من غير أن يضع من عمامته شيئا تحت لحيته

(٢) الاستبرق : ضرب من الديباج غليظ

(٣) الرحالة : من بعض مراكب الابل، وهي السرج أيضا

صلى الله عليه وسلم ، فرجع حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يارسول الله ، لا عليك أن لا تَدْنُوَ من هؤلاء الأخابث ، قال : « لِمَ ؟ أَظُنُّكَ سَمِعْتَ مِنْهُمْ لِي أَذًى » قال : نعم يارسول الله ، قال : « لَوْ رَأَوْنِي لَمْ يَقُولُوا مِنْ ذَٰلِكَ شَيْئًا » فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال : « يَا إِخْوَانَ الْقِرَدَةِ ، هَلْ أَخْزَاكُمُ اللهُ وَأَنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ » ؟ قالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولا ، ومَرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفرٍ من أصحابه بالصَّوْرَيْنِ [1] قبل أن يَصِلَ إلى بني قريظة ، فقال : « هَلْ مَرَّ بِكُمْ أَحَدٌ » ؟ قالوا : يارسول الله قد مَرَّ بنا دِحْيَةُ [بن خليفة] الْكَلْبِيُّ على بغلة بيضاء عليها رِحَالة عليها قَطيفةُ ديباج ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذَلِكَ جِبْرِيلُ بُعِثَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ يُزَلْزِلُ بِهِمْ حُصُونَهُمْ وَيَقْذِفُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ »

ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم يقال لها : بئر أَنَّا

قال ابن هشام : بئر أُنِّى [2]

قال ابن إسحق : وتَلاَحَقَ به الناس ، فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة ولم يُصَلُّوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاَ يُصَلِّيَنَّ أحدٌ العَصْرَ إلاّ بِبَنِي قُرَيْظَةَ » فشغلهم مالم يكن لهم منه بُدٌّ فى حربهم ، وأبَوْا أن يُصَلُّوا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأتوا

---

(١) الصورين : اسم موضع

(٢) قال فى القاموس « وأنا كهنا أو كحتى أو بكسر النون المشددة : بئر بالمدينة لبنى قريظة ، وواد بطريق حاج مصر » اه

بنى قريظة ، فصَلَّوْا العصر بها بعد العشاء الآخرة ؛ فما عابهم الله بذلك فى كتابه ، ولا عَنَّفَهُم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدثنى بهذا الحديث أبى إسْحٰقُ بن يَسَار ، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصارى

حصار رسول الله بنى قريظة

وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خَمْساً وعشرين ليلة ، حتى جَهَدَهُمُ الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرُّعبَ ؛ وقد كان حُيَيُّ بن أخطب دَخَلَ مع بنى قُرَيْظَةَ فى حصنهم — حين رجعت عنهم قريش وغَطَفَان — وَفَاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ، فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غَيْرُ مُنْصَرِفٍ عنهم حتى يُنَاجزهم قال كعب بن أسد لهم : يامعشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ماترون ، وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثا

نصيحة كعب بن أسد لقومه بنى قريظة

فخذوا أيها شئتم ، قالوا : وما هى ؟ قال : نُتَابِع هذا الرجل ونُصَدِّقه ، فوالله لقد تَبَيَّن لكم إنه لَنَبِيٌّ مُرْسَل وإنه لَلَّذِى تجدُونه فى كتابكم ، فتَأْمَنُون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم [ونسائكم] ، قالوا : لانفارق حُكْمَ التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره ، قال : فإذا أبيتم علىَّ هذه فهلم فَلْنقْتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مُصْلِتِين السيوف (١) لم نترك وراءنا ثَقَلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نَسْلاً نخشى عليه ، وإن نَظْهَرْ فلعمرى لَنَجِدَنَّ النساء والأبناء (٢) ، قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ! ! ؟ فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإن أبيتم علىَّ هذه فإن الليلةَ ليلةُ السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أَمِنُونَا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غِرَّةً ، قالوا : نُفْسِدُ

---

(١) مصلتين السيوف : مجردين لها ، وقد أخرجناها من أغمادها ، تقول : أصلت الرجل سيفه ، إذا جرده وأخرجه من غمده

(٢) فى نسخة « لنتخذن النساء والابناء »

سَبْتَنَا علينا ، ونُحْـدِثُ فيه مالم يُحْـدِثُ من كان قبلنا إلاَّ مَنْ قد عَلِمْتَ فأصابه مالم يَخْفَ عليك من المَسْخ ، قال : مابات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلةً واحدة من الدهر حازِمًا

شأن أبى لبابة واستشارة يهود إياه ، وتوبته بعد ذلك

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابْعَثْ إلينا أبا لُبَابة بن عبد المنذر أخا بنى عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس لِنَسْتَشِيره فى أمرنا ، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، فلما رَأَوْهُ قام إليه الرجال وجَهَشَ[1] إليه النساء والصبيان يَبْـكون فى وجهه ، فَرَقَّ لهم ، وقالوا له : ياأبا لُبَابة ، أترى أن نَنْزِل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه ، إنه الذبح ، قال أبو لبابة : فوالله مازَالَتْ قدمَاى من مكانهما حتى عَرَفْتُ أنى قد خُنْتُ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى ارتبط فى المسـجد إلى عَمُودٍ من عُمُدِهِ ، وقال : لاأبرح [من] مكانى هذا حتى يَتُوبَ الله عَلَيَّ مما صنعت ، وأُعاهد الله أن لا أطأ بنى قُرَيْظَةَ أبداً ، ولا أُرَى فى بلد خُنْتُ الله ورسوله فيه أبداً

قال ابن هشام : فأنزل الله تعالى فى أبى لبابة فيما قال سـفيان بن عيينة عن إسمعيل بن أبى خالد عن عبـد الله بن أبى قتادة (٨ : ٢٧) : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُـولَ وَتَخُونُوا آمَانَاتِـكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

قال ابن إسحق : فلما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خَبَرُه — وكان قد استبطأه — قال : « أَمَا إِنَّهُ لَوْ جَاءَنِى لاَسْتَغْفَرْتُ لَهُ فَأَمَّا إِذْ قَدْ فَعَلَ مَافَعَلَ فَمَا أَنَا بِالَّذِى أُطْلِقُهُ مِنْ مَكَانِهِ حَتَّى يَتُوبَ اللهُ عَلَيْهِ »

---

(١) تقول : جهش الرجل بالبكاء وأجهش ؛ إذا تهيأ له وبدأ فيه

قال ابن إسحق : فحدثنى يَزِيدُ بن عبد الله بن قُسَيْطٍ أن توبة أبى لُبَابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم [من السَّحَر] ، وهو فى بيت أم سلمة ، [قالت أم سلمة :] رضى الله عنها ، فَسَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَرِ وهو يضحك ، قالت : فقلتُ مِمَّ تضحك يارسول الله أضْحَكَ الله سِنَّك ؟ قال : « تِيبَ عَلَى أبى لُبَابَةَ » قالت : قلت : أفلا أبشره يارسول الله ؟ قال : « بَلَى إنْ شِئْتِ » قال : فقامت على باب حُجْرتها — وذلك قبل أن يُضْرَبَ عليهنَّ الحجابُ — فقالت : ياأبا لُبَابة ، أَبْشِرْ فقد تاب الله عليك ، قال : فثار الناس إليه لِيُطْلِقُوهُ ، فقال : لا والله ، حتى يكون رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنى بيده ، فلما مَرَّ عليه [رسولُ الله صلى الله عليه وسلم] خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه

قال ابن هشام : أقام أبو لُبَابَةَ مُرْتَبِطاً بالجِذْع ستَّ ليال ؛ تأتيه امرأتُهُ فى كلِّ وقتِ صلاةٍ فتَحُلُّه للصلاة ثم يعود فيرتبط بالجذع ، فيما حدثنى بعض أهل العلم ؛ والآية التى نزلت فى توبته قول الله عز وجل (٩ : ١٠٢) : (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

إسلام جماعة من بنى هدل

قال ابن إسحق : ثم إن ثَعْلَبَةَ بن سَعْيَةَ وأُسَيْدَ بن سَعْيَة وأسَدَ ابن عُبَيْدٍ — وهم نفرٌ من [بنى] هَدَل ، ليسوا من بنى قُرَيْظة ولا النَّضير ، نَسَبُهُمْ فَوْقَ ذلك ، هم بنو عَمِّ القوم — أسلَمُوا تلك اللَّيْلَةَ التى نزلت فيها [بنو] قُرَيْظَةَ على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

أمر عمرو بن سعدى القرظى

وخرج فى تلك الليلة عَمْرو بن سُعْدَى الْقُرَظى فَمَرَّ بحَرَس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه محمد بن مَسْلَمَةَ تلك الليلة ، فلما رآه قال :

مَنْ هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سُعْدَى ، وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قُرَيظة فى غَدْرِهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لاأغدر بمحمد أبداً ، فقال محمد بن مَسْلَمَة حين عرفه : اللَّهُمَّ لا تحرمنى [إقَالَةَ] عَثَرَاتِ الكرام ، ثم خَلَّى سبيله ، فخرج على وجهه ، حتى بات فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يُدْرَ أين توجه من الأرض إلى يومه هـذا ، فذُكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ، فقال : « ذَاكَ رَجُلٌ نَجَّاهُ اللهُ بِوَفَائِهِ » وبعض الناس يزعم أنه كان أُوثِقَ برُمَّةٍ [١] فيمن أُوثِقَ من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت رُمَّتُهُ مُلْقَاةً ولا يُدْرَى أين ذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة ، والله أعلم أى ذلك كان

بنو قريظة تنزل على حكم رسول الله فيحكم فيهم سعد بن معاذ

فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتَوَاثبَت الأوس فقالوا : يارسول الله صلى الله عليك وسلم ، إنهم [كانوا] مَوَالِينَا دون الخزرج ، وقد فَعَلْتَ فى موالى إخواننا بالأمس ماقد [٢] علمتَ ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى قُرَيْظَةَ [قد] حاصر بنى قَيْنُقَاع ، وكانوا حُلَفَاءَ الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عَبْدُ الله بن أُبَىٍّ ابن سَلُولَ ، فوهبهم له ، فلما كَلَّمَتْهُ الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَلاَ تَرْضَوْنَ يَامَعْشَرَ الْأَوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ » ؟ قالوا : بلى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَذَاكَ

---

(١) الرمة - بضم الراء وتشديد الميم - الحبل البالى ، وتلقيبهم غيلان ابن عقبة بذى الرمة مأخوذ من ذلك

(٢) انظر (ص ٤٢٦ - ٤٢٨ ج ٢ من هذا الكتاب)

إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سَعْد ابن مُعَاذ فى خَيْمَـة لامرأة من أسلم يقال لها رُفَيْدَة فى مسجده ، كانت تداوى الْجَرْحَى وتَحْتَسِب بنفسها على خِدْمَة من كانت به ضَيْعَـةٌ من المسلمين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : « اجْعَلُوهُ فِى خَيْمَةِ رُفَيْدَةَ حَتَّى أَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ » فلما حَكَّمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بنى قُرَيْظة أتاه قومُه فحملوه على حمارٍ قد وَطَّؤُا له بوِسَادَةٍ من أدَمٍ ، وكان رجُلاً جسيما جَمِيلاً ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : ياأبا عَمْرٍو ، أحْسِنْ فى مواليك ، فانَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما وَلاَّكَ ذلك لتُحْسِنَ فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : لَقَدْ أَنَى لِسَعْدٍ أن لا تأخذه فى الله لَوْمَةُ لائم ، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل فنَعَى لهم رجالَ بنى قُرَيْظَةَ قبل أن يصل إليهم سعد ؛ عَنْ كلمته التى سمع منه ، فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ » فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ، وأما الأنصار فيقولون : قد عَمَّ بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم [المسلمين] ، فقاموا إليه ، فقالوا : ياأبا عَمْرٍو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وَلاَّك أمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد بن مُعَاذ : عليكم بذلك عَهْدُ الله وميثَاقُهُ إنَّ الحكمَ فيهم لَمَا حَكَمْتُ ؟ قالوا : نعم ، قال : وعَلَى من هٰهُنَا ؟ فى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَعَمْ » قال سعد : فانى أحكم فيهم أن تُقْتَلَ الرجالُ ،

حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه

وتُقْسَمَ الْأَمْوَال ، وتُسْبَى الذَّرَارى والنساء

قال ابن إسحق : فحدثنى عاصم بن عُمَرَ بن قتادة ، عن عبد الرحمن ابن عمرو بن سعد بن مُعَاذ ، عن علقمة بن وَقَّاص اللَّيْثى ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : « لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ (١) »

قال ابن هشام : حدثنى بعض من أثق به من أهل العلم ، أن على ابن أبى طالب صاح وهم مُحَاصِرُو بنى قُرَيْظَةَ : يا كَتيبة الايمان ، وتقدم هو والزبير بن العوام ، وقال : والله لأذُوقَنَّ مَاذَاقَ حَمْزَةُ أَوْ لَأَفْتَحَنَّ حِصْنَهُمْ ، فقالوا : يامحمد ننزل على حكم سَعْد بن مُعَاذ

تنفيذ حكم سعد بن معاذ فى بنى قريظة

قال ابن إسحق : ثم اسْتُنْزِلُوا فَحَبَسَهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فى دار بنت الحرث امرأة من بنى النجار ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة التى هى سُوقها اليوم ، فَخَنْدَقَ بها خَنَادِقَ ، ثم بعث إليهم فضرب أعْنَاقَهُمْ فى تلك الخنادق : يُخْرَجُ بهم إليه أرْسَالاً (٢) وفيهم عَدُوُّ الله حُيَيُّ بن أخْطَب ، وَكَعْبُ ابن أسَد رأسُ القومِ ، وهم سِتُّمائة أو سَبْعُمِائة ، والْمُكْثِرُ لهم يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة ، وقد قالوا لكعب بن أسد وهُمْ يُذْهَبُ بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرْسَالاً : يا كعب ، ماتراه يَصْنع

(١) قال أبو ذر : « الأرقعة هنا السموات ، واحدها رقيع ، وسميت بذلك لأن بعضها كان يرقع بعضاً ، وبعضهم يجعل الرقيع السماء الدنيا لاغير ، وكأنها رقعت بالنجوم ، وهذا الحديث يدل على عموم التسمية بها » اه كلامه

(٢) أرسالا : أى طائفة بعد طائفة ، جمع رسل بفتح الراء والسين جميعا ، وهو الجماعة من كل شيء

شأن حيي بن أخطب بنا؟ قال: أفى كل موطن لا تَعْقِلُون؟ ألا تَرَوْنَ الدَّاعِيَ لا ينزع، وأنه مَنْ ذُهِبَ به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل؛ فلم يَزَلْ ذلك الدَّأْبَ حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأُتِيَ بِحُيَيِّ بن أخْطَب عَدُوِّ الله وعليه حُلَّةٌ [له] فُقَّاحِيَّةٌ(1) (قال ابن هشام: فُقَّاحِيَّةٌ: ضرب من الْوَشْيِ) قد شَقَّهَا عليه من كل ناحية قَدْرَ أُنْمُلَةٍ(2) لئلا يُسْلَبَهَا، مجموعةً يَدَاه إلى عُنُقِه بِحَبْلٍ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أما والله مالُمْتُ نفسى فى عَدَاوَتِكَ، ولكِنَّهُ من يَخْذُلِ اللهَ يُخْذَلْ، ثم أقبل على الناس فقال: أَيُّهَا الناس، إنه لا بأس بأمر الله كِتَابٌ وَقَدَرٌ وَمَلْحَمَةٌ كتبها الله على بنى إسرائيل، ثم جَلَسَ فَضُرِبَتْ عنقه، فقال جبل بن جوال [الثَّعْلَبِيُّ](3)

لَعَمْرُكَ مَالَامَ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ
وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللهَ يُخْذَلِ

لَجَاهَدَ حَتَّى أَبْلَغَ النَّفْسَ عُذْرَهَا
وَقَلْقَلَ يَبْتَغِي الْعِزَّ كُلَّ مُقَلْقَلِ(4)

---

(1) فقاحية - بضم الفاء وتشديد القاف - أى تضرب إلى الحمرة، نسبة إلى الفقاح، وهو الزهر إذا انشقت أكمته وتفتقت براعيمه

(2) الأنملة: طرف الاصبع، وقد يسمى الاصبع كله أنملة، كما قد تسمى الأنملة أصبعا

(3) قال أبو ذر: «الثعلبي: هو هنا بالثاء المثلثة والعين المهملة، هو من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، قال الدارقطنى: له صحبة، وقال أبو عبيد: كان يهوديا فأسلم» اهـ كلامه

(4) قلقل: تحرك، وقوله «كل مقلقل» هو مصدر ميمى لقلقل، فانتصابه على أنه مفعول مطلق

لم يقتل من نساء بنى قريظة إلا امرأة واحدة

قال ابن إسحق : وقد حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ابن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، أنها قالت : لم يُقْتَلْ من نسائهم إلا امرأة (١) واحدة ، قالت : والله إنها لَعِنْدِي تَحَدَّثُ معى وَتَضْحَك ظَهْراً وَبَطْنًا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالَهَا فى السوق إذ هَتَفَ هَاتِفٌ باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله ، قالت : قلت لها : ويلك مالك ؟ ! قالت : أُقتل ، قلت : ولم ؟ قالت : لحدَثٍ أَحدثته ، قالت : فانْطلِقَ بها فضُرِبَتْ عنقها ، فكانت عائشة تقول : فوالله ما أَنْسَى عَجَبًا منها طيبَ نفسها وكَثْرَةَ ضَحِكها وقد عرفت أنها تُقْتَل

قال ابن هشام : وهى التى طَرَحَتِ الرَّحَا على خَلَّاد بن سُوَيْدٍ فقتلتــــه .

شأن الزبير بن باطا القرظى

قال ابن إسحق : وقد كان ثابت بن قَيْس بن الشَّمَّاس — فيما ذكر لى ابن شهاب الزُّهرى — أَتَى الزَّبِيرَ بن بَاطَا الْقُرَظِيَّ — وكان يُكْنَى أبا عبد الرحمن ، وكان الزَّبِيرُ قد مَنَّ على ثابت بن قيس بن شَمَّاس فى الجاهلية — وذكر لى بعضُ ولد الزَّبير أنه كان قد مَنَّ عليــه يوم بُعَاث ، أخَذَه فجزَّ ناصيته ثم خَلَّى سبيله ، فجاءه ثابت وهو شَيْخٌ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تَعْرفنى ؟ قال : وهل يَجْهَلُ مثلى مثلَكَ ؟ قال : إنى قد أَرَدْتُ أن أجْزِيَكَ بيدك عندى ؛ قال : إن الكريم يَجْزِى الكريم ، ثم أتى ثابتُ بن قيس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله ، إنه قد كانت للزَّبِيرِ عَلَيَّ مِنَّةٌ وقد أحببت أن

(١) قال أبو ذر : « هذه المرأة التى ضربت عنقها هى امرأة الحسن القرظى ، كانت قد ألقت رحى على رجل من المسلمين من أطم من الآطام فقتلته » اهـ كلامه . وسيأتى لابن هشام تعيين الذى ألقت عليه الرحى

أجزيه بها ، فهَبْ لى دَمَه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هُوَ لَكَ » فأتاه ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وَهَبَ لى دمك فهولك ، قال : شَيْخٌ كبير لاأَهْلَ له ولاوَلَدَ فما يَصْنَع بالحياة ؟ قال : فأتى ثابتٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبى أنْتَ وأمِّى يارسول الله ، [هَبْ لى] امرأته وولده ، قال : « هُمْ لَكَ » قال : فأتاه ، فقال : قد وَهَبَ لى رســولُ الله صلى الله عليه وسلم أهْلَكَ وولدك ، فَهُمْ لَكَ ، قال : أهْلُ بَيْتٍ بالحجاز لامَالَ لهم ، فما بَقَاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابتٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، مَالَهُ ، قال : «هُوَ لَكَ » فأتاه ثابت فقال : قد أعطانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَالَكَ فهو لك ، قال : أىْ ثابتُ مافعَلَ الّذى كأنَّ وَجْهَهُ مِرْآةٌ صِينيةٌ يتراءى فيها عَذَارَى الحى كَعْبُ بن أسَدٍ ؟ قال : قُتِلَ ، قال : فما فعل سَيِّدُ الحاضرِ والبادى حُيَىُّ بن أخْطَب ؟ قال : قُتِلَ ، قال : فما فعل مُقَدِّمَتُنَا إذا شَدَدْنَا وحَامِيَتُنَا إذَا فَرَرْنا عَزَّال بن سَمْوَال ؟ قال : قُتِلَ ، قال : فما فَعَلَ المجلسان ؟ يعنى بنى كَعْب بن قُرَيْظَة و بنى عَمْرو بن قُرَيْظة ، قال : ذَهَبُوا قُتِلُوا ، قال : فانى أسألك ياثابتُ بيدى عندك إلا ألحقتنى بالقوم ، فوالله مافى العيش بعــد هؤلاء من خـيـر ، فما أنا بصابر لله فَتْلَةَ دَلْوِ نَاضِحٍ [1] حتى ألْقَى الأَحِبَّةَ ، فَقَدَّمَهُ ثابت فضرب عنقه ، فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله ألقى الأحبة ، قال : يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا [فيها] مخلدا

---

(١) الناضح : الجمل الذى يستخرج عليه الماء من البئر بالسانية ، وأراد بقوله « فتلة دلو ناضح » مقدار ما يأخذ الرجل الدلو إذا أخرجت فيصبها فى الحوض يفتلها ويردها إلى موضعها ، ومن رواه « قبلة » بالقـاف والباء فانما أراد مقدار مايقبل الرجل الدلو ليصبها فى الحوض ثم يصرفها ، وهذا

قال ابن هشام : قَبْـلَةَ دلوٍ ناضح ، وقال زُهَيْر بن أبى سُلْمَى فى قَبْلة : —

وقَابِلٌ يَتَغَنَّى كُلَّمَا قَدَرَتْ عَلَى الْعَرَاقى يَدَاهُ قَائمًا دَفَقَا (١)

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن هشام : ويروى « وَقَابِلٍ يَتَلَقَّى » يعنى قابل الدلو يتناول (٢)

شأن عطية القرظى ورفاعة بن سموال

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كل من أَنْبَتَ منهم

قال ابن إسحق : وحدثنى شُعْبَةُ بن الْحَجَّاج ، عن عبد الملك بن عُمَيْر ، عن عطية الْقُرَظِى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أَمَرَ أن يُقْتَلَ من بنى قريظة كُلُّ من أَنْبَتَ [منهم] ، وكنت غلاما ، فوجدونى لم أُنْبِتْ ، فَخَلَّوْا سبيلى ، قال : وحدثنى أيوب بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن أبى صعصعة أخو بنى عدى بن النجار ، أن سَلْمَى بنتَ قيس أمَّ المنذر أختَ سَلِيطِ بن قَيْس ، وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلت معه القبلتين وبايعته بَيْعَةَ النِّسَاء ؛ سألته رِفَاعَة بن سَمْوَال الْقُرَظِىَّ ، وكان رجلا قد بَلَغَ فَلَاذَ بها ، وكان يَعْرِفهم

كله إنما يقال عند التسرع والاستعجال ، وقابل الدلو : هو الذى يأخذها من المستقى ، وذكر أبو عبيدة فى الأموال الحديث على غير ماقاله ابن إسحق وابن هشام جميعا ، قال : قال الزبير : ياثابت ألحقنى بهم ، فلست صابرا عنهم إفراغة دلو .

(١) القابل : الذى يتقبل الدلو من المستقى ، والعراقى : جمع عرقوة — بفتح العين وسكون الراء وضم القاف بعدها واو — وهو العود الذى يكون فى الدلو ، ودفقا : صب ، والألف للاطلاق

(٢) وقعت كلمة ابن هشام فى بعض الأصول هكذا : « قال ابن هشام :

قبل ذلك ، فقالت: يا نَبِيَّ الله، بأبي أنت وأمي ، هَبْ لى رِفَاعَةَ ؛ فانه قد زعم أنه سَيُصَلّى ويأكل لَحْمَ الجمل ، قال : فوهبه لها ، فاستَحْيَيْته

رسول الله يقسم فىء بنى قريظة

قال ابن إسحق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَسَمَ أموالَ بنى قُرَيْظَةَ وَنساءهم وأبناءهم على المسلمين ؛ وأعلم فى ذلك اليوم سُهْمَانَ الخيـل وسُهْمَان الرجال ، وأخرج منها الْخُمُسَ ؛ فـكان للفارس ثلاثة أسهم : للفرس سهمان،ولفارسه سهم ، وللراجل – مَن لَيْسَ له فرس – سَهْمٌ ، وكانت الخيلُ يَوْمَ بنى قريظة ستةً وثلاثينَ فرسا ، وكان أولَ فَىْء وقعت فيه السُّهْمَانُ وأُخْرِجَ منه الخمس ؛ فعلى سُنَّتِها وما مضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وَقَعَتْ المقاسم ومضت السُّنَّةُ فى المغازى

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسـلم سَعْدَ بن زيد الأنصارى أخا بنى عبد الأشهل بسَبَايَا من سـبايا بنى قُرَيْظَةَ إلى نجدٍ ، فابتاع لهم بها خَيْلاً وَسِلاَحًا .

شأن ريحانة بنت عمرو القرظية مع رسول الله

وكان رسول الله صلى الله عليه وسـلم قد اصْطَفَى لنفسـه من نسائهم رَيْحَانَةَ بِنْتَ عمرو بن جُنَافة إحدى نساء بنى عمرو بن قُرَيْظَة ، فـكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تُوُفِّى عنها وهى فى ملـكه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عَرَضَ عليها أن يتزوجها ويَضْرِبَ عليها الحجابَ ، فقالت : يارسول الله بل تتركنى فى ملـكك فهو أخَفُّ علىّ وعليك ، فتركها ، وقد كانت حين سباها قد تَعَصَّتْ بالاسلام وأبَتْ إلا اليهودية ، فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووَجَدَ فى نفسه لذلك من أمرها ، فبينا هو مع أصحابه إذ سمع وقْعَ نَعْلَين خَلْفه ، فقال : « إنَّ

تفسير بيت زهير يعنى القابل الذى يتلقى الدلو إذا خرج من البئر ، والناضح : البعير الذى يستقى عليه لسقى النخل ، وهذا البيت فى قصيدة له » اه

هٰذَا لَثَعْلَبَةُ بْنُ سَعْيَةَ يُبَشِّرُنِى بِإِسْلاَمِ رَيْحَانَةَ » فجاءه ، فقال : يا رسول الله ، قد أسلمت رَيْحَانَةُ ، فسَرَّهُ ذلك من أمرها

نزول قصة الخندق وبنى قريظة فى القرآن

قال ابن إسحق : وأنزل الله تعالى فى أمر الخَنْدَق وأمر بنى قريظة من القرآن القصةَ فى سورة الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونعمته عليهم ، وكفايته إياهم حين فَرَّجَ [الله] ذلك عنهم بعد مَقَالة من قال من أهل النفاق (٣٣: ٩ ....) : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً) والجنود : قريش وغطفان و بنو قريظة ، وكانت الجنود التى أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة ، يقول الله تعالى : (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا) فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة ، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وغطفان ، يقول الله تعالى : (هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَاوَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً) لقول مُعَتِّب بن قُشَيْر إذ يقول ما قال (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً) لقول أَوْس بن قَيْظِيٍّ ومن كان على مثل رأيه من قومه (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا) أى : المدينة .

قال ابن هشام : الأقطار : الجوانب ، وواحدها قطر ، وهى الأقتار ، وواحدها قتر ، قال الفرزدق : —

كَمْ مِنْ غِنًى فَتحَ الْإِلٰهُ لَهُمْ بِهِ ... وَالْخَيْلُ مُقْعِيَةٌ عَلَى الْأَقْطَارِ [1]

ويروى « على الأقتار » وهذا البيت فى قصيدة له

(ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ) أى : الرجوع إلى الشرك (لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إلاَّ يَسِيراً وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللّٰهَ مِنْ قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ الْأَدبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولاً) فهم بنو حارثة ، وهم الذين هَمُّوا أن يفشلوا يوم أحد مع بنى سلمة حين هَمَّتَا بالفشل يوم أحد ، ثم عاهدوا الله أن لايعودوا لمثلها [أبدا] ، فذكر لهم الله الذى أعطوا من أنفسهم ، ثم قال تعالى : (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَ تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً قُلْ مَنْ ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيراً قَدْ يَعْلَمُ اللّٰهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ) أى : أهل النفاق (وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً) أى : إلا دفعاً وتعذيرا (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) أى : للضغن الذى فى أنفسهم (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) أى : إعظاما له وفَرَقاً منه (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ) أى : فى القول بما لا تحبون ؛ لأنهم لا يرجون آخرة ولاتحملهم حِسْبَةٌ [2] فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده

قال ابن هشام : سلقوكم : بالغوا فيكم بالكلام فأحرقوكم وآذَوْكم ،

---

(١) يعنى أن الخيل ساقطه على أجنابها تروم القيام ، كما تقعى الكلاب على أذنابها وأفخاذها

(٢) فى نسخة « ولايعملون حسنة » وفى أخرى « ولاتحملهم حسنة »

تقول العرب : خطيب سَلاَق وخطيب مِسْلَق [ومِسْلاَق] قال أعشى بنى قَيْس بن ثعلبة : —

فِيهِمُ الْمَجْدُ وَالسَّمَاحَةُ وَالنَّجْـ ـدَةُ فِيهِمْ وَالْخَاطِبُ السَّلاَّقُ

وهذا البيت فى قصيدة له

(يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا) قريش وغطفان (وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً) ثم أقبل على المؤمنين فقال : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) أى : لئلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ولا عن مكان هو به ، ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء ليختبرهم به فقال : (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هٰذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيماً)

أى : صبرا على البلاء ، وتسليما للقضاء ، وتصديقا للحق لما كان وعدهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) أى : فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد

قال ابن هشام : قضى نحبه : مات ، والنَّحْبُ : النفس ، فيما أخبرنى أبو عبيدة ، وجمعه نحوب ، قال ذو الرمة : —

تفسير النحب

عَشِيَّةَ فَرَّ الْحَارِثِيُّونَ بَعْدَ مَا
قَضَى نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ هَوْبَرُ

وهذا البيت فى قصيدة له ، وهوبر : من بنى الحرث بن كعب ، أراد يزيد بن هوبر ، والنحب أيضاً : النذر ، قال جرير بن الخطفى : —

بِطِخْفَةَ جَالَدْنَا الْمُلُوكَ وَخَيْلُنَا
عَشِيَّةَ بِسْطَامٌ جَرَيْنَ عَلَى نَحْبِ (١)

يقول : على نذر كانت نذرت أن تقتله فقتلتــه ، وهذا البيت فى قصيدة له ، و بِسْطَام : بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى : وهو ابن ذى الجَدَّيْن ، حدثنى أبو عبيدة أنه كان فارس ربيعة بن نزار ، وطِخْفَةُ : موضع [بطريق البصرة] ، والنحب أيضا : الخِطار ، وهو الرهان ، قال الفرزدق : —

وَإِذْ نَحَبَتْ كَلْبٌ عَلَى النَّاسِ أَيُّنَا
عَلَى النَّحْبِ أَعْطَى لِلْجَزِيلِ وَأَفْضَلُ

والنحب أيضا : البكاء ، ومنه قولهم : ينتحب : والنحب أيضا : الحاجة والهمة ، تقول : مالى عندهم نَحْبٌ ، قال مالك بن نُوَيْرَة اليَرْبُوعِيُّ : —

وَمَالِيَ نَحْبٌ عِنْدَهُمْ غَـــيْرَ أَنَّنِي
تَلَمَّسْتُ مَا تَبْغِى مِنَ الشُّدُنِ الشُّجْرِ (٢)

---

(١) طخفة : اسم جبل أحمر طويل حذاءه بثار ومنهل ، وفيه يوم طخفة ، وكان يوما لبنى يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء ، وفيه يقول جرير أيضا : ـ

وَقَدجَعَلَتْ يَوْماً بِطِخْفَةَخَيْلُنَا   لآ لِ أَبِي قَابُوسَ يَوْماً مُكَدَّرَا

وطخفة : بكسر الطاء أوفتحها ، قاله ياقوت عن الأصمعى . وقوله « عشية بسطام » أى العشية التى قتل فيها بسطام بن قيس ، وبسطام : بالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف ، وقوله « جرين » الضمير يعود إلى خيلنا

(٢) الشدن : إبل منسوبة إلى شدن ، وهو موضع باليمن ، قال ياقوت

وقال نَهَّار بن تَوْسِعَة أحد بنى تَيْم اللاَّت بن ثعلبة بن عُكَابة ابن صَعْب بن على بن بكر بن وائل

قال ابن هشام : هو مولى أبي حنيفة الفقيه : —

وَنَجَّى يُوسُفَ الثَّقَفِيَّ رَكْضٌ   دِرَاكٌ بَعْدَ مَاوَقَعَ اللِّوَاءُ (١)
وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَقَضَيْتُ نَحْباً   بِهِ وَلِكُلِّ مُخْطَأَةٍ وَقَاءُ

والنحب أيضا : السير الخفيف المر

قال ابن إسحق : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) أى ماوعد الله به من نصره والشهادة على مامضى عليه أصحابه ، يقول الله تعالى : (وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) أى : ما شكوا وما ترددوا فى دينهم وما استبدلوا به غيره (لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ) أى : قريشا وغطفان (لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) أى : بنى قريظة (مِنْ صَيَاصِيهِمْ) والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها

قال ابن هشام : قال سُحَيْمٌ عَبْدُ بنى الْحَسْحَاس ، و بنو الحسحاس : من بني أسد بن خزيمة : تفسير الصياصى

وَأَصْبَحَتِ الثِّيرَانُ صَرْعَى وَأَصْبَحَتْ
نِسَاءُ تَمِيمٍ يَبْتَدِرْنَ الصَّيَاصِيَا

شدن بالتحريك وآخره نون وهو موضع تنسب إليه الابل باليمن ، وقيل : هو اسم فحل ، وقوله « الشجر » هى التى فى أعينها حمرة

(١) الركض : الجرى ، ودراك : أى متتابع

وهذا البيت فى قصيدة له ، والصياصى أيضاً : القرون ، قال النابغة الجعدى :

وَسَادَةَ رَهْطِى حَتّى بَقِيــ

ـتُ فَرْداً كَصِيصَةِ الْأَعْضَبِ (١)

[يقول : أصاب الموت سادةَ رهطى] ، وهذا البيت فى قصيدة له ، وقال أبو دُوَاد الايادى : —

فَذَعَرْنَا سُحْمَ الصَّيَاصِى بِأَيْدِيـ

ـهِنَّ نَضْحٌ مِنَ الْـكُحَيْلِ وَقَارُ (٢)

[وهذا البيت فى قصيدة له] ، والصياصى أيضاً : الشوك الذى للنساجين فيما أخبرنى أبو عبيـدة ، وأنشدنى لدُرَيْد بن الصِّمَّة الْجُشَمى ، جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن :

نَظَرْتُ إِلَيْهِ والرِّمَاحُ تَنُوشُهُ

كَوَقْعِ الصَّيَاصِى فِى النَّسِيجِ الْمُمَدَّدِ (٣)

وهذا البيت فى قصيدة له ، والصياصى أيضاً : التى [تـكون] فى أرجل الديكة نابتة كأنها القرون الصغار ، والصياصى أيضاً : الأصول ، أخبرنى أبو عبيدة أن العرب تقول : جَذَّ الله صِيصِيته ، أى أصله

(١) الأعضب : المكسور القرن

(٢) ذعرنا : افزعنا وأخفنا ، والسحم : السود ، والصياصى : القرون وعنى بسحم الصياصى الوعول التى فى الجبال ، والنضح : اللطخ ، والكحيل : القطران ، والقار : الزفت

(٣) تنوشه : تتناوله وتقع فيه

قال ابن إسحق : (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً) أى : قتل الرجال وسبى الذرارى والنساء (وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَؤُهَا) يعنى خيبر (وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً)

قال ابن إسحق : فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسَعْد بن مُعَاذ جرحه ، فمات منه شهيداً وفاة سعد بن معاذ

قال ابن إسحق : حدثنى مُعَاذ بن رِفاعة الزُّرَقى ، قال : حدثنى من شئت من رجال قومى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين قبض سعد بن معاذ — من جوف الليل مُعْتَجِرًا بعمامة من إسْتَبْرَق ، فقال : يامحمد ، مَنْ هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهْتَزَّ له العرش ؟ قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجرُّ ثَوْبَه إلى سعد ، فوجده قد مات

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت : أقبلت عائشةُ قافلةً من مكَّةَ ومعها أُسَيْدُ بن حُضَيْر ، فلقيه موت امرأة له ، فحزن عليها بعضَ الحزن ، فقالت له عائشة : يغفر الله لك يا أبا يَحْيَى ، أَتَحْزَنُ على امرأة وقد أُصِبْتَ بابن عمك وقد اهتز له العرش

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم ، عن الحسن البصرى ، قال: كان سعد رجلاً بادناً ، فلما حمله الناس وجدوا له خفة ، فقال رجال من المنافقين : والله إن كان لبادنا ، وما حملنا من جنَازَةٍ أخَفَّ منه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « إنَّ لَهُ حَمَلَةً غَيْرَكُمْ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدِ اُسْتَبْشَرَتْ الْمَلَائِكَةُ بِرُوحِ سَعْدٍ

وَاهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ »

قال ابن إسحق : وحدثنى معاذ بن رفاعة ، عن محمود بن عبد الرحمن ابن عمرو بن الجموح ، عن جابر بن عبد الله ، قال : لما دُفِنَ سَعْدٌ ونحن مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم سَبَّحَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَسَبَّحَ الناسُ معه ، ثم كبر فكبر الناس معه ، فقالوا : يارسول الله مِمَّ سَبَّحْتَ ؟ قال « لَقَدْ تَضَايَقَ على هٰذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ قَبْرُهُ حَتَّى فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ »

إن للقبر ضمة لاينجو منها أحد

قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قول عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ لِلْقَبْرِ لَضَمَّةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْهَا نَاجِياً لَكَانَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ »

رثاء سعد بن معاذ

قال ابن إسحق : ولسعد يقول رجل من الأنصار : —

وَمَا اهْتَزَّ عَرْشُ اللهِ مِنْ مَوْتِ هَالِكٍ
سَمِعْنَا بِهِ إِلاَّ لِسَعْدٍ أَبِي عَمْرِو

وقالت أم سعد حين احْتُمِلَ نعشه ، وهى تبكيه

قال ابن هشام : وهى كُبَيْشَةُ بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبجر [١] ، وهو جُدْرَةُ [٢] بن عوف بن الحرث بن الخزرج : —

وَيْلُ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدَا صَرَامَةً وَحَدَّا
وَسُؤْدَداً وَمَجْدَا وَفَارِساً مُعَدَّا

(١) « الأبجر » بالنون فى بعض نسخ الأصل ، وفى بعضها « الأبجر » بالباء

(٢) « جدرة » بالجيم فى بعض الأصول ، وفى بعضها « خدرة » بالخاء المعجمة

سُدَّ بِهِ مَسَدًّا [يَقُدُّ هامًا قَدَّا] (١)

قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ نَائِحَةٍ تَكْذِبُ إلاَّ نَائِحَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ »

الشهداء فى يوم الخندق

قال ابن إسحق : ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر من بنى عبد الأشهل : سَعْدُ بن مُعَاذ ، وأنَسُ بن أوس بن عَتِيك ابن عمرو ، وعبد الله بن سَهْل ، ثَلاَثَةُ نفرٍ

ومن بنى جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنى سلمة : الطُّفَيْلُ بن النعمان ، وثعلبة بن غَنَمَة ، رجلان

ومن بنى النَّجَّار ، ثم من بنى دينار : كَعْبُ بن زيد ، أصابه سَهْمٌ غَرْبٌ فقتله

قال ابن هشام : سَهْمٌ غَرْبٌ ، وَسَهْمُ غَرْبٍ : باضافة ، وغير إضافة وهو الذى لا يعرف من أين جاء ولا مَنْ رَمَى به

القتلى من المشركين فى يوم الخندق

وقتل من المشركين ثلاثة نفر : من بنى عبد الدار بن قُصَىّ : مُنَبِّهُ ابن عثمان بن عبيد بن السَّبَّاق بن عبد الدار ، أصابه سَهْمٌ فمات منه بمكة

قال ابن هشام : هو عُثْمَانُ بن أمية بن مُنَبِّه بن عُبَيْد بن السَّبَّاق

قال ابن إسحق : ومن بنى مخزوم بن يَقَظَة : نَوْفَلُ بن عبد الله بن المغيرة ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جَسَدَه ، وكان اقتحم الخندق فَتَوَرَّط فيه ، فقتل ، فغَلَبَ المسلمون على جَسَدِهِ ، فقال رسول الله

---

(١) سقط ما بين القوسين من بعض نسخ الأصل ، وهو موجود فى بعضها وفى شرح أبى ذر ، وفى تاريخ ابن كثير (ج ٤ ص ١٣٠) والهام : جمع هامة ، وهى ههنا الرأس

صلى الله عليه وسلم : « لَاحَاجَةَ لَنَا فِي جَسَدِهِ وَلاَ بِثَمَنِهِ » فخلّى بينهم و بينه

قال ابن هشام : أعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده عشرة آلاف درهم ، فيما بلغنى عن الزهرى

قال ابن إسحق : ومن بنى عامر بن لُؤَىّ ، ثم من بنى مالك بن حِسْلٍ : عَمْرُو بن عبد وُدٍّ ، قتله على بن أبى طالب رضوان الله عليه

قال ابن هشام : وحدثنى الثِّقَةُ أنه حُدِّث عن ابن شهاب الزُّهْرِىّ أنه قال : قَتَلَ علىٌّ بن أبى طالب يومئذ عمرو بن عبد وُدٍّ وابنه حِسْلَ ابن عمرو

قال ابن هشام : يقال : عمرو بن بن عبد ود ، ويقال : عمرو بن عبد

من استشهد من المسلمين فى يوم بنى قريظة

قال ابن إسحق : واستشهد يَوْمَ بنى قُرَيْظَة من المسلمين ، ثم من بنى الحرث بن الخزرج : خَلاَّدُ بن سُوَيْد بن ثعلبة بن عمرو ، طُرِحَتْ عليه رحى فَشَدَخَتْه شَدْخًا شديدا ؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إِنَّ لَهُ لَأَجْرَ شَهِيدَيْنِ » ومات أبوسِنَان بن مِحْصَن بن حُرْثَان أخو بنى أسد بن خُزَيْمَةَ ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُحَاصِرٌ بنى قريظة ، فدفن فى مقبرة بنى قُرَيْظَةَ التى يدفنون فيها اليوم ، وإليه دفنوا أمواتهم فى الإسلام

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — : « لَنْ تَغْزُوَكُمْ قُرَيْشٌ بَعْدَ عَامِكُمْ هٰذَا وَلٰكِنَّكُمْ تَغْزُونَهُمْ » فلم تغزهم قريش بعد ذلك ، وكان هو الذى يغزوها حتى فتح الله تعالى عليه مكة

ماقيل من الشعر فى أمر الخندق وبنى قريظة

وقال ضِرَار بن الْخَطَّاب بن مِرْدَاس أخو بنى مُحَارِب بن فِهْرٍ فى يوم الخندق : —

قصيدة لضرار بن الخطاب الفهرى فى يوم الخندق

وَمُشْفِقَةٍ تَظُنُّ بِنَا الظُّنُونَا ... وَقَدْ قُدْنَا عَرَنْدَسَةً طَحُونَا (١)
كَأَنَّ زُهَاءَهَا أُحُدٌ إِذَا مَا ... بَدَتْ أَرْكَانُهُ لِلنَّاظِرِينَا (٢)
تَرَى الْأَبْدَانَ فِيهَا مُسْبَغَاتٍ ... عَلَى الْأَبْطَالِ وَالْيَلَبَ الْحَصِينَا (٣)
وَجُرْدًا كَالْقِدَاحِ مُسَوَّمَاتٍ ... نَؤُمُّ بِهَا الْغُوَاةَ الْخَاطِئِينَا (٤)
كَأَنَّهُمُ إِذَا صَالُوا وَصُلْنَا ... بِبَابِ الْخَنْدَقَيْنِ مُصَافِحُونَا (٥)
أُنَاسٌ لَا نَرَى فِيهِمْ رَشِيداً ... وَقَدْ قَالُوا أَلَسْنَا رَاشِدِينَا
فَأَحْجَرْنَاهُمُ شَهْراً كَرِيتَا ... وَكُنَّا فَوْقَهُمْ كَالْقَاهِرِينَا (٦)

---

(١) العرندسة : الشديدة القوة ، وأراد بها كتيبة وفصيلة من الجيش ، والطحون : التى تطحن كل مامرت به ، فعول بمعنى فاعل أو صيغة مبالغة

(٢) زهاءها : تقدير عددها ، وأحد ـ بضم الهمزة والحاء ـ اسم جبل وبدت : ظهرت

(٣) الأبدان : الدروع ، ومسبغات : ضافيات كاملات ، واليلب ـ بفتح الياء المثناة واللام ـ الترسة ، ويقال : هى الدرق ، والحصين : الذى يتحصن به لابسه

(٤) الجرد : جمع أجرد ، وهو الفرس القصير الشعر ، والقداح : جمع قدح ، وهو السهم ، والمسومات : المرسلة على العدو للاغارة ، ونؤم : نقصد

(٥) المصافحة : أخذ الرجل بيد الرجل عند السلام عليه

(٦) أحجرناهم ـ بالراء المهملة ، ويروى بالزاى ـ حصرناهم ، وقوله « شهرا كريتا » يعنى كاملا تاما

نُرَاوِحُهُمْ وَنَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ عَلَيْهِمْ فِى السِّلَاحِ مُدَجَّجِينَا (١)
بِأَيْدِينَا صَوَارِمُ مُرْهَفَاتٌ نَقُدُّ بِهَا الْمَفَارِقَ وَالشُّؤُونَا (٢)
كَأَنَّ وَمِيضَهُنَّ مُعَرَّيَاتٍ إِذَا لَاحَتْ بِأَيْدِى مُصْلِتِينَا (٣)
وَمِيضُ عَقِيقَةٍ لَمَعَتْ بِلَيْلٍ تَرَى فِيهَا الْعَقَائِقَ مُسْتَبِينَا (٤)
فَلَوْلَا خَنْدَقٌ كَانُوا لَدَيْهِ لَدَمَّرْنَا عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَا (٥)
وَلٰكِنْ حَالَ دُونَهُمُ وَكَانُوا بِهِ مِنْ خَوْفِنَا مُتَعَوِّذِينَا (٦)
فَإِنْ نَرْحَلْ فَإِنَّا قَدْ تَرَكْنَا لَدَى أَبْيَاتِكُمْ سَعْدًا رَهِيناً (٧)

---

(١) المدجج ـ بفتح الجيم وكسرها ـ الكامل السلاح

(٢) الصوارم : السيوف القاطعة ، والمرهفات : المحددات، ونقد : نقطع والمفارق : جمع مفرق ، وهو حيث يتفرق الشعر فى أعلى الرأس ، والشؤون : مجمع العظام فى أعلى الرأس أيضا

(٣) الوميض : اللمعان ، والمصلت ـ بكسر اللام ـ الذى جرد سيفه من غمده

(٤) العقيقة : السحابة التى تشق عن البرق ، وقال المجد : « والعقيقة من البرق ما يبقى فى السحاب من شعاعه كالعقق كصرد ، وبه تشبه السيوف فتسمى عقائق » اه ، والعقائق فى آخر البيت جمع عقيقة ، وهى فى الأصل الشاة ، ويمكن أنه أرادها هنا أو أراد بها خصومه على أنه شبههم فى ضعفهم عنده بالشياه ، ومستبينا : جمع مستبي ـ بزنة مصطفى ـ اسم مفعول من قولهم : استبى عدوه ، إذا سباه . وهى بفتح الباء قبل الياء الساكنة ، وفى ذلك عيب من عيوب الشعر قد قدمنا ذكره (ص ١٨٢ من هذا الجزء)

(٥) لدمرنا عليهم : يريد أهلكناهم

(٦) متعوذينا : لاجئين ومتحصنين

(٧) يريد سعد بن معاذ رضى الله عنه . فقد كان رهن البيت لأنه قد كان أصيب بسهم على ما مضى ذكره

إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ سَمِعْتَ نَوْحَى عَلَى سَعْدٍ يُرَجِّعْنَ الْحَنِينَا (١)
وَسَوْفَ نَزُورُكُمْ عَمَّا قَرِيبٍ كَمَا زُرْنَا كُمُ مُتَوَازِرِينَا (٢)
بِجَمْعٍ مِنْ كِنَانَةَ غَيْرِ عُزْلٍ
كَأُسْدِ الغَابِ قَدْ حَمَتِ الْعَرِينَا (٣)

فأجابه كعب بن مالك أخو بنى سلمة رضى الله عنه ، فقال : —

كعب بن مالك يجيب ضرار بن الخطاب الفهرى

وَسَائِلَةٍ تُسَائِلُ مَا لَقِينَا وَلَوْ شَهِدَتْ رَأَتْنَا صَابِرِينَا
صَبَرْنَا لا نَرَى لِلهِ عِدْلا عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَا
وَكَانَ لَنَا النَّبِيُّ وَزِيرَ صِدْقٍ بِهِ نَعْلُو الْبَرِيَّةَ أَجْمَعِينَا
نُقَاتِلُ مَعْشَرًا ظَلَمُوا وعَقُّوا وكَانُوا بِالْعَدَاوَةِ مُرْصِدِينَا (٤)
نُعَاجِلُهُمْ إِذَا نَهَضُوا إِلَيْنَا بِضَرْبٍ يُعْجِلُ الْمُتَسَرِّعِينَا

---

(١) جن الظلام : ستر كل شىء ، ونوحا : تروى هذه الكلمة بالألف والتنوين على أنه مصدر ناحت المرأة تنوح إذا بكت ، وتروى « نوحى » بألف التأنيث ، والنوحى : جماعةالنساءالنائحات ، وهذه الأخيرة أشبهلقوله فى آخر البيت « يرجعن الحنينا » ويرجعن : يرددن ويكررن ، والحنين : أراد به البكاء والنوح

(٢) متوازرينا : متعاونين متساندين متساعدين

(٣) العزل : جمع أعزل ، وهو الذى لاسلاح له ، والغاب : جمع غابة ، وهى موضع الأسد ، والعرين : موضع الأسد أيضاوواحدته عرينة

(٤) المرصدين : جمع مرصد ، وهو اسم فاعل من قولهم : أرصد للأمر ، إذا أعد له عدته ، وأخذ له أسبابه ، قال الأعشى : —

نَدِمْتَ عَلَى أَلاَّ تَكُونَ كَمِثْلِهِ
فَتَرْصِدَ لِلمَوْتِ الَّذِى كَانَ أَرْصَدَا

تَرَانَا فِى فَضَافِضَ سَابِغَاتٍ كَغُدْرَانِ الْمَلَا مُتَسَرْبِلِينَا (١)
وَفِى أَيْمَانِنَا بِيضٌ خِفَافٌ بِهَا نَشْفِى مَرَاحَ الشَّاغِبِينَا (٢)
بِبَابِ الْخَنْدَقَيْنِ كَأَنَّ أُسْدًا شَوَابِكُهُنَّ يَحْمِينَ الْعَرِينَا (٣)
فَوَارِسُنَا إِذَا بَكَرُوا وَرَاحُوا عَلَى الْأَعْدَاءِ شُوسًا مُعْلِمِينَا (٤)
لِنَنْصُرَ أَحْمَدًا وَاللَّهَ حَتَّى نَكُونَ عِبَادَ صِدْقٍ مُخْلِصِينَا (٥)
وَيَعْلَمَ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ سَارُوا
وَأَحْزَابٌ أَتَوْا مُتَحَزِّبِينَا

---

(١) فضافض : أراد بها الدروع ، وهى جمع فضفاض ، وتقول : ثوب فضفاض ، إذا كان واسعا سابغا ، شبه الدروع بالثياب ، وكان حقه أن يقول. فضافيض لكنه حذف الياء حين اضطر ، وسابغات : كاملة تامة ، ومنه قوله تعالى : (أن اعمل سابغات) والغدران ـ بضم فسكون ـ جمع غدير ، والملا ـ مقصورا ـ المتسع من الأرض ، ومتسربلين : لابسين للدروع

(٢) المراح : النشاط ، والشاغبينا : الذين ديدنهم الشغب وتهييج الشر وتأريث العداوات

(٣) الشوابك : التى يتشبث بها فلا يفلت ، والعرين : مكان الأسد ، واحدها عرينة

(٤) فوارس : جمع فارس ، وهو مما شذ من الجموع ، فان فواعل إنما يكون جمعا لفاعلة أو لفاعل إذا كان اسما أو وصفا لغير عاقل ، فأما إذا كان وصفا للعاقل فلا يجمع على فواعل ، ومثله هوالك فى جمع هالك ، وحواج بيت الله ودواجه ، والشوس ـ بضم الشين ـ جمع أشوس ، وهو الذى ينظر نظر المتكبر بمؤخر عينه ، والمعلم ـ بضم الميم وسكون العين ، وبفتح اللام أو كسرها ـ الذى جعل لنفسه علامة يعرفه الناس بها ليشتهر فى الحرب وينبه ذكره

(٥) مخلصين ـ بكسر اللام ـ جمع اسم فاعل من الاخلاص لله فى العمل وبفتح اللام بمعنى أن الله أخلصهم له وصفى سرائرهم

بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ ... وَأَنَّ اللهَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَا
فَإِمَّا تَقْتُلُوا سَعْدًا سَفَاهًا ... فَإِنَّ اللهَ خَيْرُ الْقَادِرِينَا (١)
سَيُدْخِلُهُ جِنَانًا طَيِّبَاتٍ ... تَكُونُ مُقَامَةً لِلصَّالِحِينَا (٢)
كَمَا قَدْ رَدَّكُمْ فَلًّا شَرِيدًا ... بِغَيْظِكُمُ خَزَايَا خَائِبِينَا (٣)
خَزَايَا لَمْ تَنَالُوا ثَمَّ خَيْرًا ... وَكِدْتُمْ أَنْ تَكُونُوا دَامِرِينَا (٤)
بِرِيحٍ عَاصِفٍ هَبَّتْ عَلَيْكُمْ ... فَكُنْتُمْ تَحْتَهَا مُتَكَمِّهِينَا (٥)

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمِيُّ في يوم الخندق : —

---

(١) « فاما تقتلوا » إن : شرطبه أدغمت فى ما الزائدة ، أراد إن تقتلوه والسفاه — بفتح السين — الضلال

(٢) مقامة — بضم الميم — اسم مكان من الاقامة، يريد أنها مكان الاقامة ، وقد قال تعالى : (الذى أحلنادار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب)

(٣) الفل — بفتح الفاء وتشديد اللام — القوم المنهزمون ، وتقول : فل عدوه يفلهم فلا ، إذا هزمهم ، فهو إما من باب الوصف بالمصدر كقولهم : محمد عدل ، وعلى رضا ، وإبراهيم ضيف ، وإما أنه فعل — بفتح الفاء وسكون العين — بمعنى مفعول ، وذلك كما قالوا فى قوله تعالى : (هذا خلق الله) والشريد : الطريد النافر من الخوف والفزع ، والخزايا : جمع خزيان ، وهو وصف من الخزى

(٤) دامرين : هالكين ، من الدمار ، وهو الهلاك ، قال فى المصباح : « دمر الشىء يدمر — من باب قتل — والاسم الدمار ، مثل الهلاك وزنا ومعنى ، ويعدى بالتضعيف فيقال : دمره الله ، ودمر عليه » اه

(٥) عاصف : شديد ، والمتكمه : الأعمى الذى لا يبصر ، قال السهيلى : « متفعلين من الكمه ، وهو العمى ، والأظهر فى الأكمه أنه الذى يولد أعمى

قصيدة لابن الزبعرى في يوم الخندق

حَيِّ الدِّيَارَ مَحَا مَعَارِفَ رَسْمِهَا طُولُ الْبِلاَ وَتَرَاوُحُ الْأَحْقَابِ (١)

فَكَأَنَّمَا كَتَبَ الْيَهُودُ رُسُومَهَا إِلاَّ الْكَنِيفَ وَمَعْقِدَ الْأَطْنَابِ (٢)

قَفْرًا كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ تَلْهُو بِهَا فِي نِعْمَةٍ بِأَوَانِسٍ أَتْرَابِ (٣)

فَاتْرُكْ تَذَكُّرَ مَا مَضَى مِنْ عِيشَةٍ وَمَحَلَّةٍ خَلَقِ الْمُقَامِ يَبَابِ (٤)

وَاذْكُرْ بَلَاءَ مَعَاشِرٍ وَاشْكُرْهُمُ سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ مِنَ الْأَنْصَابِ (٥)

وقد قيل فيه : إنه الذى لايبصر بالليل شيئا ، ذكر هذا القول البخارى فى التفسير » اه كلامه

(١) الأحقاب : جمع حقب ، وهو الدهر ، والحقب - بكسر الحاء - التى هى السنون واحدها حقبة

(٢) الكنيف : أراد به الحظيرة التى تصنع للابل ، وإنما سميت الحظيرة كنيفا لأنها تكنف الدواب : أى تسترها ، والأطناب : جمع طنب ، مثل عنق وأعناق ، والطنب : الحبل الذى تشد به الأخبية وبيوت العرب ، وأراد بمعقدها الأوتاد التى تربط فيها

(٣) قفرا : موحشة خالية ليس بها أحد ، والأتراب : جمع ترب ، وهو بكسر التاء وسكون الراء - الذى يماثلك فى السن ، تقول : فلان ترب فلان إذا كان لدته وفى سنه ، ويريد أن هذه الأوانس متفقات فى الأسنان

(٤) خلق المقام : أراد أن محل الاقامة منها خال من كل من يقيم به ، واليباب : القفر

(٥) الأنصاب : الحجارة التى يعلم بها الحرم ، والأنصاب أيضا : حجارة كانوا يذبحون لها ويعظمونها

أَنْصَابِ مَـكَّةَ عَامِدِينَ لِيَثْرِبِ
فِى ذِى غَيَاطِلَ جَحْفَلٍ جَبْجَابِ (١)

يَدَعُ الْحُزُونَ مَنَاهِجاً مَعْلُومَةً ... فِى كُلِّ نَشْرٍ ظَاهِرٍ وَشِعَابِ (٢)
فِيهَا الْجِيَادُ شَوَازِبٌ مَجْنُوبَةٌ ... قُبُّ الْبُطُونِ لَوَاحِقُ الْأَقْرَابِ (٣)
مِنْ كُلِّ سَلْهَبَةٍ وَأَجْرَدَ سَلْهَبٍ ... كَالسِّيدِ بَادَرَ غَفْلَةَ الرُّقَّابِ (٤)
جَيْشٌ عُيَيْنَةُ قَاصِدٌ بِلِوَائِهِ ... فِيهِ وَصَخْرٌ قَائِدُ الْأَحْزَابِ
قَرْمَانِ كَالْبَدْرَيْنِ أَصْبَحَ فِيهِمَا ... غَيْثُ الْفَقِيرِ وَمَعْقِلُ الْهُرَّابِ (٥)
حَتَّى إِذَا وَرَدَا الْمَدِينَةَ وَارْتَدَوْا ... لِلْمَوْتِ كُلَّ مُجَرَّبٍ قَضَّابِ (٦)

---

(١) ذى غياطل : أراد به جيشا كبير العدد ، والغياطل : جمع غيطلة وهى الصوت ؛ والجحفل : الجيش الكثير ، والجبجاب : الكثير أيضا

(٢) يدع : يترك ، والحزون : جمع حزن ؛ وهو ماارتفع وعلا وغلظ من الأرض ، والمناهج : جمع منهج ، وهو الطريق الواضح البين ، والنشر : المرتفع من الأرض أيضا ، ويروى نشز - بالزاى - وهو بمعناه ، والشعاب : جمع شعب ؛ وهو المنخفض بين جبلين ، وهـذا تأكيد لوصف الجيش بالكثرة لأنه لكثرة عدده يترك أثرا فى الحزون باقيا يستدل به على الطريق

(٣) الشوازب : هى الضامرة ، ومجنوبة : مقودة ، وقب : جمع أقب ، وهو الضامر البطن ، ولواحق الأقراب يريد ضامرة أيضا ؛ والأقراب : جمع قرب ؛ وهو الخاصرة وما يليها

(٤) السلهبة : الطويلة ، والسيد : الذئب

(٥) قرمان : فحلان سيدان ، والمعقل : الملجأ والمعاذ ، والهراب : جمع هارب

(٦) ارتدوا : أراد تقلدوا ؛ كل مجرب - بفتح الراء - أراد قد جرب وذلك كقول حسان فى الغساسنة

شَهْرًا وَعَشْرًا قَاهِرِينَ مُحَمَّدًا وَصِحَابُهُ فِى الْحَرْبِ خَيْرُ صِحَابِ

نَادَوْا بِرِحْلَتِهِمْ صَبِيحَةَ قُلْتُمُ : كِدْنَا نَكُونُ بِهَا مَعَ الْخُيَّابِ

لَوْلَا الْخَنَادِقُ غَادَرُوا مِنْ جَمْعِهِمْ

قَتْلَى لِطَيْرٍ سُغَّبٍ وَذِئَابِ (١)

فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى ، فقال : —

قصيدة لحسان يجيب بها ابن الزبعرى

هَلْ رَسْمُ دَارِسَةِ الْمُقَامِ يَبَابِ مُتَكَلِّمٌ لِمُحَاوِرٍ بِجَوَابِ (٢)

قَفْرٌ عَفَا رِهَمُ السَّحَابِ رُسُومَهُ وَهُبُوبُ كُلِّ مُطِلَّةٍ مِرْبَابِ (٣)

تُوُرِّثْنَ مِنْ أَزْمَانِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ

إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ

وقضاب : قطاع

(١) سغب — بضم السين وتشديد الغين — جمع ساغب ، وهو الجائع ويوم المسغبة : يوم المجاعة ، وقال الله تعالى : (أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة)

(٢) دارسة المقام : قدعفامحل الاقامةمنها ، واليباب : القفر ، والمحاور : الذى يراجعك الكلام ويتحدث معك

(٣) عفا : غير ؛ والرهم — بكسر الراء وفتح الهاء — جمع رهمة — بكسر فسكون — وهو المطر الدائم ، وتقول : أرهمت السماء ، إذا أتت بالرهم ، والرسوم : جمع رسم ، وهو الأثر ، ومطلة : اسم فاعل من أطلت السماء ، إذا جاءت بالطل ، وهو الضعيف من المطر ، ومنه قوله تعالى : (فان لم يصبها وابل فطل) وفسره أبو ذر بقوله : « ومطلة : أى مشرقة ، وهوهنا بالطاء المهملة فقط » اه وهو عندنا بعيد ، ومجازه على ما قدمنا ذكره ، ومرباب : دائمة ثابتة

وَلَقَدْ رَأَيْتُ بِهَا الْحُلُولَ يَزِينُهُمْ
بِيضُ الْوُجُوهِ ثَوَاقِبُ الْأَحْسَابِ (١)
فَدَعِ الدِّيَارَ وَذِكْرَ كُلِّ خَرِيدَةٍ
بَيْضَاءَ آنِسَةِ الْحَدِيثِ كَعَابِ (٢)
وَاشْكُ الْهُمُومَ إِلَى الْإِلَهِ وَمَا تَرَى
مِنْ مَعْشَرٍ ظَلَمُوا الرَّسُولَ غِضَابِ (٣)
سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَيْهِ وَأَلَّبُوا
أَهْلَ الْقُرَى وَبَوَادِيَ الْأَعْرَابِ (٤)
جَيْشُ عُيَيْنَةَ وَابْنُ حَرْبٍ فِيهِمُ مُتَخَمِّطُونَ بِحَلْبَةِ الْأَحْزَابِ (٥)

---

(١) الحلول : البيوت المجتمعة ، والثواقب : المشرقة ، ومنه قوله تعالى : (النجم الثاقب)

(٢) الخريدة : المرأة الناعمة ، وقيل : هى البكر التى لم تمسس قط ، وقيل : هى الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت ، والكعاب : التى نهد ثديها فى أول ما نهد ، وكعبت الجارية فهى كاعب وكعاب

(٣) متألبين : مجتمعين ، وتقول : ألبت القوم فتألبوا ، أى جمعتهم فاجتمعوا

(٤) « ساروا بأجمعهم إليه وألبوا » يروى فى مكان هـذا الشطر « أموا بغزوهم الرسول وألبسوا » ، ألبوا : أى جمعوا ، وأموا : أى قصدوا وألبسوا : خلطوا وشبهوا ، تقول : لبست على القوم الأمر ، إذا خلطت شأنه عليهم وشبهته ، ومنه قوله تعالى : (وللبسنا عليهم ما يلبسون) وأهل القرى وبوادى الأعراب : أراد بهم ضعاف النـاس الذين تضعف عقولهم عن إدراك الحقائق ويقعون تحت تأثير المشككين

(٥) عيينه : أراد به عيينة بن حصن الفزارى ، وابن حرب : أراد به أبا سفيان ، وهما من قواد المشركين فى حرب الخندق على ما علمت ، وقوله :

حَتَّى إِذَا وَرَدُوا الْمَدِينَةَ وَارْتَجَوْا
قَتْلَ الرَّسُولِ وَمَغْنَمَ الْأَسْلَابِ (١)
وَغَدَوْا عَلَيْنَا قَادِرِينَ بِأَيْدِهِمْ رُدُّوا بِغَيْظِهِمُ على الْأَعْقَابِ (٢)
بِهُبُوبِ مُعْصِفَةٍ تُفَرِّقُ جَمْعَهُمْ وَجُنُودِ رَبِّكَ سَيِّدِ الْأَرْبَابِ (٣)
فَكَفَى الْإِلَهُ الْمُؤْمِنِينَ قِتَالَهُمْ
وَأَثَابَهُمْ فِي الْأَجْرِ خَيْرَ ثَوَابِ (٤)
مِنْ بَعْدِ مَا قَنِطُوا فَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ
تَنْزِيلُ نَصْرِ مَلِيكِنَا الْوَهَّابِ (٥)
وَأَقَرَّ عَيْنَ مُحَمَّدٍ وَصِحَابِهِ وَأَذَلَّ كُلَّ مُكَذِّبٍ مُرْتَابِ

« متخمطون » أى : مختلطون ، ويقال : المتخمط : هو المتكبر الشديد الغضب ، والحلبة ـ بفتح الحاء وسكون اللام ـ جماعة الخيل التى تعد للسباق

(١) مغنم : مصدر بمعنى الغنم ، والأسلاب : جمع سلب ، وهو ما يأخذه المحارب من قرنه إذا قتله

(٢) الأيد ـ بفتح الهمزة وسكون الياء ـ القوة

(٣) المعصفة : الريح الشديدة التى تعصف بكل شىء : أى تذهب به ، وتقول : عصفت الريح وأعصفت ، إذا اشتد هبوبها ؛ فهى عاصف من الأول ومعصف من الثانى

(٤) هذا البيت والأبيات قبله مأخوذة من قول الله تعالى : (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا)

(٥) قنطوا : يئسوا ، وقوله « نصر مليكنا » هو هكذا فى أصول الكتاب وفى تاريخ ابن كثير (ج ٤ ص ١٣٣) ووقع فى الديوان (تنزيل نص مليكنا الوهاب) ونظنه محرفا

عَاتِى الْفُؤَادِ مُوَقَّعٍ ذِى رِيبَةٍ
فِى الْكُفْرِ لَيْسَ بِطَاهِرِ الْأَثْوَابِ (١)
عَلِقَ الشَّقَاءُ بِقَلْبِهِ فَفُؤَادُهُ
فِى الْكُفْرِ آخِرَ هٰذِهِ الْأَحْقَابِ (٢)

وأجابه كعب بن مالك أيضا ، فقال : —

قصيدة كعب بن مالك الانصارى يجيب بها ابن الزبعرى أيضا

أَبْقَى لَنَا حَدَثُ الْحُرُوبِ بَقِيَّةً   مِنْ خَيْرِ نِحْلَةِ رَبِّنَا الْوَهَّابِ (٣)
بَيْضَاءَ مُشْرِقَةَ الذُّرَا وَمَعَاطِنًا   حُمَّ الْجُذُوعِ غَزِيرَةَ الْأَحْلَابِ (٤)

---

(١) عاتى الفؤاد : قاس شديد القسوة ، وموقع ـ بضم الميم وفتح الواو وتشديد القاف مفتوحة ـ هو الذى أصابته البلايا ، وهو أيضا البعير الذى كثرت فيه آثار الدبر ، ووقع هذا البيت فى الديوان هكذا : ـ

مُسْتَشْعِرٌ لِلْكُفْرِ دُونَ ثِيَابِهِ   وَالْكُفْرُ لَيْسَ بِطَاهِرِ الْأَثْوَابِ

(٢) وقع صدر هذا البيت فى الديوان « علق الشقاء بقلبه فأرانه » وأرانه : غطى عليه ، أو غلب على عقله فأماله عن الحق وعدل به عن الطريق السوى

(٣) النحلة ـ بكسر النون وسكون الحاء المهملة ـ العطاء ،

(٤) بيضاء : هى مفعول أبقى فى البيت السابق ، وأراد ببيضاء مشرقة الذرى : الحصون والآطام ، والمشرقة : النيرة المضيئة ، والذرى : الأعالى وأراد بقوله « ومعاطناحم الجذوع ـ الخ » منابت النخل عند الماء ، شبهها بمعاطن الأبل ، وهى مباركها عند الماء ، وحم ـ بضم الحاء وتشديد الميم ـ جمع أحم ، والأحم : الذى لونه السواد ، ووصف النخل بالسواد لأنها تضرب إلى السواد من الخضرة والنعيم ، وشبه ما يجتنى منها بالحلب فقال : غزيرة الأحلاب ، وقد يكون أراد الابل حقيقة ؛ فالمعاطن : مباركها عند الماء ، والجذوع ههنا على ذلك : أعناقها ، والأحلاب : ما يحلب منها ، ولكن الأول أولى لأن أهل المدينة معروفون بالنخل

كَاللُّوبِ يُبْذَلُ جَمُّهَا وَحَفِيلُهَا ... لِلْجَارِ وَابْنِ الْعَمِّ وَالْمُنْتَابِ (١)

وَنَزَائِعًا مِثْلَ السِّرَاحِ نَمَى بِهَا ... عَلَفُ الشَّعِيرِ وَجَزَّةُ الْمِقْضَابِ (٢)

عَرِيَ الشَّوَى مِنْهَا وَأَرْدَفَ نَحْضَهَا ... جُرْدُ الْمُتُونِ وَسَائِرِ الْآرَابِ (٣)

---

(١) اللوب : جمع لوبة ، وهي الحرة ، ويقال فيها أيضا : لابة ، وجمعها لاب ، والحرة : أرض ذات حجارة سود ، واعلم أنك تقول : ما بين لابتيها أعلم مني ، ولا يقال ذلك في كل بلد ، وإنما يقال في المدينة وفي الكوفة ، روى السهيلي أن رجلا نسب شبيب بن شبة إلى التصحيف ، فقال له شبيب : أتلحنني وما بين لا بتيها أفصح مني ، فقال له الرجل : وهذه لحنة أخرى ، أو للبصرة لابتان ؟ إنما اللابتان للمدينة والكوفة . والجم - بفتح الجيم - الكثير ، والحفيل : ما اجتمع من لبنها على أنها الابل أو من تمرها ، والمنتاب : الزائر القاصد ، وهو اسم فاعل من انتاب إذا ألم ونزل

(٢) نزائعا : أراد بها الخيل العربية التي حملت من أرضها إلى غيرها ، جمع نزيع ، بمعنى منزوع ، وقوله « مثل السراح » تروى هذه الكلمة بالجيم وبالحاء المهملة ، فأما من رواها بالجيم فانما أراد أن كل واحد من هذه الخيل يشبه السراج في إشراقه ، وأما من رواها بالحاء فانما أراد بالسراح جمع السرحان ، وهو الذئب ، يريد أنها شديدة العدو ، وجمع السرحان على سراح إنما يكون بعد نزع الزوائد منه ؛ ولو جمعه على لفظه لقال السراحين ، والسرحان أيضا الأسد في لغة هذيل ، وقوله « وجزة المقضاب » يعني ما يجز لها من النبات فتطعمه ، والمقضاب : اسم آلة من القضب وهو القطع ، وزعم السهيلي أن المقضاب اسم مزرعة

(٣) الشوى : القوائم ، والنحض - بفتح فسكون - اللحم ، والجرد : جمع أجرد ، وهو الأملس ، والمتون : جمع متن ، وهو الظهر ، والآراب : المفاصل ، وفي الحديث : « أمرت أن أسجد على سبعة آراب » قاله السهيلي ، وقال أبو ذر : « الآراب هنا جمع أربة ، وهي القطعة من اللحم » اه

قُودًا تَرَاحُ إلى الصِّيَاحِ إذَا غَدَتْ
فِعْلَ الضِّرَاءِ تَرَاحُ لِلْكُلَّابِ (١)
وَتَحُوطُ سَائِمَةَ الدِّيَارِ وتَارَةً تُرْدِي الْعِدَى وَتَؤُوبُ بالْأسْلَابِ (٢)
حُوشُ الْوُحُوشِ مُطَارَةٌ عِنْدَ الْوَغَى
عُبْسُ اللِّقَاءِ مُبِينَةُ الْإنْجَابِ (٣)
عُلِفَتْ عَلَى دَعَةٍ فَصَارَتْ بُدَّنًا
دُخْسَ الْبَضِيعِ خَفِيفَةَ الْأقْصَابِ (٤)
يَغْدُونَ بالزَّغْفِ الْمُضَاعِفِ شَكُّهُ
وَبِمُتْرَصَاتٍ فِى الثِّقَافِ صِيَابِ (٥)

---

(١) القود : جمع أقود أو قوداء ، وهو الطويل . وتراح : تنشط ، والضراء : الكلاب الضارية ، وفى الحديث : « إن قيسا ضراء الله فى الأرض » يريد أنها أسده الضارية ، والكلاب : جمع كالب ، وهو صاحب الكلاب الذى يصيد بها ، وقد يكون الكلاب بفتح الكاف على أنه بمعنى ذو الكلاب

(٢) السائمة : الماشية المرسلة فى المرعى إبلا كانت أو غيرها ، وتردى : تهلك ، وتؤوب : ترجع

(٣) حوش الوحوش : أى أنها تنفرها ، ومطارة : مستخفة ، والوغى : الحرب ، والعبس : جمع عبوس ، والانجاب : الكرم والعتق

(٤) البدن : جمع بادن ، وهو السمين ، والدخس : الكثيرة اللحم ، والبضيع : اللحم المستطيل ، والأقصاب : جمع قصب ـ بضم القاف وسكون الصاد المهملة ـ وهو المعى ، ومنه سمى الجزار قصابا

(٥) الزغف : الدروع اللينة ، وقوله « المضاعف شكه » أى نسجه وحلقه ، وفى نسخة « المضاعف نسجه » وقوله « وبمترصات » أراد بها الرماح المحكمة المثقفة ، وقوله « صياب » أى الصائبة

وَصَوَارِمٍ نَزَعَ الصَّيَاقِلُ غُلْبَهَا ... وَبِكُلِّ أَرْوَعَ مَاجِدِ الْأَنْسَابِ (١)
يَصِلُ الْيَمِينَ بِمَارِنٍ مُتَقَارِبٍ ... وُكِلَتْ وَقِيعَتُهُ إِلَى خَبَّابِ (٢)
وَأَغَرَّ أَزْرَقَ فِى الْقَنَاةِ كَأَنَّهُ ... فِى طُخْيَةِ الظَّلْمَاءِ ضَوْءُ شِهَابِ (٣)
وَكَتِيبَةٍ يَنْفِى الْقِرَانَ قَتِيرُهَا ... وَتَرُدُّ حَدَّ قَوَاحِزِ النُّشَّابِ (٤)
جَأْوَى مُلَمْلِمَةٍ كَأَنَّ رِمَاحَهَا ... فِى كُلِّ مَلْحَمَةٍ صَرِيمَةُ غَابِ (٥)
تَأْوِى إِلَى ظِلِّ اللِّوَاءِ كَأَنَّهُ ... فِى صَعْدَةِ الْخَطِّىِّ فَىْءُ عُقَابِ (٦)
أَعْيَتْ أَبَا كَرِبٍ وَأَعْيَتْ تُبَّعًا ... وَأَبَتْ بَسَالَتُهَا عَلَى الْأَعْرَابِ (٧)

---

(١) الصوارم : السيوف القاطعة ، وغلبها : خشونتها وما علاها من الصدأ والأروع : الذى يروعك بكماله وجماله ، والماجد : الشريف

(٢) المارن : الرمح اللين ، ووقيعته : صنعته وتطريقه وتحديده وصقله والميقعة — بكسر الميم وفتح القاف — المطرقة التى يطرق بها الحديد ، وخباب هنا : اسم قين

(٣) قوله « وأغر أزرق » يريد به سنانا ، والطخية : شدة السواد ، وطخاء القلب : ظلمته

(٤) القران — بكسر القاف — تقارن النبل ، والقتير هنا : مسامير حلق الدرع

(٥) جأوى : أراد جأواء فقصر حين اضطر إلى ذلك ، والجأواء : التى يخالط سوادها حمرة ، والململة : المجتمعة ، والصريمة : اللهب المتوقد ، والغاب : الشجر الملتف

(٦) الصعدة : القناة المستوية ، والخطى : الرماح ، والفىء : الظل

(٧) أبو كرب وتبع من ملوك اليمن ، وسبق ذكرهما فى أول الكتاب ، وبسالتها : شدتها وكراهيتها

وَمَوَاعِظٌ مِنْ رَبِّنَا نُهْدَى بِهَا   بِلِسَانِ أَزْهَرَ طَيِّبِ الْأَثْوَابِ [1]
عُرِضَتْ عَلَيْنَا فَاشْتَهَيْنَا ذِكْرَهَا
مِنْ بَعْدِ مَا عُرِضَتْ عَلَى الْأَحْزَابِ
حِكَمًا يَرَاهَا الْمُجْرِمُونَ بِزَعْمِهِمْ   حَرَجًا وَيَفْهَمُهَا ذَوُو الْأَلْبَابِ [2]
جَاءَتْ سَخِينَةُ كَيْ تُغَالِبَ رَبَّهَا   فَلَيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الْغَلَّابِ [3]

قال ابن هشام : حدثني من أثق به ، قال : حدثني عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال : لما قال كعب بن مالك : —

---

(١) الأزهر : الأبيض ، وطيب الأثواب : كناية عن العفاف والطهر ، وأراد به النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) الحرج هنا : الحرام ، والألباب : جمع لب ، وهو العقل

(٣) « سخينة » هذا لقب نبزت به قريش فى الجاهلية ، قال السهيلي : « ذكروا أن قصيا كان إذا ذبحت ذبيحة أو نحرت نحيرة بمكة أتى بعجزها فصنع منه خزيرة ، وهو لحم يطبخ ببر ؛ فيطعمه الناس ، فسميت قريش بها سخينة ، وقيل : إن العرب كانوا إذا أسنتوا أكلوا العلهز ، وهو الوبر والدم وتأكل قريش الخزيرة والفتيتة . فنفست عليهم ذلك ؛ فلقبوهم سخينة ، ولم تكن قريش تكره هذا اللقب ، ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره ورسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، ولتركه أدبا مع النبي عليه السلام ، إذ كان قرشيا ، ولقد استنشد عبد الملك بن مروان ماقاله الهوازني فى قريش : —

يَاشَدَّةً مَاشَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ   عَلَى سَخِينَةَ لَوْلاَ اللهُ وَالْحَرَمُ

فقال : ما زاد هذا على أن استثنى ، ولم يكره سماع التلقيب بسخينة ، فدل هذا على أن هذا اللقب لم يكن مكروها عندهم ولا كان فيه تعيير لهم بشيء يكره » اهقال ابو رجاء : وفى قصة معاوية رحمه الله مع التيمي ما يؤخذ منه أنهم كانوا يعيرون بذلك ويستحون من ذكره

جاءَتْ سَخِينَةُ كَيْ تُغَالِبَ رَبَّهَا ... فَلَيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الغَلَّابِ

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ شَكَرَكَ اللهُ يا كَعْبُ عَلَى قَوْلِكَ هٰذَا »

قال ابن إسحق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق : —

قصيدة لكعب بن مالك فى يوم الخندق

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُمَعْمِعُ بَعْضُهُ ... بَعْضًا كَمَعْمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمُحْرَقِ (١)

فَلْيَأْتِ مَأْسَدَةً تُسَنُّ سُيُوفُهَا ... بَيْنَ الْمَذَادِ وَبَيْنَ جِذْعِ الْخَنْدَقِ (٢)

دَرِبُوا بِضَرْبِ الْمُعْلِمِينَ وَأَسْلَمُوا ... مُهَجَاتِ أَنْفُسِهِمْ لِرَبِّ الْمَشْرِقِ (٣)

فِى عُصْبَةٍ نَصَرَ الْإِلٰهُ نَبِيَّهُ ... بِهِمُ وَكَانَ بِعَبْدِهِ ذَا مَرْفَقِ

---

(١) المعمعة : صوت التهاب النار وحريقها فيما عظم وكثف من القصباء ونحوها ، والأباء بفتح الهمزة وتخفيف الباء ـ القصب ، ويقال : هو الأغصان الملتفة

(٢) المأسدة : موضع الأسود ، وأراد هنا موضع الحرب ، والمذاد : اسم موضع القتال ، والجزع : جانب الوادى ، قال السهيلى : « وقوله تسن سيوفها بنصب الفاء ، وهو الأصح عند القاضى أبى الوليد ، ووقع فى الأصل عند أبى بحر بالرفع ، ومعنى الرواية الأولى تسن أى تصقل ، ومعنى الرواية الثانية أى تسن للأبطال من الرجال سنة الجراءة والاقدام » اه كلامه ، وهذ الذى ذكره فى تفسير الروايتين على أن قوله « تسن » بالبناء للمعلوم ، فأما النصب فعلى استتار الفاعل عائدا إلى المأسدة ، وأما الرفع فعلى أن سيوفها هو الفاعل والمفعول محذوف ، ويروى ببناء تسن للمجهول ، فسيوفها مرفوع البتة على أنه نائب فاعل وهو بمعنى رواية النصب التى ذكرها (وانظر : ص ٢٩٩ ه‍ ١ من هذا الجزء)

(٣) المعلمون : الذين يعلمون أنفسهم فى الحرب بعلامة يعرفون بها ، والمهجات : جمع مهجة ، وهى النفس ، ويقال : هى خيال النفس وذكاؤها وقوله « لرب المشرق » فى هذه العبارة الاكتفاء ، والمراد لرب المشرق والمغرب :

فى كُلِّ سَابِغَةٍ تَحُطُّ فُضُولُهَا كالنِّهْىِ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمُتَرَقْرِقِ (١)

بَيْضَاءَ مُحْكَمَةٍ كأَنَّ قَتِيرَهَا
حَدَقُ الْجَنَادِبِ ذَاتَ شَكٍّ مُوثَقِ (٢)

جَدْلاَءَ يَحْفِزُهَا نِجَادُ مُهَنَّدِ
صَافِى الْحَدِيدَةَ صَارِمٍ ذِى رَوْنَقِ (٣)

تِلْكُمْ مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِبَاسَنَا
يَوْمَ الْهِيَاجِ وكُلَّ سَاعَةِ مَصْدَقِ

نَصِلُ السُّيُوفَ إذَا قَصُرْنَ بِخَطْوِنَا
قُدُمًا وَنُلْحِقُهَا إذَا لَمْ تَلْحَقِ

فَتَرَى الْجَمَاجِمَ ضَاحِيًا هَامَاتُهَا
بَلْهَ الْأَكُفَّ كأَنَّهَا لَمْ تُخْلَقِ (٤)

---

(١) تحط فضولها : أى ينجر على الأرض ما فضل منها ، والنهى : الغدير من الماء ، والمترقرق : الذى تصفقه الريح فيجىء ويذهب ، ويروى « المترقق » وهو من الرقة

(٢) القتير : مسامر حلق الدروع ، والجنادب : ذ ور الجراد ، والشك : النسج وإحكام السرد

(٣) الجدلاء : الدرع المحكمة النسج ، ويحفزها : يرفعها ويشمرها ، والنجاد : حمائل السيف ، والمهند : السيف ، والصارم : القاطع ، والرونق : اللمعان

(٤) الجماجم : جمع جمجمة ، وهى عظام الرأس ، وضاحيا : بارزا للشمس ، ومنه قوله تعالى : « إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى » ، وبله : اسم فعل أمر معناه اترك ودع ، والأكف : منصوب به ، ويروى بله الاكف بالخفض فهذا على أن بله مصدر أضافه إلى مفعوله كما فى قوله تعالى : (فضرب الرقاب)

نَلْقَى الْعَـدُوَّ بِقَحْمَـةٍ مَلْمُومَةٍ
تَنْفِي الْجُمُوعَ كَقَصْدِ رَأْسِ الْمُشْرِقِ (١)
وَنُعِدُّ لِلْأَعْدَاءِ كُلَّ مُقَلَّصٍ وَرْدٍ وَمَحْجُولِ الْقَوَائِمِ أَبْلَقِ (٢)
تَرْدِي بِفُرْسَانٍ كَأَنَّ كُمَاتَهُمْ عِنْدَ الْهِيَاجِ أُسُودُ طَلٍّ مُلْثِقِ (٣)
صُدُقٌ يُعَاطُونَ الْـكُمَاةَ حُتُوفَهُمْ
تَحْتَ الْعَمَايَةِ بِالْوَشِيجِ الْمُزْهِقِ (٤)
أَمَرَ الْإِلٰهُ بِرَبْطِهَا لِعَدُوِّهِ فِي الْحَرْبِ إِنَّ اللهَ خَيْرُ مُوَفِّقِ
لِتَـكُونَ غَيْظًا لِلْعَدُوِّ وَحُيَّطًا لِلدَّارِ إِنْ دَلَفَتْ خُيُولُ النُّزَّقِ (٥)

---

(١) القحمة : الـكتيبة ، والملمومة : المجتمعة ، والمشرق ههنا : اسم جبل ويروى « كرأس قدس المشرق » فعلى هذا قدس جبل وهو غير مصروف والمشرق نعت له

(٢) كل مقلص . أراد فرسا خفيفا مشمرا ، والورد من الخيل : ما كان بين الـكميت والأشقر ، وهو بفتح الواو وسكون الراء ، والمحجول : الذى فى قوائمه بياض يخالف سائر لونه

(٣) تردى : تسرع ، والضمير المستتر يعود إلى الخيل ، والـكماة : جمع كمى ، وهو الشجاع ، والهياج الحرب ، والطل ـ بفتح الطاء ـ الضعيف من المطر ، والملثق : الذى يبل ، من اللثق ، وهو البلل

(٤) صدق : هو من أوصاف الكماة ، ومعناه أنهم يصدقون عند القتال والحتوف : جمع حتف ، وهو الموت . والعماية — بفتح العين المهملة — السحابة التى تنعقد من الغبار الذى تثيره سنابك الخيل ، والوشيج : الرماح ، والمزهق : الذى يذهب النفوس ويهلـكها

(٥) حيطا : هو جمع حائط الذى هو اسم فاعل من حاط يحوط ، ودلفت : سارت ومشت ، وأراد إن قربت من ديارهم ، والنزق : جمع نازق ، وهو الغاضب السيء الخلق

وَيُعِينُنَا اللهُ الْعَزِيزُ بِقُوَّةٍ مِنْهُ وَصِدْقِ الصَّبْرِ سَاعَةَ نَلْتَقِي
وَنُطِيعُ أَمْرَ نَبِيِّنَا وَنُجِيبُهُ وَإِذَا دَعَا لِكَرِيهَةٍ لَمْ نُسْبَقِ
وَمَتَى يُنَادِ إِلَى الشَّدَائِدِ نَأْتِهَا وَمَتَى نَرَ الْحَوْمَاتِ فِيهَا نُعْنِقِ (١)
مَنْ يَتَّبِعْ قَوْلَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ فِينَا مُطَاعُ الْأَمْرِ حَقُّ مُصَدَّقِ (٢)
فَبِذَاكَ يَنْصُرُنَا وَيُظْهِرُ عِزَّنَا وَيُصِيبُنَا مِنْ نَيْلِ ذَاكَ بِمِرْفَقِ (٣)
إِنَّ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ مُحَمَّدًا كَفَرُوا وَضَلُّوا عَنْ سَبِيلِ الْمُتَّقِي

قال ابن هشام : أنشدني بيته « تلكم مع التقوى تكون لباسنا » وبيته « مَنْ يتبع قول النبي » أبو زيد ، وأنشدني « تنفي الجموع كرأس قدس المشرق »

قال ابن إسحق : وقال كعب بن مالك في يوم الخندق : —

قصيدة لكعب بن مالك في يوم الخندق

لَقَدْ عَلِمَ الْأَحْزَابُ حِينَ تَأَلَّبُوا عَلَيْنَا وَرَامُوا دِينَنَا مَا نُوَادِعُ (٤)
أَضَامِيمُ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ أَصْفَقَتْ وَخِنْدِفَ لَمْ يَدْرُوا بِمَا هُوَ وَاقِعُ (٥)

---

(١) الحومات : جمع حومة ، وهي موضع القتال ، ونعنق : نسير العنق ، وهو من أنواع السير السريع

(٢) حق مصدق - باضافة الأول إلى الثاني - أي مصدق حقا

(٣) المرفق - بزنة مجلس أو مقعد أو منبر - هو الرفق ، وهو اللطف وما يستعان به ، تقول منه : رفق به ، ورفق عليه — بفتح الفاء أو كسرها -

(٤) تألبوا : تجمعوا ، وما نوادع : هو من الموادعة ، وهي الصلح والمهادنة

(٥) أضاميم : جماعات انضم بعضها إلى بعض ، ويروى أصاميم - بالصاد

يَذُودُونَنَا عَنْ دِينِنَا وَنَذُودُهُمْ
عَنِ الْكُفْرِ وَالرَّحْمنُ رَاءٍ وَسَامِعُ (١)
إِذَا غَايَظُونَا فِي مَقَامٍ أَعَانَنَا عَلَى غَيْظِهِمْ نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَاسِعُ
وَذَلِكَ حِفْظُ اللهِ فِينَا وَفَضْلُهُ عَلَيْنَا وَمَنْ لَمْ يَحْفَظِ اللهُ ضَائِعُ
هَدَانَا لِدِينِ الْحَقِّ وَاخْتَارَهُ لَنَا وَلِلهِ فَوْقَ الصَّانِعِينَ صَنَائِعُ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له

قصيدة أخرى لكعب بن مالك فى يوم الخندق

قال ابن إسحق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق : —

أَلاَ أَبْلِغْ قُرَيْشًا أَنَّ سَلْعًا وَمَا بَيْنَ الْعُرَيْضِ إِلَى الصِّمَادِ (٢)

المهملة ـ ومعناه خالصون فى أنسابهم ، وأصفقت : اجتمعت وتوافقت على الأمر

(١) يذودوننا : يدفعوننا ، ويمنعوننا ، يريد أنهم إنما يدفعوننا عن الحق الذى هو ديننا ونحن إنما ندفعهم عن الباطل الذى هو الكفر ، والله تعالى يرى أعمالنا وأعمالهم ويسمع منا ومنهم وهو يجازى كل فريق منا بما يستحقه

(٢) سلع ـ بفتح السين وسكون اللام ـ اسم جبل فى سوق المدينة ، وقال الأزهرى : هو اسم موضع بقرب المدينة ، والعريض ـ بضم العين وفتح الراء المهملة بعدها ياء مثناة ـ قال ياقوت « هو واد بالمدينة له ذكر فى المغازى ، خرج أبو سفيان من مكة حتى بلغ العريض وادى المدينة فأحرق صورا من صيران وادى العريض ثم انطلق هو وأصحابه هاربين إلى مكة » اهـ كلامه . وقال أبو ذر : « العريض : موضع ، ويحتمل أن يكون تصغير عرض ، واحد الأعراض ، وهى أودية خارج المدينة فيها النخل والشجر » اهـ كلامه ، والصماد بكسر الصاد المهملة ـ قال ياقوت : جبل ، وقال أبو ذر : « هو موضع ، ويمكن أن يكون جمع صمد ، وهو المرتفع من الأرض » اهـ كلامه . وهو فى رواية أبى ذر بالصاد المهملة أيضا وإن وقع فى نسخته محرفا بالضاد المعجمة ، وصمد فى كلامه كفلس

نَوَاضِحُ فِى الْحُرُوبِ مُدَرَّبَاتٌ وَخُوصٌ ثُقِّبَتْ مِنْ عَهْدِ عَادِ (١)
رَوَاكِدُ يَزْخَرُ الْمَرَّارُ فِيهَا فَلَيْسَتْ بِالْجِمَامِ وَلاَ الثِّمَادِ (٢)
كَأَنَّ الْغَابَ وَالْبَرْدِىَّ فِيهَا أَجَشُّ إِذَا تَبَقَّعَ لِلْحَصَادِ (٣)
وَلَمْ نَجْعَلْ تِجَارَتَنَا اشْتِرَاءَ الـ حَمِيرِ لأَرْضِ دَوْسٍ أَوْ مُرَادِ (٤)
بِلاَدٌ لَمْ تُثَرْ إِلاَّ لِكَيْمَا نُجَالِدُ إِنْ نَشِطْتُمْ لِلْجِلاَدِ (٥)
أَثَرْنَا سِكَّةَ الأَنْبَاطِ فِيهَا فَلَمْ تَرَ مِثْلَهَا جَلْهَاتِ وَادِ (٦)
قَصَرْنَا كُلَّ ذِى حُضْرٍ وَطَوْلٍ عَلَى الْغَايَاتِ مُقْتَدِرٍ جَوَادِ (٧)

---

(١) النواضح : الابل التى يستقى عليها الماء ، والخوص : الآبار الضيقة وثقبت : حفرت ، وأراد بعهد عاد قدمها

(٢) الرواكد: الثابتة الدائمة ، ويزخر : يعلو ويرتفع ، تقول : زخر البحر والنهر - مثل منع يمنع - إذا ارتفع ماؤه وعلا ، وتقول : زخر الوادى ، إذا امتد جدا ، والمرار : الذى يمر فيها ، ويروى المداد ، وهو الذى يمدها من الماء ، وأراد بهذه العبارة أنها تفيض بالماء ، والجمام : جمع جمة ، وهى التى تراجع ماؤها ، وتقول : جم البئر يجم - بكسر عين المضارع أو ضمها - إذا تراجع ماؤها ، والثماد : جمع ثمد ، وهو الماء القليل

(٣) البردى : شىء ينبت فى البرك تصنع منه الحصر الغلاظ ، وأجش : هو المرتفع الصوت . وتبقع : أى صارت فيه بقع صفر

(٤) دوس ومراد : قبيلتان

(٥) تثر : تحرث ، ونجالد : نحارب ، والجلاد : مجالدة العدو وحربهم

(٦) السكة : الصف من الخيل ، والأنباط : قوم من العجم ، والجلهات : جمع جلهة ، وهى ما استقبلك من الوادى إذا نظرت إليه من الجانب الآخر

(٧) الحضر : الجرى ، وأراد بكل ذى حضر الخيل ، ويروى فى مكانه «أثرنا كل ذى خطر» والخطر : القدر ، تقول : لفلان فى الناس خطر :

أجِيبُــونَا إلَى مَا نَجْتَدِيكُمْ ... مِنَ الْقَوْلِ الْمُبَيَّنِ وَالسَّدَادِ (١)

وَإلاَّ فَاصْبِرُوا لِجِــلَادِ يَوْمٍ ... لَــكُمْ مِنَّا إلَى شَطْرِ الْمَذَادِ (٢)

نُصَبِّحُــكُمْ بِكُلِّ أَخِي حُرُوبٍ ... وَكُلِّ مُطَهَّمٍ سَلِسِ الْقِيَادِ (٣)

وَكُلِّ طِمِرَّةٍ خَفِقٍ حَشَاهَا ... تَدِفُّ دَفِيفَ صَفْرَاءِ الْجَرَادِ (٤)

وَكُلِّ مُقَلَّصِ الآرَابِ نَهْدٍ ... تَمِيمِ الْخَلْقِ مِنْ أُخُرٍ وَهَادِي (٥)

خُيُولٌ لاَ تُضَاعُ إذَا أُضِيعَتْ ... خُيُولُ النَّاسِ فِي السَّنَةِ الْجَمَادِ (٦)

يُنَازِعْنَ الْأَعِنَّةَ مُصْغِيَاتٍ ... إذَا نَادَى إلَى الْفَزَعِ الْمُنَادِي (٧)

أى قدر ، والطول : الفضل والقدرة ، وهو بفتح الطاء وسكون الواو ، والغايات : جمع غاية ، وهى حيث ينتهى طلق الفرس

(١) نجتديكم : نطلب منكم ، والقول المبين : الواضح ، والسداد : الصواب

(٢) الشطر هنا : معناه الناحية والجهة ، والمذاد : اسم موضع (انظر : ص ٢٩٩ هـ ١)

(٣) المطهم : الفرس التام الخلق ، وسلس القياد : لا يتأبى على راكبه ولا يصعب عليه

(٤) الطمرة ـ بكسر الطاء والميم وتشديد الراء ـ الفرس الخفيفة ، وخفق حشاها : مضطرب ، والدفيف ـ بالدال المهملة مفتوحة ـ المشى الخفيف ويروى « ترف رفيف » ومعناه أنها تطير فى جريها ، تقول : رف الطائر ، إذا حرك جناحيه ليطير

(٥) المقلص : المنشمر الشديد ، والآراب : جمع أربة ـ بضم الهمزة ـ وهى القطعة من اللحم ، والنهد : الغليظ ، والهادى : العنق ، وأراد أنه تام الخلق من مقدم ومؤخر

(٦) السنة الجماد : سنة القحط والجدب ، يريد أنهم لا يضيعون هذه الخيل بترك علفها مع تكالب الزمن واشتداد القحط فهم بها جد معنيين ، فهى لذلك جد قوية تامة الخلق

(٧) الأعنة : جمع عنان ، وهو لجام الدابة ، ومنازعة الجياد لجمها من

إِذَا قَالَتْ لَنَا النُّذُرُ اسْتَعِدُّوا تَوَكَّلْنَا عَلَى رَبِّ الْعِبَادِ (١)

وَقُلْنَا لَنْ يُفَرِّجَ مَالَقِينَا

سِوَى ضَرْبِ الْقَوَانِسِ وَالْجِهَادِ (٢)

فَلَمْ تَرَ عُصْبَةً فِيمَنْ لَقِينَا مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ قَارٍ وَبَادِ (٣)

أَشَدَّ بَسَالَةً مِنَّا إِذَا مَا أَرَدْنَاهُ وَأَلْيَنَ فِى الْوِدَادِ (٤)

إِذَا مَا نَحْنُ أَشْرَجْنَا عَلَيْهَا

جِيَادَ الْجُدْلِ فِى الْأُرُبِ الشِّدَادِ (٥)

قَذَفْنَا فِى السَّوَابِغِ كُلَّ صَقْرٍ كَرِيمٍ غَيْرِ مُعْتَلِثِ الزِّنَادِ (٦)

أمارة نشاطها ، ومصغيات : مستمعات ، والفزع : أراد به الصريخ إلى الحرب ، يريد أن هذه الجياد قد تعودت سماع صوت الداعى إلى الحرب ، فهى تجيب كلما نادى عليها لذلك

(١) النذر : جمع نذير ، وهو الذى يخبرك بما فيه خوف وشر

(٢) القوانس : أعالى بيض الحديد ، والجهاد : معطوف على ضرب القوانس .

(٣) قار : أراد به من كان من أهل القرى ، والبادى : من كان من أهل البادية

(٤) البسالة : الشجاعة ، يريد أنهم فى الحروب أبسل الناس ، وفى السلم ألين الناس خلقا

(٥) أشرجنا : ربطنا ، والجدل : جمع جدلاء ، وهى الدرع المحكمة النسج و « الأرب » تروى هذه الكلمة بالراء المهملة وتروى بالزاى ، فأما من رواه بالراء المهملة فهو جمع أربة ، وهى العقدة ، وأما من رواه بالزاى فقد عنى بها الضيق والشدائد

(٦) السوابغ : جمع سابغة ، وهى الدرع الكاملة التامة التى تعم

أَشَمَّ كَأَنَّهُ أَسَدٌ عَبُوسٌ ... غَدَاةَ بَدَا بِبَطْنِ الْجِزْعِ غَادِ (١)
يُغَشِّى هَامَةَ الْبَطَلِ الْمُذَكِّي ... صَبِيَّ السَّيْفِ مُسْتَرْخِي النِّجَادِ (٢)
لِنُظْهِرَ دِينَكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا ... بِكَفِّكَ فَاهْدِنَا سُبُلَ الرَّشَادِ (٣)

قال ابن هشام : بيته « قصرنا كل ذى حُضُرٍ وطول » والبيت الذى يتلوه والبيت الثالث منه والبيت الرابع منه و بيته « أشم كأنه أسد عبوس » والبيت الذى يتلوه ، عن أبى زيد الأنصارى

قال ابن إسحق : وقال مُسَافع بن عبد مناف بن وَهْب بن حُذَافة ابن جُمَح ، يبكى عمرو بن عبد وُدٍّ ، ويذكر قتل على بن أبى طالب رضوان الله عليه إياه : —

قصيدة لمسافع بن عبد مناف يرثى عمرو بن عبد ود

صاحبها ، والزناد المعتلث : هو الذى إذا قدح لم يور ناراً ، ويقال : هو الذى يقطع من شجرة لا يدرى أيورى ناراً أم لا يورى

(١) أشم : هو الذى به شمم ، وأصله ارتفاع قصبة الأنف ، وعند العرب أن ذلك من دلائل العزة ، وقوله « بدا » تروى هذه الكلمة على ثلاثة أوجه : الأول «بدا» بالباء الموحدة ، ومعناه ظهر ، تقول : بدا الشىء يبدو ؛ إذا ظهر ، والوجه الثانى «يرى» بياء المضارعة والراء ، وهو فعل مضارع من الرؤية ، وهو مبنى للمجهول ، والوجه الثالث « ندا » بالنون والدال المهملة ، وهو من الندى الذى هو المجلس قال ذلك أبو ذر ، وعندنا أن اشتقاق الأخير من قولهم : فلان أندى صوتا من فلان ؛ اذا كان صوته ارفع من صوته وأجهر ، والجزع : جانب الوادى أو ما انعطف منه

(٢) المذكى : الذى بلغ الغاية فى القوة ، وصبى السيف : وسطه ، وذبابه : طرفه ، والنجاد : حمائل السيف ، ومعنى أنه مسترخى الحمائل أنه طويلها ، وذلك كناية عن طول قامته ، والعرب تتمدح بذلك

(٣) بكفك : يريد أنهم تحت قدرة الله تعالى وفى تصرفه ، ويدعوه جل شأنه لأنفسهم بالهداية

عَمْرُو بْنُ عَبْدٍ كَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ
جَزَعَ الْمَذَادَ وَكَانَ فَارِسَ يَلْيَلِ (١)

سَمْحُ الْخَلاَئِقِ مَاجِدٌ ذُو مِرَّةٍ
يَبْغِي الْقِتَالَ بِشِكَّةٍ لَمْ يَنْكُلِ (٢)

وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ حِينَ وَلَّوْا عَنْكُمُ أَنَّ ابْنَ عَبْدٍ فِيهِمُ لَمْ يَعْجَلِ
حَتَّى تَكَنَّفَهُ الْكُمَاةُ وَكُلُّهُمْ يَبْغِي مَقَاتِلَهُ وَلَيْسَ بِمُؤْتَلِ (٣)

وَلَقَدْ تَكَنَّفَتِ الْأَسِنَّةُ فَارِسًا
بِجُنُوبِ سَلْعٍ غَيْرَ نِكْسٍ أَمْيَلِ (٤)

---

(١) جزع : قطع ، والمذاد : اسم مكان من ذاد يذود ، ومعناه مكان الدفاع ، وهو معترك الحرب ، ويليل : وادى بدر ، وكان عمرو بن ود حضر موقعة بدر ولم يشهد أحداً على ما سبق بيانه للمؤلف

(٢) المرة - بكسر الميم وتشديد الراء - الشدة والقوة ، والشكة : السلاح ، ولم ينكل : لم يرجع ولم يتأخر من هيبة أو خوف أو نحوهما

(٣) تكنفه : أحاط به والتفوا حوله ، والكنف : الناحية ، وأصل معنى تكنفه : جاءه من أكنافه كلها : أى من نواحيه ، والكماة : جمع كمى ، وهو الشجاع ، والمقاتل - بفتح الميم - جمع مقتل ، وهو مكان القتل ، وليس بمؤتل : غير مقصر فى بلوغ مراده ، يريد أنهم التفوا حوله يريدون قتله وليس فيهم إلا حريص على ذلك

(٤) الأسنة : جمع سنان الرمح ، وأراد حامليها ، وسلع : جبل بالمدينة أو مكان على ما سبق ، والنكس - بكسر النون وسكون الكاف - الدنىء من الرجال ، والأميل : الذى لارمح معه ، وقيل : هو الذى لا ترس معه .

تَسَلُ النِّزَالَ عَلِيُّ فَارِسَ غَالِبٍ   بِجَنُوبِ سَلْعٍ لَيْتَهُ لَمْ يَنْزِلِ (١)

فَاذْهَبْ عَلِيُّ فَمَا ظَفِرْتَ بِمِثْلِهِ
فَخْراً وَلاَ لاَقَيْتَ مِثْلَ الْمُعْضِلِ (٢)

نَفْسِى الْفِدَاءُ لِفَارِسٍ مِنْ غَالِبٍ
لاَقَى حِمَامَ الْمَوْتِ لَمْ يَتَحَلْحَلِ (٣)

أَعْنِى الَّذِى جَزَعَ الْمَذَادَ بِمُهْرِهِ   طَلَبًا لِثَأْرِ مَعَاشِرٍ لَمْ يَخْذُلِ (٤)

كلمة أخرى لمسافع بن عبد مناف فى مقتل عمرو

وقال مسافع أيضاً يُؤَنِّبُ فرسان عمرو الذين كانوا معه فأجْلَوْا عنه وتركوه : —

عَمْرُو بْنُ عَبْدٍ وَالْجِيَادُ يَقُودُهَا   خَيْلٌ تُقَادُ لَهُ وَخَيْلٌ تُنْعَلُ (٥)

---

(١) تسل : أراد تسأل ، فألقى حركة الهمزة على السين ثم حذف الهمزة ، وفاعله ضمير مستتر للمخاطب ، والنزال : مفعوله ، وعلى : منادى ، وفارس غالب : مفعول آخر لتسل ؛ يريد أتسأل يا على فارس غالب النزال بجنوب سلع ؟ وحذف همزة الاستفهام لانسياق معناها مع الكلام ، ثم تمنى أن لم يكن نزل

(٢) أصل المعضل : الأمر الشديد الذى يصعب حله ويتعذر الخلاص منه ، واستعاره ههنـــا للفارس الذى يتحدث عنه ؛ يريد أنه لم يكن أحد ليستطيع أن ينال منه شيئاً

(٣) لم يتحلحل : لم يبرح مكانه ولم يفارقه

(٤) جزع : قطع ، والمذاد : معترك الحرب ، وتقدم قريباً (٥ ص ٢٩٩) ولم يخذل : أراد لم يخذل قومه ؛ فحذف المفعول به

(٥) وخيل تنعل : يريد تقوى له وتعد وتهيأ بالباسها الحديد فى قوائمها وقال المجد : « ونعل الدابة : ألبسها النعل كأنعلها ونعلها (بالتضعيف) . . . وفرس منعل — كمكرم — شديد الحافر » اه كلامه

أَجْلَتْ فَوَارِسُهُ وَغَادَرَ رَهْطَهُ رُكْنًا عَظِيماً كَانَ فِيهَا أَوَّلُ (١)
عَجَبًا وَإِنْ أَعْجَبْ فَقَدْ أَبْصَرْتُهُ مَهْمَا تَسُومُ عَلِيُّ عَمْرًا يَنْزِلُ (٢)
لَاتَبْعَدَنَّ فَقَدْ أُصِبْتُ بِقَتْلِهِ وَلَقِيتُ قَبْلَ الْمَوْتِ أَمْرًا يَثْقُلُ
وَهُبَيْرَةُ الْمَسْلُوبُ وَلَّى مُدْبِرًا عِنْدَ الْقِتَالِ مَخَافَةً أَنْ يُقْتَلُوا
وَضِرَارُ كَانَ الْبَأْسُ مِنْهُ مُحْضَراً وَلَّى كَمَا وَلَّى اللَّئِيمُ الْأَعْزَلُ (٣)

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له ، وقوله : « عمراً ينزل » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال هبيرة بن أبي وهب يعتذر عن فراره ، ويبكي عمراً ، ويذكر قتل عليّ إياه : —

كلمة لهبيرة بن أبي وهب يعتذر عن فراره ويرثي عمرو ابن عبدود

لَعَمْرِيَ مَاوَلَّيْتُ ظَهْرِي مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ جُبْنًا وَلَا خِيفَةَ الْقَتْلِ
وَلَكِنَّنِي قَلَّبْتُ أَمْرِي فَلَمْ أَجِدْ
لِسَيْفِي غَنَاءً إِنْ ضَرَبْتُ وَلَا نَبْلِي (٤)

---

(١) أجلت فوارسه : أراد تفرقت ، وغادر : ترك ، ورهطه : معشره وقومه ؛ وبنى «أول» على الضم لحذف الاسم الذى كان مضافاً إليه مع نية معناه دون لفظه ، وأصل الكلام : كان فيها أول الناس ، مثلا

(٢) تسوم : مضارع سامه يسومه ، إذا كلفه وطلب منه ، وعلى : منادى وعمراً : مفعول تسوم ، وكان من حقه أن يحذف الواو من تسوم ويجزم آخره بمهما

(٣) الأعزل : الذى لا سلاح معه

(٤) يعتذر عن الفرار بأنه إنما فر لأنه وجد أن البقاء لا يفيد : لأنه إن أعمل سيفه ونبله لم ينل من عدوه المنال الذى يبغيه ، وهى حجة فى مقدور كل أحد أن يقولها

وَقَفْتُ فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِي مُقَدَّمًا
صَدَرْتُ كَضِرْغَامٍ هِزَبْرٍ أَبِي شِبْلِ (١)
ثَنَى عِطْفَهُ عَنْ قِرْنِهِ حِينَ لَمْ يَجِدْ
مَكَرًّا وَقِدْمًا كَانَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي (٢)
فَلَا تَبْعَدَنْ يَا عَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا
وَحُقَّ لِحُسْنِ الْمَدْحِ مِثْلُكَ مِنْ مِثْلِي
وَلَا تَبْعَدَنْ يَا عَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا
فَقَدْ بِنْتَ مَحْمُودَ الثَّنَا مَاجِدَ الْأَصْلِ (٣)
فَمَنْ لِطِرَادِ الْخَيْلِ تُقْدَعُ بِالْقَنَا وَلِلْفَخْرِ يَوْمًا عِنْدَ قَرْقَرَةِ الْبُزْلِ (٤)
هُنَالِكَ لَوْ كَانَ ابْنُ عَبْدٍ لَزَارَهَا وَفَرَّجَهَا حَقًّا فَتًى غَيْرُ مَا وَغْلِ (٥)

---

(١) مقدما : مكان تقدم ، وصدرت : رجعت ، وفى نسخة « صددت » بالدال ، والضرغام ـ بكسر الضاد ـ الأسد ، والهزبر : الشديد ، والشبل ـ بكسر فسكون ـ ابن الأسد

(٢) ثنى : لوى ، وعطفه : جانبه ، والقرن ـ بكسر فسكون ـ الذى يقاوم فى شدة أو قتال ، ومكراً ـ بفتح الميم والكاف ـ مكان الكر ، وهو الجولان

(٣) بنت : بعدت ، والثناء : الذكر الطيب ، والماجد : الشريف

(٤) تقدع : تكف ، وتمنع ، والقرقرة : من أصوات فحول الابل ، والبزل ـ بضم فسكون ـ جمع بازل ، وهو فى الأصل البعير الذى فطر نابه وذلك زمان قوته واستكمال شدته ، فضربه مثلا ، وضرب قرقرة البزل مثلا للمتفاخرين إذا رفعوا أصواتهم بالفخر وتعداد المآثر والمحامد

(٥) « ما » فى قوله « غيرما وغل » زائدة ، وما قبلها مضاف إلى مابعدها ، والوغل : الفاسد من الرجال

فَعَنْكَ عَلِيٌّ لاَأَرَى مِثْلَ مَوْقِفٍ وَقَفْتَ عَلَى نَجْدِ الْمُقَدَّمِ كَالْفَحْلِ (١)

فَمَا ظَفِرَتْ كَفَّاكَ فَخْرًا بِمِثْلِهِ

أَمِنْتَ بِهِ مَاعِشْتَ مِنْ زَلَّةِ النَّعْلِ

وقال هبيرة بن أبي وهب يبكي عمرو بن عبد ود ، ويذكر قتل عليّ رضوان الله عليه إياه : —

كلمة أخرى لهبيرة بن أبي وهب

لَقَدْ عَلِمَتْ عُلْيَا لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ

لَفَارِسُهَا عَمْرٌو ، إِذَا نَابَ نَائِبُ (٢)

لَفَارِسُهَا عَمْرٌو إِذَا مَا يَسُومُهُ عَلِيٌّ وَإِنَّ اللَّيْثَ لاَبُدَّ طَالِبُ (٣)

عَشِيَّةَ يَدْعُوهُ عَلِيٌّ وَإِنَّهُ

لَفَارِسُهَا إِذْ خَامَ عَنْهُ الْكَتَائِبُ (٤)

فَيَالَهْفَ نَفْسِي؛ إِنَّ عَمْرًا تَرَكْتُهُ

بِيَثْرِبَ ؛ لاَ زَالَتْ هُنَاكَ الْمَصَائِبُ

---

(١) عنك : اسم فعل أمر ، وأراد به تباعد ، والنجد : الشجاع الذى يغيث من استغاث به ، والمقدم : مصدر ميمى بمعنى الأقدام ، وأراد بتشبيهه بالفحل أن يصفه بالقوة واستكمال الفتوة على ما تقدم ذكره

(٢) إذا ناب نائب ، يريد إذا عرض أمر من الأمور التى تحتاج إلى الرجل الشجاع الذى يكشف الخطوب بحد حسامه ويفرج الكروب بشبا سنانه ، فان قومه حينئذ يفتقدونه ويبحثون عنه ؛ علما أنه هو الذى يدعى لمثل ذلك

(٣) يسومه : يطلب إليه ويكلفه ، وكان على بن أبى طالب قد طلب من عمرو أن ينازله كما علمت من سياق الحديث

(٤) خام : جبن ورجع هيبة وخوفا ، والكتائب : جمع كتيبة

وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبد وُدّ : —

حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو

بَقِيَّتُكُمْ عَمْرٌو أَبَحْنَاهُ بِالْقَنَا بِيَثْرِبَ نَحْمِى وَالْحُمَاةُ قَلِيلُ (١)

وَنَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِكُلِّ مُهَنَّدٍ وَنَحْنُ وُلَاةُ الْحَرْبِ حِينَ نَصُولُ (٢)

وَنَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِبَدْرٍ فَأَصْبَحَتْ

مَعَاشِرُكُمْ فِى الْهَالِكِينَ تَجُولُ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت أيضاً فى شأن عمرو [بن عبد ود] : —

كلمة أخرى لحسان بن ثابت فى مقتل عمرو

أَمْسَى الْفَتَى عَمْرُو بْنُ عَبْدٍ يَبْتَغِى

بِجَنُوبِ يَثْرِبَ ثَأْرَهُ لَمْ يُنْظَرِ (٣)

فَلَقَدْ وَجَدْتَ سُيُوفَنَا مَشْهُورَةً وَلَقَدْ وَجَدْتَ جِيَادَنَا لَمْ تُقْصَرِ (٤)

---

(١) بقيتكم : يريد أن هذا ما بقى من فرسانكم بعد يوم بدر الذى جدلنا فيه منكم كل كمى ، وأبحناه بالقنا : يريد قتلناه ، والحماة : جمع حام

(٢) المهند : السيف ، وولاة الحرب : أراد نحن أهلها ، ونصول : مضارع صال على خصمه

(٣) لم ينظر — بالبناء للمجهول — أى لم يؤخر ، ومنه قوله تعالى على لسان إبليس : (رب أنظرنى إلى يوم يبعثون) وهذه الجملة فى محل نصب حال من الفتى أو خبر ثان لأمسى ، يريد أنه أمسى قتيلا غير مؤخر

(٤) مشهورة : قد شهرها أصحابها فى أيديهم ، يريد أنه وجد فرسانهم على استعداد للقتال ، ولم تقصر — بالبناء للمجهول — لم تكف ولم تحبس عن التجوال

وَلَقَدْ لَقِيتَ غَدَاةَ بَدْرٍ عُصْبَةً
ضَرَبُوكَ ضَرْبًا غَيْرَ ضَرْبِ الْحُسَّرِ (١)
أَصْبَحْتَ لاَ تُدْعَى لِيَوْمِ عَظِيمَةٍ يَا عَمْرُو أَوْ لِجَسِيمِ أَمْرٍ مُنْكَرِ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان

قال ابن إسحق : وقال حسان [بن ثابت] أيضا : —

كلمة أخرى لحسان ابن ثابت

أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا هِدْمٍ رَسُولاً مُغَلْغَلَةً تَخُبُّ بِهَا الْمَطِيُّ (٢)
أَكُنْتُ وَلِيَّكُمْ فِي كُلِّ كُرْهٍ
وَغَيْرِي فِي الرَّخَاءِ هُوَ الْوَلِيُّ
وَمِنْكُمْ شَاهِدٌ وَلَقَدْ رَآنِي رُفِعْتُ لَهُ كَمَا احْتُمِلَ الصَّبِيُّ

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لربيعة بن أمية الديلى ، ويروى فيها آخرها : —

كَبَبْتَ الْخَزْرَجِيَّ عَلَى يَدَيْهِ وَكَانَ شِفَاءَ نَفْسِي الْخَزْرَجِيُّ (٣)

وتروى أيضا لأبى أسامة الجشمى

---

(١) الحسر — بضم الحاء المهملة وتشديد السين مفتوحة — جمع حاسر , وهو الذى لا درع له ، وتروى بالخاء المعجمة والسين المهملة ، وهو جمع خاسر ، وهو اسم فاعل من الخسران ، وهو الهلاك ، وتروى بالخاء المعجمة والشين المعجمة أيضا ، وهم الضعفاء من الناس .

(٢) الرسول : أراد به ههنا الرسالة ، والمغلغلة : التى تحمل من بلد إلى بلد ، وتخب : تسير الخبب ، وهو ضرب من السير السريع ، والمطى : جمع مطية ، وهى فعيلة من المطو .

(٣) كببت : أسقطت ، وأراد بكبه على يديه قتله ، وتقول : كبه الله فأكب هو ، وهو من نوادر الأبنية

كلمة أخرى لحسان بن ثابت يرثى سعدا

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت فى [يوم] بنى قُرَيْظة ، يبكى سَعْدَ ابن مُعَاذ ، ويذكر حكمه فيهم : —

لَقَدْ سَجَمَتْ مِنْ دَمْعِ عَيْنِيَ عَبْرَةٌ
وَحُقّ لِعَيْنِي أَنْ تَفِيضَ عَلَى سَعْدِ (١)

قَتِيلٌ ثَوَى فى مَعْرَكٍ فُجِعَتْ بِهِ
عُيُونٌ ذَوَارِى الدَّمْعِ دَائِمَةُ الْوَجْدِ (٢)

عَلَى مِلَّةِ الرَّحْمٰنِ وَارِثَ جَنَّةٍ مَعَ الشُّهَدَاءِ وَفْدُهَا أَكْرَمُ الْوَفْدِ
فَإِنْ تَكُ قَدْ وَدَّعْتَنَا وَتَرَكْتَنَا وَأَمْسَيْتَ فِي غَبْرَاءَ مُظْلِمَةِ اللَّحْدِ (٣)

فَأَنْتَ الَّذِي يَاسَعْدُ أُبْتَ بِمَشْهَدٍ
كَرِيمٍ وَأَثْوَابِ الْمَكَارِمِ وَالْحَمْدِ

بِحُكْمِكَ فِي حَيَّيْ قُرَيْظَةَ بِالَّذِى
قَضَى اللهُ فِيهِمْ مَا قَضَيْتَ عَلَى عَمْدِ

فَوَافَقَ حُكْمَ اللهِ حُكْمُكَ فِيهِمُ
وَلَمْ تَعْفُ إذْ ذُكِّرْتَ مَا كَانَ مِنْ عَهْدِ

---

(١) سجمت : سالت ، تقول : سجم الدمع ؛ إذا سال ، والعبرة ـ بفتح العين وسكون الباء ـ الدمعة

(٢) ثوى : أقام ، والمعرك : موضع القتال فى الحرب ، وذوارى : جمع ذارية ، وهى السائلة ، والوجد : الحزن الشديد

(٣) الغبراء : أراد بها القبر ، واللحد : الشق الذى يلحد للميت فى جانب القبر : أى يشق

فَإِنْ كَانَ رَيْبُ الدَّهْرِ أَمْضَاكَ فِى الْأُولَى
شَرَوْا هٰذِهِ الدُّنيَا بِجَنَّاتِهَا الْخُلْدِ (١)
فَنِعْمَ مَصِيرُ الصَّادِقِينَ إِذَا دُعُوا
إِلَى اللهِ يَوْمًا لِلْوَجَاهَةِ وَالْقَصْدِ

وقال حسان بن ثابت أيضا يبكى سعد بن معاذ ورجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهداء ، ويذكرهم بما كان فيهم من الخير : —

قصيدة أخرى لحسان بن ثابت يرثى سعدا والشهداء

أَلاَ يَا لَقَوْمِى هَلْ لِمَا حُمَّ دَافِعُ
وَهَلْ مَامَضَى مِنْ صَالِحِ الْعَيْشِ رَاجِعُ (٢)
تَذَكَّرْتُ عَصْراً قَدْ مَضَى فَتَهَافَتَتْ
بَنَاتُ الْحَشَا وَانْهَلَّ مِنْهَا الْمَدَامِعُ (٣)
صَبَابَةُ وَجْدٍ ذَكَّرَتْنِى إِخْوَةً وَقَتْلَى مَضَى فِيهَا طُفَيْلٌ وَرَافِعُ (٤)
وَسَعْدٌ فَأَضْحَوْا فِى الْجِنَانِ وَأَوْحَشَتْ
مَنَازِلُهُمْ فَالْأَرْضُ مِنْهُمْ بَلَاقِعُ (٥)

---

(١) الأولى : الذين ، وشروا هذه الدنيا ، يريد أنهم استحبوا الدنيا ، وفضلوها على الآخرة الدائمة الباقية

(٢) حم : قدر وهيئت أسبابه

(٣) تهافتت : تساقطت ، وبنات الحشا : أراد بها قلبه وماقرب منه ، وذلك لأنها مستكنة فيه ، وانهل : سال ، والمدامع : أراد الدموع

(٤) الصبابة : رقة الشوق ، والوجد : الحزن

(٥) بلاقع : جمع بلقع ، وهو القفر الخالى

وَفَوْا يَوْمَ بَدْرٍ لِلرَّسُولِ وَفَوْقَهُمْ ظِلاَلُ الْمَنَايَا والسُّيُوفُ اللَّوَامِعُ
دَعَا فَأَجَابُوهُ بِحَقٍّ وَكُلُّهُمْ مُطِيعٌ لَهُ فى كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعُ
فَمَا نَكَلُوا حَتَّى تَوَالَوْا جَمَاعَةً
وَلاَ يَقْطَعُ الآجَالَ إِلاَّ الْمَصَارِعُ (١)
لِأَنَّهُمُ يَرْجُونَ مِنْهُ شَفَاعَةً
إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلاَّ النَّبِيُّونَ شَافِعُ (٢)
فَذَلِكَ يَا خَيْرَ الْعِبَادِ بَلاؤُنَا إِجَابَتُنَا لِلّٰهِ وَالْمَوْتُ نَاقِعُ (٣)
لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى إِلَيْكَ وَخَلْفُنَا لِأَوَّلِنَا فى مِلَّةِ اللهِ تَابِعُ (٤)
وَنَعْلَمُ أَنَّ الْمُلْكَ لِلّٰهِ وَحْدَهُ وَأَنَّ قَضَاءَ اللهِ لاَ بُدَّ وَاقِعُ

وقال حسان بن ثابت أيضا [فى يوم بنى قُرَيْظَةَ] : —

---

(١) نكلوا : جبنوا ورجعوا فى خوف وهيبة لعدوهم ، وتوالوا : تبع بعضهم بعضا ، والمصارع : جمع مصرع ، وهو مصدر ميمى معناه القتل

(٢) هذا البيت من شواهد النحاة : يقولون : إن المستثنى قد تقدم على المستثنى منه ، وقد كان يجب أن ينتصب المستثنى كما انتصب فى قول الكميت : —

وَمَالِىَ إلاَّ آلَ أَحْمَدَ شيعَةٌ وَمَالِىَ إلاَّ مَذْهَبَ الْحَقِّ مَذْهَبُ

ولهم فى بيت حسان تأويلات لانرى أن نطيل عليك بذكرها

(٣) بلاؤنا : اختبارنا ، أو عملنا ، والموت ناقع : ثابت

(٤) لنا القدم الأولى : يريد أنهم السابقون إلى الاسلام ، وخلفنا : أى آخرنا ، وهو مبتدأ خبره قوله تابع فى آخر البيت ، والجار والمجرور المتوسط بينهما متعلق بالخبر

قصيدة اخرى لحسان بن ثابت فى بنى قريظة

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ مَا سَآهَا
وَمَا وَجَدَتْ لِذُلٍّ مِنْ نَصِيرِ (١)

أَصَابَهُمُ بَلاَءٌ كَانَ فِيهِ سِوَى مَاقَدْ أَصَابَ بَنِي النَّضِيرِ
غَدَاةَ أَتَاهُمُ يَهْوِى إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ كَالْقَمَرِ الْمُنِيرِ
لَهُ خَيْلٌ مُجَنَّبَةٌ تَعَادَى بِفُرْسَانٍ عَلَيْهَا كَالصُّقُورِ (٢)
تَرَكْنَاهُمْ وَمَا ظَفِرُوا بِشَيْءٍ دِمَاؤُهُمُ عَلَيْهِمْ كَالْعَبِيرِ (٣)

فَهُمْ صَرْعَى تَحُومُ الطَّيْرُ فِيهِمْ
كَذَاكَ يُدَانُ ذُو الْعَنَدِ الْفَخُورِ (٤)

فَأَنْذِرْ مِثْلَهَا نُصْحًا قُرَيْشًا
مِنَ الرَّحْمٰنِ إِنْ قَبِلَتْ نَذِيرِى (٥)

وقال حسان بن ثابت فى بنى قُرَيْظَة :—

---

(١) سآها : أصله ساءها ، فقدم الهمزة على الألف ، والعرب تفعل ذلك فى كثير من الأفعال ، يقولون : راء فى رأى وآن فى أنى ، وهم لايلتزمون لهذا القلب أن يكون فى حروف العلة ، بل يفعلونه فى الحروف الصحيحة أيضا فيقولون : جبذ وجذب ، ونحو ذلك

(٢) خيل مجنبة : هى الخيل التى تقاد بجانب الركوبة ، وتعادى : أى تجرى وتسرع

(٣) العبير هنا : الزعفران

(٤) تحوم الطير : تدور حولهم وتقع عليهم ، ويدان : يجازى ، والعند : الخروج عن الحق ، والفخور : هو فى بعض النسخ بالخاء المعجمة ، وفى بعضها بالجيم

(٥) النذير هنا : الانذار ، ومنه قوله تعالى : (فكيف كان نذير)

كلمة أخرى لحسان ابن ثابت فى بنى قريظة

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ مَاسَآهَا ... وَحَلَّ بِحِصْنِهَا ذُلٌّ ذَلِيلُ

وَسَعْدٌ كَانَ أَنْذَرَهُمْ بِنُصْحٍ ... بِأَنَّ إِلٰهَكُمْ رَبٌّ جَلِيلُ

فَما بَرِحُوا بِنَقْضِ الْعَهْدِ حَتَّى ... فَلاَهُمْ فِى بِلاَدِهِمُ الرَّسُولُ (١)

أَحَاطَ بِحِصْنِهِمْ مِنَّا صُفُوفٌ ... لَهُ مِنْ حَرِّ وَقْعَتِهِمْ صَلِيلُ (٢)

وقال حسان بن ثابت أيضا فى يوم بنى قُرَيْظة :

كلمة أخرى لحسان ابن ثابت فى بنى قريظة

تَفَاقَدَ مَعْشَرٌ نَصَرُوا قُرَيْشاً ... وَلَيْسَ لَهُمْ بِبَلْدَتِهِمْ نَصِيرُ (٣)

هُمُ أُوتُوا الْكِتَابَ فَضَيَّعُوهُ ... وَهُمْ عُمْىٌ مِنَ التَّوْرَاةِ بُورُ (٤)

كَفَرْتُمْ بِالْقُرَانِ وَقَدْ أُتِيتُمْ ... بِتَصْدِيقِ الَّذِى قَالَ النَّذِيرُ (٥)

فَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِى لُؤَىٍّ ... حَرِيقٌ بِالْبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ (٦)

---

(١) فلاهم : قتلهم بالسيوف ، تقول : فليت رأسه ، إذا ضربته بالسيف

(٢) الصليل : الصوت

(٣) تفاقد : فقد بعضهم بعضا ، والمراد بهذه الجملة الدعاء عليهم ، ويروى تعاهد

(٤) بور : ضلال ، ويقال : البور الهلكى ، من البوار ، وهو الهلاك ومنه قوله تعالى : (وكنتم قوماً بورا)

(٥) النذير : أراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمعنى أن الله تعالى أخذ عليهم العهد فى التوراة أن يؤمنوا بالرسول إذا بعثه الله تعالى ، فكفروا بالقرآن ولم يتبعوا حكم التوراة ، وهو مأخوذ من قوله تعالى : (فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به)

(٦) السراة ـ بفتح السين ـ خيار الناس ، والبويرة قال ياقوت « البويرة

فأجابه أبو سُفْيَان بن الحرث [بن عبد المطلب] ، فقال :

أبو سفيان بن الحرث يجيب حسان بن ثابت

أَدَامَ اللهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعٍ
وَحَرَّقَ فى طَوَائِفِهَا السَّعِيرُ (١)

سَتَعْلَمُ أَيُّنَا مِنْهَا بِنُزْهٍ وَتَعْلَمُ أَىَّ أَرْضِينَا تَضِيرُ (٢)

تصغير البئر التي يستقى منها ، وهى موضع منازل بنى النضير اليهود الذين غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة أحد بستة أشهر فأحرق نخلهم وقطع زرعهم وشجرهم ، فقال حسان بن ثابت فى ذلك * لهان على سراة ... البيت * وفيه نزل قول الله تعالى : (ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين) ، قال أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب : —

يَعِزُّ عَلَى سَرَاةِ بَنِى لُؤَىٍّ حَرِيقٌ بِالْبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ

فأجابه حسان بن ثابت : —

أَدَامَ اللهُ ذَلِكُمُ حَرِيقًا وَضَرَّمَ فِى طَوَائِفِهَا السَّعِيرُ

هُمُ أُوتُوا الْكِتَابَ فَضَيَّعُوهُ وهُمْ عُمْيٌ عَنِ التَّوْرَاةِ بُورُ

اه كلام ياقوت بحروفه ، ومنه تعلم أن البيت الأول مما نسبه ابن إسحق إلى الحارث قد نسبه إلى حسان بن ثابت فى قصيدته التى شرحناها هذه ، وهو الوجيه

(١) الطرائق بالراء المهملة وآخره قاف — جمع طريقة ، وهى الناحية ، ووقع فى بعض النسخ وفى معجم ياقوت « فى طوائفها » بالواو وآخره فاء — وهو جمع طائفة ، والسعير : النار الملتهبة

(٢) النزه — بضم فسكون — البعد ، تقول : فلان يتنزه عن الأقذار ، إذا كان يتباعد عنها ولا يقربها ، وتقول : فلان بنجوة عن هذا الأمر ، وهو بنزه عنه ، وتضير : يروى بالضاد المعجمة وبالصاد المهملة ، فأما من رواه بالضاد فإنما أراد مضارع ضاره بمعنى ضره ، وأما من رواه بالصاد المهملة فإنما أراد معنى تشق وتقطع

فلَوْ كانَ النَّخِيلُ بِهَا رِكَابًا
لَقَالُوا لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَسِيرُوا

وأجابه جَبَلُ بن جَوَّال الثَّعْلَبي أيضا ، وبكى [بنى] النضير وقريظة ، فقال : —

جبل بن جوال يجيب حسان أيضا

أَلاَ يَا سَعْدُ سَعْدَ بَنِى مُعَاذٍ
لِمَا لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ

لَعَمْرُكَ إِنَّ سَعْدَ بَنِى مُعَاذٍ غَدَاةَ تَحَمَّلُوا لَهُوَ الصَّبُورُ
فَأَمَّا الْخَزْرَجِيُّ أَبُو حُبَابٍ فَقَالَ لِقَيْنُقَاعٍ : لاَ تَسِيرُوا

وَبُدِّلَتِ الْمَوَالِى مِنْ حُضَيْرٍ
أُسَيْدًا وَالدَّوَائِرُ قَدْ تَدُورُ (١)

وَأَقْفَرَتِ الْبُوَيْرَةُ مِنْ سَلاَمٍ
وَسَعْيَةَ وَابْنِ أَخْطَبَ فَهْىَ بُورُ (٢)

وَقَدْ كَانُوا بِبَلْدَتِهِمْ ثِقَالاً كَمَا ثَقُلَتْ بِمَيْطَانَ الصُّخُورُ (٣)

---

(١) الموالى : جمع مولى ، وهو الحليف ههنا ، وحضير - بضم الحاء وفتح الضاد - اسم قبيلة ، وأسيد : اسم قبيلة أيضا ، والدوائر : جمع دائرة ، والمراد بها النازلة من نوازل الدهر

(٢) البويرة : اسم موضع قد تقدم ذكره ، وبور : معناه هالكة

(٣) ميطان - بفتح الميم أو كسرها - اسم جبل من جبال المدينة به بئر ماء يقال له ضفة وليس به شيء من النبات ، وهو لمزينة وسليم ، وله فى صحيح مسلم ذكر ، قاله ياقوت

فَإِنْ يَهْلِكْ أَبُو حَكَمٍ سَلاَمٌ فَلاَ رَثُّ السِّلاَحِ وَلاَ دَثُورُ (١)

وَكُلُّ الْكَاهِنَيْنِ وَكَانَ فِيهِمْ

مَعَ اللِّينِ الْخَضَارِمَةُ الصُّقُورُ (٢)

وَجَدْنَا الْمَجْدَ قَدْ ثَبَتُوا عَلَيْهِ بِمَجْدٍ لاَ تُغَيِّبُهُ الْبُدُورُ (٣)

أَقِيمُوا يا سَرَاةَ الْأَوْسِ فِيهَا كَأَنَّكُمُ مِنَ الْمَخْزَاةِ عُورُ (٤)

تَرَكْتُمْ قِدْرَكُمْ لاَ شَيْءَ فِيهَا وَقِدْرُ الْقَوْمِ حَامِيَةٌ تَفُورُ (٥)

مَقْتَلُ سَلاَّم بن أبي الْحُقَيْق

الخزرج تستأذن رسول الله في قتله

قال ابن إسحق : ولما انقضى شأن الخندق وأمْرُ بني قُرَيْظَةَ ، وكان سَلاَّم بن أبي الْحُقَيْق — وهو أبو رافع — فيمن حَزَّبَ الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوس قبل أُحُدٍ قد قتلت كَعْبَ ابن الأشرف في عَدَاوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتَحْرِيضِهِ عليه ؛ استأذنت الْخَزْرَجُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في قَتْل سَلاَّمِ بن أبي الْحُقَيْق، وهو بخيبر ، فأذن لهم

(١) الرث : الخلق ، والدثور : الدارس المتغير ، يريد أن سلاحه لايزال ماضيا نفاذا في ضريبته

(٢) الخضارمة : جمع خضرم ، وهو الكريم الجواد ، والصقور : جمع صقر ، وأراد منه الشديد القوى

(٣) « لا تغيبه البدور » يريد أن مرور الأيام وتعاقب الشهور يتلو بعضها بعضا لاتغير هذا المجد

(٤) عور : جمع أعور ، وهو من فقد إحدى عينيه

(٥) حامية تفور : يريد أنها ملأى بالطعام فهي فوق النار ، أراد وصفهم بالبخل في حين أن الناس يطعمون ويجودون

تنافس الأوس والخزرج فى مرضاة رسول الله

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهْرِىُّ ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله به لرسوله صلى الله عليه وسلم أنَّ هذين الحَيَّيْنِ من الأنصار الأوس والخزرج كانا يَتَصَاوَلان[1] مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تَصَاوُلَ الفَحْلَيْنِ ؛ لا تَصْنَع الأوسُ شيئا فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غَنَاءً[2] إلا قالت الخزرج : والله لا تذهبون بهذه فَضْلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاسلام ، قال : فلا يَنْتَهُونَ حتى يُوقعوا مثلها ، و إذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك

ولما أصابت الأوس كَعْبَ بن الأشرف فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج : والله لا تذهبون بها فضلا علينا أبدا ، قال : فتذاكروا مَنْ رَجُلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابْنَ أبى الُحقَيْق ، وهو بخيبر ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتله ، فأذن لهم ؛ فخرج إليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر : عَبْدُ الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أُنَيْس ، وأبو قَتَادة الحرثُ بن رِبْعِيّ ، وخُزَاعِيُّ بن أسْوَد حليفٌ لهم من أسلم ، فخرجوا : وأَمَّرَ عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَبْدَ الله بن عتيك ؛ ونهاهم [عن] أن يقتلوا وَليداً أو امرأة ، فخرجوا حتى إذا قدموا

---

(١) « يتصاولان مع رسول الله » يقال : تصاول الفحلان ، إذا حمل هذا على هذا وهذا على هذا ، وأراد أن كل واحد من الحيين كان يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتفاخران بذلك ؛ فاذا فعل أحدهما شيئا فعل الآخر مثله .

(٢) غناء ـ بفتح الغين المعجمة ـ منفعة ودفع مكروه عنه ، وجلب فائدة .

خيبر أتَوْا دارابن أبى الْحُقَيْق ليلاً ، فلم يَدَعُوا بيتا فى الدار إلا أغلقوه على أهله ، قال : وكان فى عِلِّيَّةٍ له إليها عَجَلَة [١] ، قال : فأسندوا [٢] فيها حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا [عليه] ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : مَنْ أنتم ؟ قالوا : ناسٌ من العرب نلتمس الْمِيرَةَ ، قالت : ذاكم صاحبكم فادْخُلُوا عليه ، قال : فلما دخلنا [عليه] أغلقنا علينا وعليها الحجرة تَخَوُّفا أن تكون دونه مُجَاوَلَة [٣] تحول بيننا و بينه ، قالت : فصاحت امرأته فَفَوَّهَت بنا [٤] ، وابْتَدَرْنَاه وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله مايَدُلُّنَا عليه فى سَوَاد الليل إلا بياضه كأنه قُبْطِيَّة [٥] مُلْقَاة ، قال : ولما صاحت بنا امرأته جعل الرَّجُلُ منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نَهْىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيَكُفُّ يده ، ولولا ذلك لفَرَغْنَا منها بليل ، قال : فلما ضربناه بأسيافنا تَحَامَلَ عليه عَبْدُ الله بن أُنَيْس بسيفه فى بطنه حتى أنفذه ، وهو يقول : قَطْنِي قَطْنِي : أى حَسْبِى حَسْبِى ، قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سىء البصر ، قال : فوقع من الدرجة فَوُثِئَتْ [٦] يده وَثْئًا شديدا

---

(١) « له إليها عجلة » المراد بالعجلة هنا جذع النخلة ، كانوا ينقرون فى مواضع منه نقرا بعضها فوق بعض ، ثم يجعلونه كالسلم يصعدون عليه إلى الغرف والأماكن العالية

(٢) أسندوا فيها : علوا وارتفعوا ، وتقول : أسند فلان فى الجبل ، إذا علا فيه وارتفع .

(٣) المجاولة : الحركة تكون بينه وبينهم

(٤) ففوهت بنا : رفعت صوتها تشهرهم به ، وفى نسخة « فنوهت » بالنون .

(٥) القبطية : ثوب يصنع بمصر أبيض ، وهو بضم القاف أو كسرها ، وجمعه قباطى . وفى بعض النسخ « مايدلنا عليه فى سواد البيت ـ الخ »

(٦) وثئت يده : أصاب عظمها شىء ليس بالكسر ، وقال بعض أهل اللغة : الوثء : تصدع فى اللحم لافى العظم .

(و يقال : رِجْلُه فيما قال ابن هشام) وحملناه حتى نأتى [به] مَنْهَراً [1] من عيونهم فندخل فيه ، قال : فأوقدوا النيران ، واشْتَدُّوا فى كل وجه يطلبوننا ، قال : حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكْتَنَفُوه وهو يقضى بينهم ، قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال : فقال [لنا] رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم ، قال : فانطلق حتى دخل فى الناس ، قال : فوجدتُ امرأته ورجال يهود حوله وفى يدها المصباح تنظر فى وجهه ، وتحدثهم وتقول : أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت [نفسى] ، وقلت : أنَّى ابن عتيك بهذه البلاد ؟ ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه ، ثم قالت : فَاظَ [2] وإلٰهِ يَهُود ، فما سمعت من كلمة كانت ألَذَّ إلى نفسى منها ، قال : ثم جاءنا فأخْبَرَنَا الخبر ، فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده فى قتله : كُلُّنَا يدَّعيه ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هَاتُوا أَسْيَافَكُمْ » قال : فجئناه بها ، فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أنيس : « هٰذَا قَتَلَهُ ، أَرَى فِيهِ أَثَرَ الطَّعَام »

قال ابن إسحق : فقال حسان [3] بن ثابت وهو يذكر قتل كعب ابن الأشرف وقتل سَلَّام بن أبى الحُقَيْق : —

أبيات حسان فى مقتل كعب بن الاشرف وسلام ابن أبى الحقيق

لِلّٰهِ دَرُّ عِصَابَةٍ لاَقَيْتَهُمْ
يَاابْنَ الْحُقَيْقِ وَأَنْتَ يَاابْنَ الْأَشْرَفِ [4]

---

(١) المنهر : مدخل الماء من خارج الحصن إلى داخله

(٢) فاظ : مات ، قال الراجز : —

* لاَ يَدْفِنُونَ عَنْهُمُ مَنْ فَاظَا *

(٣) انظر (ص ٤٤٠ ج ٢ من هذا الكتاب)

(٤) العصابة : الجماعة من الناس

يَسْرُونَ بِالْبِيضِ الْخِفَافِ إِلَيْكُمُ
مَرَحًا كَأُسْدٍ فِي عَرِينٍ مُغْرِفِ [1]
حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي مَحَلِّ بِلَادِكُمْ فَسَقَوْكُمُ حَتْفًا بِبِيضٍ ذُفَّفِ [2]
مُسْتَنْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ
مُسْتَصْغِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْحِفِ [3]

قال ابن هشام : قوله « ذُفَّف » عن غير ابن إسحق

إسلام عَمْرو بن الْعَاص [وخالد بن الْوَلِيد] [4]

قال ابن إسحق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى

---

(١) يسرون : يسيرون ليلا ، والبيض الرقاق : أراد بها السيوف ، ومرحا : يروى بفتح الميم والراء جميعا ، وهو مصدر قولك مرح فلان فهو مرح ؛ أى نشط ، فالمرح : النشاط ، ويروى بضم الميم وسكون الراء ، فهو جمع مرح - بزنة كتف - وهو النشيط ، والأسد - بضم فسكون - جمع أسد بفتحتين - والعرين : الغابة وهى موضع الأسد ، والمغرف - بضم الميم وسكون الغين وكسر الراء - الذى التفت أغصانه

(٢) ذفف - بضم الذال وتشديد الفاء مفتوحة - السريعة القتل ، تقول : ذففت على الجريح ؛ إذا أسرعت فى قتله ولم تمهله

(٣) الأمر المجحف : الذى يذهب بالنفوس والأموال

(٤) قال ابن كثير فى تاريخه (ج ٤ ص ١٤٢) : « قلت : كان إسلامهم (يريد عمرا وخالدا وعثمان بن طلحة) بعد الحديبية ، وذلك أن خالد بن الوليد كان يومئذ فى خيل المشركين ، كما سيأتى بيانه ، فكان ذكر هذا الفصل فى إسلامهم بعد ذلك أنسب ، ولكننا ذكرنا ذلك تبعا للامام محمد بن إسحق رحمه الله ، لأن أول ذهاب عمرو بن العاص إلى النجاشى كان بعد وقعة الخندق ، والظاهر أنه ذهب بقية سنة خمس » اهـ

حبيب بن أبي أوسٍ الثَّقَفِي ، عن حبيب بن أبي أوس الثقفي ، قال : حدثني عمرو بن العاص مِنْ فِيهِ قال :

اجتماع عمرو بن العاص بقوم من خاصاته وتشاورهم في أمر النبي

لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جَمَعْتُ رجالا من قريش كانوا يَرَوْنَ رأيي، ويَسْمَعُونَ مني ، فقلت لهم : تَعَلَّمُوا والله إني أرى أمر محمد يَعْلُو الأمور عُلُوًّا مُنْكَرًا ، وإني لقد رأيت أمرًا فما تَرَوْنَ فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أَنْ نَلْحَقَ بالنجاشيِّ فنكون عنده ، فان ظهر محمد على قومنا كُنَّا عند النجاشي فانا أَنْ نكون تحت يَدَيْه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يَدَيْ محمد ، وإن ظهر قَوْمُنَا فنحن مَنْ قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هٰذَا لرأيٌ ، قلت : فاجمعوا لنا ما نُهْدِيه [له] وكان أَحَبَّ ما يُهدَى إليه من أرضنا الأَدَمُ [(١)] ، فجمعنا له أَدَماً كثيراً ثم خَرَجْنَا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عَمْرُو بن أميةَ الضَّمْرِيُّ ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جَعْفَرٍ وأصحابه ، قال : فدخل عليه ، ثم خرج من عنده ، قال : فقلت لأصحابي : هذا عَمْرُو بن أُمَيَّةَ [الضَّمْرِيُّ] لو قد دخلت على النجاشي لسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فاذا فعلت ذلك رأت قريشٌ أنِّي قد أجزأت [(٢)] عنها حين قتلت رسول محمد ، قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مَرْحَبًا بصديقي ؛ أَهْدَيْتَ إِلَيَّ من بلادك شيئًا ؟ قال : قلت : نعم أيها الملك ، قد أهديت إليك أَدَمًا كثيرا ، قال : ثم قربته إليه ، فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت له : أيها الملك ، إني قد رأيت رَجُلاً خرج من عندك وهو رسولُ رجلٍ عَدُوٌّ لنا ، فأعطنيه لأقتله فانه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال : فغضب ، ثم مَدَّ يده فضرب

عمرو بن العاص وأصحابه يذهبون إلى الحبشة

نصيحة النجاشي لعمرو بن العاص

(١) الأدم : الجلود ، والأديم : الجلد

(٢) أجزأت عنها : قمت مقامها فيه ، وكفيتها شأنه

بها أنفه ضربةً ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لى الأرض لدخلت فيها فَرَقًا منه ، ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ماسألتُكَهُ ، قال : أتسألنى أن أعطيك رسولَ رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله ؟ قال : قلت : أيها الملك ، أكَذَاكَ هو ؟ قال : ويحك ياعمرو ! ! ! أطعنى واتبعه ؛ فانه والله لَعَلَى الحق وليَظْهَرَنَّ على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قال : قلت : أفتبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابى وقد حَالَ[1] رأيى عما كان عليه ، وكتمت أصحابى إسلامى

عمرو يسلم على يد النجاشى

ثم خرجت عامدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قُبَيْلَ الفتح ، وهو مُقْبِلٌ من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام الْمَنْسِمُ[2] وإن الرجل لنبى ، أذْهَبُ والله فأُسْلِم ، فحتَّى متى ؟ قال : قلت : والله ماجئت إلا لأسلم ، قال : فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدّم خالدُ بن الوليد فأسلم ، وبايع ، ثم دنوت فقلت : يارسول الله ، إنى أبايعك على أن يُغْفَرَ لى ما تقدم من ذنبى ، ولا أذكر ما تأخر ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ياَعَمْرُو بَايِعْ فإنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ[3] مَا كَانَ قَبْلَهُ وَإنَّ

لقى خالد بن الوليد عمرو بن العاص فأخبره انه اعتزم الاسلام

(١) حال رأيى : تحول وتغير

(٢) «لقد استقام المنسم» هذا مثل معناه لقد تبين الأمر ووضح ولم يعد فيه لبس ولا شك ، وأصل المنسم ـ بفتح الميم وسكون النون وكسر السين ـ خف البعير ، وفى بعض الروايات «لقد استقام الميسم» بالياء المثناة ، والميسم : الحديدة التى توسم بها الابل وغيرها : أى تعلم ، والذى أثبتناه خير من ذلك .

(٣) يجب ـ بالجيم والباء الموحدتين ـ يقطع

الْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا » قال : فبايعته ثم انصرفت

قال ابن هشام : ويقال « فان الاسلام يَحُتُّ (١) ما كان قبله ، وإن الهجرة تَحُتُّ ما كان قبلها »

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم ، أن عثمان بن طلحة بن أبى طلحة كان معهما ، أسلم حين أسلما

قال ابن إسحق : فقال ابن الزِّبَعْرَى السَّهْمِيُّ : —

أبيات لابن الزبعرى فى خالد وعثمان بن طلحة

أَنْشُدُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ حِلْفَنَا ... وَمُلْقَى نِعَالِ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمُقَبَّلِ (١)

وَمَا عَقَدَ الْآبَاءُ مِنْ كُلِّ حِلْفَةٍ ... وَمَا خَالِدٌ مِنْ مِثْلِهَا بِمُحَلَّلِ

أَمِفْتَاحَ بَيْتٍ غَيْرِ بَيْتِكَ تَبْتَغِى ... وَمَا تَبْتَغِى مِنْ مَجْدِ بَيْتٍ مُؤَثَّلِ (٢)

فَلَا تَأْمَنَنَّ خَالِدًا بَعْدَ هٰذِهِ ... وَعُثْمَانَ جَاءَا بِالدُّهَيْمِ الْمُعْضِّلِ (٣)

وكان فتح قُرَيْظَة فى ذى القعدة وصدر ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون

غَزْوَة بنى لِحْيَان

بسم الله الرحمن الرحيم

[قال : حدثنا أبو محمد عَبْدُ الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله الْبَكَّائِيُّ ، عن محمد بن إسحق المطلبى ، قال] :

---

(١) تحت ـ بالحاء المهملة والتاء المثناة ـ تسقط

(٢) المقبل : مكان التقبيل ، وأراد به الحجر الأسود

(٣) المجد المؤثل ـ بالثاء المثلثة ـ القديم

(٤) الدهيم : أراد به الداهية ، والمعضل : الأمر الشديد الذى يعسر الخلاص منه .

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة، والمحرم، وصفرا، وشهرى ربيع، وخرج فى جُمَادى الأولى على رأس ستَّة أشهر من فتح [بنى] قُرَيْظَة إلى بنى لَحيَان يطلُبُ بأصحاب الرجيع[1] خُبَيْب بن عَدِىّ وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام؛ ليُصِيبَ من القوم غِرَّةً[2] فخرج من المدينة صلى الله عليه وسلم، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم؛ فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحق: فسلك على غُرَابٍ جَبَلٍ بناحية المدينة على طريقه إلى الشام، ثم على مَخِيضٍ، ثم على البتراء، ثم صَفَّقَ ذَاتَ[3] الْيَسَار فخرج على بَيْن[4]، ثم على صُخَيْرَات الْيَمَام، ثم استقام به الطريق على المَحَجَّة من طريق مكة فأَغَذَّ السير[5] سريعا، حتى نزل على غُرَان، وهى منازل بنى لَحيَان، وغُرَان: واد بين أَمَجَ وعُسْفَان، إلى بلد يقال له: سَايَة، فوجدهم قد حذروا وتَمَنَّعُوا فى رؤس الجبال

فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخطأه من غِرَّتِهم ما أراد قال: «لَوْ أَنَّا هَبَطْنَا عُسْفَانَ لَرَأَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنَّا قَدْ جِئْنَا مَكَّةَ» فخرج فى مائتى راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفَان، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كُرَاعَ الْغَمِيمِ ثم كَرَّا، وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر (ص ١٦٠ ومابعدها ج ٣ من هذا الكتاب)
(٢) الغرة - بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء المهملة - الغفلة
(٣) «صفق ذات اليسار» عدل نحوها ومال إليها
(٤) «بين» تروى بباء موحدة فياء مثناة، وبياءين مثناتين، والذى حكاه كراع هو الثانى
(٥) أغذ السير يغذه إغذاذا: أسرع فيه

قافلا ، فكان جابر بن عبدالله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وَجَّهَ راجعًا : « آيِبُونَ تَائِبُونَ إنْ شَاءَ اللهُ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ أعُوذُ بِاللهِ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الأَهْلِ وَالْمَالِ » والحديثُ عن غَزْوة بنى لَحْيَان عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، فقال كعب بن مالك فى غزوة بنى لَحْيَان : —

كلمة لكعب بن مالك فى غزوة بنى لحيان

لَوَ أنَّ بَنِي لِحْيَانَ كَانُوا تَنَاظَرُوا لَقُوا عُصَبًا فِي دَارِهِمْ ذَاتَ مَصْدَقِ (١)

لَقُوا سَرَعَانًا يَمْلأُ السَّرْبَ رَوْعُهُ أمَامَ طَحُونٍ كَالْمَجَرَّةِ فَيْلَقِ (٢)

وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا وِبَارًا تَتَبَّعَتْ شِعَابَ حِجَازٍ غَيْرِ ذِي مُتَنَفَّقِ (٣)

---

(١) تناظروا : انتظر بعضهم بعضا ، والعصب : جمع عصبة ، وهى الجماعة

(٢) السرعان ـ بفتحات ـ أول القوم ، والسرب ـ بفتح السين ـ الطريق وهو بكسر السين النفس ، والروع : الفزع ، والطحون : أراد كتيبة تطحن كل مامرت به ، والمجرة : البياض المستطيل أمام النجوم فى السماء ، والفيلق : الكتيبة الشديدة

(٣) الوبار ـ بكسر الواو ـ جمع وبر ، وهى دويبة على قدر الهرة ، وهو عندهم مثال الضعف والجبن ، والشعاب : جمع شعب ، وهو المنخفض بين جبلين ، وحجاز : تروى هذه الكلمة بزاى فى آخرها ، وتروى بنون فى مكان الزاى ، فأما من رواه بالزاى فقد عنى مكة وما يليها ، وأما من رواه بالنون فقد أراد معنى المعوجة ، والأحجن : المعوج ، والمتنفق : أراد به الباب الذى يخرج منه ، وأصله من النافقاء ، وهو أحد أبواب جحرة اليربوع

غزوة ذى قَرَد

ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يقم بها إلا ليالى قلائل ، حتى أغار عُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حُذَيفة بن بَدْرٍ الْفَزَارِىُّ فى خيلٍ من غَطَفان على لِقَاحٍ (١) لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة ، وفيها رجل من بنى غِفَار وامرأة له ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة فى اللِّقَاح — باب غزوة ذى قرد

قال ابن إسحق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، كُلٌّ قد حدث عن غزوة ذى قَرَد بعضَ الحديث ، أنه كان أول مَنْ نَذِرَ (٢) بهم سَلَمَةُ بن عمرو ابن الأَكْوَع الأسلمى ، غَدَا يريد الغابة مُتَوَشِّحًا قوسَهُ وَنَبْلَه ، ومعه غلام لطَلْحَةَ بن عبيد الله ، معه فَرَسٌ له يقوده ، حتى إذا علا ثَنِيَّةَ الْوَدَاع نظر إلى بعض خيولهم ، فأَشْرَفَ فى ناحية سَلْعٍ ، ثم صَرَخ « واصبَاحَاه » ثم خرج يَشْتَدُّ فى آثار القوم ، وكان مثل السَّبُع ، حتى لحق بالقوم ، فجعل يَرُدُّهُمْ بالنَّبْل ويقول إذا رمى :

خُذْهَا وَأنا ابْنُ الْأَكْوَعْ والْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعْ (٣)

فاذا وَجَّهَتِ الخيلُ نحوه انطلق هاربا ، ثم عارضهم ، فاذا أمكنه الرمى رمى ثم قال :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعْ والْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعْ (٣)

قال : فيقول قائلهم : أُوَيْكِعُنَا (٤) هو أولَ النهار ،

---

(١) اللقاح : الابل الحوامل ذوات اللبن

(٢) نذربهم : علم ، تقول : نذرت بالقوم ، إذا علمت بهم وأخذت أهبتك لهم

(٣) الرضع — بضم الراء المهملة وتشديد الضاد — جمع راضع ، وهو اللئيم ، وأراد أن هذا اليوم هو اليوم الذى يهلك فيه هؤلاء .

(٤) كذا فى الأصول وفى تاريخ ابن الأثير عن ابن اسحاق ، والذى فى تاريخ الطبرى (ج ٣ ص ٦٢) هكذا « أكيعنا هو أول النهار » وأكيع : تصغير أكوع

رسول الله ينادي بالفزع فيقبل عليه فرسان أصحابه

قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صِيَاحُ ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة الْفَزَعَ الْفَزَعَ ، فترامت الخيول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أولَ من انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرسان المِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو ، وهو الذي يقال له : المقداد بن الأسود ، حليفُ بني زُهْرَةَ ، ثم كان أوَّلَ فارس وَقَفَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المقداد من الأنصار عَبَّادُ بن بِشْرِ بن وَقَش بن زُغْبَةَ بن زَعُورَاء أحدُ بني عبد الأشهل ، وسَعْدُ بن زيد أَحَدُ بني كعب بن عبد الأشهل ، وأُسَيْدُ بن ظُهَيْرٍ أخو بني حارثة بن الحرث ، يُشَكُّ فيه ، وعُكَّاشة بن مِحْصَنٍ [أخو بني أسد بن خزيمة (١)] ، ومُحْرِزُ بن نَضْلَةَ أخو بني أسد ابن خزيمة ، وأبو قَتَادَةَ الحرثُ بن رِبْعِيٍّ أخو بني سَلَمَة ، وأبو عَيَّاش وهو عُبَيْد بن زيد بن الصامت أخو بني زُرَيْقٍ .

رسول الله يرسل الفرسان في طلب القوم

فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمَّرَ عليهم سَعْدَ بن زيد — فيما بلغني — ثم قال : « اخْرُجْ فِي طَلَبِ الْقَوْمِ حَتَّى أَلْحَقَكَ فِي النَّاسِ » وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغني عن رجال من بني زُرَيْق — لأبي عياش : « يَا أَبَا عَيَّاشٍ لَوْ أَعْطَيْتَ هٰذَا الْفَرَسَ رَجُلاً هُوَ أَفْرَسُ مِنْكَ فَلَحِقَ بِالْقَوْمِ » قال أبو عياش : فقلت : يا رسول الله ؛ أنا أفرسُ الناسِ ، ثم ضَرَبْتُ الفرس ، فوالله ما جَرَى بي خمسين ذراعا حتى طرحني ، فعجبت أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لَوْ أَعْطَيْتَهُ أَفْرَسَ مِنْكَ » وأنا أقول : أنا أفرس الناس ، فزعم رجال من بني زُرَيْقٍ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فَرَسَ أبي عَيَّاشٍ مُعَاذَ ابن ماعص ، أو عائذَ بن ماعص بن قيس بن خَلَدَةَ ، وكان ثامنا ، وبعضُ الناس يَعُدُّ سَلَمَةَ بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية ، ويطرح أُسَيْدَ بن

(١) سقطت هذه العبارة من تاريخ ابن كثير فيما يرويه عن ابن اسحاق

ظُهَيْرٍ أخا بنى حارثة ، والله أعلم أى ذلك كان ؛ ولم يكن سَلَمَةُ يومئذ فارسًا ، قد كان أوَّلَ من لحق بالقوم على رجليه ، فخرج الفرسان فى طلب القوم حتى تلاحقوا

محرز بن نضلة يلحق بالقوم فيقتلوه

قال ابن إسحق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن أوَّلَ فارس لحق بالقوم مُحْرِزُ بن نَضْلَةَ أخو بنى أسد بن خزيمة ، وكان يقال لمحرز : الأخرم ويقال له : قُمَيْرٌ ، وأن الفزع لما كان جَالَ فرسٌ لمحمود بن مَسْلَمَة فى الحائط — حين سمع صاهلة الخيل — وكان فَرَسًا صَنيعًا [1] جامًّا ، فقال نساء من نساء بنى عبد الأشهل — حين رأين الفرس يَجُول فى الحائط بجِذْعِ نخلٍ هو مربوط فيه — : يا قُمَيْر ، هَلْ لك فى أن تركب هذا الفرس فانه كما ترى ثم تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ؟ قال : نعم فَأَعْطَيْنَهُ إياه ، فخرج عليه ، فلم يَلْبَثْ أن بَذَّ الخيل [2] بجَمَامِهِ [3] حتى أدرك القوم فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال : قِفُوا يامَعْشَرَ بنى اللكيعة [4] حتى يلحق بكم مَنْ وَرَاءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار ، قال : وحَمَلَ عليه رجلٌ منهم فقتله ، وجالَ الفرسُ فلم يُقْدَرْ عليه حتى وقف على أَرِيَّةٍ [5] فى بنى عبد الأشهل ، فلم يُقْتَلْ من المسلمين غيره

قال ابن هشام: وقُتِلَ يومئذ من المسلمين مع مُحْرِزٍ وقَّاصُ بْنُ مُجَزِّزٍ الْمُدْلِجِيّ [6] ، فيما ذكر غير واحد من أهل العلم

---

(١) الفرس الصنيع : الذى يخدمه أهله ويقومون عليه

(٢) بذّ الخيل : سبقها وفاتها (٣) جمامه : نشاطه

(٤) اللكيعة : اللئيمة

(٥) الأرية : الحبل الذى تشد به الدابة ، وقد يسمى الموضع الذى تقف فيه الدابة أريا أيضا

(٦) فى نسخة « بن محرز » بحاء وراء مهملتين

قال ابن إسحق : وكان اسم فرس محمود ذا اللِّمَّةِ :

قال ابن هشام : وكان اسم فرس [سعد] بن زيد لاحقا ، واسم فرس المقداد بَعْزَجَةُ ، ويقال : سَبْحَةُ ، واسم فرس عُكَّاشة بن مِحْصَن ذو اللِّمَّة ، واسم فرس أبى قتادة حَزْوَةَ ، وفرس عَبَّاد بن بشر لماع ، وفرس أُسَيْد بن ظُهَيْر مَسْنُون ، وفرس أبى عَيَّاش جُلْوة

قال ابن إسحق : وحدثنى بعض من لا أتّهم ، عن عبد الله بن كعب ابن مالك ، أن محرزا إنما كان على فرس لعُكَّاشة بن مِحْصَن يقال له الجناح ، فَقُتِلَ محرز واستُلِبَ الجناح ، ولما تلاحقت الخيل قَتَلَ أبو قتادة الحرثُ بن ربعى أخو بنى سلمة حَبِيبَ بن عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ ، وغَشَّاه بُرْدَهُ ثم لحق بالناس ، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم

قال ابن إسحق : فاذا حبيبٌ مُسَجَّى بِبُرْدِ أبى قتادة ، فاسترجع الناس ، وقالوا : قُتِلَ أبو قتادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَيْسَ بِأَبِى قَتَادَةَ وَلَكِنَّهُ قَتِيل لأَبِى قَتَادَةَ وَضَعَ عَلَيْهِ بُرْدَهُ لِتَعْرِفُوا أَنَّهُ صَاحِبُهُ»

وأدرك عُكَّاشَةُ بن مِحْصِنٍ أَوْبَاراً وابنه عمرو بن أوبار ، وهما على بعير واحد ، فانتظمهما بالرمح ، فقتلهما جميعا ، واستنقذوا بعض اللِّقَاحَ

وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذى قَرَد ، وتلاحق به الناس ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، وأقام عليه يوما وليلة ، وقال له سلمة بن الأكوع : يارسول الله ، لو سَرَّحْتَنِى فى مائة رجل لاستنقذت بقية السَّرْحِ وأخذت بأعناق القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — : « إِنَّهُمُ الآنَ لَيُغْبَقُونَ فِى غَطَفَانَ »

فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فى كل مائة رجل جَزُوراً ،

وأقاموا عليها ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا حتى قدم المدينة

انفلات المرأة الغفارية

وأقبلت امرأة الغفارى على ناقة من إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدمت عليه ، فأخبرته الخبر ، فلما فرغت قالت : يارسول الله ، إنى قد نَذَرْتُ لله أن أنحرها إن نَجَّانى الله عليها ، قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « بِئْسَ مَا جَزَيْتِهَا أنْ حَمَلَكِ اللهُ عَلَيْهَا وَنَجَّاكِ بِهَا ثُمَّ تَنْحَرِينَهَا إنَّهُ لاَ نَذْرَ فِى مَعْصِيَةِ اللهِ وَلاَ فِيمَا لاَ تَمْلِكِينَ إنَّمَا هِيَ نَاقَةٌ مِنْ إبِلِي فَارْجِعِي إلَي أهْلِكِ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ » والحديث فى امرأة الغفارى وما قالت وما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبى الزبير المكى ، عن الحسن بن أبى الحسن البصرى

قصيدة لحسان بن ثابت فى يوم ذى قرد

وكان مما قيل من الشعر فى يوم ذى قَرَدٍ قولُ حسان بن ثابت :

لَوْلاَ الَّذِى لاَقَتْ وَمَسَّ نُسُورَهَا ... بِجَنُوبِ سَايَةَ أَمْسِ فِى التَّقْوَادِ (١)

لَلَقِينَكُمْ يَحْمِلْنَ كُلَّ مُدَجَّجٍ ... حَامِي الْحَقِيقَةِ مَاجِدِ الْأَجْدَادِ (٢)

وَلَسَرَّ أَوْلاَدَ اللَّقِيطَةِ أَنَّنَا ... سِلْمٌ غَدَاةَ فَوَارِسِ الْمِقْدَادِ (٣)

---

(١) «لولا الذى لاقت» الضمير المستتر فى هذا الفعل يعود إلى الخيل ؛ وقد أضمرها وإن لم يجر لها ذكر لأن الكلام يدل عليها والسامع لا يضل فى الوصول إلى معرفة المراد منها ، والنسور : جمع نسر ، وهو قطعة صلبة تكون فى بطن الحافر كأنها حصاة أو نواة ، وساية : واد بين المدينة ومكة ، والتقواد : هو مصدر على زنة التفعال من قاد فرسه يقوده

(٢) المدجج ـ بفتح الجيم مشددة ، ويقال بكسرها أيضا ـ الكامل السلاح والماجد : الشريف ، وحقيقة الرجل : مايلزمه حفظه ويجب عليه منعه ويحق حمايته والدفاع عنه ، والحقيقة أيضا : الراية ، وقوله «للقينكم» هو جواب لولا فى البيت السابق

(٣) اللقيطة : هى أم حصن بن حذيفة ، كان حذيفة قد التقطها فى جوار

كُنَّا ثَمَانِيَةً وَكَانُوا جَحْفَلاً لَجِبًا فَشُكُّوا بِالرِّمَاحِ بَدَادِ (١)
كُنَّا مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ وَيُقَدِّمُونَ عِنَانَ كُلِّ جَوَادِ (٢)
كَلاَّ وَرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنًى يَقْطَعْنَ عُرْضَ مَخَارِمِ الْأَطْوَادِ (٣)
حَتَّى نُبِيلَ الْخَيْلَ فِي عَرَصَاتِكُمْ
وَنَؤُوبَ بِالْمَلَكَاتِ وَالْأَوْلاَدِ (٤)

قد أضر بن الجدب فضمها إليه ثم أعجبته فخطبها إلى أبيها فتزوجها ، واللقيطة فى الأصل : المنبوذة المتروكة ، والمقداد : هو المقداد بن الأسود ، يقال : إن سعد بن زيد الأنصارى لما سمع بيت حسان هذا عاتبه على أن جعل الفوارس فوارس المقداد ، وقد كان سعد رئيس هذه السرية ، فاعتل له حسان رضى الله عنهما بالقافية ، وسيذكر ذلك ابن هشام ، وهذا البيت فى رواية الديوان أول القصيدة

(١) قد مضى ذكر أسماء الفرسان الثمانية ، والجحفل : الجيش الكثير واللجب - بفتح اللام وكسر الجيم - الكثير الأصوات ، وشكوا بالسلاح : طعنوا بالرماح ، وبداد : هو فعال - بفتح الفاء وبناء آخره على الكسر - من التبدد ، وهو التفرق

(٢) قوله « كنا من القوم » روى فى مكانه « كنا من الرسل » وتقول رجل رسل ، إذا كان فيه لين واسترسال ، ويلونهم : من الولاء ، أى يصادقونهم

(٣) الراقصات ههنا : الابل ، والرقص : ضرب من مشيها ، ويروى الشطر الثانى هكذا : -

* وَالْجَائِبِينَ مَخَارِمَ الْأَطْوَادِ *

والجائب : اسم فاعل من جاب البلاد ، وجاب المفاوز ، ومعناه قطعها سيرا والمخارم : الطرق فى الجبال وأفواه الفجاج ، والأطواد : جمع طود - بفتح فسكون - وهو الجبل المرتفع

(٤) نبيل : نجعلها تبول ؛ والعرصات : جمع عرصة ، وهى وسط الدار ،

رَهْوًا بِكُلِّ مُقَلَّصٍ وَطِمِرَّةٍ ... فى كُلِّ مُعْتَرَكٍ عَطَفْنَ وَوَادِ (١)
أَفْنَى دَوَابِرَهَا وَلَاحَ مُتُونَهَا ... يَوْمٌ تُقَادُ بِهِ وَيَوْمُ طِرَادِ (٢)
فَكَذَاكَ إِنَّ جِيَادَنَا مَلْبُونَةٌ ... وَالْحَرْبُ مُشْعَلَةٌ بِرِيحِ غَوَادِ (٣)
وَسُيُوفُنَا بِيضُ الْحَدَائِدِ تَجْتَلِى ... جُنَنَ الْحَدِيدِ وَهَامَةَ الْمُرْتَادِ (٤)
أَخَذَ الْإِلٰهُ عَلَيْهِمُ لِحَرَامِهِ ... وَلِعِزَّةِ الرَّحْمٰنِ بِالْأَسْدَادِ (٥)

وأراد لانواليكم حتى نقتحم عليكم دوركم وندخلها بالخيل ، وتؤب : نرجع تقول : آب يؤب ، إذا رجع ، والملكات : النساء ، يريد حتى نرجع بالسبايا والغنائم

(١) رهوا : هو المشى فى سكون ، وهو بالراء المهملة ، وهو مفعول مطلق أو حال من الضمير المستتر فى نؤب ، وتروى بالزاى ، والزهو : الاعجاب والكبر والتيه ، وهوحال على تقدير الوصف ، ومقلص : هو الفرس المشمر ، وطمرة – بكسر الطاء والميم وتشديد الراء مفتوحة – الفرس الوثابة السريعة ، والمعترك : موضع العراك والقتال

(٢) دوابرها : جمع دابر ، وهومن الدبر ، والدبر – بفتح الدال والباء وآخره راء مهملة – الجرح يكون فى ظهر الدابة ، وقيل : هو أن يقرح خف البعير ، تقول : دبر البعير – بزنة فرح – وأدبره القتب ، وقوله « ولاح متونها » المتون : جمع متن ، وهو الظهر ، وتقول : لاحه العطش ولاحته الشمس ، إذا غيرته ، والطراد : مطاردة الأقران والفرسان ، وهو أن يحمل بعضهم على بعض فى الحروب

(٣) ملبونة : تسقى اللبن ، ومشعلة : موقدة

(٤) تجتلى : تقطع ، والجنن – بضم الجيم وفتح النون – جمع جنة ، وهى السلاح ، والهامة : الرأس ههنا ، والمرتاد : الطالب للحرب

(٥) الأسداد : جمع سد ، وهو مايسد به على الانسان فيمنعه عن وجهه ، قاله أبو ذر

كَانُوا بِدَارٍ نَاعِمِينَ فَبُدِّلُوا أَيَّامَ ذِى قَرَدٍ وُجُوهَ عِبَادِ (١)

سعد بن زيد وحسان بن ثابت

قال ابن هشام : فلما قالها حَسَّان غضب عليه سعد بن زيد ، وحلف أن لا يكلمه أبدا ، قال : انْطَلَقَ إلى خيلي وفوارسى فجعلها للمقداد ، فاعتذر إليه حسان ، وقال : والله ما ذاك أردت ، ولكن الرَّوِىَّ وافق اسم المقداد ، وقال أبياتا يُرْضى بها سعدا : —

إِذَا أَرَدْتُمُ الْأَشَدَّ الْجَلْدَا أَوْ ذَا غَنَاءٍ فَعَلَيْكُمْ سَعْدَا

سَعْدَ بْنَ زَيْدٍ لا يُهَدُّ هَدَّا

كلمة أخرى لحسان ابن ثابت فى يوم ذى قرد

فلم يقبل منه سعد ، ولم يغن شيئا

وقال حسان بن ثابت فى يوم ذى قَرَد —:

أَظَنَّ عُيَيْنَةُ إِذْ زَارَهَا بِأَنْ سَوْفَ يَهْدِمُ فِيهَا قُصُورَا (٢)

فَأُكْذِبْتَ مَا كُنْتَ صَدَّقْتَهُ وَقُلْتُمْ سَنَغْنَمُ أَمْرًا كَبِيرًا (٣)

فَعِفْتَ الْمَدِينَةَ إِذْ زُرْتَهَا وَآنَسْتَ لِلْأُسْدِ فِيهَا زَئِيرَا (٤)

فَوَلَّوْا سِرَاعًا كَشَدِّ النَّعَامِ وَلَمْ يَكْشِفُوا عَنْ مُلِطٍّ حَصِيرا (٥)

---

(١) وجوه عباد : أراد وجوه عبيد ، وذو قرد : اسم موضع فيه ماء

(٢) « زارها » الضمير المتصل المنصوب راجع إلى المدينة ، وأضمرها وإن لم يجر لها ذكر

(٣) روى هذا البيت فى الديوان هكذا :—

وَمَنَّيْتَ جَمْعَكَ مَا لَمْ يَكُنْ فَقُلْتَ سَنَغْنَمُ شَيْئًا كَثِيرا

(٤) عفت : كرهت ، وزئير الأسد : صوتها ، وآنست : أحسست ووجدت

(٥) « كشد النعام » يروى فى مكانه « كوخد النعام » الشد والوخد

أَمِيرٌ عَلَيْنَا رَسُولُ الْمَلِيـ ـكِ أَحْبِبْ بِذَاكَ إِلَيْنَا أَمِيرَا
رَسُولٌ نُصَدِّقُ مَاجَاءَهُ وَيَتْلُو كِتَاباً مُضِيئًا مُنِيراً

وقال كعب بن مالك فى يوم ذى قَرَد للفوارس : —

قصيدة لكعب بن مالك فى يوم ذى قرد

أَتَحْسِبُ أَوْلاَدُ اللَّقِيطَةِ أَنَّنَا عَلَى الْخَيْلِ لَسْنَا مِثْلَهُمْ فِى الْفَوَارِسِ
وَإِنَّا أُنَاسٌ لاَ نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
وَلاَ نَنْثَنِي عِنْدَ الرِّمَاحِ الْمَدَاعِسِ (١)
وَإِنَّا لَنَقْرِى الضَّيْفَ مِنْ قَمَعِ الذُّرَى
وَنَضْرِبُ رَأْسَ الْأَبْلَخِ الْمُتَشَاوِسِ (٢)
نَرُدُّ كُمَاةَ الْمُعْلَمِينَ إِذَا انْتَخَوْا بِضَرْبٍ يُسَلِّى نَخْوَةَ الْمُتَقَاعِسِ (٣)
بِكُلِّ فَتًى حَامِى الْحَقِيقَةِ مَاجِدٍ
كَرِيمٍ كَسِرْحَانِ الْغَضَاةِ مُخَالِسِ (٤)

الجرى وسعة الخطو ، والنعام مضرب المثل بالجرى ، والملط ـ بضم الميم وكسر اللام ـ وهو الذى لصق بالأرض ، والحصير : وجه الأرض

(١) وقع صدرهذا البيت فى قصيدةالسموءل بن عادياء اليهودى المعروفة وعجزه فيها قوله :ـ

* إِذَا مَارَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ *

والمداعس : جمع مدعس ، وهوالطاعن ، تقول : دعسه بالرمح ، إذا طعنه به

(٢) القمع : جمع قمعة ، وهى أعلى سنام البعير ؛ والأبلخ ـ بالخاء المعجمة ـ المتكبر ، والمتشاوس : الذى ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبرين

(٣) النخوة : الكبر ، وانتخوا : تكبروا ، والمتقاعس : الذى لا يلين ولا ينقاد

(٤) السرحان ـ بكسر السين ـ الذئب ، والغضاة : شجرة ، وجمعها غضى

يَذُودُونَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ وَتِلَادِهِمْ
بِبِيضٍ تَقُدُّ الْهَامَ تَحْتَ الْقَوَانِسِ (١)
فَسَائِلْ بَنِي بَدْرٍ إِذَا مَا لَقِيتَهُمْ
بِمَا فَعَلَ الْإِخْوَانُ يَوْمَ التَّمَارُسِ (٢)
إِذَا مَا خَرَجْتُمْ فَاصْدُقُوا مَنْ لَقِيتُمُ
وَلَا تَكْتُمُوا أَخْبَارَكُمْ فِي الْمَجَالِسِ
وَقُولُوا زَلَلْنَا عَنْ مَخَالِبِ خَادِرٍ
بِهِ وَحَرٌ فِي الصَّدْرِ مَا لَمْ يُمَارَسِ (٣)

قال ابن هشام : أنشدنى بيته « وإنَّا لنَقْرِى الضيف » أبو زيد

قال ابن إسحق : وقال شدَّاد بن عارض الْجُشَمِيُّ فى يوم ذى قَرَد لِعُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ ، وكان عيينة بن حصن يكنى بأبى مالك : —

كلمة لشداد بن عارض الجشمى فى يوم ذى قرد

فَهَلَّا كَرَرْتَ أَبَا مَالِكٍ وَخَيْلُكَ مُدْبِرَةٌ تُقْتَلُ
ذَكَرْتَ الْإِيَابَ إِلَى عَسْجَرٍ وَهَيْهَاتَ قَدْ بَعُدَ الْمُقْفَلُ (٤)

ويقال : إن أخبث الذئاب وأفتكها ذئاب الغضى ، والمخالس: الذى يختلس الفرصة

(١) يذودون : يمنعون ويدفعون ، والتِلاد ـ بكسر التاء المثناة ـ المال القديم ، ويروى « وبلادهم » بالباء الموحدة ، وتقد : تقطع ، والهام : الرءوس ، والقوانس : جمع قونس ، وهو أعلى بيض الحديد

(٢) التمارس : المضاربة فى الحرب والمقاربة

(٣) خادر : أسد يسكن الخدر ، والخدر : الأجمة ، والوحر ـ بفتح الواو والحاء المهملة ـ الحقد

(٤) الاياب : الرجوع ، وعسجر : اسم موضع ، والمقفل : مصدر ميمى بمعنى الرجوع ، تقول : قفل المسافر ، إذا رجع

وضَمَّنْتَ نَفْسَكَ ذَا مَيْعَةٍ مِسَحَّ الْفَضَاءِ إِذَا يُرْسَلُ [١]
إِذَا قَبَّضْتَهُ إِلَيْكَ الشِّمَا لُ جَاشَ كَمَا اضْطَرَمَ الْمِرْجَلُ [٢]
فَلَمَّا عَرَفْتُمْ عِبَادَ الْإِلَـ هِ لَمْ يَنْظُرِ الْآخِرَ الْأَوَّلُ [٣]
عَرَفْتُمْ فَوَارِسَ قَدْ عُوِّدُوا طِرَادَ الْكُمَاةِ إِذَا أَسْهَلُوا [٤]
إِذَا طَرَدُوا الْخَيْلَ تَشْقَى بِهِمْ فِضَاحًا وَإِنْ يُطْرَدُوا يَنْزِلُوا [٥]
فَيَعْتَصِمُوا فِي سَوَاءِ الْمُقَا مِ بِالْبِيضِ أَخْلَصَهَا الصَّيْقَلُ [٦]

غزوة بنى الْمُصْطَلَقِ [بالْمُرَيْسيع ، فى شعبان سنة ست]

قال ابن إسحق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعض جُمَادى الآخرة ورجبًا ، ثم غزا بنى الْمُصْطَلَقِ من خزاعة ، فى شعبان سنة ست

عامل رسول الله على المدينة .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أباذَر الْغِفَارِىَّ ، ويقال : نُمَيْلة بن عبد الله الليثى

---

(١) ذا ميعة : أراد فرسا ذا نشاط ، والمسح : الكثير الجرى ، والفضاء : المتسع من الأرض

(٢) جاش : تحرك وعلا ، واضطرم : اتقد والتهب ، ويروى فى مكانه « اضطرب » بالباء الموحدة ، ومعناه تحرك ، والمرجل : القدر

(٣) لم ينظر : لم ينتظر

(٤) طراد ـ بكسر الطاء ـ مطاردة ، وهى أن يطرد بعضهم بعضا ، والكماة : جمع كمى ؛ وهو الشجاع ، وأسهلوا : نزلوا سهل الأرض

(٥) فضاح ـ بكسر الفاء ـ المفاضحة

(٦) أخلصها الصيقل : أزال ماعليها من الصدأ

قال ابن إسحق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومحمد بن يحيى بن حبان ، كُلٌّ قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق، قالوا : بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن بنى الْمُصْطَلَق يَجْمَعُونَ له، وقائدهم الحرث ابن أبى ضِرَار أبو جُوَيْرِيَةَ بنت الحرث زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له الْمُرَيْسِيعُ من ناحية قُدَيْد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، ونَفَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه ، وقد أصيب رجل من المسلمين من بنى كَلْب بن عَوْف بن عامر بن ليث بن بكر يقال له هشام بن صُبَابة ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عُبَادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ، فبينا رسول الله على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جَهْجَاهُ بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جَهْجَاهٌ وسِنَانُ بن وَبَر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهنى : يامعشر الأنصار ، وصرخ جَهْجَاه : يامعشر المهاجرين ، فغضب عبدُ الله ابن أبى ابن سَلُولَ وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلامٌ حدَث ، فقال : أوَقَدْ فَعَلُوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما أَعُدّنا وجَلاَبيبَ[1] قريش [هذه] إلا كما قال الأول[2] « سَمِّنْ كَلْبَكَ يأكُلْكَ » أما والله لئن رجعنا إلى المدينة لَيُخْرِجَنّ الأعزُّ منها الأذلَّ

مقالة عبد الله بن أبى ابن سلول

---

(١) « جلابيب قريش » هذا لقب كان المشركون يلقبون به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة

(٢) « سمن كلبك يأكلك » هذا مثل من أمثال العرب ، وفى ضده تقول العرب : « جوع كلبك يتبعك »

ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم : أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم ، فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب فقال : مُرْ بِهِ عَبَّاد بن بشر فليقتله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ ، لاَ ، وَلَـٰكِنْ أَذِّنْ بِالرَّحِيل » وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله صلي الله عليه وسلم يرتحل فيها ، فارتحل الناس وقد مشى عبدالله بن أبيٍّ ابن سَلولَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه — فحلف بالله ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به ، وكان فى قومه شريفاً عظيما ، فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه : يارسول الله ، عسى أن يكون الغلام [قد] أوهم فى حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ، حَدَبًا(١) على ابن أبى [ابن سلول] ودفعاً عنه

أسيد بن حضير ورسول الله

قال ابن إسحق : فلما استقلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أَسَيْدُ بن حُضَيْر فحيَّاه بتحية النبوة وسَلَّم عليه ، ثم قال : يانبي الله ، والله لقد رُحْتَ فى ساعة منكرة ما كُنْتَ تَرُوحُ فى مثلها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَوَمَا بَلَغَكَ مَا قالَ صَاحِبُكُمْ » قال : وأىُّ صاحب يارسول الله ؟ قال : « عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ » قال : وما قال ؟ قال : « زَعَمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَي الْمَدِينَةِ أَخْرَجَ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ » قال : فأنت يارسول الله والله تخرجه [منها] إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ، ثم قال :

(١) « حدبا على ابن أبى » الحدب — بفتح الحاء والدال المهملتين — العطف والحنان ، وهو مفعول لأجله ، أى : قالوا ذلك للشفقة عليه

يارسول الله، أُرْفُقْ به ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لَيَنْظِمُونَ له الْخَرَزَ لِيتَوِّجُوهُ ، فانه ليرى أنك قد اسْتَلَبْتَهُ ملكا

ثم مشى[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم [بالناس] يَوْمَهُمْ ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مَسَّ الأرض فوقعوا نياماً ، وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبى

ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فُوَيْقَ النقيع يقال له بَقْعَاء ، فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هَبَّتْ على الناس ريحٌ شديدة آذتهم وتخوفُوها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تخَافُوها فَانمَّا هَبَّتْ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنْ عُظَمَاءِ الْكُفَّارِ » فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بنى قَيْنُقَاع — وكان عظيما من عظماء يهود ، وكَهْفًا للمنافقين — مات فى ذلك اليوم

ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى ابن أبى ومن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم ثم قال : « هَذَا الَّذِى أَوْفَى لِلَّهِ بِأُذُنِهِ » وبلغ عَبْدَالله بن عَبْدِالله بن أبى الذى كان من أمر أبيه

قال ابن إسحق : فحدثنى عاصم [بن عمر بن قتادة] أن عبدالله أتى رسول

---

(١) فى رواية أبى ذر « ثم متن رسول الله » ومعنى ذلك أنه سار بهم حتى أضعف إبلهم ، تقول : متن بالأبل ، إذا ركب متونها ولم يزل بها حتى تضعف .

عبد الله بن عبد الله بن أبي يستأذن رسول الله في قتل أبيه

الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله ابن أبي فيما بلغك عنه ، فان كنت لابد [فاعلا] فمُرْنى به فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرجُ ما كان لها من رجل أبَرَّ بوالده مني ، وإني أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدَعْنِي نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله ابن أبي يمشى في الناس ؛ فأقتله ، فأقتل [رجلا] مؤمنا بكافر ؛ فأدخل النار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بَلْ نَتَرَفَّقُ بِهِ وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَابَقِيَ مَعَنَاَ » وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب — حين بلغه ذلك من شأنهم — : « كَيْفَ تَرَى يَاعُمَرُ ؟ أَمَا وَاللهِ لَوْ قَتَلْتَهُ يَوْمَ قُلْتَ لِي اقْتُلْهُ لَأُرْعِدَتْ لَهُ آنُفٌ لَوْ أَمَرْتُهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلَتْهُ » قال : قال عمر : قد والله علمتُ لَأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظمُ بركةً من أمرى

أمر مقيس بن صبابة

قال ابن إسحق : وقدم مِقْيَسُ بن صُبَابة من مكة مسلما فيما يظهر ، فقال : يارسول الله ، جئتك مسلما ، وجئتك أطلب دِيَةَ أخى ، قُتِلَ خطأً ، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هشام بن صُبَابَة ، فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مُرْتَدًّا ، فقال في شعر يقوله : —

كلمة لمقيس بن صبابة في مقتل قاتل أخيه

شَفَى النَّفْسَ أَنْ قَدْ بَاتَ بِالْقَاعِ مُسْنَداً
تُضَرِّجُ ثَوْبَيْهِ دِمَاءُ الْأَخَادِعِ (١)

(١) « بات » يروى في مكانه « مات » والقاع : المنخفض من الأرض وتضرج : معناه تلطخ ، والأخادع : عروق في القفا ، وإنما هما أخدعان فجمعهما لأنه أرادهما وما حولهما

وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ
تُلِمُّ فَتَحْمِينِي وِطَاءَ الْمَضَاجِعِ (١)
حَلَلْتُ بِهِ وِتْرِي وَأَدْرَكْتُ ثُؤْرَتِي
وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ (٢)
ثَأَرْتُ بِهِ فِهْرًا وَحَمَّلْتُ عَقْلَهُ سَرَاةَ بَنِي النَّجَّارِ أَرْبَابَ فَارِعِ (٣)

وقال مِقْيَسُ بن صُبَابة أيضا : —

جَلَّلْتُهُ ضَرْبَةً بَاءَتْ لَهَا وَشَلٌ
مِنْ نَاقِعِ الْجَوْفِ يَعْلُوهُ وَيَنْصَرِمُ (٤)
فَقُلْتُ وَالْمَوْتُ تَغْشَاهُ أَسِرَّتُهُ لاَ تَأْمَنَنَّ بَنِي بَكْرٍ إِذَا ظَلَمُوا (٥)

شعار المسلمين يوم بنى المصطلق

قال ابن هشام : وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق « يامَنْصُورُ أمِتْ أمِتْ »

---

(١) تلم : تنزل وتزور ، وتحمينى : تمنعنى ، ووطاء المضاجع : ليناتها

(٢) الوتر : طلب الثأر ، والثؤرة ـ بضم الثاء وبعدها همزة ـ الثأر ، والثورة ـ بفتح الثاء وبعدها واو ـ الوثوب والارتفاع ، وبهما يروى ، ولكن الأول هو الصواب

(٣) العقل ـ بفتح العين المهملة ـ الدية ، وسراة بنى النجار : خيارهم وأشرافهم ، وفارع : اسم حصن من حصونهم

(٤) جللته : أراد علوته بها ، وباءت : أخذت لى بالثأر ، تقول : بؤت بفلان ، إذا أخذت بثأره ، ويروى فى مكانه « بانت » والوشل ـ بفتح الواو والشين ـ القطر ، وناقع الجوف : أراد به الدم ، وينصرم : ينقطع

(٥) الأسرة : التكسر الذى يكون فى جلد الوجه والجبهة

قتلى بنى المصطلق

قال ابن إسحق : وأُصيب من بنى المصطلق يومئذ ناس ، و قَتَلَ علىُّ ابن أبى طالب رضوان الله عليه منهم رجلين : مالـكا ، وابنه [وقَتَلَ عَبْدُ الرحمن بن عوف رجلاً من فُرْسانهم يقال له أحمر أو أحيمر]

سبايا بنى المصطلق وأمر جويرية بنت الحارث

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قـد أصاب منهم سَبْيًا كثيرا فَشَاقَسَمُه فى المسلمين ، وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جُوَيْرِيَةُ بنت الحرث بن أبى ضِرَار زَوْج رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق: وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة [بن الزبير] ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : لما قَسَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصطلق وقعت جُوَيْرِيَةُ بنت الحرث فى السَّهْم لثابت بن قَيْس بن الشَّمَّاس ، أولابن عم له ، فـكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حُلْوَةً مُلاَّحَةً [1] لايراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها قالت عائشة : فو الله ما هو إلا أن رأيتها على باب حُجْرَتى فـكرهتها ، وعرفت أنه سيرى منها صلى الله عليه وسلم مارأيت ، فدخَلَتْ عليه ، فقالت : يارسول الله ، أنا جويرية بنت الحرث بن أبى ضرار سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء مالم يَخْفَ عليك ، فوقعتُ فى السَّهْم لثابت بن قيس بن الشماس ، أولا بن عم له ، فـكاتبتهُ على نفسى ، فجئتك أستعينك على كتابتى ، قال : «فَهَلْ لَكِ فِى خَيرٍ مِنْ ذَلكِ » ؟ قالت : وماهو يارسول الله ؟ قال : «أَقْضِى عَنْكِ كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ» قالت : نعم يارسول الله ، قال : «قَدْ فَعَلْتُ » قالت : وخرج الخبر إلى الناس أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوَّج جويرية ابنة الحرث [بن أبى ضرار] ، فقال الناس : أصهار رسول الله

---

(١) الملاحة ـ بضم الميم وتشديد اللام ـ الشديدة الملاحة

صلى الله عليه وسلم ، وأرسلوا ما بأيديهم ، قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعْظَمَ على قومها بركةً منها

[قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق ومعه جُوَيْرِية بنت الحارث ، وكان بذات الجيش ، دفع جُوَيْرِية إلى رجل من الأنصار وَديعةً ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته فلما كان بالعقيق نظر إلى الابل التى جاء بها للفداء فرغب فى بعيرين منها فغيَّبَهُمَا فى شِعْبٍ من شعاب العقيق ، ثم أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وقال : يا محمد ، أصبتم ابنتى وهذا فداؤها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأَيْنَ الْبَعِيرَانِ اللَّذَانِ غَيَّبْتَهُمَا بِالْعَقِيقِ فِى شِعْبِ كَذَا وكَذا » ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إلهَ إلا الله وأنك محمد رسول الله ، فوالله مااطلع على ذلك إلا الله ، فأسلم الحارث وأسلم معه ابنان له وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الابل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ودُفِعَتْ إليه ابْنَتُهُ جُوَيْرِية ، فأسلمت وحَسُنَ إسلامها ، فخطبها النبى صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ؛ فزوَّجَهُ إياها ، وأَصدقها أربعمائة درهم] (١)

قال ابن إسحق : وحدثنى يزيد بن رُومَان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد إسلامهم الوليدَ بن عُقْبَةَ بن أبى مُعَيْط ، فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن القوم قد هَمُّوا بقتله ، ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم ، فأكثر المسلمون فى ذكر غَزْوهم ، حتى هَمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم ، فبيناهم على ذلك قدم وَفْدُهُمْ على رسول الله صلى الله عليه

بنو المصطلق يسلمون فيرسل اليهم رسول الله رسولا يسلمهم ويجبيهم

(١) سقطت هذه القطعة كلها من أكثر أصول الكتاب

وسلم ، فقالوا : يارسول الله ، سمعنا برسولك — حين بعثته إلينا — نخرجنا إليه لنكرمه ونؤدى إليه ماقبلنا من الصدقة ، فانشمر راجعا[1] ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّا خَرَجْنَا إليه لنقتله ، ووالله ماجئنا لذلك ، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم (٤٩:٥—٧) : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ » إلى آخر الآية

وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك — كما حدثنى من لا أتهم ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة رضى الله عنها — حتى إذا كان قريبا من المدينة وكانت معه عائشة فى سفره ذلك قال فيها أهل الافك ما قالوا

خبر الافك فى غَزْوَة بنى المصطلق [سنة ست]

قال ابن إسحق : حدثنا الزهرى ، عن عَلْقَمَةَ بن وَقَّاص ، وعن سعيد بن جُبَيْر ، وعن عروة بن الزبير، وعن عبيدالله بن عبد الله بن عُتْبَةَ ، قال : كلٌّ قد حدثنى بعضَ هذا الحديث ، و بعضُ القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعتُ لك الذى حدثنى القوم

قال محمد بن إسحق : وحدثنى يحيي بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة ؛ وعَبْدُ الله بن أبى بكر ، عن عَمْرَةَ بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن نفسها حين قال فيها أهل الافك ما قالوا ، وكلٌّ قد دخل

---

(١) انشمر راجعا : جد وأسرع فى العودة

فى حديثها عن هؤلاء جميعا ، يُحَدِّثُ بعضهم ما لم يحدث صاحبه ، وكُلّ كان عنها ثقة ، فكلهم حَدَّث عنها بما سمع

عادة رسول الله فى الخروج باحدى نسائه

قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أَقْرَعَ بين نسائه فأيتهُنَّ خرج سَهْمُهَا خرج بها معه ، فلما كانت غَزْوَةُ بنى المصْطَلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع ، فخرج سَهْمِى عليهن معه ، فخرج بى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : وكان النساء إذ ذاك إنمَّا يأ كُلْنَ الْعُلَقَ [1] لم يُهَيِّجْهُنَّ اللَّحْم [2] فَيَثْقُلْنَ ، وكنت إذا رُحِّل لى بعيرى جلست فى هَوْدَجِى ، ثم يأتى القوم الذين يُرَحِّلُونَ لى ويحملوننى ، فيأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فَيَضَعُونه على ظهر البعير فَيَشُدُّونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به ، قالت: فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وَجَّه قافلاً ، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل مَنْزِلاً فبات به بَعْضَ الليل ، ثم أذَّنَ فى الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجْتُ لبعض حاجتى ، وفى عنقى عِقْد لى فيه جَزْع [3] ظَفَارِ فلما فرغتُ انْسَلَّ من عنقى ولا أدرى ، فلما رجعت إلى الرَّحْل ذهبت ألتمسه فى عنقى فلم أجده ، وقد أخذ الناسُ فى الرحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت [إليه] فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافى الذين كانوا يُرَحِّلُونَ لى البعير وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج وهم يظنون أنى فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشدوه على البعير ، ولم يَشُكُّوا أنى فيه ، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داعٍ ولا مجيب ؛ قد انطلق الناس ، قالت : فتَلَفَّفْتُ بجِلْبَابِى ثم اضطجعت

سبب تأخر عائشة عن القوم

---

(١) العلق ـ بضم العين وفتح اللام ـ جمع علقة ، وهى ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء ، تريد أن طعامهن كان قليلا فهن نحيفات غير بدينات

(٢) التهيج : انتفاخ الجسم حتى يشبه الورم

(٣) الجزع : الخرز ، وظفار : اسم مدينة

فى مكانى ، وعرفت أن لو قد افتقدتُ لرُجِع إلى ، قالت : فوالله إنى لَمُضطجِعةٌ إذ مر بى صَفْوانُ بن المُعَطَّل السُّلَمِىُّ ، وقد كان تخلَّف عن العسكر لبعض حاجاته ، فلم يَبِت مع الناس ، فرأى سوادى[1] ، فأقبل حتى وقف على ، وقد كان يرانى قبل أن يُضْرَب علينا الحجاب ، فلما رآنى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ظعينةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا متلففة فى ثيابى ، قال : ماخَلَّفَك يرحمك الله ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قَرَّب البعير فقال : اركبى ، واستأخَرَ عنى ، قالت : فركبتُ وأخذ برأس البعير ، فانطلق سريعا يطلب الناس ، فوالله ماأدركنا الناس وما افتُقِدْتُ حتى أصبَحْتُ ونزل الناسُ ، فلما اطمأنوا طلع الرجلُ يقودنى ، فقال أهل الافك ماقالوا ، فارْتَعَجَ العسكر[2] ، ووالله ماأعلم بشىء من ذلك

مرض عائشة بعد وصولها المدينة

ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شَكْوى شديدة ، ولا يبلغنى من ذلك شىء ، وقد انتهى الحديثُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبَوَىَّ لايذكرون لى منه قليلا ولا كثيراً ، إلا أنى قد أنكَرْتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعْضَ لطفه بى ؛ كنت إذا اشتكيت رَحِمَنى ولطف بى ، فلم يفعل ذلك بى فى شَكْوَاىَ تلك ، فأنكرت ذلك منه ، كان إذادخل علىوعندىأمى تمرضنى (قال ابن هشام : وهىأمُّ رُومَان ، واسمها زينب بنت عبد دُهْمَان أحد بنى فراس بن غنم بن مالك ابن كنانة) قال : « كَيْفَ تِيكُمْ » ؟ لايزيد على ذلك

قال ابن إسحق : قالت : حتى وجدتُ فى نفسى ، فقلت : يارسولَ

---

(١) السواد هنا : الشخص ، تقول : رأيت سواداً من بعيد ، إذا رأيت شخصاً

(٢) ارتعج العسكر : تحرك واضطرب

الله — حين رأيت مارأيت من جفائه لى — لو أذنْتَ لى فانتقلت إلى أمى فمرضتنى ، قال : « لاَ عَلَيْكِ » قالت : فانتقلت إلى أمى ولا علم لى بشيء مما كان ، حتى نَقِهْتُ من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوما عَرَبًا ، ولا نتخذ فى بيوتنا هذه الْكُنُفَ التى تتخذها الأعاجم نَعَافُهَا ونكرهها إنما كنا نذهب فى فُسَح المدينة ، وإنما كانت النساء يَخْرُجْن كل ليلة فى حوائجهن، فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أُمُّ مِسطَح بنتُ أبى رُهْمِ بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أُمُّهَا بنتَ صَخْر بن عامر بن كعب بن سعد ابن تَيْم خالة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، قالت : فوالله إنها لتمشى معى إذ عَثرتْ فى مِرْطِهَا[1] فقالت: تعِسَ[2] مِسطَح (ومِسْطَح لَقَبٌ ، واسمه عوف) قالت : قلت : بئْسَ لَعَمْرُ الله ماقلتِ لرجل من المهاجرين قد شهد بدرا ، قالت : أَوَمَا بلغك الخبر يابنت أبى بكر ؟ قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الافك ، قالت : قلت : أوقد كان هذا ؟ قالت : نعم ، والله لقد كان ، قالت : فوالله ما قَدَرْتُ على أن أقضى حاجتى ورجعت ، فوالله مازلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سَيَصْدَعُ كبدى[3] ، قالت : وقلت لأمى: يغفر الله لك ، تحدَّثَ الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لى من ذلك شيئا ، قالت : أَىْ بُنَيَّةُ خَفِّضى عليك الشأن[4] ، فوالله لَقَلَّمَا كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كَثَّرْنَ وكَثَّرَ الناس عليها ، قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس يخطبهم

(١) المرط ـ بكسر الميم وسكون الراء ـ الكساء

(٢) تعس : معناه شقى ، أو أهلكه الله

(٣) يصدع كبدى : يشقها

(٤) خفضى عليك الشأن : هونى الأمر على نفسك ولا تريه شاقا صعب المحتمل

ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس، مابال رجال يُؤْذُونني فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق ، والله ماعلمت منهم إلاَّخيرا ، ويقولون ذلك لرجل والله ماعلمت منه إلا خيرا ، ومايدخل بيتا من بيوتى إلا وهو معى » قالت : وكان كِبْرُ ذلك عند عبد الله بن أُبَىٍّ ابن سَلُولَ فى رجال من الخزرج مع الذى قال مسطح وحَمْنَة بنت جَحْش وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن من نسائه امرأة تناصينى (١) فى المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيراً ، وأما حَمْنَة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت تُضَادُّنِى لأختها ، فشقيت بذلك

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة قال أُسَيْدُ بن حُضَير : يارسول الله ، إنْ يكونوا من الأوس نَكْفِكَهُمْ وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمُرْنَا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تُضْرَبَ أعناقهم ، قالت : فقام سعد بن عُبَادة — وكان قبل ذلك يُرَى رجلا صالحا — فقال : كذبت ، لعمر الله لانضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ماقلت هذا ، فقال أُسَيْدٌ : كذبت لعمر الله ، ولكنك مُنَافق تجادل عن المنافقين ، قالت : وَتَثَاوَر الناسُ (٢) ، حتى كاد يكون بين هذين الحَيَّيْنِ من الأوس والخزرج شَرٌّ ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل علىّ ، فدعا علىَّ بن أبى طالب رضوان الله عليه وأسامة بن زيد فاستشارهما ، فأما أسامة فأثنى على خيراً وقاله ،

---

(١) تناصبنى : يروى بالباء الموحدة وبالياء المثناة ، والمراد فى الروايتين جميعا تنازعنى الرتبة والمنزلة من نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) تثاور الناس : ثار بعضهم إلى بعض ؛ وقام بعضهم نحو بعض

ثم قال : يارسول الله ، أهلُكَ ولا نعلم إلا خيرا ، [ولا تعلم منهم إلا خيرا] وهذا الكذب والباطل ، وأما علىٌّ فانه قال : يارسول الله ، إن النساء لكثير ، و إنك لقادر على أن تستخلف ، وَسَلِ الجاريةَ فانها ستصدقك ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بُرَيْرَةَ ليسألها ، قالت : فقام إليها على بن أبى طالب فضربها ضربا شديداً ، ويقول : اصْدُقِ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيب على عائشة شيئا إلا أنى كنت أعجن عجينى فآمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله ، قالت : ثم دخل عَلَيَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعندى أبواى ، وعندى امرأة من الأنصار ، وأنا أبكى وهى تبكى معى ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « ياعائشة ، إنه قد كان ماقد بلغك من قول الناس ، فاتَّقِى الله فان كُنْتِ قَارَفْتِ سوأ [(1)] مما يقول الناس فتوبى إلى الله ؛ فان الله يقبل التوبة عن عباده » قالت : فو الله ماهو إلا أن قال لى ذلك فَقَلَصَ [(2)] دمعى حتى ما أُحِسُّ منه شيئاً ، وانتظرت أَبَوَيَّ أن يجيبا عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يتكلما ، قالت : وايم الله لأنا كنت أَحْقَرَ فى نفسى وأصغر شأنا من أن يُنْزِلَ الله فِيَّ قرآنا يُقْرَأ به فى المساجد وَيُصَلَّى به ، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نومه شيئا يكذب به الله عنى ؛ لما يعلم من براءتى ، أو يخبر خبراً ، فأما قرآن ينزل فى فوَالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك ، قالت : فلما لم أر أبَوَيَّ يتكلمان قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه

---

(١) قارفت سوءا : أى أتيت ذنبا ، تقول : قارف الرجل الخطيئة ، إذا وقع فيها

(٢) قلص الدمع : ارتفع



وسلم ، قالت : فقالا : والله ماندرى بماذا نجيبه ، قالت : ووالله ماأعلم أَهْلَ بيت دخل عليهم مادخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام ، قالت : فلما أن اسْتَعْجَمَا على اسْتَعْبَرْتُ فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدا ، والله إنى لأعلم لئن أَقرَرْتُ بما يقول الناس والله يعلم أنى منه بريئة لأَقُولَنَّ مالم يكن ، ولئن أنا أنكرت مايقولون لاتصدقوننى ، قالت : ثم التمست اسْمَ يعقوب فماأذكره ، فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَاتَصِفُونَ قالت: فو الله مابرح رسول الله صلى الله عليه وسلم مَجْلِسَهُ حتى تَغَشَّاهُ من الله ما كانَ يَتَغَشَّاهُ ، فَسُجِّى بثوبه ، ووُضِعَتْ له وِسَادة من أَدَمٍ تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك مارأيت فوالله ما فَزِعْتُ ولا باليت ، قد عرفت أنى [منه] بريئة ، وأن الله عزوجل غَيْرُ ظالمى ، وأما أَبَوَاىَ فوالذى نفسُ عائشة بيده ما سُرِّىَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظَنَنْتُ لَتَخْرُجَنَّ أَنْفُسُهُمَا فَرَقًا من أن يأتى من الله تحقيقُ ماقال الناس ، قالت : ثم سُرِّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس وإنه لَيَتَحَدَّرُ منه مثل الْجُمَان فى يوم شَاتٍ ، فجعل يمسح الْعَرَقَ عن جبينه ويقول : « أَبْشِرِى يَاعَائِشَةُ فَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ بَرَاءَتَكِ » قالت : قلت : بحمد الله ، ثم خرج إلى الناس فَخَطَبَهُمْ وتلا عليهم ماأنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحَسَّان بن ثابت وَحَمْنَة بنت جحش — وكانوا ممن أفصح بالفاحشة — فضربوا حدهم

تبرئة الله عائشة وضرب قذفتها الحد

قال ابن إسحق : وحدثنى أبى إسْحٰقُ بن يَسَار ، عن بعض رجال بنى النجار ، أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب : ياأبا أيوب ، ألا تسمع مايقول الناس فى عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنت ياأُمَّ أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ، ما كُنْتُ لأَفْعَلَهُ ، قال : فعائشة والله

خَيْرٌ منك ، قالت : فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ماقال من أهل الافك فقال تعالى : (٢٤ : ١١ — ١٥) (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) وذلك حسان بن ثابت وأصحابه الذين قالوا ماقالوا

قال ابن هشام : ويقال : وذلك عبد الله بن أبيٍّ وأصحابه

قال ابن هشام : والذى تولى كبره عبد الله بن أبى ، وقد ذكر ذلك ابن إسحق فى هذا الحديث قبل هذا

ثم قال تعالى : (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا) أى : فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته ، ثم قال : (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ) فلما نزل هذا فى عائشة وفيمن قال لها ماقال قال أبو بكر — وكان ينفق على مِسْطَح لقرابته وحاجته — : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبدا ، ولا أنفعه بنفع أبدا ، بعد الذى قال لعائشة وأدخل علينا ، قالت : فأنزل الله فى ذلك : (٢٤ : ٢٢) (وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

[قال ابن هشام : يقال : كِبْره وَكُبْره فى الرواية ، وأما فى القرآن فكِبره بالكسر]

قال ابن هشام : ولا يأتل : ولا يَأْلُ أولو الفضل منكم ، قال امرؤ القيس بن حُجْرٍ الكِنْدِيُّ : —

أَلاَ رُبَّ خَصْمٍ فِيكِ أَلْوى رَدَدْتُهُ
نَصِيحٍ عَلَى تَعْذَالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلِ (١)

وهذا البيت فى قصيدة له

ويقال : ولا يأتل أولو الفضل : ولا يحلف أولو الفضل ، وهو قول الحسن بن أبى الحسن[البصرى] ، فيما بلغنا عنه ، وفى كتاب الله تعالى (٢ : ٢٢٦) (لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَآئِهِمْ) وهو من الأَلِيَّة ، والألية : اليمين ، قال حسان بن ثابت : —

آلَيْتُ مَا فِى جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا مِنِّى أَلِيَّةَ بَرٍّ غَيْرِ إِفْنَادِ (٢)

وهذا البيت فى أبيات له سأذكرها إن شاء الله فى موضعها (٣) ؛ فمعنى (أن يؤتوا) فى هذا المذاهب أن لا يؤتوا ، وفى كتاب الله عز وجل : (٤ : ١٧٦) : (يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا) يريد أن لا تضلوا ، و(٣٢:٦٥) : (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ) يريد أن لا تقع على الأرض ، وقال ابن مُفَرِّغٍ الحِمْيرِىُّ :—

---

(١) الخصم : لفظ يطلق على الواحد والجمع وعلى المذكر والمؤنث ، والألوى : الشديد الخصومة كأنه يلتوى على خصمه ؛ والتعذال والعذل - بسكون الذال - والعذل - بفتحها - واحد ، ومؤتل : أى مقصر ، والمراد من قوله «رددته» أنه لم يقبل نصحه ، ومعنى كونه غير مؤتل أنه مبالغ فى نصحه شديد الاجتهاد فيه

(٢) آليت : أقسمت وحلفت ، والألية : اليمين ، والبر : الصادق والمجتهد : الذى لم يقصر ، والافناد : الكذب ، تقول : أفند الرجل ، إذا كذب ، يريد آليت آلية برغير ذى إفناد منى مجتهد

(٣) هذا البيت من كلمة يقولها حسان فى رثاء النبى صلى الله عليه وسلم

لَأَذْعَرْتُ السَّوَامَ فِي وَضَحِ الصُّبْـ
ـحِ مُغِيرًا وَلَا دُعِيتُ يَزِيدَا [١]

يَوْمَ أُعْطِي مَخَافَةَ الْمَوْتِ ضَيْماً وَالْمَنَايَا يَرْصُدْنَنِي أَنْ أَحِيدَا [٢]

يريد أن لا أحيد ، وهذان البيتان فى أبيات له

قال ابن إسحق : قالت : فقال أبو بكر : بلى والله إنى لأُحِبُّ أن يغفر الله لى ، فَرَجَعَ إِلى مِسْطَح نَفَقَتَهُ التى كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبدا

صفوان بن المعطل وحسان بن ثابت

قال ابن إسحق : ثم إن صَفْوَانَ بن الْمُعَطَّل اعترض حَسَّان بن ثابت بالسَّيْف — حين بلغه ما كان يقول فيه — وقد كان حسان قال شعرا مع ذلك يُعَرِّض بابن المعطل فيه وبمن أسلم من العرب من مضر فقال : —

أَمْسَى الْجَلَابِيبُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا
وَابْنُ الْفُرَيْعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ [٣]

---

(١) ذعرت : أفزعت وأخفت ، والسوام : المال الذى يرسله صاحبه فى المرعى ، ووضح الصبح : بياضه وحين تنفلق الظلماء عن الضوء

(٢) الضيم : الذل ، وأحيد : أعدل وأميل ، تقول : حاد فلان عن الطريق إذا عدل عنه وعرج

(٣) الجلابيب : هذا لقب كان المشركون فى مكة يلقبون به أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، والفريعة ـ بضم الفاء وفتح الراء ـ أم حسان بن ثابت ، و « بيضةالبلد » يريد أنه أصبح وحيدا لانظير له ولا يقوى عليه وأحد هذه ، عبارة تقال للمدح وتقال للذم أيضا

قَدْ ثَكِلَتْ أُمُّهُ مَنْ كُنْتَ صَاحِبَهُ
أوْ كَانَ مُنْتَشِبًا فِي بُرْثُنِ الْأَسَدِ (١)
مَا لِقَتِيلِي الَّذِي أَغْدُو فَآخُذُهُ
مِنْ دِيَةٍ فِيهِ يُعْطَاهَا وَلَا قَوَدُ (٢)
مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهُبُّ الرِّيحُ شَامِيَةً فَيَغْطَئِلُّ وَيَرْمِي الْعِبْرَ بِالزَّبَدِ (٣)
يَوْمًا بِأَغْلَبَ مِنِّي حِينَ تُبْصِرُنِي
مِلْغَيْظِ أَفْرِي كَفَرْيِ الْعَارِضِ الْبَرِدِ (٤)
أَمَّا قُرَيْشٌ فَإِنِّي لَنْ أُسَالِمَهُمْ حَتَّى يُنِيبُوا مِنَ الْغَيَّاتِ لِلرَّشَدِ (٥)
وَيَتْرُكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِمَعْزِلَةٍ
وَيَسْجُدُوا كُلُّهُمْ لِلْوَاحِدِ الصَّمَدِ
وَيَشْهَدُوا أَنَّ مَا قَالَ الرَّسُولُ لَهُمْ
حَقٌّ وَيُوفُوا بِعَهْدِ اللهِ وَالوُكُدِ (٦)

---

(١) ثكلت : فقدت ؛ ومنتشبا : عالقا ، وبرثن الأسد : مخالبه ، وهي بمنزلة الأظفار للانسان ، وهذا البيت من شواهد النحاة على تقديم الفاعل المضاف إلى ضمير المفعول على هذا المفعول ، وقد أجازه جماعة منهم أبو الفتح بن جني ، ومنعه الجمهور

(٢) القود ـ بفتح القاف والواو جميعا ـ قتل النفس بالنفس

(٣) يغطئل ـ بالغين معجمة ـ يموج ويتحرك ، والعبر : جانب النهر والبحر

(٤) ملغيظ : أراد من الغيظ ، فحذف النون ، وأفرى : أقطع ، والعارض : السحاب ، والبرد ـ بفتح الباء وكسر الراء ـ الذي فيه برد

(٥) ينيبوا : يرجعوا ويعودوا ، والغيات : جمع غية ، وهي المرة من الغي وهو ضد الرشد

(٦) الوكد : أراد به توكيد العهد وتقويته

صفوان يضرب حسان بالسيف

فاعترضه صَفْوانُ بن الْمُعْطَّلِ فضرب به بالسيف ، ثم قال — كما حدثنى يعقوب بن عتبة : —

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّى فإنَّنِى غُلَامٌ إذَا هُوجِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرِ

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمى ، أن ثابت بن قَيْس بن الشَّمَّاس وثب على صَفْوَان بن الْمُعَطَّل — حين ضرب حَسَّان — فجمع يديه إلى عنقه بحبل ، ثم انطلق به إلى دار بنى الحرث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رَوَاحة ، فقال : ماهذا ؟ قال : أما أُعَجِّبُكَ ضَرَبَ حَسَّانَ بالسيف ، والله ماأُراه إلا قتله ، قال له عبد الله بن رواحة : هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء مما صنعت ؟ قال : لاوالله ، قال : لقد اجترأت ، أطْلِقِ الرجل ، فأطلقه ، ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له ، فدعا حَسَّان وصفوان بن المعطل ، فقال ابن المعطل : يارسول الله آذانى وهجانى ، فاحتملنى الغضب فضربته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : « يَاحَسَّانُ أَتَشَوَّهْتَ عَلَى قَوْمِى أَنْ هَدَاهُمُ اللهُ لِلإِسْلاَمِ » ثم قال : « أَحْسِنْ يَاحَسَّانُ فِى الَّذِى قَدْ أَصَابَكَ » قال : هى لك [يارسولَ الله]

قال ابن هشام : ويقال : [أبعد] أن هداكم الله للاسلام

رسول الله يعوض حسان من ضرب صفوان اياه

قال ابن إسحق : فحدثنى محمد بن إبراهيم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعطاه عِوَضاً منها بِيرَحَاء ، وهى قصر بنى حُدَيْلَةَ اليوم بالمدينة وكانت مالاً لأبى طَلْحَةَ بن سهل تَصَدَّق بها على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم حَسَّان فى ضربته ، وأعطاه سِيرِينَ أَمَةً قِبْطِيَّةً فولدت له عبدالرحمن بن حسان ، قال : وكانت

عائشة تقول : لقد سُئِلَ عن ابن المُعَطَّل فوجدوه رجلا حَصُورا مايأتى النساء ، ثم قتل بعد ذلك شهيدا

ثم قال حسان بن ثابت يعتذر من الذى كان قال فى شأن عائشة رضى الله عنها : —

كلمة حسان فى تبرئة عائشة أم المؤمنين

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ
وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ (١)

عَقِيلَةُ حَيٍّ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ
كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ (٢)

مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللهُ خِيمَهَا
وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ (٣)

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِى قَدْ زَعَمْتُمُ
فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِى إِلَيَّ أَنَامِلِي (٤)

---

(١) حصان : عفيفة ، ورزان : ملازمة لموضعها لاتتصرف كثيرا ، وتزن — بالبناء للمجهول — تتهم ، وغرثى : جائعة ، يريد أنها لاتنال عرض أحد ، والغوافل : جمع غافلة

(٢) العقيلة : الكريمة ، والمساعى : جمع مسعاة ، وهو مايسعى فيه المرء من طلب المجد والمكارم

(٣) مهذبة : صافية مخلصة ، والخيم — بكسر الخاء — الطبع والأصل

(٤) الأنامل : جمع أنملة ، وهى طرف الأصبع ، وربما عبر بها عن الأصبع ، وأراد الدعاء على نفسه بشلل يده إن كان مانسب إليه قدقاله حقا

وَكَيْفَ وَوُدِّى مَا حَيِيتُ وَنُصْرَتِى

لِآلِ رَسُولِ اللهِ زَيْنِ الْمَحَافِلِ (١)

لَهُ رَتَبٌ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ تَقَاصَرُ عَنْهُ سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ (٢)

فَإِنَّ الَّذِى قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَائِطٍ

وَلٰكِنَّهُ قَوْلُ امْرِئٍ بِىَ مَاحِلِ (٣)

قال ابن هشام : بيته « عقيلة حى » و [البيت] الذى بعده ، و بيته « له رَتَبٌ عال » عن أبى زيد الأنصارى .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة أن امرأة مدحت بنت حسان بن ثابت عند عائشة فقالت : —

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

فقالت عائشة : لكن أبوها

قال ابن إسحق : وقال قائل من المسلمين فى ضرب حَسَّان وأصحابه فى فِرْيَتِهِمْ على عائشة .

قال ابن هشام : فى ضرب حسان وصاحبيه : —

---

(١) المحافل : جمع محفل ، وهو المكان الذى يجتمع فيه الناس

(٢) رتب : يروى بضم الراء وبفتحها ، فأما من رواه بضم الراء فقد أراد جمع رتبة ، وهى المنزلة ، وأما من رواه بفتح الراء فقد أراد المجد والشرف وأصله الموضع المشرف المرتفع من الأرض ، والسورة ـ بفتح السين ـ الوثبة ، وتقول : تثاور الرجلان وتساورا

(٣) ليس بلائط : أى ليس بلاصق ، تقول : هذا لا يليط بفلان ، إذا أردت أنه لا يلصق به ، والماحل : النمام الواشى الكاذب

لَقَدْ ذَاقَ حَسَّانُ الَّذِى كَانَ أَهْلَهُ
وَحَمْنَةُ إِذْ قَالُوا هَجِيراً وَمِسْطَحُ [١]

كلمة أحد المسلمين فى ضرب حسان وأصحابه حد القذف

تَعَاطَوْا بِرَجْمِ الْغَيْبِ زَوْجَ نَبِيِّهِمْ
وَسَخْطَةَ ذِى الْعَرْشِ الْكَرِيمِ فَأُتْرِحُوا [٢]

وَآذَوْا رَسُولَ اللهِ فِيهَا فُجَلِّلُوا مَخَازِىَ تَبْقَى عُمِّمُوهَا وَفُضِّحُوا

وَصُبَّتْ عَلَيْهِمْ مُحْصَدَاتٌ كَأَنَّهَا
شَآبِيبُ قَطْرٍ مِنْ ذُرَى الْمُزْنِ تَسْفَحُ [٣]

غزوة الحديبية

أمر الحديبية [٤]، فى آخر سنة ست، وذكر بيعة الرضوان والصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سُهَيْل بن عَمْرو

قال ابن إسحق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهر رمضان وشوالا، وخرج فى ذى القعدة مُعْتَمِراً لا يريد حرباً.

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُمَيْلَةَ بن عبد الله الليثى

رسول الله يستنفر الناس

قال ابن إسحق : واستنفر الْعَرَبَ ومَنْ حوله من أهل الْبَوَادِى من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يخشى من قريش الذى صنعوا أن يعرضوا له

---

(١) هجيرا : هو الهجر، وهو الفحش من القول والقبيح منه

(٢) الرجم : الظن، وأترحوا ـ بالبناء للمجهول ـ أصيبوا بالترح، وهو الحزن، ويروى فأبرحوا ـ بالباء الموحدة مبنيا للمجهول أيضا ـ وهو من البرح ؛ وهو الشدة

(٣) محصدات ـ بفتح الصاد ـ أى سياطا محكمة الفتل شديدات، والشآبيب : جمع شؤبوب، وهو الدفعة من المطر، والذرى : الأعالى، والمزن : السحاب، وتسفح : تسيل

(٤) الحديبية ـ يقال بتخفيف الياء وبتشديدها، وهى قرية ليست

بحرب أو يَصُدُّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهَدْىَ ، وأحرم بالعُمْرَةِ ليأمن الناسُ من حربه وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومُعَظِّماً له

قال ابن إسحق : حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عروة ابن الزبير ، عن مِسْوَر بن مَخْرَمة ومَرْوَان بن الحكم أنهما حدّثاه قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ الحُدَيْبِيَةِ يريد زِيَارَةَ البيت ، لا يريدقتالا ، وساق معه الهَدْىَ سَبْعِينَ بَدَنةً ، وكان الناس سبعمائة رجل؛ فكانت كل بدنة عن عشرة نفر ، وكان جابر بن عبد الله — فيما بلغنى — يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة ، قال الزهرى : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بعُسْفَانَ لقيه بشر بن سفيان الكعبي

هدى رسول الله

قال ابن هشام : [ويقال] بُسْر

فقال : يارسول الله ، هذه قريش قدسمعت بمسيرك فخرجوا معهم العُوذُ المَطَافِيلُ (١) قدلبسوا جُلودَ النمور (٢) وقدنزلوا بذى طُوًى ، يعاهدون الله لاتَدْخلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدّموها إلى كُرَاعِ الغَمِيمِ ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَاوَيْحَ قُرَيْشٍ !!! لَقَدْ أَكَلَتْهُمُ الْحَرْبُ (٣) . مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَ

بشر بن سفيان يخبر رسول الله باجتماع قريش له

بكبيرة ، بينها وبين مكة مرحلة واحدة ، وبينها وبين المدينة تسع مراحل ، ويقال : إن بعضها من الحل وبعضها من الحرم ، وسميت بذلك لبئر فيها تسمى الحديبية

(١) العوذ : جمع عائذ ، وهى التى لما تلد ، والمطافيل : جمع مطفل وهى التى لها طفل ، وأصل الطفل الصبى من الأناسى فاستعاره هنا لأبناء النوق

(٢) يريد أنهم تنمروا لك (٣) فى نسخة «لقد أهلكتهم الحرب» والمعنى واحد

سَائِرِ الْعَرَبِ فَإِنْ هُمْ أَصَابُونِي كَانَ ذَلِكَ الَّذِي أَرَادُوا وَإِنْ أَظهرني الله عليهم دَخلوا في الاسلام وَافرِين وإن لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةٌ فَمَا تَظُنُّ قُرَيْشٌ فَوَاللهِ لَا أَزَالُ أُجَاهِدُ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللهُ بِهِ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ تَنفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ[1] »ثم قال : « مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِمُ الَّتِي هُمْ بِهَا » ؟

رسول الله يسلك غير طريق قريش

قال ابن إسحق : فحدثني عبدالله بن أبي بكر ، أن رجلا من أسلم قال : أنا يارسول الله، قال : فسلك بهم طريقا وَعْرًا أَجْرَلَ[2] بين شِعَابٍ ، فلما خرجوا منه وقد شَقَّ ذلك على المسلمين وأَفْضَوْا إلى أرض سَهْلَةٍ عند مُنْقَطَعِ الوادي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : « قُولُوا نَسْتَغْفِرُ اللهَ وَنَتُوبُ إليه » فقالوا ذلك ، فقال : « وَاللهِ إِنَّهَا لَلْحِطَّةُ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَقُولُوهَا »

قال ابن شهاب[3] : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، فقال : « اسْلُكُوا ذَاتَ الْيَمِينِ » بَيْنَ ظَهْرَيِ الْحَمْضِ[4] في طريق [تخرجهم] على ثَنِيَّةِ الْمِرَارِ مَهْبِطِ الْحُدَيْبِيَة من أسفل مكة ، قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش قَتَرَةَ الجيش[5] قد خالفوا عن طريقهم رجعوا راكضين إلى قريش ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك في ثَنِيَّةِ الْمِرَارِ بركت ناقته فقال الناس : خَلَأَتِ[6] الناقة ،

---

(١) السالفة : صفحة العنق

(٢) أجرل : كثير الحجارة ، ويروى «أجرد» بالدال المهملة ، وهو الذى لانبات فيه

(٣) فى نسخة « قال ابن هشام »

(٤) الحمض : ما ملح من النبات ، وهو هنا اسم موضع

(٥) قترة الجيش : غباره

(٦) خلأت : أى حرنت ، ولا يقال ذلك إلا للناقة

فقال : « مَاخَلَأَتْ وَمَا هُوَ لَهَا بِخُلُقٍ وَلَـكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ عَنْ مَـكَّةَ ؛ لَا تَدْعُونِى قُرَيْشٌ الْيَوْمَ إِلَي خُطَّةٍ يَسْأَلُوننى فِيهَا صِلَةَ الرَّحِمِ إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا » ثم قال للناس : « انزِلُوا » قيل له : يارسول الله ، ما بالوادى ماءٌ يُنْزَلُ عليه ، فأخرج سَهْمًا من كِنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل [به] فى قليبٍ[١] من تلك القُلُبِ فغَرَزَه فى جَوْفه ، فَجَاشَ[٢] بالرَّوَاءِ[٣] حتّى ضرب الناس عنه بِعَطَنٍ[٤]

رسول الله ينزل على غير ماء

قال ابن إسحق : فحدثنى بعض أهل العلم ، عن رجال من أسلم ، أن الذى نزل فى القليب بِسَهْمِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن جُنْدَب ابن عُمَيْر بن يَعْمَر بن دارم بن عمرو بن واثلة بن سَهم بن مازن بن سلامان ابن أسلم بن أفصى بن أبى حارثة ، وهو سائق بُدْن رسول الله صلى الله عليـه وسلم .

قال ابن هشام : أفصى بن حارثة

قال ابن إسحق : وقد زعم لى بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذى نزلت بسَهْم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالله أعلم أى ذلك كان

وقد أنْشَدَتْ أَسْلَمُ أبياتًا من شعر قالها ناجية قد ظَنَنَّا أنه هو الذى نزل

---

(١) القليب : البئر ، والقلب : جمعه

(٢) جاش : علا وارتفع

(٣) الرواء ـ بفتح الراء ـ الكثير

(٤) العطن ـ بفتح العين المهملة والطاء ـ مبرك الابل

بالسَّهْم ، فزعمت أسْلَم أن جارية من الأنصار أقْبَلَتْ بِدَلْوِها وناجيةُ فى القليب يَميح على الناس (١) ، فقالت : —

يَاأَيُّهَا الْمَائِحُ دَلْوِى دُونَكَا * إِنِّى رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَا (٢)

* يُثْنُونَ خَيْراً وَيُمَجِّدُونَكَا * (٣)

قال ابن هشام : ويروى :

* إِنِّى رَأَيْتُ النَّاسَ يَمْدَحُونَكَا *

قال ابن إسحق : فقال ناجية وهو فى القليب يَميحُ على الناس : —

قَدْ عَلِمَتْ جَارِيَةٌ يَمَانِيَهْ * أَنِّى أَنَا الْمَائِحُ وَاسْمِى نَاجِيَهْ

وَطَعْنَةٍ ذَاتِ رَشَاسٍ وَاهِيَهْ * طَعَنْتُهَا عِنْدَ صُدُورِ الْعَادِيَهْ (٤)

مجىء بديل الخزاعى الى رسول الله

فقال الزهرى فى حديثه : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه بُدَيْلُ بن وَرْقَاء [الْخُزَاعِيُّ] فى رجال من خُزَاعة فكلَّموه وسألوه ماالذى

---

(١) يميح على الناس : يريد أنه يملأ لهم الدلاء وهو فى أسفل البئر

(٢) المائح : هو الرجل يكون فى أسفل البئر يملأ الدلاء للقوم ، والماتح بالتاء المثناة ـ هو الذى يكون فى أعلى البئر ينتزع الدلاء المملوءة ، وقولها « دلوى دونكا » هومن شواهد بعض النحاة على جواز تقديم معمول اسم الفعل عليه ، وتأوله قوم بأنه من باب حذف العامل ، وأصله : خذ دلوى دونكا

(٣) يمجدونكا: يشرفونك ، والتمجيد : التشريف ، ويروى الرجز هكذا:ـ

إِنِّى رَأَيْتُ النَّاسَ يَمْنَحُونَكَا يُثْنُونَ خَيْراً وَيُمَجِّدُونَكَا

ويمنحونك : أى يعطونك ، والمنحة : العطية ، تريد أنهم يعطونه دلاءهم

(٤) الواهية : المسترخية الواسعة الشق ، والعادية : القوم الذين يسرعون العدو ، والعدو : هو السير السريع

جاء به ، فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا ، وإنما جاء زائرا للبيت ، ومعظما لحرمته ، ثم قال لهم نحوا مما قال لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يامعشر قريش ، إنكم تعجلون على محمد ، إن محمدا لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائرا لهذا البيت ، فاتهموهم وجبهوهم [1] ، وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالا ، فوالله لايدخلها علينا عنوة أبدا ، ولا تحدث بذلك عنا العرب

مجيء مكرز بن حفص الى النبي

قال الزهري : وكانت خزاعة عيبة [2] [نصح] رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمها ومشركها ، لا يخفون عنه شيئا كان بمكة ، قال : ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف أخا بني عامر بن لؤي ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال : «هذا رجل غادر» فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا مما قال لبديل وأصحابه ، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة أو ابن زبان ، وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بني الحرث بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن هذا من قوم يتألهون [3] فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه » فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده [4] وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله [5] رجع إلى

قريش تبعث الحليس بن علقمة

---

(١) جبهوهم : خاطبوهم بما يكرهون ، تقول : جبهت الرجل ، إذا خاطبته بما يكره

(٢) عيبة نصحه : خاصته وأصحاب سره ، بمنزلة العيبة التي يودع الرجل فيها أفضل ثيابه ، وقد سقطت كلمة «نصحه» من بعض النسخ

(٣) يتألهون : يتعبدون

(٤) يسيل من عرض الوادي : يسرع السير ، وعرض الوادي : جانبه ، والقلائد : مايعلق في أعناق الهدى ليعلم أنه هدى

(٥) محله : موضعه الذي ينحر فيه ، وفي الكتاب العزيز (حتى يبلغ الهدى محله)

قريش ، ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى ، فقال لهم ذلك ، قال : فقالوا له : اجلس فانما أنت أعرابى لا علم لك .

قال ابن إسحق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن الْحُلَيْسَ غضب عند ذلك ، وقال : يامعشر قريش ، والله ماعلى هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أيُصَدُّ عن بيت الله من جاء مُعَظِّماً له ، والذى نَفْسُ الْحُلَيْسِ بيده لَتُخَلُّنَّ بين محمد و بين ماجاء له أولأنفرنَّ بالأحابيش نَفْرَةَ رجل واحد ، قال : فقالوا له : مَهْ كُفَّ عنا ياحُلَيْسُ حتى نأخذ لأنفسنا مانرضى به ،

قريش تبعث عروة بن مسعود الثقفى

قال الزهرى فى حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عُرْوَةَ ابن مسعود الثقفى ، فقال : يامعشر قريش ، إنى قد رأيت ما يَلْقَى منكم من بَعَثْتُمُوهُ إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وأنى ولد (وكان عروة لِسُبَيْعَةَ بنت عبد شمس) وقد سمعتُ بالذى نابكم فجمعتُ من أطاعنى من قومى ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى ، قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم ، فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ، ثم قال : يامحمد ، أجَمَعْتَ أوْشَابَ [1] الناس ثم جئت بهم إلى بَيْضَتِكَ لتَفُضَّها [2] بهم ، إنها قُرَيْشٌ قد خرجت معها العُوذُ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمور ، يعاهدون الله لاتدخلها عليهم عَنْوَةً [3] أبدا ، وايم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا [4] ، قال : وأبو بكر الصديق

(١) الأوشاب : الأخلاط

(٢) بيضة الرجل : أهله وقبيله ، وتفضها : أى تكسرها

(٣) عنوة ـ بفتح فسكون ـ أى : قهراً وغلبة

(٤) انكشفوا عنك : انهزموا وتركوك لعدوك

خَلْفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ، فقال : امْصُصْ بَظْر اللَّات ، أَنحْنُ نَنْكَشِفُ عنه ؟ قال : مَنْ هذا يامحمد ؟ قال : « هٰـذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ »قال : أما والله لولا يدٌ كانت لك عندى لـكافأتك بها ، ولـكن هذه بها ، قال : ثم جعل يَتَنَاول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه ، قال : والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى الحديد ، قال : فجعل يَقْرَعُ يده إذا تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : اكْفُفْ يَدَكَ عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قَبْلَ أن لاتصل إليك ، قال : فيقول عُرْوَةُ : ويحك !!! ماأفَظَّكَ وأغلظك !!! قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له عروة : من هذا يامحمد ؟ قال : « هٰذَا ابْنُ أخِيكَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ »قال : أى غُدَرُ ، وهل غَسَلْتُ سوأتك إلا بالأمس

قال ابن هشام : أراد عروة بقوله هذا أن المغيرة [بن شعبة] قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك من ثقيف ، فتهايج الحيان من ثقيف : بنو مالك رهط المقتولين ، والأحلاف رهط المغيرة ، فَوَدَى عروةُ المقتولين ثلاث عشرة دية ، وأصلح ذلك الأمر

قال ابن إسحق : قال الزهرى : فـكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو مما كلم [به] أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حربا ، فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى مايصنع به أصحابه : لايتوضأ إلا ابتدروا وَضُوءَهُ ، ولايبصق بصاقا إلا ابتدروه ، ولايسقط من شعره شيء إلا أخذوه ، فرجع إلى قريش فقال : يامعشر قريش ، إنى قد جئت كِسْرَى فى ملـكه وقَيْصَرَ فى ملـكه ، والنجاشى فى ملـكه ، وإنى والله مارأيت مَلِـكاً فى

قوم قَطُّ مثل محمد فى أصحابه ؛ ولقد رأيت قوما لايسلمونه لشىء أبدا ، فَرَوْا رأيكم

وسول الله يرسل لقريش خراش بن أمية الخزاعى

قال ابن إسحق : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خِرَاشَ بن أُمَيَّةَ الْخُزَاعِىَّ فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على بعير له يقال له الثَّعْلَب لِيُبَلِّغَ أشرافهم عنه ماجاء له ، فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا قتله ، فمنعته الأحابيش ، فَخَلَّوْا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قريش ترسل العيون لاستطلاع أخبار النبى

قال ابن إسحق وقد حدثنى بعض من لا أتهم ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، [عن ابن عباس] ، أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم ، أو خمسين رجلا ، وأمَرُوهُمْ أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا ، فأُخِذُوا أخذاً ، فأُتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعفا عنهم ، وخلَّى سبيلهم ، وقد كانوا رَمَوْا فى عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنَّبْلِ

رسول الله يبعث عثمان بن عفان

ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فيُبَلِّغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يارسول الله ، إنى أخاف قريشا على نفسى ، وليس بمكة من بنى عَدِىِّ بن كعب أحدٌ يمنعنى ، وقد عرفت قريش عداوتى إياها وغِلْظَتى عليها ، ولكنى أدُلُّكَ على رجل أعز بها منى عُثْمَان بن عفان ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ابن عفان ، فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه إنما جاء زائراً لهذا البيت ومُعَظِّمًا لحرمته

قال ابن إسحق : فخرج عثمان إلى مكة فلقيه أَبَانُ بن سعيد بن العاص ، حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بَلَّغَ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق عثمان حتى أتى

أباسفيان وعظماء قريش فَبَلَّغَهُمْ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فَطُفْ ، فقال : ما كنت لأفعل حتى يَطُوفَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحتبسته قريش عندها ، فَبَلَغَ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أنَّ عثمان بن عفان قد قُتِلَ

بيعة الرضوان

سبب البيعة

قال ابن إسحق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال — حين بلغه أن عثمان قد قتل — : « لاَ نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ الْقَوْمَ » فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفر ؛ فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الْجَدُّ بنُ قَيْسٍ أخو بنى سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول: والله لكأنى أنظر إليه لاصقاً بابط ناقته قد ضبأ إليها [1] يستتر بها من الناس ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذى ذكر من أمر عثمان باطل

لم يتخلف عن البيعة إلا الجد بن قيس

أول من بايع رسول الله

قال ابن هشام : فذكر وكيع ، عن إسمعيل بن أبى خالد ، عن الشعبى ، أن أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الأسدى .

---

(١) ضبأ إليها : لصق بها واستتر

رسول الله يبايع لعثمان بن عفان

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به ، عمن حدثه باسناد له ، عن ابن أبي مُلَيْكة ، عن ابن عمر ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان ، فضرب باحدى يديه على الأخرى

[أمر] الهُدْنَة

قال ابن إسحق : قال الزهري : ثم بَعَثَتْ قريش سُهَيْلَ بن عَمْرو أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا له : ائت محمدا فصالحه ولا يكن في صلحه إلاّ أن يرجع عنّا عامَهُ هذا ، فوالله لاتحدِّثُ العرب عنّا أنه دخلها علينا عَنْوَةً أبدا ، فأتاه سُهَيْل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال : « قَدْ أَرَادَ الْقَوْمُ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثُوا هذَا الرَّجُلَ » فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح

عمر بن الخطاب يتألم لصلح القوم

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وَثَبَ عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين؟ قال : بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فَعَلامَ نُعْطى الدَّنِيَّةَ (١) في ديننا ؟ قال أبو بكر : ياعمر ، الزم غَرْزَهُ (٢) فاني أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، ألستَ برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ،

---

(١) « نعطى الدنية » الدنية : الذل والصغار والخسيس من الأمر ، يريد لماذا نقبل من المشركين ما يعتبر هوانا لنا ومذلة

(٢) « الزم غرزه » يريد لاتحد عن طريقه ولا تختر لنفسك إلا ما يختاره ، وأصل الغرز بمنزلة الركاب للسرج

قال : فعلام نُعْطِي الدنية في ديننا ، قال : « أَنا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ لَنْ أُخَالِفَ أَمْرَهُ وَلَنْ يُضِيعَنِي » قال : فكان عمر يقول : مازلت أتَصَدَّق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ ؛ مخافةَ كلامي الَّذي تكلمت به حين رَجَوْتُ أن يكون خيرا

كتابة عقد الصلح

قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، قال: فقال سهيل : لاأعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم ، فكتبها ، ثم قال : اكتب هذا ماصالح عليه محمدٌ رسولُ الله سهيلَ بن عمرو ، قال : فقال سهيل : لوشهدت أنك رسول الله لم أُقاتلك ؛ ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب هذا ماصالح عليه محمدُ بْنُ عبد الله سهيلَ بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهنّ الناسُ ، ويكفُّ بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رَدَّه عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وأن بيننا عَيْبَةً مَكْفُوفة [1] وأنه لا إسلال ولا إغلال [2] وأنه من أحَبَّ أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنوبكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ، وأنك تَرْجِعُ عنا عَامَكَ هذا فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام

(١) « أن بيننا عيبة مكفوفة » المراد أنك تكف عنا ونكف عنك ، فاستعار هذه العبارة لذلك

(٢) الاسلال : السرقة الخفية ، والاغلال : الخيانة

قابل خَرَجْنَا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوفُ فى الْقُرُب ، لاتدخلها بغيرها

أمر أبي جندل ابن سهيل بن عمرو

فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسُهَيْلُ بن عمرو إذ جاء أبوجندل بن سهيل بن عمرو يرْسُفُ [1] في الحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لايشكون فى الفتح لِرُؤْيَا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رَأَوْا مارَأَوْا من الصلح والرجوع وما تَحَمَّل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفسه دَخَلَ [على] الناس من ذلك أمْرٌ عظيم ، حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيلٌ أبا جندل قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بِتَلْبِيبه ، ثم قال : يامحمد ، قد لَجَّت القضية [2] بيني و بينك قبل أن يأتيك هذا ، قال : « صَدَقْتَ » فجعل ينتره بتلبيبه [3] و يجره ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يَصْرُخ بأعلى صوته : يامعشر المسلمين ، أأُرَدُّ إلى المشركين يفتنوننى فى دينى ؟ ! ! فزاد [ذلك] الناسَ إلى مابهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يَاأَبَا جَنْدَلٍ ، اُصْبِرْ وَاحْتَسِبْ فَانَّ اللهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرجاً وَمَخْرَجاً ، إنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحاً وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ اللهِ وَإنَّا لاَ نَغْدِرُ بِهِمْ » قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشى إلى جنبه و يقول : اصبر يا أبا جندل ، فانما هم المشركون و إنما دم أحدهم دم كلب ، قال: ويُدْنِى قائم السيف منه ، قال : يقول عمر : رجوت أن

---

(١) يرسف : يمشى مشى المقيد

(٢) لجت القضية : انعقدت وانتهى أمرها و تمت

(٣) ينتره : يجذبه جذبا شديدا عنيفا

يأخذ السيف فيضرب به أباه . قال : فضن [1] الرجلُ بأبيه ، ونفذت القضيــة .

شهود عقد الصلح

فلما فرغ من الكتاب أُشْهِدَ على الصلح رجال من المسلمين ورجال من المشركين : أبوبكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبدالرحمن بن عَوْفٍ ، وعبد الله بن سُهَيْل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة ، ومِكْرَزُ بن حَفْص وهو يومئذ مشرك ، وعليُّ بن أبي طالب ، وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطربا [2] في الحل ، وكان يصلى فى الحرم

رسول الله يتحلل من احرامه

فلما فرغ من الصلح قام إلى هَدْيه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، وكان الذى حلقه ــ فيما بلغنى فى ذلك اليوم ــ خِرَاشُ بن أُمَيَّةَ بن الفضل الخزاعى ، فلما رأى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلق تواثبوا يَنْحَرُون و يحلقون

حلق رجال وقصر آخرون

قال ابن إسحق : فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : حلق رجالٌ يوم الحديبية وقَصَّر آخرون ، فقال رسو الله صلى الله عليه وسلم « : يَرْحَمُ اللهُ الْمُحَلِّقِينَ » قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحلقين » قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحلقين » قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : « والمقصرين »

---

(١) ضن الرجل بأبيه : بخل به ولم يقبل أن يقتله

(٢) « مضطربا فى الحل » قال أبو ذر : « معناه أن أبنيته كانت مضروبة فى الحل ، وكانت صلاته فى الحرم ، وهذا لقرب الحديبية من الحرم » اه

فقالوا : يارسول الله ، فلم ظاهرت الترحيم [1] للمحلقين دون المقصرين ؟
قال : « لم يشكوا »

رسول الله يهدى جملا فى أنفه برة من فضة

وقال عبد الله بن أبى نجيح : حدثنى مجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَهْدَى عام الحديبية فى هداياه جَملاً لأبى جهل فى رأسه بُرَةٌ من فضة [2] يَغيظُ بذلك المشركين

رجوع الرسول ونزول سورة الفتح

قال الزهرى فى حديثه : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلا ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح (٤٨ : ١ ـ ٠٠٠) : (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً) ثم كانت القصة فيه وفى أصحابه حتى انتهى إلى ذكر البيعة فقال جل ثناؤه : (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) ثم ذكر من تخلَّف عنه من الأعراب ، ثم قال حين استنفرهم للخروج معه فأبطأوا عليه : (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا) ثم القصة عن خبرهم حتى انتهى إلى قوله : (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا

---

(١) المظاهرة : المعاونة والقوة ، ومعنى هذه العبارة : لم قويت دعاءك للمحلقين بتكريرك إياه

(٢) البرة ـ بضم الباء وتخفيف الراء ـ حلقة تجعل فى أنف البعير ليذل وينقاد ، وأكثر ماتكون من صفر ، وإذا اتخذت من شعر سميت خزامة ، فاذا اتخذت من خشب فهى خشاش ، قال ابن الأثير : « البرة حلقة تجعل فى لحم الأنف ، وربما كانت من شعر ، وأصلها بروة ، وتجمع على برى وبرات وبرين ، بضم الباء فيهن » اهـ وذكر المجد كسر الباء فى آخر الجموع أيضا

انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا [كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ]) ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس قال : فارس

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم ، عن الزهرى ، أنه قال : أولو البأس الشديد : حَنِيفَةُ مع الْكَذَّاب (١)

ثم قال الله تعالى : (لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً)

ثم ذكر مَحْبِسه وكَفَّه إياه عن القتال بعد الظفر منه بهم ، يعنى النفر الذين أصاب منهم وكفهم عنه ، ثم قال تعالى : (وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً) ثم قال تعالى : (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْىَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ)

قال ابن هشام : المعكوف : المحبوس ، قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

---

(١) أراد بالكذاب مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة بعد النبى صلى الله عليه وسلم وأعانه على ذلك قوم من الأعراب منهم بنو حنيفة

وَكَأَنَّ السُّمُوطَ عَـكَّفَهَا السِّلْـ ـكُ بِعِطْفَىْ جَيْدَاءَ أُمِّ غَزَالِ (١)

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن إسحق : (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ) وَالْمَعَرَّةُ : الغُرْم ، أى : أن تصيبوا منهم [معرةً] بغير علم فتخرجوا ديته ، فأما إثم فلم يخشه عليهم .

قال ابن هشام : بلغنى عن مجاهد أنه قال : نزلت هذه الآية فى الوليد ابن الوليد بن المغيرة وَسَلَمَةَ بن هشام ، وعيّاش بن أبى ربيعة ، وأبى جَنْدَلِ بن سهيل ، وأشباههم .

قال ابن إسحق : ثم قال تبارك وتعالى : (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) يعنى سهيل بن عمرو حين حمى أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وأن محمداً رسول الله ، ثم قال تعالى : (فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا) أى : التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ثم قال تعالى : (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا) أى : لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى رأى أنه سيدخل مكة آمناً لا يخاف ، يقول : (مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ) معه (لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ) مِنْ ذَلِكَ (مَا لَمْ

---

(١) السموط : جمع سمط ، وهو ما يعلق من القلادة على الصدر ، والسلك : الخيط الذى ينظم فيه العقد ، والجيداء : المرأة الطويلة الجيد ، والجيد : هو العنق

تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) صلح الحديبية ، يقول الزهرى : فما فُتِحَ فى الاسلام فَتْحٌ قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ووُضِعَت الحرب وَأَمِنَ الناس بَعْضُهم بعضاً والْتَقَوْا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ولم يُكَلَّمْ أحد فى الاسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه ، ولقد دخل فى تينك السنتين مثل من كان فى الاسلام قبل ذلك أو أكثر

قال ابن هشام : والدليل على قول الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية فى ألف وأربعمائة فى قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة ، بعد ذلك بسنتين ، فى عشرة آلاف

ماجرى عليه أمرُ قومٍ من الْمُسْتَضْعَفِينَ بعد الصُّلْح

أمر أبى بصير عتبة ابن أسيد

قال ابن إسحق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بَصِيرٍ عُتْبَةُ بن أسيد بن جارية ، وكان ممن حُبِسَ بمكة ، فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فيه أَزْهَرُ بن عبد عَوْفِ بن عبد الحرث بن زُهْرَة والأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثقفى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبَعَثَا رجلاً من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم ، فَقَدِمَا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الأزهر والأخنس ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بصير ، إنَّا قد أعطينا هؤلاء القومَ ماقد عَلِمتَ ، ولا يصلح لنا فى ديننا الْغَدْرُ ، و إنَّ الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فَرَجاً وَمَخْرَجًا ، فانطلق إلى قومك » قال : يارسول الله ، أتردُّنى إلى المشركين يفتنوننى فى دينى ؟ قال : « يا أَبَا بَصِيرٍ ، انطلق ، فان الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فَرَجًا وَمَخْرجاً »

فانطلق معهما ، حتى إذا كان بذى الْحُلَيْفَةِ جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بصير : أصَارِمٌ سَيْفُكَ هذا يا أخا بنى عامر ؟ فقال : نعم ، قال : أنظر إليه ؟ قال : انظر إن شئت ، قال : فاسْتَلَّهُ أبو بصير ، ثم علاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم طالعا قال : « إِنَّ هٰذَا الرَّجُلَ قَدْ رَأَى فَزَعاً » فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « وَيْحَكَ ! ! مَالَكَ ؟ » قال : قَتَلَ صاحبكم صاحبى ، فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير مُتَوَشِّحاً بالسيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، وَفَتْ ذِمَّتُكَ ، وَأَدَّى اللهُ عَنْكَ أَسْلَمْتَنِي بيد القوم ، وقد امتنعتُ بدينى ان أُفْتَنَ فيه أو يُعْبَثَ بى ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَيْلُ أُمِّهِ مِحَشّ حَرْبٍ(١) لَوْ كَانَ مَعَهُ رِجَالٌ » ثم خرج أبو بصير حتى نزل العِيصَ من ناحية ذى الْمَرْوَةَ على ساحل البحر بطريق قُرَيْش التى كانوا يأخذون [عليها] إلى الشأم ، وبلغ المسلمين الذين كانوا حُبِسُوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بصير « وَيْلُ أمه مِحَشّ حَرْبٍ لَوْ كَانَ مَعَهُ رِجَالٌ » فخرجوا إلى أبى بصير بالعيص ، فاجتمع إليه منهم قريب من سَبْعِين رجلا ، وكانوا قد ضَيَّقُوا على قريش : لا يَظْفَرُونَ بأحدٍ منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم عير إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم ، فآواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة

---

(١) محش حرب : أى أنه يوقد الحرب ويهيجها ويشعل نارها ، تقول : حش فلان النار يحشها ، إذا أوقدها وجمع لها الحطب

قال ابن هشام : أبو بصير ثقفى

قال ابن إسحق : فلما بلغ سهيل بن عمرو قتل أبو بصير صاحبهم العامرى أسند ظهره إلى الكعبة ثم قال : والله لا أؤخر ظهرى عن الكعبة حتى يُودَى هذا الرجل ، فقال أبو سفيان بن حرب : والله إن هذا لهو السَّفَه ، والله لا يُودَى ، ثلاثا ، فقال فى ذلك موْهَبُ بن رباح أبو أُنَيْسٍ حليفُ بنى زهرة

قال ابن هشام : أبو أنيس : أشعرىٌّ .

كلمة لأبى أنيس موهب بن رباح فى حادث أبى بصير

أَتَانِى عَنْ سُهَيْلٍ ذَرْوُ قَوْلٍ فَأَيْقَظَنِى وَمَا بِى مِنْ رُقَادِ (١)

فَإِنْ تَكُنِ الْعِتَابَ تُرِيدُ مِنِّى فَعَاتِبْنِى فَمَا بِكَ مِنْ بِعَادِ

أَتُوعِدُنِى وَعَبْدُ مَنَافَ حَوْلِى بِمَخْزُومٍ ؟ أَلَهْفِى مَنْ تُعَادِى (٢)

فَإِنْ تَغْمِزْ قَنَاتِى لاَ تَجِدْنِى ضَعِيفَ الْعُودِ فِي الْكُرَبِ الشِّدَادِ (٣)

أُسَامِى الْأَكْرَمِينَ أَبًا بِقَوْمِى إِذَا وَطِىءَ الضَّعِيفُ بِهِمْ أُرَادِى (٤)

---

(١) « ذرو قول » قال أبو ذر : « أى طرف قول ، وهو مهموز ، ويروى بالواو ، والصواب فيه الهمز » اه

(٢) توعدنى : تتهددنى ، وقد منع « عبد مناف » من الصرف للضرورة

(٣) « تغمز قناتى » أراد إن تجربنى وتبلنى وتختبرنى ، والكرب : جمع كربة ـ بضم الكاف فيهما ـ والشداد : جمع شديدة ، يريد أنه يجده قويا عند الحوادث الجسام

(٤) أسامى : أعالى وأفاخر ، وأرادى : أرامى ، تقول : راديته ؛ إذا راميته

هُمُ مَنَعُوا الظَّواهِرَ غَيْرَ شَكٍّ ... إلَى حَيْثُ الْبَوَاطِنُ فَالْعَوَادِي (١)
بِكُلِّ طِمِرَّةٍ وَبِكُلِّ نَهْدٍ ... سَوَاهِمَ قَدْ طُوِينَ مِنَ الطِّرَادِ (٢)
لَهُمْ بِالْخِيفِ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... رِوَاقُ الْمَجْدِ رُفِّعَ بِالْعِمَادِ (٣)

فأجابه عبد الله بن الزِّبَعْرَى، فقال :—

عبدالله بن الزبعرى يجيب أبا أنيس

أَمْسَى مَوْهَبٌ كَحِمَارِ سَوْءٍ ... أَجَازَ بِبَلْدَةٍ فِيهَا يُنَادِي (٤)
فَإِنَّ الْعَبْدَ مِثْلَكَ لَا يُنَاوِي ... سُهَيْلاً ضَلَّ سَعْيُكَ مَنْ تُعَادِي (٥)
فَأَقْصِرْ يَاابْنَ قَيْنِ السُّوءِ عَنْهُ ... وَعَدِّ عَنِ الْمَقَالَةِ فِي الْبِلَادِ (٦)
وَلَا تَذْكُرْ عِتَابَ أَبِي يَزِيدٍ ... فَهَيْهَاتَ الْبُحُورُ مِنَ الثِّمَادِ (٧)

أمر المؤمنات المهاجرات بعد المدنة

وهاجَرَتْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أُمُّ كُلْثُوم بنتُ عُقْبَة بن أبي مُعَيْطٍ فى تلك المدة، فخرج أَخَوَاها عِمَارة والْوَليد ابنا عُقْبَة حتى قدما

---

(١) الظواهر : ماعلا من مكة؛ والبواطن : ماانخفض منها ؛ والعوادى : جوانب الأودية

(٢) طمرة : هى الفرس الوثابة السريعة ؛ والنهد : الغليظ ؛ والسواهم : العوابس المتغيرة ؛ واحدها ساهم ، تقول : فلان ساهم الوجه ؛ إذا كان عابسا ، وطوين : ضعفن وضمرن ، والطراد : مطاردة فرسانها أعاديهم

(٣) الخيف : موضع بمنى ، والرواق : ضرب من الأخبية

(٤) « أمسى موهب » قد حذف من صدر هذا البيت حرفا ، وذلك جائز، كما تجوز زيادة حرف أو أكثر ، وقوله : « أجاز ببلدة » معناه جازها وقطعها .

(٥) لا يناوى : أى لايعادى ، وأصله « لايناوىء » بالهمزة فترك الهمزة لضرورة الشعر .

(٦) القين — بفتح القاف وسكون الياء المثناة — الحداد

(٧) الثماد — بكسر الثاء المثلثة — الماء القليل

على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يَرُدَّهَا عليهما بالعهد الذى بينه و بين قريش فى الحديبية ، فلم يفعل ، أَبَى اللهُ ذلك

قال ابن إسحق : فحدثنى الزُّهْرِىُّ ، عن عُرْوة بن الزبير ، قال : دَخَلْتُ عليه وهو يكتب كتابا إلى ابن أبى هُنَيْدَة صاحب الوليد بن عبد الملك ، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى (٦٠ : ١٠) : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَاهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَاهُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَاأَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ)

قال ابن هشام : واحدة العِصَمِ : عِصْمَة ، وهى الحَبْل والسَّبَب ، قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة : —

إِلَى الْمَرْءِ قَيْسٍ نُطِيلُ السُّرَى ... وَنَأْخُذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عِصَمْ

وهذا البيت فى قصيدة له

(واسْئَلوا مَاأَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا مَاأَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) قال : فكتب إليه عُرْوَةُ بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صالح قريشا يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه ، فلما هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و إلى الاسلام أبى الله أن يُرْدَدْنَ إلى المشركين إذا هُنَّ امْتُحِن بمِحْنَةِ الاسلام فعرفوا أنهن إنما جئن رغْبَةً فى الاسلام ، وأمر بِرَدِّ صَدُقاتِهن إليهم إن احتبسن عنهم إن هم رَدُّوا على المسلمين صَدَاق من حَبَسُوا عنهم من نسائهم ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم ، فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ، وَرَدَّ الرجال ، وسأل الذى

أمره الله به أن يَسْأل من صَدُقات نســاء من حَبَسُوا منهن ، وأن يردوا عليهم مثل الذى يردون عليهم إنْ هُمْ فَعَلُوا ، ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لردَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم النساء كما ردَّ الرجال ، ولولا الهدنة والعهدُ الذى كان بينه و بين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يَرْدُدْ لهنَّ صدَاقًا ، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمـات قبل العهد

قال ابن إسحق : وسألتُ الزهريَّ عن هذه الآية وقول الله عز وجل فيها : (وإنْ فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِنْ أزْوَاجِكُمْ إلى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُم فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أزْواجُهُم مِثْلَ مَاأنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى أنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) فقال : يقول : إن فات أحداً منكم أهْلُه إلى الكفار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذى يأخذون منكم ، فَعَوِّضُوهُمْ من فَىْءٍ إن أصبتموه

فلما نزلت هـذه الآية (يَاأيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذا جَاءَكُم الْمُـؤْمِنَاتُ مهَاجِرَاتٍ)إلى قوله عز وجل (وَلاَ تُمسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرْ) كان ممن طَلَّقَ عُمَرُ بن الخطاب [طَلَّقَ] امرأتَهُ قُرَيْبَةَ بنت أبى أمية بن المغيرة ، فتزوجها بعده معاوية بن أبى سفيان ، وهما على شركهما بمكة ، وأمَّ كُلثُوم بنت جَرْوَل أمَّ عُبَيْد الله بن عمر الخُزَاعِيَّةَ فتزوجها أبو جَهْم بن حُذَيفَةَ ابن غانم ، رجل من قومه ، وهما على شركهما

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة أن بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما قدم المدينة : ألم تقل يارسول الله إنَّكَ تدخل مكة آمنا ؟ قال : «بَلَى أفَقُلْتُ لَكُمْ مِنْ عَامِى هَذَا؟ »قالوا : لا، قال : «فَهُوَ كَمَا قَالَ لِى جِبْرِيلُ عَلَيْه السلام»

ذكر المسير إلى خَيْبر [فى المحرَّم سَنَةَ سَبْعٍ]

بسم الله الرحمن الرحيم

[قال : حدثنا أبومحمدعَبْدُ الملك بن هشام قال : حدثنا زيادُ بْنُ عبد الله الْبَكَّائِىُّ ، عن محمد بن إسحق الْمُطَّلِبِىُّ قال :]

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة — حين رجع من الحديبة — ذا الحجة وبعض المحرم ، وولى تلك الحجة المشركون ، ثم خرج فى بقية المحرم إلى خيبر .

عامل رسول الله على المدينة وحامل رايته فى غزاة خيبر

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُمَيْلَةَ بن عبد الله الليثى ، ودفع الراية إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكانت بيضاء .

أمر عامر بن الاكوع

قال ابن إسحق : فحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحرث التَّيْمِى ، عن أبى الهيثم بن نصر بن دَهْر الأسلمى ،[1] أن أباه حدثه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع وهو عم سَلَمَةَ ابن عمرو بن الأكوع ، وكان اسم الأكوع سنان : «انْزِلْ يَاابْنَ الْأَكْوَعِ نَخُذْ لَنَا مِنْ هَنَاتِكَ »[2] قال : فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : —

---

(١) « نصر بن دهر » هذا هو الصواب وهو الذى قاله الدار قطنى ، وحكى أبو ذر أنه وقع فى نسخ السيرة « نصر بن رهم »

(٢) الهناة : جمع هنة ، ويكنى بها تارة عن القبيح ، وتارة أخرى عن الحقير ، والمراد ههنا الثانى ، كأنه حقر من أمر الشعر لما يتخلله غالبا من الكذب وتجاوز الحد المعقول ، وإن كان من الشعر ماهو حكمة ، كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم

وَاللهِ لَوْلاَ اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا
إِنَّا إِذَا قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنَا ... وإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا [1]

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يَرْحَمُكَ اللهُ » فقال عمر بن الخطاب : وجبت والله يارسول الله ، لو أمْتَعْتَنَا به ، فَقُتِلَ يوم خيبر شهيداً ، وكان قتله ـ فيما بلغنى ـ أن سيفه رجع عليه وهو يقاتل فكَلَمَهُ كَلْماً شديداً [2] ، فمات منه ، فكان المسلمون قد شَكُّوا فيه ، وقالوا : إنما قتله سلاحه ، حتى سأل ابنُ أخيه سلمةُ بنُ عَمْرِو بن الأكوع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وأخبره بقول الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهُ لَشَهِيدٌ » وصلَّى عليه ، فصلى عليه المسلمون .

دعاء رسول الله حين أشرف على خيبر

قال ابن إسحق : حدثنى من لا أتهم ، عن عطاء بن أبى مَرْوَان الأسْلمى عن أبيه ، عن أبى مُعَتِّب بن عمرو ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم : « قِفُوا » ثم قال : « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمٰوَاتِ وَمَا أَظْلَلْنَ وَرَبَّ الْأَرَضِينَ وَمَا أَقْلَلْنَ وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا أَذْرَيْنَ فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا ، أَقْدِمُوا بِسْمِ اللهِ » قال : وكان يقولها عليه السلام لكل قرية دخلها .

قول عمال خيبر لما راوا النبى

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم ، عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوماً لم يُغِرْ عليهم حتى يُصْبِحَ ، فإن سمع أذَاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً أغار ، فنزلنا خيبر لَيْلاً ، فبات

---

(١) السكينة : الوقار والتثبيت

(٢) كلمه كلما شديدا : جرحه جرحا بليغا

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا أصبح لم يسمع أذانا ، فركب وركبنا معه ، فركبت خاف أبي طلحة وَإنَّ قَدَمِي لَتَمَسُّ قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَاسْتَقْبَلَنَا عُمَّالُ خيبر غادين ، قد خرجوا بمساحيهم (١) ومَكَاتِلِهِمْ (٢) فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش قالوا : محمدٌ والخميس (٣) معه ، فأدبروا هرَّاباً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهُ أَكْبَرُ ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ ، إنَّا إذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ »

قال ابن إسحق : حدثنا هرُونُ ، عن حُمَيْد ، عن أنس ، بمثله

منازل رسول الله في خروجه إلى خيبر

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عِصْرٍ ، فَبُنِيَ له فيها مسجد ، ثم على الصهباء ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيشه حتى نزل بواد يقال له الرَّجيع فنزل بينهم وبين غَطَفَان ليحول بينهم وبين أن يُمِدُّوا أَهْلَ خيبر ، وكانوا لهم مُظَاهرين (٤) على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغني أن غَطَفَان لما سمعت بمنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر جَمَعُوا له ، ثم خرجوا ليظاهروا يَهُودَ عليه ، حتى إذا ساروا مَنْقَلَةَ (٥) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حِسًّا ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على

---

(١) المساحي : جمع مسحاة ، وهي الفأس

(٢) المكاتل : جمع مكتل ، وهي قفة كبيرة ، ويقال لها الزنبيل

(٣) الخميس : الجيش ، وسبب تسمية الجيش بذلك أنه خمسة أقسام : مقدمة ، وساقة ، وقلب ، وميمنة ، وميسرة ، وفي القلب يكون قائد الجيش

(٤) مظاهرين : معاونين

(٥) « منقلة » في نسخة « مرحلة » وهما بمعنى واحد

أعقابهم ، فأقاموا فى أهليهم وأموالهم ، وَخَلَّوْا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خَيْبَر

افتتاح رسول الله الحصون وأخذه الاموال

وَتَدَنَّى (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموالَ يأخذها مالا مالا ، ويفتتحها حصناً حصناً ، فكان أول حصونهم افْتُتِحَ حِصْنُ نَاعِمٍ ، وعنده قتل محمود بن مَسْلَمَة أُلْقِيَتْ عليه منه رحاً فقتلته

ثم الْقَموص حِصْن بنى أبى الْحُقَيْق . وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبايا : منهنّ صَفِيَّة بنت حُيَيّ بن أَخْطَب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الْحُقَيْق ، وبنتى عَمٍّ لها ، فاصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صَفِيَّةَ لنفسه ، وكان دِحْيَة بن خليفة الْكَلْبِيُّ قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفيةَ فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتى عمها ، وفشت السبايا من خيبر فى المسلمين .

رسول الله ينهى يوم خيبر عن أشياء

وأكل المسلمون لحوم الْحُمُر [الأهلية] من حُمُرها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى الناس عن أمور سَمَّاها لهم .

قال ابن إسحق: فحدثنى عبد الله بن عمرو بن ضَمْرَة الْفَزَارى ، عن عبد الله بن أبى سليط ، عن أبيه ، قال : أتانا نَهْى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل لحوم الحمر الأنسية وَالْقُدُورُ تفور بها ، فكفأناها على وجوهها .

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مكحول ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاهم يومئذ عن أربع : عن إِتْيَانِ الْحَبَالَى من السبايا ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع ، وعن بيع المغانم حتى تُقْسَم

---

(١) « وتدنى » أى أخذ الأدنى فالأدنى

وحدثنى سَلاَّم بن كِرْكِرَةَ ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبدالله الأنصارى ، ولم يشهد جابر خيبر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذِنَ لهم فى [أكل] لحوم الخيل .

قال ابن إسحق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى مرزوق مولى تجيب ، عن حنش الصنعانى ، قال : غزونا مع رُوَيْفِع بن ثابت الأنصارى المغرب ، فافتتح قَرْيَةً من قرى المغرب يقال لها جَرْبَة ، فقام فينا خطيباً ، فقال : أيها الناس ، إنى لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله فينا يوم خيبر ، قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسْقِيَ ماءَهُ زَرْعَ غَيْرِهِ يعنى إتيان الحبالى من السبايا حتى يستبرئها « وَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُصِيبَ امْرَأَةً مِنَ السَّبْيِ حَتَّى يَسْتَبْرِئَهَا وَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَبِيعَ مَغْنَماً حَتَّى يُقْسَمَ ، وَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَرْكَبَ دَابَّةً مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى إِذَا أَعْجَفَهَا رَدَّهَا فِيهِ ، وَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَلْبَسَ ثَوْباً مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى إِذَا أَخْلَقَهُ رَدَّهُ فِيهِ »

قال ابن إسحق : وحدثنى يزيد بن عبد الله بن قُسَيْط ، أنهُ حُدِّث ، عن عُبَادة بن الصامت ، قال : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن أن نبيع أو نبتاع تِبْرَ الذَّهَب بالذهب الْعَيْن ، وتبر الفضة بِالْوَرِقِ الْعَيْنِ ، وقال : « ابْتَاعُوا تِبْرَ الذَّهَبِ بِالْوَرِقِ العين وَتِبْرَ الْفِضَّةِ بِالذَّهَبِ الْعَيْنِ »

قال ابن إسحق : ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَدَنَّى الحصونَ والأموال

أمر بنى سهم الاسلميين

فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدثه بعضُ أسلم أن بنى سَهْم من أسلم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : والله يارسول الله ، لقد جُهِدْنَا وما بأيدينا من شيء ، فلم يجدوا عند رسول الله صلي الله عليه وسلم شيئا يعطيهم إياه ، فقال : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ حَالَهُمْ وَأَنْ لَيْسَتْ بِهِمْ قُوَّةٌ وأَنْ لَيْسَ بِيَدِى شَىْءٌ أُعْطِيهِمْ إِيَّاهُ فَافْتَحْ عَلَيْهِمْ أَعْظَمَ حُصُونِهَا عَنْهُمْ غَنَاءً وَأَكْثَرَهَا طَعَاماً وَوَدَكاً » فغدا الناس ، ففتح الله عز وجل عليهم حِصْنَ الصَّعْب بن مُعَاذ ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاما وَوَدَكاً منه

شأن مرحب ومقتله

قال ابن إسحق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز انْتَهَوْا إلى حِصْنَيهِم الْوَطِيح والسُّلاَلم ، وكانا آخر حصون أهل خيبر افتتاحا ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة

شعار المسلمين يوم خيبر

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر « يَامَنْصُور أَمِتْ أَمِتْ » .

خروج مرحب للقتال وادلاله بنفسه

قال ابن إسحق : فحدثنى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل أخو بنى حارثة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج مَرْحَبٌ اليهودى من حصنهم قَدْ جمع سلاحه يرتجز وهو يقول : —

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّى مَرْحَبُ شَاكِى السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ (١)

---

(١) شاكى السلاح : يريد أن سلاحه حاد ماض ، وأصل شاك شائك

أَطْعُنُ أَحْيَانًا وَحِينًا أَضْرِبُ إِذَا اللُّيُوثُ أَقْبَلَتْ تُحَرَّبُ (١)
إِنَّ حِمَايَ لَلْحِمَي لاَ يُقْرَبُ [يُحْجِمُ عَنْ صَوْلَتِيَ الْمُجَرِّبُ]

وهو يقول : من يبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك فقال : —

كعب بن مالك يجيب مرحبا

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّى كَعْبُ مُفَرِّجُ الْغَمَّا جَرِىءٌ صُلْبُ (٢)
إِذْ شُبَّتِ الْحَرْبُ تَلَتْهَا الْحَرْبُ مَعِى حُسَامٌ كَالْعَقِيقِ عَضْبُ (٣)
نَطَؤُكُمْ حَتَّي يَذِلَّ الصَّعْبُ نُعْطَى الْجَزَاءَ أَوْ يَفِيءَ النَّهْبُ (٤)
بِكَفِّ مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ عَتْبُ (٥)

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى :—

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّى كَعْبُ وَأَنَّنِى مَتَى تُشَبَّ الْحَرْبُ
مَاضٍ عَلَى الْهَوْلِ جَرِىءٌ صُلْبُ مَعِى حُسَامٌ كَالْعَقِيقِ عَضْبُ
بِكَفِّ مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ عَتْبُ نَدُكُّكُمْ حَتَّى يَذِلَّ الصَّعْبُ

قال ابن هشام : ومَرْحب من حمير

فقدم الكاف وقلب الهمزة ياء ، أو حذف الهمزة من غير أن يؤخرها ، ومجرب : قد جربوه فى الشدائد

(١) تحرب – بالحاء والراء المهملتين مبنيا للمجهول – أى تغضب ، وتقول : حرب الرجل حربا – كفرح فرحا – إذا غضب

(٢) الغما : الكربة والشدة ، والجرىء : الشجاع المقدم ، والصلب : الشديد

(٣) شبت : أوقدت وهيجت ، والعقيق : شعاع البرق ، شبه به السيف

(٤) أراد بالجزاء هنا الجزى ، وهو جمع جزية ، والنهب : ما انتهب من الأموال

(٥) ليس فيه عتب : يريد ليس فيه ما يلام عليه

مقتل مرحب اليهودى

قال ابن إسحق : فحدثنى عبد الله بن سهل ، عن جابر بن عبد الله [الأنصارى] ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لِهٰذَا » ؟ قال محمد بن مسلمة : أنا له يارسول الله ، أنا والله المَوْتُورُ الثائر ، قُتِلَ أخى بالأمس، فقال : « فَقُمْ إِلَيْهِ اللَّهُمَّ أَعِنْهُ عَلَيْهِ » قال : فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شَجَرَةٌ عُمْرِيَّةٌ(١) من شَجَرِ العُشَرِ(٢) ، فجعل أحدهما يلوذ بها(٣) من صاحبه ؛ كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه مادونه منها ، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرجل القائم ، ما فيها فَنَنٌ(٤) ، ثم حمل مَرْحَبٌ على محمد بن مَسْلَمَةَ فضربه فَاتَّقَاه بِدَرَقَةٍ فوقع سيفه فيها ، فَعَضَّتْ به فأمسكته ، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله

مقتل ياسر أخى مرحب

قال ابن إسحق : ثم خرج بعد مَرْحَبٍ أخوه ياسِر ، وهو يقول : مَنْ يُبَارِز ؟ فزعم هشام بن عروة أن الزُّبَيْرَ بن العَوَّامِ خرج إلى ياسر ، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب : يَقْتُلُ ابنى يارسول الله ، قال : « بَلِ ابْنُكِ يَقْتُلُهُ إِنْ شاء الله » فخرج الزبير ، فالتقيا ، فقتله الزبير

[قال ابن إسحق] : فحدثنى هشام بن عروة ، أن الزبير كان إذا قيل له: والله إن كان سيفك يومئذ لَصَارِماً عَضْباً ، قال : والله ما كان صارما ، ولكنى أكرهته

شأن على بن أبى طالب رضى الله عنه

قال ابن إسحق: وحدثنى بُرَيْدَةُ بن سفيان بن فَرْوَةَ الأسلمى ، عن أبيه سفيان ، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع ، قال : بَعَثَ رسولُ الله

---

(١) عمرية : أى قديمة طويلة العمر

(٢) العشر ـ بضم العين وفتح الشين ـ شجر له صمغ

(٣) يلوذ بها : يلجأ إليها ويستتر بها من عدوه

(٤) فنن ـ بفتح الفاء والنون ـ غصن

صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه برايته ، [وكانت بيضاء فيما قال ابن هشام] ، إلى بعض حصون خَيْبَرَ ، فقاتل فرجع ولم يك فَتْحٌ وقد جُهِدَ (١) ، ثم بعث الْغَدَ عمر بن الخطاب ، فقاتل ثم رجع ولم يك فتح ، وقد جُهِد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ لَيْسَ بِفَرَّارٍ » قال : يقول سلمة : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًّا رضوان الله عليه ، وهو أَرْمَدُ (٢) فتفَلَ فى عينه (٣) ، ثم قال : « خُذْ هٰذِهِ الرَّايَةَ فَامْضِ بِهَا حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْكَ » قال : يقول سلمة : فخرج والله بها يأْنِحُ (٤) يُهَرْوِلُ هَرْوَلَةً (٥) ، وإنَّا لَخَلْفَهُ نَتْبَع أثره حتى رَكَزَ رايته فى رَضْمٍ (٦) من حجارة تحت الحصن ، فاطلع إليه يهودىٌّ من رأس الحصن ، فقال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا على بن أبى طالب ، قال : يقول اليهودى : عَلَوْتُم وما أُنْزِلَ على موسى ، أو كما قال ، قال : فما رَجَعَ حتى فتح الله على يديه

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الله بن الحسن ، عن بعض أهله ، عن أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجنا مع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه — حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) جهد : أصابه جهد ومشقة

(٢) الأرمد : هو الذى فى عينه الرمد ، وهو وجع فيها

(٣) فتفل : أى بصق

(٤) « يأنح » قال فى القاموس : « أنح يأنح أنحا وأنيحا وأنوحا : زحر من ثقل يجده من مرض أو بهر » اه

(٥) يهرول : يسرع ، والهرولة : فوق المشى ودون الجرى

(٦) الرضم : الحجارة المجتمعة

برايته — فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله ، فقاتلهم ، فضربه رجل من يهود ، فطرح تُرْسَهُ من يده ، فتناولَ على عليه السلام بابا كان عند الحصن ، فَتَرَّسَ به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ؛ فلقد رَأَيْتُنِي فى نفر سبعة معى أنا ثامنهم نَجْهَدُ على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه .

شأن أبى اليسر كعب بن عمرو

قال ابن إسحق : وحدثنى بُرَيْدَة بن سُفْيَان الأسلمى ، عن بعض رجال بنى سلمة ، عن أبى الْيَسَرِ كعب بن عمرو ، قال : [والله] إنَّا لَمَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ذات عَشِيَّةٍ إذ أقبلت غَنَمٌ لرجل من يهود تريد حصنهم ، ونحن محاصروهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ رَجُلٌ يُطْعِمُنَا مِنْ هَذِهِ الْغَنَمِ » قال أبو اليسر : فقلت : أنا يارسول الله ، قال: « فافْعَلْ» قال: فخرجت أشْتَدُّ [(١)] مثل الظَّلِيم [(٢)] ، فلما نظر إلىَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُوَلِّيًا قال:«اللَّهُمَّ أَمْتِعْنَا بِهِ» قال : فأدركت الغنم ، وقد دخلت أُولاَهَا الحصنَ ، فأخذت شاتَين من أُخْرَاهَا ، فاحْتَضَنْتُهُما [(٣)] تحت يدى ، ثم أقبلت بهما أشْتَدُّ كأنه ليس معى شىء حتى ألقيتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذبحوهما فأكلوهما ، فكان أبو اليَسَرِ من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هَلاَكًا ، فكان إذا حدث هذا الحديث بكى ، ثم قال : أُمْتِعُوا بِى لَعَمْرِى حَتَّى كنتِ من آخرهم [هُلْكًا]

---

(١) أشتد :أسرع فى الجرى

(٢) الظليم : ذكر النعام

(٣) احتضنتهما : جعلتهما فى حضنى ، وحضن الرجل : ماتحت إبطه إلى خاصرته

شأن صفية بنت حيي

قال ابن إسحق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم القَمُوصَ حِصنَ بنى أبى الحُقَيقِ أُتِىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بصَفِيَّةَ ابنة حُيَيّ بن أخطب ، وبأخرى معها ، فمرَّ بهما بِلَالٌ — وهو الذى جاء بهما — على قَتلَى من قتلى يهود ، فلما رأتهم التى مع صفية صاحت وَصَكَّتْ وجهها وَحَثَتْ الترابَ على رأسها ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَعْزِبُوا [١] عَنِّى هذِهِ الشَّيْطَانَةَ » وأمر بصفية فَحِيزَتْ خَلْفَه ، وألقى عليها رداءه ، فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال — فيما بلغنى ، حين رأى بتلك اليهودية ما رأى — : « أَنُزِعَتْ مِنْكَ الرَّحْمَةُ يَا بِلَالُ حِينَ تَمُرُّ بامْرَأَتَينِ عَلَى قَتلَى رِجَالِهِمَا » وكانت صفية قد رأت فى المنام — وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيقِ — أن قمراً وقع فى حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها ، فقال : ماهذا إلا أنك تَمَنَّيْنَ مَلِكَ الحِجَازِ محمداً ، فلطم وجهها لَطْمَةً خَضَّرَ عينها منها ، فأُتِىَ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أَثَرٌ منه ، فسألها ماهو ، فأخبرته هذا الخبر

بقية أمر خيبر

شأن كنانة بن الربيع ومقتله

وأُتِى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كنز بنى النَّضير ، فسأله عنه ، فَجَحَدَ أن يكون يعرف مكانه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من يهود ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى رأيت كِنَانَةَ يُطِيف بهذه الخَرِبَةِ كلَّ غَدَاةٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة : « أَرَأَيْتَ إِنْ وَجَدْنَاهُ عِنْدَكَ

---

(١) أعزبوا : باعدوا ، وهى فى بعض النسخ بالغين المعجمة والراء المهملة ، وفى بعضها بالعين المهملة والزاى . وكلاهما صحيح ، وبهذا المعنى

أَأَقْتُلُكَ؟ » قال: نعم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالْخَرِبة فحُفِرَتْ فأخرج منها بعضُ كَنْزِهم ، ثم سأله عما بقي فأبى أن يُؤَدِّيه ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزُّبَيْرَ بن الْعَوَّام ، فقال : « عَذِّبْهُ حَتَّى تَسْتَأْصِلَ مَاعِنْدَهُ » فكان الزبير يَقْدَح بزَنْدٍ فى صدره ، حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مَسْلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة

حصار رسول الله أهل خيبر ، وصلحه معهم

وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر فى حِصْنَيْهِم الْوَطيح والسُّلَالِم حتى إذا أيقنوا بالْهَلَكَة سألوه أن يُسَيِّرهم (١) وأن يحقن [لهم] دماءهم، ففعل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كُلَّها : الشَّقَّ ، ونَطَاةَ والْكَتِيبةَ ، وجميع حصونهم إلا ما كان من ذَيْنِكَ الحصنين ، فلما سمع بهم أهلُ فَدَكَ قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يُسَيِّرهم (١) وأن يحقن دماءهم ، ويُخَلُّوا له الأموال ، ففعل ، وكان ممن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم [فى ذلك] مُحَيِّصَةُ بن مَسْعُود أخو بنى حارثة ؛ فلما نزل أهْلُ خيبر على ذلك سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم فى الأموال على النِّصْف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم ، وأعمر لها ، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف ، على أَنَّا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ، فصالحه أهْلُ فَدَكَ على مثل ذلك، فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين ، وكانت فَدَكُ خالصةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم لم يُجْلِبُوا عليها بخَيْلٍ ولا ركاب

زينب بنت الحارث زوج سلام بن مشكم تهدى الى الرسول شاة مسمومة

فلما اطمأَنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أهْدَتْ له زَيْنَبُ ابنة الحرث

---

(١) يسيرهم : ينفيهم

امرأة سَلَاّم بن مِشْكم شاةً مَصْلِيَّةً (١) وقد سألت : أيُّ عُضْوٍ من الشاة أحبُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقيل لها : الذراع ، فأكثرت فيها من السّمّ ، ثم سَمّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يَدَيْ رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذِّرَاعَ ، فلاك منها مُضْغَةً فلم يُسِغْهَا(٢) ومعه بِشْرُ بن الْبَرَاء بن مَعْرُور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما بِشْرٌ فأساغها ، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فَلَفَظَهَا (٣) ، ثم قال : « إِنَّ هٰذَا الْعَظْمَ لَيُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ » ثم دعا بها فاعترفت ، فقال : « ماحَمَلَكِ عَلَى ذٰلك » ؟ قالت: بَلَغْتَ من قومي مالم يَخْفَ عليك ، فقلتُ : إنْ كان مَلِكاً استرحتُ منه ، و إن كان نبياً فَسَيُخْبَرُ ، قال : فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات بشر من أكلته التي أكل

قال ابن إسحق : وحدثني مَرْوَانُ بن عُثْمان بن أبي سعيد بن المعلّى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال في مرضه الذي تُوُفِّيَ فيه ودخلت أمُّ بِشْرٍ بنتُ البراء بن معرور تعوده : « ياأُمَّ بِشْرٍ إنَّ هٰذا الْأَوَان وَجَدْتُ [فِيهِ] انْقِطَاعَ أَبْهَرِي (٤) مِنَ الْأَكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ مَعَ أَخِيكِ بِخَيْبَرَ » قال : فان كان المسلمون لَيُرَوْنَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيداً ، مع ما أكرمه الله به من النبوة

---

(١) مصلية : مشوية

(٢) لم يسغها : لم يبلعها

(٣) لفظها : طرحها ورماها

(٤) الأبهر : عرق إذا انقطع مات صاحبه ، وهما أبهران يخرجان من القلب ثم تتشعب منهما سائر الشرايين

حصار وادى القرى

قال ابن إسحق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادى الْقُرَى فحاصر أهله ليالى ، ثم انصرف راجعا إلى المدينة

أمر العبد الغال من الفىء

قال ابن إسحق : فحدثنى ثور بن زيد ، عن سالم مولى عبد الله بن مُطيع ؛ عن أبى هريرة ، قال : فلما انْصَرَفْنَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر إلى وادى الْقُرَى نزلنا بها أصِيلاً مع مَغْرِب الشمس ، ومع رسول الله صلى الله عليه غُلَامٌ له أهداه له رِفَاعَةُ بن زيد الْجُذَامِىُّ ثم الضبى[(١)]

قال ابن هشام : جُذَام : أخو لَخْم

قال : فوالله إنه ليضع رَحْل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذْ أتَاهُ سَهْمٌ غَرْبٌ[(٢)] ، فأصابه ، فقتله ، فقلنا : هنيئا له الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَلَّا وَالَّذِى نَفْسُ محمدٍ بِيَدِهِ إنَّ شَمْلَتَهُ[(٣)] الْآنَ لَتَحْتَرِقُ عَلَيْهِ فِى النَّارِ ، كَانَ غَلَّهَا[(٤)] مِنْ فَىْءِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ خَيْبَرَ » قال : فسمعها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه ، فقال : يارسول الله ، أَصَبْتُ شِرَاكَيْنِ لِنَعْلَيْنِ لى ، قال : فقال : « يُقَدُّ لَكَ[(٥)] مِثْلُهُمَا مِنَ النَّارِ »

شأن عبد الله بن مغفل المزنى

قال ابن إسحق : وحدثنى من لاأتهم ، عن عبد الله بن مُغَفَّل الْمُزَنى قال : أَصَبْتُ من فَىْءِ خيبر جرابَ شَحْمٍ ، فاحتملته على عاتقى إلى رحلى وأصحابى ، قال : فلقينى صاحبُ المغانم الذى جُعِلَ عليها ، فأخذ بناحيته ،

---

(١) فى نسخة « الضبى » بباءين أولاهما مفتوحة بعد ضمة الضاد
(٢) سهم غرب : هو الذى لايدرى مأتاه ولايعرف من رماه
(٣) الشملة : كساء غليظ يلتحف به
(٤) غلها : سرقها
(٥) يقد : يقطع

وقال : هَلُمَّ هذا حتى نَقْسِمَه بين المسلمين ، قال : قلت : لا والله لا أعطيكه ، قال : فجعل يُجَابِذُنى الجرابَ ، قال : فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك ، قال : فتَبَسَّمَ [رسول الله صلى الله عليه وسلم] ضاحكا ، ثم قال لصاحب المغانم : « لا أَبَا لَكَ خَلِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ » قال : فأرسله فانطلقت به إلى رحلى وأصحابى فأكلناه

بناء رسول الله بصفية بنت حيى

قال ابن إسحق : ولما أَعْرَسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بخيبر ، أو ببعض الطريق ، وكانت التى جَمَّلَتْهَا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وَمَشَّطَتْها وأصلحت من أمرها أمُّ سُلَيْم ابنة مِلْحَان أمّ أنس بن مالك ، فبات بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة له ، وبات أبو أيوب خالد بن زيد أخو بنى النجار مُتَوَشِّحاً سيفه ، يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُطِيف بالقبة ، حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى مكانه قال : « مَالَكَ يا أَبَا أَيُّوبَ » قال : يارسول الله ، خِفْتُ عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها وكانت حديثة عهد بكفر فَخِفْتُهَا عليك ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللَّهُمَّ احْفَظْ أَبَا أَيُّوبَ كَمَا بَاتَ يَحْفَظُنِى »

رسول الله وأصحابه يناموں عن صلاة الصبح

قال ابن إسحق : وحدثنى الزهرى ، عن سعيد بن المُسَيَّب ، قال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل : « مَنْ رَجُلٌ يَحْفَظُ عَلَيْنَا الْفَجْرَ لَعَلَّنَا نَنَام » قال بلال : أنا يا رسول الله أحفظه عليك ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل الناس ، فناموا ، وقام بلال يُصلِّى ، فصلى ماشاء الله عز وجل أن يصلى ، ثم استند إلى بعيره واستقبل الفجر يَرْمُقُه ، فغلبته عينه ، فنام ، فلم يُوقِظْهم إلا مَسُّ الشمس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولَ أصحابه

هَبَّ ، فقال : « مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا يَا بِلَالُ » ؟ قال : يارسول الله ، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، قال : « صَدَقْتَ » ثم اقتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم [بعيره] غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة فصلَّى [رسول الله صلى الله عليه وسلم] بالناس ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : « إِذَا نَسِيتُمُ الصَّلَاةَ فَصَلُّوهَا إذا ذَكَرْتُمُوهَا فإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى »

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — قد أعطى ابن لُقَيْمٍ الْعَبْسِيِّ — حين افتتح خيبر — ما بها من دَجَاجة أو داجِنٍ [١] ، وكان فتح خيبر فى صفر ، فقال ابن لُقَيْمٍ العبسى فى خيبر : —

كلمة ابن لقيم فى فتح خيبر

رُمِيَتْ نَطَاةُ مِنَ الرَّسُولِ بِفَيْلَقٍ ... شَهْبَاءَ ذَاتِ مَنَاكِبٍ وَفَقَارِ [٢]

---

(١) من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى ابن لقيم مابخيبر من دجاج أوداجن كان يقال له : لقيم الدجاج ، قاله أبو ذر عن ابن سراج ، والداجن : كل ماألف الناس من الحيوان ، كالشاة التى تعاف والحمام والدجاج ، وأصل الداجن اسم فاعل من قولهم : دجن بالمكان ، إذا أقام به وقيل لهذه الأنواع ذلك لأنها تقيم مع الناس فى البيوت

(٢) نطاة ـ بالنون فى أوله وبعدها طاء مهملة وبعد الألف تاء ـ قال ياقوت : « قيل : هو اسم لأرض خيبر ، وقال الزمخشرى : نطاة حصن بخيبر ، وقيل : عين بها تسقى بعض نخيل قراها وهى وبئة ، ... وقد ذكرها الشاعر يصف محموما فقال :

كَأَنَّ نَطَاةَ خَيْبَرَ زَوَّدَتْهُ ... بَكُورَ الْوِرْدِ رَيِّثَةَ الْقُلُوعِ

فظن الليث من هذا البيت أن نطاة اسم لحمى تعتاد خيبر ، والحق أنها عين بها اه والفيلق : الكتيبة ، وهى الجيش ، وشهباء : كثيرة السلاح ، وجعل لها مناكب وفقارا وهو يريد من ذلك وصفها بالشدة والقوة

وَاسْتَيْقَنَتْ بِالذُّلِّ لَمَّا شُيِّعَتْ وَرِجَالُ أَسْلَمَ وَسْطَهَا وَغِفَارِ (١)

صَبَحَتْ بَنِي عَمْرِو بْنِ زُرْعَةَ غُدْوَةً
وَالشِّقُّ أَظْلَمَ أَهْلُهُ بِنَهَارِ (٢)

جَرَّتْ بِأَبْطَحِهَا الذُّيُولَ فَلَمْ تَدَعْ
إِلاَّ الدَّجَاجَ تَصِيحُ فِي الْأَسْحَارِ (٣)

وَلِكُلِّ حِصْنٍ شَاغِلٌ مِنْ خَيْلِهِمْ
مِنْ عَبْدِ الْأُشْهَلِ أَوْ بَنِي النَّجَّارِ (٤)

وَمُهَاجِرِينَ قَدَ اعْلَمُوا سِيمَاهُمُ فَوْقَ الْمَغَافِرِ لَمْ يَنُوا لِفِرَارِ (٥)

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَيَغْلِبَنَّ مُحَمَّدٌ وَلَيَثْوِيَنَّ بِهَا إِلَى أَصْفَارِ (٦)

---

(١) استيقنت: تيقنت وعلمت، وشيعت: فرقت، وأسلم وغفار: قبيلتان

(٢) الشق - يروى بكسر الشين وبفتحها - وهو موضع بخيبر، قال ياقوت: « هو حصن من حصون خيبر، وفى كتاب نصر: شق: من قرى فدك، تعمل فيها اللجم » اه وكنى باظلام أهله عن سوء حالهم وشدة مالقوا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

(٣) الأبطح: المكان السهل، وقوله « الذيول » قد وقع فى بعض النسخ مكانه « الديوك »

(٤) « من عبد الاشهل » قد ألقى حركة الهمزة على اللام التى قبلها حين اضطره الوزن إلى ذلك، وعبد الأشهل: جماعة من الأنصار، وكذلك بنو النجار

(٥) سيماهم: علامتهم، والمغافر: جمع مغفر، وهو الدرع الذى يلبس على الرأس، ولم ينوا: أى لم يفتروا ولم يضعفوا

(٦) ليثوين: أى ليقيمن، تقول: ثوى بالمكان يثوى: إذا أقام، والأصفار: جمع صفر، وهو الشهر الذى يلى المحرم، يريد ليقيمن بخيبر سنين عددا

فَرَّتْ يَهُودُ يَوْمَ ذَلِكَ فِى الْوَغَى
تَحْتَ الْعَجَاجِ غَمَائِمَ الأَبْصَارِ (١)

قال ابن هشام : فَرَّتْ : [يريدُ] كشفت الجفون عين العين ، كما تُفَرُّ الدابة بالكَشْفِ عن أسنانها

شهد خيبر بعض نساء المسلمين

قال ابن إسحق : وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءٌ من نساء المسلمين ، فَرَضَخَ لهنَّ (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفىء ولم يضرب لهن بسهم

المرأة الغفارية

قال ابن إسحق : حدثنى سليمان بن سُحَيْم ، عن أُمَيَّة بنت أبى الصَّلت عن امرأة من بنى غِفار ، قد سماها لى ، قالت : أَتَيْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوةٍ من بنى غفار ، فقلنا : يارسول الله ، قد أَرَدْنَا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ، وهو يسير إلى خيبر ، فَنُدَاوِىَ الْجَرْحَى ، ونُعِينَ المسلمين بما استطعنا ، فقال : « عَلَى بَرَكَةِ اللهِ » قالت : فخرجنا معه ، وَكنتُ جارِيةً حَدَثَةً فأَرْدَفَنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على حَقيبةِ رَحْلِهِ ، قالت : فوالله لَنَزَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح ، وأناخ ، ونزلتُ عن حقيبة رَحْلِهِ ، وإذا بها دَمٌ منِّى ، وكانت أوَّلَ حَيْضَةٍ حِضْتُهَا ، قالت : فَتَقَبَّضْتُ إلى الناقة وَاسْتَحْيَيْتُ ، فلما رأى رسول الله

(١) فرت يهود : ههنا بمعنى كشفت كما فى تفسير ابن هشام ، وفى خطبة الحجاج حين ولى العراق : « ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة » ، والوغى : الحرب ، والعجاج : الغبار ، والغمائم : جفون العين ، قال أبو ذر « قال ابن سراج : ويصح أن تكون عمائم بالعين المهملة — جمع عمامة ، وحينئذ تكون الأنصار بالنون » اهـ أما على الرواية الأولى فالأبصار بالباء ، وهو جمع بصر

(٢) رضخ لهن : أعطاهن عطاء دون السهم ، تقول : رضخت لفلان من مالى ، إذا أعطيته منه

صلى الله عليه وسلم مابى ، ورأى الدم ؛ قال : « مَالَكِ لَعَلَّكِ نُفِسْتِ [1] » قالت : قلت : نعم ، قال : « فَأَصْلِحِي مِنْ نَفْسِكِ ثُمَّ خُذِى إنَاءً مِنْ مَاءٍ فَاطْرَحِى فِيهِ مِلْحًا ثُمَّ اغْسِلِي [بِهِ] مَاأَصَابَ الْحَقِيبَةَ مِنَ الدَّمِ ثُمَّ عُودِى لِمَرْكَبِكِ » قالت : فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر رَضَخَ لنا من الفيء ، وأخذ هذه القلادة التى تَرَيْنَ فى عنقى فأعطانيها وَعَلَّقَهَا بيده فى عنقى ، فو الله لا تفارقنى أبداً ، قالت : فكانت فى عنقها حتى ماتت ، ثم أَوْصَتْ أن تدفن معها ، قالت : وكانت لا تطهر من حَيْضَةٍ إلا جعلت فى طَهُورِهَا مِلحًا ، وأوصت به أن يجعل فى غُسْلِهَا حين ماتت

تسمية شهداء المسلمين فى غزوة خيبر

قال ابن إسحق : وهذه تَسْمِيَةُ من استشهد بخيبر من المسلمين من قريش ، ثم من بنى أمية بن عبد شمس ، ثم من حلفائهم : ربيعة ابن أَكْثَم بن سَخْبَرَةَ بن عمرو بن لكيز [2] بن عامر بن غنم بن دودان ابن أسد ، وَثَقِفُ بن عَمْرو ، ورفاعة بن مَسْرُوح

ومن بنى أسد بن عبد الْعُزَّى : عبدُ الله بن الْهُبَيْب (ويقال : الْهَبِيب فيما قال ابن هشام) ابن أُهَيْب بن سُحَيْم بن غِيَرَةَ من بنى سعد ابن ليث حليف لبنى أسد وابن أختهم

ومن الأنصار ، ثم من بنى سلمة : بِشْرُ بن الْبَرَاء بن مَعْرُور ، مات من الشاة التى سُمَّ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَفُضَيْل بن النعمان ، رجلان

---

(١) نفست : هو بالبناء للمجهول ، ومعناه حضت هنا ، وليس المراد به المعنى الذى خصه الفقهاء به كما هو ظاهر من السياق

(٢) « ابن لكيز » فى نسخة « بكير »

ومن بنى زُرَيْق : مَسْعُود بن سَعْد بن قيس بن خَلَدَةَ بن عامر ابن زريق .

ومن الأوس ، ثم من بنى عبد الأشهل : محمود بن مَسْلَمَةَ بن خالد ابن عَدِىّ بن مَجْدَعَة بن حارثة بن الحرث ، حليف لهم من بنى حارثة

ومن بنى عمرو بن عوف : أبو ضَيَّاح بن ثابت بن النُّعْمَان بن أمية ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ؛ والحرث بن حاطب ؛ وعُرْوَةُ ابن مُرَّة بن سُرَاقة ؛ وأوْسُ بن الْقائد ؛ وَأُنَيْف بن حُبَيْب ؛ وثابت بن أَثْلة ؛ وطلحة [1]

ومن بنى غِفار : عُمَارة بن عُقْبة ، رمى بسهم

ومن أسلم : عامر بن الأكوع ؛ والأسود الراعى ، وكان اسمه أسلم

قال ابن هشام : الأسود الراعى من أهل خيبر

وممن استشهد بخيبر — فيما ذكر ابن شهاب الزهرى — من بنى زهرة : مسعودُ بن ربيعة ، حليف لهم من الْقَارَة

ومن الأنصار من بنى عمرو بن عوف : أَوْسُ بن قَتَادة

أمر الأسود الراعى ، فى حديث خيبر

قال ابن إسحق : وكان من حديث الأسود الراعى — فيما بلغنى — أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصرٌ لبعض حصون خيبر ومعه

---

(١) قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة : « طلحة غير منسوب ذكره ابن إسحق فيمن استشهد بخيبر هو وأوس بن معاذ » اه كلامه ، ولم يبينه وقال أبو ذر : « طلحة : هو طلحة بن يحيى بن مليل بن ضمرة ، قال أبو على الغسانى : لم يذكر ابن إسحق اسم أبى طلحة هذا » اه

غَنمٌ له كان فيها أَجيراً لرجلٍ من يهود ، فقال : يارسول الله ، اعْرِضْ عَلَىَّ الاسلام ، فعَرَضَهُ عليه ، فأسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَحْقِرُ أَحداً أن يدعوه إلى الاسلام و يعرضه عليه ، فلما أسلم قال : يارسول الله ، إنى كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم ، وهى أمانة عندى ، فكيف أصنع بها ؟ قال : « اضْرِبْ فِى وُجُوهِهَا فَإِنَّهَا سَتَرْجِعُ إِلَى رَبِّهَا » أوكما قال ، فقام الأسود فأخذ حَفْنَةً من الحصباء ، فرمى بها فى وجوهها ، وقال : ارجعى إلى صاحبك فوالله لا أصحبك [أبدا] ، فخرجت مجتمعة كأنَّ سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن ، ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين فأصابه حَجَرٌ فقتله ، وما صلى لله صلاةً قطُّ ، فأُتِىَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوُضِعَ خَلْفَه وسُجِّى بشَمْلة كانت عليه ، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه ، فقالوا : يا رسول الله ، لم أعْرَضْتَ عنه ؟ قال : « إِنَّ مَعَهُ الْآنَ زَوْجَتَيْهِ مِنَ الْحُورِ الْعِيْنِ »

قال ابن إسحق : وأخبرنى عبد الله بن أبى نجيح ، أنه ذكر له أن الشهيد إذا ما أصيب تَدَلَّتْ [له] زوجتاه من الحور العين عليه تَنفُضَان التراب عن وجهه وتقولان : تَرَّبَ الله وَجْهَ من تَرَّبَكَ وقَتَلَ من قتلك

أمر الحجاج بن عِلَاطٍ [السُّلَمِىِّ]

قال ابن إسحق : ولما فُتِحَتْ خيبر كَلَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجاجُ بن عِلَاط السُّلَمِىُّ ثم الْبَهْزِىُّ ، فقال : يارسول الله ، إن لى بمكة مالاً عند صاحبتى أم شَيْبَةَ بنت أبى طلحة ، وكانت عنده ، له منها مُعْرِضُ ابن الحجّاج ، ومال متفرق فى تجار أهل مكة ، فأْذَنْ لى يا رسول الله ، فأذن له ، قال : إنه لابد لى يارسول الله من أن أقول ، قال : « قُلْ » قال

الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثَنِيَّةِ الْبَيْضَاء رجالاً من قريش يتَسَمَّعُونَ الأخبار ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز رِيفًا وَمَنْعَةً ورجالاً فهم يتحَسَّسُون الأخبار ، ويسألون الركبان ، فلما رَأَوْنى قالوا : الحجاج بن عِلاَطٍ ، قال : ولم يكونوا علموا باسلامى ، عِنْدَهُ واللهِ الخبرُ ، أَخْبِرْنَا يا أبا محمد ، فانه [قد] بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهى بَلَدُ يَهُودَ وَرِيفُ الحجاز ، قال : قلت : قد بلغنى ذلك ، وعندى من الخبر مايَسُرُّكم ، قال : فالْتَبَطُوا بِجَنْبَىْ ناقتى (١) يقولون : إيه ياحَجَّاج، قال : قلت : هُزِمَ هزيمةً لم تَسْتَمِعُوا بمثلها قطُّ ، وقُتِلَ أصحابه قَتْلاً لم تسمعوا بمثله قطُّ ، وَأُسِرَ محمد أَسْرًا ، وقالوا : لا نقتله حتى نَبْعَثَ به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم ، قال : فقاموا وصَاحُوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقْدَمَ به عليكم فيقتل بين أظهركم ، قال : قلت : أعينونى على جَمْع مالى بمكة وعلى غرمائى فانى أريد أن أَقْدَمَ خيبر فأصيب من فَلِّ (٢) محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ما هنالك

قال ابن هشام : ويقال مِنْ فَىْءِ محمد

قال ابن إسحق : قال : فقاموا فجمعوا لى مالى كأحثِّ جَمْعٍ سمعت به ، قال : وجئت صاحبتى فقلت : مالى ، وقد كان لى عندها مال موضوع ،

---

(١) التبطوا بجنبى ناقتى : أى مشوا إلى جنبها كمشى العرجاء لازدحامهم حولها

(٢) الفل : القوم المنهزمون ؛ إمامن باب إطلاق المصدر وإرادة المفعول وإما فعل بمعنى مفعول

لعلى ألحق بخيبر فأصيب من فُرَصِ البيع قبل أن يسبقنى التجار ، قال : فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عنى أقبل حتى وقف إلى جنبى وأنا فى خَيْمَة من خيام التجار ، فقال : ياحجاج ، ماهذا [الخبر] الذى جئت به ؟ قال : فقلت : وهل عندك حِفظٌ لما وَضَعْتُ عندك ؟ قال : نعم ، قال : قلت : فاستأخر عنى حتى ألقاك على خَلاَء فانى فى جَمْع مالى كما ترى ، فانْصَرِفْ عنى حتى أفرغ ، قال : حتى إذا فَرَغْتُ من جمع كل شىء كان لى بمكة وَأَجمعتُ الخروج لقيتُ العباسَ فقلت : احفظ على حديثى يا أبا الفضل ؛ فانى أخشى الطلب ثلاثا ثم قل ماشئت ، قال : أفعل ، قال : فانى والله لقد تركت ابن أخيك عَرُوساً على بنت ملكهم ، يعنى صفية بنت حُيَىّ ، ولقد افتتح خيبر ، وانْتَثَلَ [(١)] مافيها وصارت له ولأصحابه ، فقال : ماتقول ياحجاج ؟ قال : قلت : إى والله فاكتم عنى ، ولقد أسلمت ، وما جئت إلا لآخذ مالى فَرَقاً من أن أُغْلَبَ عليه ، فاذا مَضَتْ ثلاث فأظهر أمرك فهو والله على ماتُحِبُّ ، قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لَبِسَ العباسُ حُلَّةً له وتَخَلَّقَ [(٢)] وأخذ عَصَاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها ، فلما رأوه قالوا : يا أبا الفضل ، هذا والله التَّجَلُّدُ لحرِّ المصيبة ، قال : كلا والله الذى حَلفتُمْ به ، لقد افتتح محمد خَيْبَرَ وَتُرِكَ عَرُوساً على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه ، قالوا : مَنْ جاءك بهذا الخبر؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مُسْلماً فأخذ ماله فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه ، قالوا : ياالعباد الله ، انْفَلَتَ عَدُوُّ الله ،

---

(١) انتثل ما فيها : أى استخرجه ، تقول : نثلت الشىء وانتثلته ، إذا ستخرجته

(٢) تخلق : تطيب بالخلوق ، والخلوق - بفتح الخاء - ضرب من الطيب

أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ، قال : ولم يَنْشَبُوا [1] أن جاءهم الخبر بذلك

ذكر ما قيل من الشعر فى يوم خيبر

قال ابن إسحق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم خيبر قَوْلُ حسان ابن ثابت : —

كلمة لحسان فى غزوة خيبر

بِئْسَ مَاقَاتَلَتْ خَيَابِرُ عَمَّا ... جَمَّعُوا مِنْ مَزَارِعٍ وَنَخِيلِ [2]

كَرِهُوا الْمَوْتَ فَاسْتُبِيحَ حِمَاهُمْ ... وَأَقَرُّوا فِعْلَ اللَّئِيمِ الذَّلِيلِ

أَمِنَ الْمَوْتِ تَهْرُبُونَ فَإِنَّ الْـ ... مَوْتَ مَوْتُ الْهُزَالِ غَيْرُ جَمِيلِ [3]

وقال حسان بن ثابت أيضا وهو يعذر عن أَيْمَنَ بن أمّ أيمن ابن عبيد ، وكان قد تخلف عن خيبر ، وهو من بنى عوف بن الخزرج ، وكانت أمه أم أيمن مَوْلاَةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى أم أسامة بن زيد ، فكان أخا أسامة لأمه : —

كلمة لحسان يعتذر عن تخلف أيمن بن عبيد ابن أم أيمن

عَلَى حِينِ أَنْ قَالَتْ لِأَيْمَنَ أُمُّهُ ... جَبُنْتَ وَلَمْ تَشْهَدْ فَوَارِسَ خَيْبَرِ [4]

---

(١) لم ينشبوا : أى لم ينتظروا ، يريد أن الخبر قد جاءهم سريعاً

(٢) خيابر : جمع خيبر ، وإنما أراد أهل خيبر ، كما تقول : اجتمعت المدينة ، وأنت تريد اجتماع أهلها

(٣) الهزال ـ بضم الهاء ـ الجوع وضعف الحال

(٤) جبنت : خفت وفزعت ، والجبن : الخوف والفزع ، والجبان : هو الخائف الفزع

وَأَيْمَنَ لَمْ يَجْبُنْ وَلَكِنَّ مُهْرَهُ أَضَرَّ بِهِ شُرْبُ المَدِيدِ المُخَمَّرِ (١)

وَلَوْلَا الَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ شَأْنِ مُهْرِهِ

لَقَاتَلَ فِيهِمْ فَارِسًا غَيْرَ أَعْسَرِ (٢)

وَلَكِنَّهُ قَدْ صَدَّهُ فِعْلُ مُهْرِهِ وَمَا كَانَ مِنْهُ عِنْدَهُ غَيْرُ أَيْسَرِ (٣)

قال ابن هشام: أنشدنى أبو زيد هذه الأبيات لكعب بن مالك وأنشدنى:

وَلَكِنَّهُ قَدْ صَدَّهُ شَأْنُ مُهْرِهِ وَمَا كَانَ لَوْلَا ذَاكُمُ بِمُقَصِّرِ

رجز لناجية ابن جندب

قال ابن إسحق: وقال ناجية بن جُنْدَبٍ الأسلمىُّ:

يَالَعِبَادِ اللهِ فِيمَ يُرْغَبُ مَاهُوَ إِلاَّ مأْكَلٌ وَمَشْرَبُ

وَجَنَّةٌ فِيهَا نَعِيمٌ مُعْجِبُ

رجز آخر لناجية بن جندب

وقال ناجية بن جُنْدَب الأسْلَمِىُّ أيضا: —

أَنَا لِمَنْ أَنْكَرَنِي ابْنُ جُنْدَبِ

يَارُبَّ قِرْنٍ فِى مَكَرِّي أَنْكَبِ (٤)

طَاحَ بِمَغْذَى أَنْسُرٍ وَثَعْلَبِ (٥)

---

(١) المديد: هو الدقيق يخلط مع الماء فتشربه الخيل، والمخمر: المتروك حتى يختمر

(٢) الأعسر: الذى يعمل بالشمال ولا يعمل باليمين

(٣) صده: منعه وعاقه، والأيسر: الفرس المنظور إليه

(٤) القرن — بكسر القاف — الذى يقاوم فى قتال أوشدة، والمكر: الموضع الذى تكر فيه الخيل، والأنكب: المائل إلى جهة

(٥) طاح: ذهب وأهلك، وقوله «بمغذى أنسر» يروى مغدى — بالدال المهملة — ويروى بمغذى — بالذال المعجمة — فأما من رواه بالدال المهملة

قال ابن هشام : أنشدنى بعض الرواة للشعر قوله « فى مكرى » و « طاح بمغدى »

وقال كعب بن مالك فى يوم خيبر — فيما ذكر ابن هشام عن أبي زيد الأنصارى — :

كلمة لكعب ابن مالك فى يوم خيبر

وَنَحْنُ وَرَدْنَا خَيْبَراً وَفُرُوضَهُ
بِكُلِّ فَتًى عَارِى الْأَشَاجِعِ مِذْوَدِ (١)

جَوَادٍ لَدَى الْغَايَاتِ لَاوَاهِنِ الْقُوَى
جَرِىءٍ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِى كُلِّ مَشْهَدِ (٢)

عَظِيمِ رَمَادِ الْقِدْرِ فِى كُلِّ شَتْوَةٍ
ضَرُوبٍ بِنَصْلِ الْمَشْرَفِيِّ الْمُهَنَّدِ (٣)

يَرَى الْقَتْلَ مَدْحًا إِنْ أَصَابَ شَهَادَةً
مِنَ اللهِ يَرْجُوهَا وَفَوْزاً بِأَحْمَدِ

فهو من الغدو ، وأما من رواه بالذال المعجمة فهو من الغذاء ، وهو على الروايتين اسم مكان ، والأنسر : جمع نسر ، وقوله « وثعلب » كان حقه أن يقول وثعالب فيجمعها جمع الأيسر ، ولكنه لما اضطر استعمل الواحد فى مكان الجمع

(١) الفروض : المواضع التى يشرب منها من الأنهار ، والأشاجع : عروق ظاهر الكتف ، ومذود : أى يدفع عن حوزته ويمنع الأعداء أن تناله

(٢) الواهن : الضعيف ، ومشهد : مكان الحضور ، وشهد : أى حضر

(٩) عظيم رماد القدر : كناية عن أنه كريم ، وإنما خص الشتاء لأنه الوقت الذى تشتد فيه الحاجة وتعظم فيه قيمة العطية ، والمشرفى : السيف ، ونصله : حده

يَذُودُ وَيَحْمِي عَنْ ذِمَارِ مُحَمَّدٍ وَيَدْفَعُ عَنْهُ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ (١)

وَيَنْصُرُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يَرِيبُهُ يَجُودُ بِنَفْسٍ دُونَ نَفْسِ مُحَمَّدِ

يُصَدِّقُ بِالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ مُخْلِصًا

يُرِيدُ بِذَاكَ الْفَوْزَ وَالْعِزَّ فِي غَدِ (٢)

ذِكْرُ مقَاسِمِ خَيْبَرَ وَأَموالها

مقاسم غنائم خيبر

قال ابن إسحق: وكانت المقاسم على أموال خيبر على الشَّقِّ ونَطَاةَ والْكَتيبة، فكانت الشِّقُّ ونَطَاةُ فى سُهْمَانِ المسلمين، وكانت الكتيبةُ خُمُسَ الله وسَهْمَ النبي صلى الله عليه وسلم، وسَهْمَ ذوى القربى واليتامى والمساكين وطُعْمَ أَزْوَاج النبي صلى الله عليه وسلم وطُعْمَ رجال مَشَوْا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين أهل فَدَكَ بالصلح، منهم مُحَيِّصَةُ بن مَسْعُود وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم [منها] ثلاثين وَسْقًا من شعير، وثلاثين وَسْقًا من تمر، وقُسِّمَتْ خيبر على أهل الحديبية، من شَهِدَ خيبر ومن غاب عنها، ولم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام، فقَسَمَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسَهْم من حضرها وكان وَادِيَاهَا وادى السُّرَيْر ووادى خاص، وهما اللذان قُسِّمَتْ عليهما خيبر، وكانت نَطَاةُ والشِّقُّ ثمانيةَ عَشَرَ سَهْمًا، نطاةُ من ذلك خَمْسَةُ أسهم، والشِّقُّ ثَلاثَةَ عشر سهما، وقُسِّمَت الشق ونطاة على ألف سَهْمٍ وثمانمائة سهم،

(١) يذود: يدفع، والذمار ـ بزنة كتاب ـ ما تجب على الرجل حمايته والدفاع عنه

(٢) الأنباء: هو بفتح الهمزة جمع نبأ، والنبأ: الخبر، والانباء بكسر الهمزة ـ مصدر أنبأ بكذا: أى أخبر به، و «الفوز» يروى فى مكانه «الغنم» وهو بضم الغين المعجمة من الغنيمة

وكانت عِدَّةُ الذين قسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألْفَ سهم وثمانمائة سهم برجالهم وخيلهم ، الرجالُ أَرْبعَ عَشْرَةَ مائةً ، والخيلُ مائتا فرس ؛ فكان لكل فرس سهمان ولفارسه سهم ، وكان لكل راجل سهم ، فكان لكل سهم رأسٌ جُمِعَ إليه مائة رجل فكانت ثمانية عشر سهما جمع .

قال ابن هشام : وفى خيبر عَرَّبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الْعَرَبِيَّ من الخيل ، وهَجَّنَ الهجين

قال ابن إسحق : فكان على بن أبى طالب رأساً ، والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعاصم ابن عدى أخو بنى العجلان ، وأُسَيْدُ [بن الْحُضَيْر] وسهم الحرث بن الخزرج ، وسهم ناعم ، وسهم بنى بياضة ، وسهم بنى عبيدة ، وسهم بنى حرام من بنى سلمة ، وعُبَيْد السِّهَامِ

قال ابن هشام : وإنما قيل له عبيد السهام لما اشترى من السهام يوم خيبر ، وهو عُبَيْدُ بن أوْسٍ أحد بنى حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن الأوس

قال ابن إسحق : وسهم ساعدة ، وسهم غِفَارٍ وأسلم ، وسهم النجار ، وسهم حارثة ، وسهم أوس ، فكان أولُ سهم خرج من خيبر بنطاة سَهْمَ الزبير بن العوام ، وهو الْخَوْعُ ، وتابعه السُّرَيْر ، ثم كان الثانى سَهْمَ بياضة ، ثم كان الثالث سهم أسيد ، ثم كان الرابع سهم بنى الحرث بن الخزرج ، ثم كان الخامس سهم ناعم لبنى عوف بن الخزرج ومزينة وشركائهم ، وفيه قتل محمود بن مسلمة ، فهذه نطاة ، ثم هبطوا إلى الشق فكان أول سهم خرج منه سهم عَاصِمِ بن عَدِيٍّ أخى بنى الْعَجْلَانِ ، ومعه كان سهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف ، ثم سهم ساعدة ، ثم سهم النجار ، ثم سهم على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، ثم سهم طلحة ابن عبيد الله ، ثم سهم غفار وأسلم ، ثم سهم عمر بن الخطاب ، ثم سَهْما سلمة بنى عبيد و بنى حرام ، ثم سهم حارثة ، ثم سهم عُبَيْدِ السِّهَامِ ، ثم سهم أوس ، وهو[1] سهم اللفيف جمعت إليه جهينة ومن حضر خيبر من سائر العرب ، وكان حَذْوَهُ سَهْمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى [كان] أصابه فى سهم عاصم بن عدى ، ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتيبة ، وهى وادى خاصٍ ، بين قرابته و بين نسائه و بين رجال من المسلمين ونساء أعطاهم منها ؛ فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته مائتى وَسْقٍ ، ولعلى بن أبى طالب مائةَ وَسْقٍ ، ولأسامة بن زيد مائتى وَسْقٍ وخمسين وسقا [من] نوًى ، ولعائشة أم المؤمنين مائتى وَسْقٍ ، ولأبى بكر بن أبى قُحَافة مائة وسْقٍ ، ولِعَقِيل بن أبى طالب مائةَ وَسْقٍ وأربعين وسقا ، ولبنى جَعْفر خمسين وَسْقًا ، ولربيعة بن الحرث مائة وَسْقٍ ؛ وللصَّلْت بن مَخْرَمَة وابنيه مائة وَسْق : للصلت منها أربعون وسقا ، ولأبى نَبقَةَ خمسون وسقا ، ولِرُكَانَةَ بن عبد يزيد خمسين وَسقًا ، ولقيس بن مَخْرَمَةَ ثلاثين وسقا ، ولأبى القاسم بن مخرمة أربعين وسقا ، ولبنات عبيدة بن الحرث وابنة الحصين بن الحرث مائة وسْق ، ولبنى عبيد بن عبد يزيد ستين وَسْقًا ، ولابن أوس بن مخرمة ثلاثين وسقا ، ولِمِسْطَح ابن أثاثة وابن إلياس خمسين وَسقًا ، ولأم رُمَيْثَةَ أربعين وسقا ، ولِنُعَيْم بن هِنْدٍ ثلاثين وسقا ، ولبُحَيْنَةَ بنت الحرث ثلاثين وسقا ، ولعجير بن عبد يزيد ثلاثين وسقا ، ولأم الحكم [بنت الزبير بن عبد المطلب] ثلاثين وَسْقًا ،

---

(١) فى بعض نسخ الكتاب « ثم سهم اللفيف »

ولِجُمَانَةَ بنت أبي طالب ثلاثين وسقا ، ولأمِّ الأرقم خمسين وَسْقًا ، ولعبد الرحمن ابن أبي بكر أربعين وَسْقًا ، ولِحَمْنَةَ بنت جَحْشٍ ثلاثين وَسْقًا ، ولأم الزبير أربعين وَسْقًا ، ولضُبَاعة بنت الزبير أربعين وَسْقًا ، ولابن أبي خنيس ثلاثين وَسْقًا ، ولأم طالب أربعين وسقًا ، ولأبي بَصْرَةَ (١) عشرين وسقا ، ولِنُمَيْلَةَ الكلبي خمسين وسقا ، ولعبد الله بن وهب وابنيه تسعين وسقا : لابنيه منها أربعين وسقا ، ولأم حَبيب بنت جَحْش ثلاثين وسقا ، ولمَلْكُو بن عَبْدَةَ ثلاثين وسقا ، ولنسائه صلى الله عليه وسلم سبعمائة وَسْقٍ .

[قال ابن هشام : قمح وشعير وتمر ونوى وغير ذلك ، قسمه على قدر حاجتهم ، وكانت الحاجة في بني عبد المطلب أكثر ؛ ولهذا أعطاهم أكثر]

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما أعْطَى محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه من قمح خيبر

قسم لهن مائة وسق وثمانين وسقا ، ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وثمانين وَسْقًا ، ولأسامة بن زيد أربعين وسقا ، وللمقداد بن الأسود خمسة عشر وسقا ، ولأم رُمَيْثَةَ خَمْسةَ أوسق ، شهد عثمان بن عفان وعباس وكتب

قال ابن إسحق : وحدثني صالح بن كَيْسَانَ ، عن ابن شهاب الزُّهْرِيّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، قال : لم يُوصِ رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته إلا بستٍّ : أوصى لِلرَّهَاوِيينَ (٢)

---

(١) في بعض أصول الكتاب « ولأبي نضرة »

(٢) « الرهاويين » قال أبوذر : « هم منسوبون إلى رهاوة ، وهي من اليمن ، ويقال فيها رهاء بالهمز أيضاً ، وهو الأصح ، وقال بعض أهل

بجادٍّ (١) مائَةِ وَسْقٍ من خيبر ، وللدَّارِيِّين (٢) بجَادٍّ مائةِ وَسْقٍ من خيبر ، وللسَّبائيين بجادٍّ مائةِ وَسْقٍ من خيبر ، وللأشْعَرِيِّينَ بجادٍّ مائةِ وَسْقٍ من خيبر ، وأوصى بتنفيذ بَعْثِ أسامة بن زيد بن حارثة ، وأن لا يُتْرَكَ بجزيرة العربِ دِينَانِ

أَمْرُ فَدَكَ فى خبر خيبر

قال ابن إسحق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر قَذَفَ اللهُ الرُّعْبَ فى قلوب أهل فَدَك — حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر — فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصالحونه على النِّصْفِ من فَدَكَ ، فقَدِمَتْ عليه رُسُلُهُمْ بخيبر أو بالطريق ، أو بعد ما قدم المدينة ، فقَبِلَ ذلك منهم ، فكانت فَدَكُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم خَالِصَةً لأنه لم يُوجَفْ عليها بخَيْلٍ ولا رِكاب

تسمية النفر الداريين

الذين أوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، وهم بنو الدار بن هانىء بن حبيب بن نُمَارة بن لَخْمٍ الذين صاروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشأم .

النسب : رهاوة ـ بفتح الراء ـ قبيلة ، ينسب إليها رهاوى بفتحها أيضاً ، والرهاء : نفر بالجزيرة ينسب إليه رهاوى بضم الراء » اه

(١) « بجاد مائة وسق » قال أبو ذر : « أى ما يجد منه مائة وسق ، ويجد : يقْطَع ، ويقال : أتى زمن الجداد ، أى الوقت الذى يقطع فيه الثمر من النخيل » اه

(٢) « الداريون » قال أبو ذر : « الداريون هنا : هم الغرباء ، واحدهم

تميم بن أوس ، ونُعَيْم بن أوس أخوه ، ويزيد بن قيس ، وعَرْفة ابن مالك ، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن (قال ابن هشام : ويقال : عَزَّةُ بن مالك) وأخوه مُرَّان بن مالك

قال ابن هشام : مروان بن مالك

قال ابن إسحق : وفاكه بن نُعْمَان ، وَجَبَلَة بن مالك ، وأبو هند ابن بر ، وأخوه الطَّيِّبُ بن بر ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله

رسول الله يبعث خارصا إلى أهل خيبر يقدر ثمارهم

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر — يبعث إلى أهل خَيْبَرَ عبدَ الله بن رَوَاحَة خَارِصاً [1] بين المسلمين ويهود ، فيَخْرِصُ عليهم ، فاذا قالوا : تَعَدَّيْتَ علينا ، قال : إن شئتم فلنا وإن شئتم فلكم ، فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض ، وإنما خَرَص عليهم عبدُ الله بن رواحة عاماً واحداً ، ثم أصيب بِمُؤْتَةَ يرحمه الله ، فكان جَبَّار بن صَخْر بن أمية بن خَنْساء أخو بنى سلمة هو الذى يَخْرِصُ عليهم بعد عبد الله بن رواحة

اليهود تقتل عبد الله بن سهل أخا بنى حارثة

فأقامت يهود على ذلك لا يَرَى بهم المسلمون بَأْساً فى معاملتهم ، حتى عَدَوْا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سهل أخى بنى حارثة ، فقتلوه ، فاتَّهَمَهُمْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه

دارى ، و [السبائيين] قد يكونون منسوبين إلى سباء » اه قال أبو رجاء : وسيأتى فى كلام بن إسحق قريبا بيان الداريين بما يوافق الأول لكنه جعل اللفظ منسوبا إلى الدار ، وهو اسم رجل

(١) الخارص : الذى يقدر التمر وهو على أصوله قبل أن يجد ، والخرص هنا : التقدير

قال ابن إسحق : فحدثني الزُّهْرِيُّ عن سهل بن أبي حَثْمَةَ وحدثني أيضا بشير بن يسار مولى بني حارثة عن سهل بن أبي حَثْمَةَ قال : أُصيبَ عبدُ الله بن سَهْل بخيبر ، وكان خرج إليها في أصحاب له يَمْتَارُ منها تمراً فوُجِدَ في عَيْنٍ قد كُسِرَتْ عنقه ، ثم طرح فيها ، قال : فأخذوه فغيَّبُوهُ ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له شأنه ، فتقدم إليه أخوه عبدُ الرحمن [بن سهل] ومعه ابنا عمه حُوَيِّصَةُ وَمُحَيِّصَةُ ابنا مسعود ، وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنًّا ، وكان صاحبَ الدم ، وكان ذا قَدَمٍ في القوم ، فلما تكلم قبل ابني عمه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْكُبْرَ الْكُبْرَ »

قال ابن هشام : ويقال « كَبِّرْ كَبِّرْ » فيما ذكر مالك بن أنس

القسامة وأيمانها فسكتَ ، فتكلم حُوَيِّصَة ومُحَيِّصَة ، ثم تكلم هو بعد ، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قَتْلَ صاحبهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتُسَمُّونَ قَاتِلَكُمْ ثُمَّ تَحْلِفُونَ عَلَيْهِ خَمْسِينَ يَمِيناً فَنُسَلِّمُهُ إِلَيْكُمْ » قالوا : يارسول الله ، ما كنا لنحْلفَ على ما لا نعلم ، قال : « أَفَيَحْلِفُونَ بِاللهِ [لكم] خَمْسِينَ يَمِيناً مَا قَتَلُوهُ وَلاَ يَعْلَمُونَ لَهُ قَاتِلاً ثُمَّ يَبْرَؤُنَ مِنْ دَمِهِ » قالوا: يارسول الله ، ما كنا لنقبل أيمانَ يهود ، ما فيهم من الكفر أعظمُ من أن يحلفوا على إثم ، قال : فوَدَاهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده مائةَ ناقةٍ ، قال سهلٌ : فوالله ما أنسى بَكْرَةً[1] منها حمراء ضربتني وأنا أحوزها

قال ابن إسحق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحرث التَّيْمِيُّ ، عن

---

(١) البكرة : الفتية من الابل ، والذكر بكر ، قال الراجز : —

وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌ عُرُدُّ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ

ومنه سمي الرجل بكرا

عبد الرحمن بن بُجَيْد بن قَيْظِىٍّ أخى بنى حارثة ، قال محمد بن إبراهيم : وأيم الله ما كان سَهْلٌ بأكثر علما منه ، ولكنه كان أسَنَّ منه ، إنه قال له والله ماهكذا كان الشأن ، ولكن سَهْلاً أوهم ، ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «احلفوا على مالا علم لكم به»، ولكنه كتب إلى يهود خيبر — حين كلمته الأنصار — : « إِنَّهُ قَدْ وُجِدَ قَتِيلٌ بَيْنَ أَبْيَاتِكُمْ فَدُوهُ » فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ، فَوَدَاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده

قال ابن إسحق : وحدثنى عمرو بن شُعَيْب مثل حديث عبد الرحمن ابن بُجَيْد ، إلا أنه قال فى حديثه « دُوهُ أَوِ ائْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ » فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ، فَوَدَاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده

قال ابن إسحق : وسألتُ ابن شهاب الزهرى : كَيْفَ كان إعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خيبر نَخْلَهم — حين أعطاهم النخل — على خَرْجِهَا : أَبَتَّ ذلك لهم حتى قُبِضَ أم أعطاهم إياها الضرورة من غير ذلك ؟ فأخبرنى ابنُ شهابٍ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عَنْوَةً بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خَمَّسَهَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقَسَّمَهَا بين المسلمين ، ونزلَ مَنْ نزل من أهلها على الجَلاَء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « إِنْ شِئْتُمْ دَفَعْتُ إِلَيْكُمْ هٰذِهِ الْأَمْوَالَ عَلَى أَنْ تَعْمَلُوهَا وَتَكُونَ ثِمَارُهَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ وَأُقِرَّكُمْ مَا أَقَرَّكُمُ اللهُ » فقبلوا ، فكانوا على ذلك يعملونها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عَبْدَ الله بن رواحة فيقسم ثمرها ويعدل عليهم فى الخَرْصِ ، فلما

إجلاء اهل خيبر

تَوَفَّى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أقرَّهَا أبو بكر رضى الله تعالى عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم على المعاملة التى عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى توفى ، ثم أقرَّهَا عمر رضى الله عنه صَدْرًا من إمارته ، ثم بلغ عُمَرَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى وَجَعِهِ الذى قَبَضَه الله فيه : « لاَ يَجْتَمِعَنَّ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانِ » ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثَّبْتُ ، فأرسل إلى يهود فقال : إن الله عز وجل قد أَذِنَ فى جلائكم ، فقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لاَ يَجْتَمِعَنَّ بجزيرة العرب دينان » فمن كان عنده عَهْدٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتنى به أُنْفِذْهُ له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فَلْيَتَجَهَّزْ لِلْجَلاء ، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم

قال ابن إسحق : وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، قال: خرجت أنا والزُّبَيْر [بن الْعَوَّام] والْمِقْدَادُ بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا ، قال : فَعُدِىَ علَىَّ تحتَ الليل وأنا نائم على فراشى ، ففُدِعَتْ يَدَاىَ من مَرْفِقَىَّ ، فلما أصبحتُ اسْتُصْرِخ علىَّ صاحِبَايَ ، فأتيانى فسألانى : مَنْ صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدرى ، قال : فأصلحا من يَدَىَّ ثم قدما بى على عمر رضى الله عنه ، فقال : هذا عمل يَهُود ، ثم قام فى الناس خطيبا فقال : أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عَامَلَ يهود خيبر على أنا نُخْرِجُهُمْ إذا شئنا ، وقد عَدَوْا على عبد الله بن عمر فَفَدَعُوا يديه كما قد بلغكم مع عَدْوِهِم على الأنصارىِّ قبله ، لانشك أنهم أصحابه ، ليس لنا هناك عَدُوٌّ غيرهم ، فمن كان له مال بخيبر فَلْيَلْحَقْ به فانى مُخْرِجٌ يَهُودَ ، فأخرجهم

قال ابن إسحق: فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الله بن مَكْنَفٍ أخى بنى حارثة ، قال : لما أَخْرَجَ عمر يهود من خيبر ركب فى المهاجرين والأنصار وخرج معه جَبَّار بن صخر بن أمية بن خَنْساء أخى بنى سلمة ، وكان خَارِصَ أهل المدينة وحاسبهم ، ويزيد بن ثابت ، فهما قَسَّمَا خيبر على أهلها على أصل جماعة السُهْمَان التى كانت عليها ، وكان ماقسم عمر بن الخطاب رضى الله عنه من وادى القُرَى : لعثمان بن عفان خَطَر[1] ولعبد الرحمن بن عوف خَطَر ، ولعمر بن أبى سلمة خطر ، ولعامر بن أبى ربيعة[2] خطر ، ولعمرو بن سُرَاقة خطر ، ولأشْيَمِ خَطَر (قال ابن هشام : ويقال: ولأسلم) ولبنى جعفر خطر ، وَلمُعَيْقِبِ خطر ، ولعبد الله بن الأرقم خطر ، ولعبد الله وعبيد الله خطران ، ولابن عبد الله بن جَحْش خطر ، ولابن البُكَيْر [خطر] ، وَلمُعْتَمِر خطر ، ولزيد بن ثابت خطر ، ولأُبَىّ بن كعب خطر ، ولمعاذ بن عَفْراء خطر ، ولأبى طلحة وحسن خطر ، ولجَبَّار بن صخر وجابر بن عبد الله بن رئاب خطر ، ولمالك بن صَعْصَعَة وجابر بن عبد الله بن عَمْرٍو خطر ، ولابن حُضَيْر خطر ، ولابن سعد بن معاذ خطر ، ولسلمة بن سلامة خطر ، ولعبد الرحمن بن ثابت وأبى شريك خطر ، ولأبى عَبْس بن جَبْر خطر ، ولمحمد بن مسلمة خطر ، ولعبادة بن طارق خطر ، (قال ابن هشام : ويقال : لقتَادة) قال ابن إسحق : ولجبر بن عَتيك نصفُ خطرٍ ، ولابنى الحرث بن قيس نصف خطر ، ولابن حَزَمَةَ والضحاك خطر ، فهذا مابلغنا من أمر خيبر ووادى القرى ومقاسمها

---

(١) خطر : حظ ونصيب ، تقول : أخطر لى فلان ، إذا جعل لك نصيبا ، وسيأتى تفسيره بهذا المعنى عن ابن هشام

(٢) قال أبو ذر : « كذا وقع ، وصوابه لعامر بن ربيعة » اه

قال ابن هشام : الخطر : النصيب ؛ يقال : أخطرلى فلان خطراً

ذكر قدوم جعفر [بن أبى طالب] من الحبشة ،

وحديث المهاجرين إلى الحبشة

عاد بقية مهاجرى الحبشة يوم فتح خيبر

قال ابن هشام : وذكر سفْيَانُ بن عُيَيْنَةَ ، عن الأجلح ، عن الشعبي ، أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر ، فَقَبَّلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين عَيْنَيه ، والتزمه ، وقال : « مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أَسَرُّ بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَر »

تسمية الذين بقوا من مهاجرى الحبشة الى ذلك الوقت

قال ابن إسحق : وكان مَنْ أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشيّ عَمْرو بن أُمَيَّة الضَّمْرى ، فحملهم فى سفينتين ، فقدم بهم عليه صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بعد الحديبية

من بنى هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبى طالب [بن عبد المطلب] معه امرأته أسماء ابنة عُمَيْس الخَثْعَمِيَّةُ ؛ وابنهُ عبدُ الله بن جعفر ، وكانت وَلَدَتْه بأرض الحبشة ، قُتِلَ جعفر بمُؤْتة من أرض الشأم أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجل

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أُمَيْنَة بنت خَلَف بن أسعد (قال ابن هشام : ويقال : هُمَيْنَةُ بنت خلف) وابناه : سعيدُ بن خالد ، وَأَمَةُ بنت خالد ، ولدتهما بأرض الحبشة ، قُتِلَ خالدٌ بمَرْج الصُّفَّرِ فى خلافة أبى بكر الصديق بأرض الشام ؛ وأخوه عَمْرو بن سعيد بن العاص ، معه امرأته فاطمة بنت صَفْوَان بن أمية بن مُحَرِّث الكنانى ، هلكت بأرض الحبشة ، قُتِلَ عمرو

بأَجنادِينَ من أرض الشام فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، وَلعمرو بن سعيد يقول أبوه سعيد بن العاص [بن أمية] أبو أُحَيْحَة : —

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى عَنْكَ يَا عَمْرُو سَائِلاً
إِذَا شَبَّ وَاشْتَدَّتْ يَدَاهُ وَسُلِّحَا (١)

أَتَتْرُكُ أَمْرَ الْقَوْمِ فِيهِ بَلاَبِلٌ
وَتَكْشِفُ غَيْظاً كَانَ فِى الصَّدْرِ مُوجَحَا (٢)

ولعمرو وَخالد يقول أخوهما أَبَانُ بن سعيد بن العاص حين أسلما ، وكان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالظُّرَيْبَةِ من ناحية الطائف ، هلك فى مال له بها : —

أَلاَ لَيْتَ مَيْتاً بِالظُّرَيْبَةِ شَاهِدٌ
لِمَا يَفْتَرِى فِى الدِّينِ عَمْرٌو وخَالِدُ (٣)

أَطَاعَا بِنَا أَمْرَ النِّسَاءِ فَأَصْبَحَا يُعِينَانِ مِنْ أَعْدَائِنَا مَنْ نُكَايِدُ

فأجابه خالد بن سعيد فقال :—

أَخِى مَا أَخِى لاَ شَاتِمٌ أَنَا عِرْضَهُ وَلاَ هُوَ مِنْ سُوءِ الْمَقَالَةِ مُقْصِرُ
يَقُولُ إِذَا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ أُمُورُهُ أَلاَ لَيْتَ مَيْتاً بِالظُّرَيْبَةِ يُنْشَرُ
فَدَعْ عَنْكَ مَيْتاً قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ وَأَقْبِلْ عَلَى الْأَدْنَى الَّذِى هُوَ أَفْقَرُ

---

(١) سلحا ـ بالبناء للمجهول ـ ألبس السلاح

(٢) بلابل : أى تخليط واضطراب ، وكان فى الصدر موجحا : أى مستورا

(٣) يفترى ـ بالفاء ـ من الافتراء الذى هو الكذب ، ويروى بالقاف ومعناه يتتبع ، تقول : قروت الأرض ونحوها ، إذا تتبعتها

وَمُعَيْقِيبُ بن أبى فاطمة خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المسلمين وكان إلى آل سعيد بن العاص؛ وَأبو موسى الأشعرى عبدُ الله بن قَيْسٍ حليف آل عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أربعة نفر

ومن بنى أسد بن عبدالعزى بن قُصَىٍّ : الأسودُ بن نَوْفَل بن خُوَيْلد رجل

ومن بنى عبد الدار بن قُصَىٍّ : جَهْمُ بن قَيْس بن عبد شُرَحْبيل، معه ابناه : عمرو بن جَهْم ، وخُزَيْمة بن جَهْم ، وكانت معه امرأته أمُّ حَرْملة بنت عبد الأسود هلكت بأرض الحبشة ، وابناه لها ، رجل

ومن بنى زُهْرَةَ بن كلابٍ : عَامِرُ بن أبى وَقَّاص ، وعُتَبةُ بن مَسْعُود حليف لهم من هذيل ، رجلان

ومن بنى تَيْم بن مُرَّة بن كَعْبٍ : الحرثُ بن خالد بن صَخْر ، وقد كانت معه امرأته رَيْطَةُ بنت الحرث بن جُبَيلة هلكت بأرض الحبشة ، رجل

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب : عُثمَانُ بن ربيعة بن أُهْبَان ، رجل

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب : مَحْمِيَّةُ بن الجَزْءِ ، حليف لهم من بنى زُبَيْد ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعله على خُمُس المسلمين ، رجل

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى : مَعْمَرُ بن عبد الله بن نَضْلَة ، رجل

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب: أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ،

ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس معه امرأته عَمْرَةُ بنت السَّعْدِىّ ابن وَقْدَان بن عبد شمس ، رجلان

ومن بنى الحرث بن فهر بن مالك : الحرثُ بن عبد قيس بن لَقيط ، رجل

وقد كان حَمَلَ [النجاشىُّ] معهم فى السفينتين نساءً من نساء من هَلَكَ هنالك من المسلمين ، فهؤلاء الذين حمل النجاشى مع عمرو بن أمية [الضمرى] فى السفينتين ، فجميع من قدم فى السفينتين [إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم] ستة عشر رجلا

شأن عبيد الله ابن جحش وزواج رسول الله امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان

وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة ولم يَقْدَمْ إلا بعد بدر ولم يحمل النجاشى فى السفينتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قدم بعد ذلك ومن هلك بأرض الحبشة من مهاجرة الحبشة : من بنى أُمَيَّةَ بن عبد شمس ابن عبد مناف : عُبَيْدُ الله بن جَحْش بن رئاب الأسدى أسدِ خُزَيْمَةَ ، حليف بنى أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وابنته حبيبة بنت عبيد الله ، وبها كانت تكنى أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وكان اسمها رَمْلَةَ ، خرج مع المسلمين مُهَاجِرًا فلما قدم أرض الحبشة تَنَصَّر بها وفارق الاسلام ، ومات هنالك نصرانياً ، فَخَلَفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على امرأته من بعده أمِّ حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب

قال ابن إسحق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، قال : خرج عبيد الله بن جحش مع المسلمين مسلما ، فلما قدم أرضَ الحبشة تَنَصَّر قال : فكان إذا مَرَّ بالمسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فَقَّحْنَا وَصَأْصَأْتُم » أى : قد أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بَعْدُ ، وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ

قبل ذلك ، فضرب ذلك له ولهم مثلا ، أى : إنا قد فَتَّحْنَا أعيننا فأبصرنا ولم تفتحوا أعينكم فتبصروا وأنتم تلتمسون ذلك

قال ابن إسحق : وقيس بن عبدالله ، رجل من بنى أسد بن خُزَيْمَة ، وهو أبو أمية بنت قيس التى كانت مع أم حبيبة ، وامرأته بَرَكة بنت يَسَار مولاة أبى سفيان بن حرب ، كانتا ظِئْرَىْ عُبَيدالله بن جحش (١) ، وأمِّ حبيبة بنت أبى سفيان ، فخرجا بهما معهما حين هاجرا إلى أرض الحبشة ، رجلان

ومن بنى أسد بن عبد الْعُزَّى بن قصى : يزيد بن زَمْعَة بن الأسود ابن المطلب بن أسد ، قُتِلَ يوم حُنَيْن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً ، وعمرو بن أمية بن الحرث بن أسد ، هلك بأرض الحبشة ، رجلان

ومن بنى عبد الدار بن قصى : أبو الرُّوم بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفِرَاس بن النَّضْر بن الحرث بن كَلَدَة بن عَلْقَمَة بن عبد مناف بن عبد الدار ، رجلان

ومن بنى زُهْرَة بن كلاب بن مرة : المطلبُ بن أزهر بن عبدعوف ابن عبدبن الحرث بن زهرة ، معه امرأته رَمْلَة بنت أبى عوف بن ضُبَيْرة بن سعيد بن سعد بن سهم ، هلك بأرض الحبشة ، ولدت له هنالك عبد الله ابن المطلب فكان يقال : إن كان لأولَ رجل ورث أباه فى الإسلام ، رجل

ومن بنى تَيْم بن مرة بن كعب بن لؤى : عَمْرُو بن عثمان بن عمرو [بن كعب] بن سعد بن تَيْم ، قتل بالقَادِسيَّة مع سعد بن أبى وَقَّاص ، رجل

---

(١) الظئر ـ بكسر الظاء وسكون الهمزة ـ المرأة التى ترضع ولد غيرها ، وكانت حليمة السعدية ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن بنى مَخْزُوم بن يَقَظَة بن مرة بن كعب : هَبَّار بن سُفْيان ابن عبد الأسد ، قتل بأَجْنَادِينَ من أرض الشأم فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، وأخوه عبدُ الله بن سُفْيَان ، قتل عام الْيَرْمُوك بالشأم فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يُشَكّ فيه أقتل ثَمّ أم لا ، وهشامُ بن أبى حُذَيْفة بن المغيرة ، ثلاثة نفر

ومن بنى جُمَحَ بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب : حاطب بن الحرث ابن معَمَر بن حبيب بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح ، وابناه : محمد ، والحرث ، ومعه امرأته [فاطمة] بنت الْمُجَلَّل ، هلك حاطب هناك مسلما فقدمت امرأته وابناه ، وهى أمهما ، فى إحدى السفينتين ، وأخوه حَطَّابُ ابن الحرث معه امرأته فُكَيْهة بنت يَسَار ، هلك هنالك مسلما فقدمت امرأته فكيهة فى إحدى السفينتين ، وسفيان بن معْمر بن حبيب ، وابناه : جُنَادة ، وجابر ، وأمهمامعه حَسَنَةُ ، وأخوهمالأمهما شُرَحْبيل بن حَسَنَة ، وهلك سفيان وهلك ابناه جنادة وجابر فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ستة نفر

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب : عبد الله بن الحرث بن قَيْس بن عَدِىّ بن سُعَيْد بن سَهْم الشاعر ، هلك بأرض الحبشة ، وقَيْسُ بن حُذَافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم ، وأبو قيس بن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم ، قُتِلَ يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وعبْدُ الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد ابن سهم ، وهو رسولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ، والحرثُ بن الحرث بن قيس بن عدى ، ومعمر بن الحرث بن قيس بن عدى ، و بشر بن الحرث بن قيس بن عدى ، وأخٌ له من أمه من بنى

تميم يقال له سعيد بن عمرو قُتِلَ بأجْنَادِينَ فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، وسعيد بن الحرث بن قيس ، قُتِلَ عام اليرموك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والسائب بن الحرث بن قيس ، جُرِحَ بالطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقُتل يوم فَحْل فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ويقال : قتل يوم خيبر ، يُشَكّ فيه ، وعُمَيْر بن رئاب بن حُذَيْفَةَ بن مِهْشَم بن سعيد بن سهم ، قتل بعين التَّمْر مع خالد بن الوليد مُنْصَرَفَهُ من اليمامة فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، أحَدَ عشر رجلا

ومن بنى عدىّ بن كعب [بن لؤى] : عروةُ بن عبدالْعُزَّى بن حُرْثَان ابن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب ، هلك بأرض الحبشة ، وعدىُّ بن نَضْلَةَ بن عبد الْعزَّى بن حُرْثَان ، هلك بأرض الحبشة ، رجلان ، وقد كان مع عدى ابنه النُّعْمَانُ بن عدى ، فقدم النعمان مع من قدم من المسلمين من أرض الحبشة ، فبقى حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب ، فاستعمله على مَيْسَانَ من أرض الْبَصْرَة فقال أبياتًا من شعر ، وهى : —

شأن النعمان بن عدى

ألاَ هَلْ أتَى الْحَسْنَاءَ أنَّ حَلِيلَهَا
بِمَيْسَانَ يُسْقَى فِى زُجَاجٍ وَحَنْتَمِ (١)
إذَا شِئْتُ غَنَّتْنِى دَهَاقِينُ قَرْيَةٍ وَرَقَّاصَةٌ تَجْذُو عَلَى كُلِّ مَنْسِمِ (٢)

---

(١) الحليل ـ بالحاء المهملة ـ الزوج ، ويقال للمرأة : حليلة ، وإنما قيل لكل منهما ذلك لأن الرجل يحل للمرأة والمرأة تحل للرجل ، والحنتم ـ بفتح الحاء المهملة وسكون النون بعدها تاء مثناة مفتوحة ـ جرار مدهونة بخضرة تضرب إلى الحمرة

(٢) الدهاقين : جمع دهقان ، وهو العارف بأمور القرية ومنافعها ومضارها ، و « رقاصة » يروى فى مكانه « وصناجة » وهى التى تضرب

فَإِنْ كُنْتَ نَدْمَانِى فَبِالْأَكْبَرِ اسْقِنِى
وَلاَ تَسْقِنِى بِالْأَصْغَرِ الْمُتَثَلِّمِ (١)
لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوءُهُ
تَنَادُمُنَا فِى الْجَوْسَقِ الْمُتَهَدِّمِ (٢)

فلما بلغت أبياته عمر قال : نعم والله ، إنَّ ذلك ليسوءنى ، فمن لقيه فليُخبِرْهُ أنى قدعزلته ، وعزله ، فلما قدم عليه اعتذر إليه وقال : والله ياأمير المؤمنين ماصنعتُ شيئاً مما بلغك أنى قُلْتُهُ قَطُّ ، ولكنى كنت امرأ شاعراً وجدت فَضْلاً من قول فقلت فيما تقول الشعراء ، فقال له عمر : وايم الله لا تعمل لى على عملٍ ما بقيتُ وقد قلت ماقلت .

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب بن فهر : سَليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وهوكان رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هَوْذَةَ بن على الحنفى باليمامة ، رجل :

ومن بنى الحرث بن فهر بن مالك : عُثْمَانُ بن عبد غَنْم بن زُهَيْر ابن أبى شداد ، وسعد بن عبد قَيْس بن لَقِيط بن عامر بن أمية بن ظَرِب ابن الحرث بن فهر ، وعِيَاض بن زهير بن أبى شداد ، ثلاثة نفر .

فجميع من تخلَّف عن بدر ولم يَقْدَمْ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ومن قدم بعد ذلك ولم يحمل النجاشى فى السفينتين أربعة وثلاثون رجلا

بالصنج ، والصنج : من آلات الغناء ، وقوله « تجذو » معناه تبرك على ركبتيها ، وأصله تجثو ـ بالثاء المثلثة ـ فأبدل الثاء ذالا ، والمنسم أراد به طرف قدمها ، وإنما أصل المنسم طرف خف البعير ، فاستعاره هنا للانسان

(١) المتثلم : المنشعب ، تقول : ثلمت الاناء ، إذا شعبته وأحدثت فيه ثلما

(٢) الجوسق : البنيان العالى ، ويقال : هو الحصن

الذين ماتوا بأرض الحبشة من المسلمين الذين هاجروا إليها

وهذه تسمية [جملة] من هلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة : من بنى عبد شمس بن عبد مناف : عبيدُ الله بن جحش بن رئاب حليف بنى أمية مات بها نصرانيا .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : عَمْرُو بن أمية بن الحرث ابن أسد .

ومن بنى جُمَح : حاطب بن الحرث ، وأخوه حَطّاب بن الحرث

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عبدالله بن الحرث ابن قيس .

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى : عُرْوَةُ بن عبد العزى بن حُرْثان ابن عوف ، وعدى بن نضلة ، سبعة نفر .

ومن أبنائهم : من بنى تَيْم بن مرة ، موسى بن الحرث بن خالد بن صخر بن عامر ، رجل

النساء اللائى هاجرن إلى الحبشة

وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء من قدم منهن ومن هلك هنالك سِت عَشْرَةَ امرأة سوى بناتهن اللاتى وُلِدْنَ هنالك من قدم منهن ومن هلك هنالك ومن خرج به معهن حين خرجن :

من قريش : من بنى هاشم : رُقَيَّةُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى أميَّة أمُّ حبيبة بنت أبى سفيان معها ابنتها حبيبة خرجت بها من مكة ورجعت بها معها .

ومن بنى مَخْزوم : أمُّ سَلَمَةَ ابنة أبى أمية ، قدمت معها بزينب ابنتها من أبى سلمة ، ولدتها هنالك

ومن بنى تيم بن مرة : رَيْطَةَ بنت الحرث بن جُبَيْلَة ، هلكت

بالطريق ، وَبنتان لها كانت ولدتهما هنالك : عائشة بنت الحرث ، وزينب بنت الحرث ، هلكن جميعا وأخوهنّ موسى بن الحرث من ماء شربوه فى الطريق ، وقدمت بنت لها ولدتها هنالك فلم يبق من ولدها غيرها يقال لها فاطمة

ومن بنى سهم بن عمرو : رَمْلَة بنت أبى عَوْف بن ضُبَيْرة

ومن بنى عدى بن كعب : لَيْلَى بنت أبى حَثْمَة بن غانم

ومن بنى عامر بن لؤى : سَوْدَةُ بنت زَمْعة بن قيس ، وَسَهْلة بنت سُهَيْل بن عَمْرو ، وابنة الْمُحَلَّل ، وَعَمْرَةُ بنت السَّعْدِىّ بن وَقْدان ، وأُمّ كلثوم بنت سهيل بن عمرو

ومن غرائب العرب : أسماء بنت عُمَيْس بن النُّعْمان الْخَثْعَمِيَّة ، وفاطمة بنت صَفْوان بن أمية بن مُحَرِّث الكنانية ، وفُكَيْهةُ بنت يَسَار ، وبركة بنت يسار ، وَحَسَنَةُ أم شُرَحْبيل بن حَسَنة

مواليد الحبشه من ابناء المسلمين

وهذه تسمية من ولد من أبنائهم بأرض الحبشة : من بنى هاشم : عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، ومن بنى عبد شمس : محمدُ بن أبى حُذَيْفَة ، وسعيد بن خالد بن سعيد ، وأخته أَمَةُ بنت خالد ، ومن بنى مخزوم : زَيْنَبُ بنت أبى سلمة بن عبد الأسد ، ومن بنى زُهْرة : عبدُ الله بن المطلب بن أزهر ، ومن بنى تَيم موسى بن الحرث بن خالد ، وأخواته : عائشة بنت الحرث ، وفاطمة بنت الحرث ، وزينب بنت الحرث الرجال منهم خمسة : عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن أبى حذيفة ، وسعيد بن خالد ، وعبد الله بن المطلب ، وموسى بن الحرث ، ومن النساء خمس : أَمَة بنت خالد ، وزينب بنت أبى سلمة ، وعائشة وزينب وفاطمة بنات الحرث بن خالد بن صخر

قال ابن إسحق : فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر أقام بها شَهْرَىْ ربيع ، وجُمَادَيْنِ ، و رجبا ، وشعبان ، ورمضان وشوالا ، يبعث فيما بين ذلك من غَزْوه سراياه صلى الله عليه وسلم

عُمْرَةُ الْقَضَاء [في ذي القعده سنة سبع]

وقت خروج النبي الى العمرة

ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صَدَّهُ فيه المشركون مُعْتَمِراً عُمْرَةَ القضاء مكان عمرته التى صَدُّوه عنها

عامل النبي على المدينة

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عُوَيْفَ بن الأَضْبَط الديلى ، ويقال لها عمرة القصاص ؛ لأنهم صَدُّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ست ، فاقتصَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فدخل مكة فى ذى القعدة فى الشهر الحرام الذى صَدُّوه فيه من سنة سبع ، وبلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله فى ذلك (٢ : ١٩٤) : (والْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ)

قال ابن إسحق : وخرج معه المسلمون ممن كان صُدَّ معه فى عمرته تلك ، وهى سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه ، وتَحَدَّثَتْ قريش بينها أن محمدا وأصحابه فى عُسْرَةٍ وجَهْدٍ وشِدَّة

الاضطباع والرمل فى الطواف وسببهما

قال ابن إسحق : فحدثنى من لا أتهم ، عن ابن عباس قال : صفُّوا له عند دار النَّدْوَة (١) لينظروا إليه و إلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطبع (٢) بردائه وأخرج عَضُدَهُ اليمنى ثم قال : « رَحِمَ الله امرأً

(١) صفوا له : يريد أنهم اصطفوا وجلسوا صفوفا ، ودار الندوة : هى التى كانوا يجتمعون فيها للشورى والرأى

(٢) الاضطباع : أن يدخل بعض ردائه تحت عضده اليمنى ويجعل طرفه على منكبه الأيسر .

أراهُمُ الْيَوْمَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً » ثم استلم الركن ، وخرج يُهَرْوِلُ[(١)] ويُهَرْوِلُ أصحابه معه ، حتى إذا واراه البيت منهم واستلم الركن اليمانى مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هَرْوَل كذلك ثلاثة أطواف ، ومشى سائرها ، فكان ابن عباس يقول : كان الناس يَظُنُّونَ أنها ليست عليهم ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صنعها لهذا الحى من قريش للذى بَلَغَه عنهم حتى [إذا] حج حَجَّة الْوَدَاع فلزمها فَمَضَتْ السُّنَّةُ بها

رسول الله يدخل مكة

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فى تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رَوَاحة آخذ بخطام ناقته[(٢)] يقول : —

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ   خَلُّوا فَكُلُّ الْخَيْرِ فِى رَسُولِهِ[(٣)]
يَارَبِّ إِنِّى مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ   أَعْرِفُ حَقَّ اللهِ فِى قَبُولِهِ[(٤)]
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ   كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ   وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ[(٥)]

قال ابن هشام : « نحن قتلناكم على تأويله » إلى آخر الأبيات لعمار بن

---

(١) الهرولة : فوق المشى ودون الجرى

(٢) خطام الناقة : الحبل الذى تقاد به

(٣) سبيله : طريقه التى انتهجها له الله تعالى

(٤) قيله : القيل ـ بكسر القاف ـ والقول ـ بفتح فسكون ـ والقال ـ بالفتح وقلب الواو ألفا ـ كل ذلك عند جماعة من أهل اللغة بمعنى واحد ، ويقال : القول هو المصدر ، والقيل : الاسم

(٥) الهام : جمع هامة ، والمراد هنا الرأس ، ومقيل الهام : الأعناق ويذهل : يشغل

ياسر فى غير هذا اليوم ، والدليل على ذلك أن ابن رَوَاحة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يقروا بالتنزيل و إنما يُقْتَل على التأويل من أَقَرَّ بالتنزيل

رسول الله يتزوج ميمونة بنت الحارث

قال ابن إسحق : وحدثنى أبَان بن صالح وعبد الله بن أبى نَجيح ، عن عطاء بن أبى رباح ، ومجاهدُ بن الحجّاجَ عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوّج مَيْـمُونَةَ بنت الحرث فى سَفَره ذلك ، وهو حرامٌ وكان الذى زَوَّجَه إياها العباس بن عبد المطلب

قال ابن هشام : وكانت جَعَلَتْ أمرها إلى أختها أمّ الفضل ، وكانت أم الفضل تَحْت العباس ، فجعلت أم الفضل أَمْرَها إلى العباس ، فزَوَّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم [بمكة] ، وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم

إقامة النبى بمكة وخروجه منها

قال ابن إسحق: فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا فأتاه حُوَيْطب بن عبد العُزَّى بن أبى قيس بن عبد وُدٍّ بن نصر بن مالك بن حِسْلٍ فى نفر من قريش فى اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وَكَّلَتْهُ باخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فقالوا له : إنه قد انقضى أجَلُكَ فاخرج عنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « وَمَا عَلَيْكُمْ لَوْ تَرَكْتُمُونِى فَأَعْرَسْتُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَصَنَعْنَا لَكُمْ طَعَاماً فَحَضَرْتُمُوهُ » قالوا : لا حاجة لنا فى طعامك فاخرج عنا ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخَلَّفَ أبا رافعٍ مولاه على مَيْمُونة حتى أتاه بها بِسَرِفَ فَبَنَى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فى ذى الحجة

قال ابن هشام : فأنزل الله عز وجل عليه فيما حدثنى أبو عبيدة ، : (٤٨ : ٢٧) (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ

إِنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) يعنى خيبر

ذكر غزوة مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان

ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة

قال ابن إسحق : فأقام بها بقية ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون ، والمحرمَ ، وصفراً ، وشهرَىْ ربيع ، وبعث فى جُمادى الأولى بَعْثَه إلى الشأم الذين أصيبوا بمُؤْتَةَ (١)

قال ابن إسحق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُرْوَةَ بن الزبير ، قال : بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بَعْثَهُ إلى مُؤْتَةَ فى جُمادى الأولى [من] سنة ثمانٍ ، واستعمل عليهم زيدَ بن حارثة ، وقال : «إن أُصيبَ زيدٌ فجعفرُ بنُ أبى طالبٍ على النَّاسِ ، فإنْ أُصيبَ جعفرٌ فعبدُ الله ابنُ رَوَاحَةَ على الناسِ » فتجهَّزَ النَّاسُ ثم تهيَّؤُا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف : فلما حضر خروجُهُمْ وَدَّعَ الناسُ أمراءَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلَّموا عليهم ، فلما وُدِّعَ عبدُ الله بن رَوَاحة مع من وُدِّعَ من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى ، فقالوا : ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بى حُبُّ الدنيا ولا صَبَابَةٌ بكم ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله عز وجل يذكر فيها النار :

---

(١) «مؤتة» قال أبو ذر : « مؤتة اسم موضع بالشأم ، حكى فيه أبو العباس ثعلب الهمز ، وغيره من اللغويين لا يهمز ، وأما الموتة التى هى ضرب من الجنون فهى غير مهموزة بلا خلاف » اه كلامه

(١٩ : ٧١) : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا﴾ فلستُ أُدري كيف لى بالصَّدَر بعد الوُرُود ، فقال المسلمون : صَحِبَكم الله ، ودفع عنكم وردَّكم إلينا صالحين ، فقال عبدُ الله بن رَوَاحَة : —

كلمة لعبد الله بن رواحة يتمنى فيها الشهادة

لَكِنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً
وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا (١)

أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً
بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا (٢)

حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَثِي
أَرْشَدَهُ اللهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا (٣)

قال ابن إسحق : ثم إن القوم تَهَيَّؤُا للخروج ، فأتى عبدُ الله بن رَوَاحة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فوَدَّعه ، ثم قال : —

كلمة لعبد الله بن رواحة فى مدح رسول الله وتوديعه

فَثَبَّتَ اللهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ
تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصْراً كَالَّذِى نُصِرَا (٤)

---

(١) ذات فرغ : يريد واسعة ، والزبد : أصله مايعلو الماء إذا غلا ، وأراد ههنا مايعلو الدم الذى ينفجر من الطعنة

(٢) مجهزة : سريعة القتل ، تقول : أجهز على الجريح ، إذا أسرع فى قتله ، وتنفذ الأحشاء : تخرقها وتصل إليها

(٣) الجدث ـ بفتح الجيم والدال المهملة ، وآخره ثاء مثلثة ـ هو القبر ، وربما أبدلوا ثاءه فاء

(٤) ثبت الله : قواه وأيده وجعل له الغلبة ، ما آتاك من حسن : يريد به الدين المتين .

إنِّى تفرَّسْتُ فيكَ الْخيْرَ نَافِلَةً اللهُ يَعْلَمُ أنِّى ثَابِتُ الْبَصَرِ [١]

أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحْرَمْ نَوَافِلَهُ

وَالْوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أَزْرَى بِهِ الْقدَرُ [٢]

قال ابن هشام : أنشدنى بعضُ أهل العلم بالشعر هذه الأبيات : —

أنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحْرَمْ نَوَافِلَهُ

وَالْوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أزْرَى بِهِ الْقَدَرُ

فَثَبَّتَ اللهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ

فِى الْمُرْسَلِينَ وَنَصْرًا كَالَّذِى نُصِرُوا

إنِّى تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً فِرَاسَةً خَالَفَتْ فِيكَ الَّذِى نَظَرُوا

يعنى المشركين ، وهذه الأبيات فى قصيدة له

قال ابن إسحق : ثم خرج القومُ وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يُشَيِّعُهُم ، حتى إذا وَدَّعَهُمْ وانصرف عنهم قال عبدُ الله بن رَوَاحة : —

خَلَفَ السَّلاَمُ عَلَى امْرِىءٍ وَدَّعْتُهُ

فِى النَّخْلِ خَيْرِ مُشَيَّعٍ وَخَلِيلِ

ثم مَضَوْا حتى نزلوا مُعَان من أرض الشأم ، فبلغ الناسَ أن هِرَقْلَ قد نزل مآبَ من أرض الْبَلْقَاءِ فى مائة ألف من الرُّوم ، وانضم إليهم من لَخْمٍ وَجُذَامَ والْيَقَيْنِ وَبَهْرَاءَ وَبَلِيٍّ مائةُ ألفٍ منهم عليهم رجلٌ من بَلِيٍّ ثم

---

(١) تفرست : تبينت ، ونافلة : هبة من الله وعطية منه ، والنوافل : الهبات والعطايا .

(٢) أزرى به القدر : قصر به . ويقال : أزريت بفلان ، إذا قصرت به

أحد إرَاشَةَ يقال له : مالك بن زافلة ؛ فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على مُعَانَ ليلتين يفَكِّرُونَ فى أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعَدَدِ عَدُوِّنَا ؛ فإما أن يُمِدَّنَا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فَنَمْضِيَ له ، قال : فَشَجَّعَ الناسَ عبدُ الله بن رَوَاحة وقال : ياقوم ، والله إن التى تَكْرَهُونَ لَلَّتِي خرجتم تطلبون ، الشهادة ، وما نقاتل الناسَ بعدَدٍ ولاقُوَّة ولا كَثْرة ، ولا نقاتلهم إلا بهذا الدِّين الذى أكْرَمَنَا الله به فانطلقوا فإنما هى إحدى الحُسْنَيَيْنِ إما ظُهُور وإما شهادة ، قال : فقال الناس : قَدْ والله صَدَقَ ابنُ رَوَاحَةَ ، فمضى الناس ، فقال عبد الله بن رَوَاحة فى محْبِسِهم ذلك : —

قصيدة لعبد الله بن رواحة فى يوم مؤتة

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجَا وَفَرْعٍ ... تُغَرُّ مِنَ الْحَشِيشِ لَهَا الْعُكُومُ (١)

حَذَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَّانِ سِبْتًا ... أَزَلَّ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ (٢)

أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ عَلَى مُعَانٍ ... فَأُعْقِبَ بَعْدَ فَتْرَتِهَا جُمُومُ (٣)

فَرُحْنَا وَالْجِيَادُ مُسَوَّمَاتٌ ... تَنَفَّسَ فِي مَنَاخِرِهَا السَّمُومُ (٤)

---

(١) أجأ ـ بفتح الهمزة والجيم ، وآخره همزة ـ أحد جبلى طيء ، والآخر سلمى ، وفرع : يروى بالعين المهملة وبالغين المعجمة ، وهو اسم موضع ، وتغر : أى تطعم شيئا بعدشيء ، تقول : غررت الطائر ، إذا أطعمته والعكوم : الجنوب .

(٢) حذوناها : جعلنا لها حذاء ، والحذاء : النعل ، والصوان : حجارة ملس ، واحدتها صوانة ، والسبت ـ بكسر السين ـ النعال التى تصنع من الجلد المدبوغ ، وأزل : أملس ظاهر الصفحة ، والأديم : الجلد

(٣) معان : اسم موضع ، والجوم : استراحة الفرس ، وأراد منه ههنا استعداده ونشاطه

(٤) مسومات : مرسلات ، أو معلمات ، والسموم : الريح الحارة

فَلاَ وَأَبِي مَآبَ لَنَأْتِيَنْهَا وَإِنْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومُ (١)
فَعَبَّأْنَا أَعِنَّتَهَا فَجَاءَتْ عَوَابِسَ وَالْغُبَارُ لَهَا بَرِيمُ (٢)
بِذِي لَجَبٍ كَأَنَّ الْبَيْضَ فِيهِ إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُهَا النُّجُومُ (٣)
فَرَاضِيَةُ الْمَعِيشَةِ طَلَّقَتْهَا أَسِنَّتُهَا فَتَنْكِحُ أَوْ تَئِيمُ (٤)

قال ابن هشام : ويروى

* جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ آجَامِ قُرْحٍ * (٥)

وقوله « فعبأنا أعنتها » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : ثم مضى الناس ، فحدثني عبدالله بن أبي بكر ، أنه حُدِّثَ عن زَيْد بن أرقم ؛ قال : كنتُ يتيما لعبد الله بن رَوَاحة في حِجْرِهِ ، فخرج بي في سفره ذلك مُرْدِفِي على حَقِيبَةِ رَحْلِهِ (٦) فوالله إنه ليَسِيرُ لَيْلَةً إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه : —

---

(١) مآب : اسم موضع ، وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده ، أو مرفوع على الابتداء ،

(٢) البريم : هو في الأصل خيط تنظمه المرأة ثم تشده على وسطها ، وأراد ههنا الحزام

(٣) بذى لجب : اللجب — بفتح اللام والجيم — كثرة الأصوات واختلاطها ، وذو اللجب : الجيش ، والقوانس : جمع قونس ، وهو أعلى البيضة ، والنجوم : خبر كأن ، وجملة الشرط وجوابه المحذوف معترضة

(٤) تئيم : تبقى بغير زوج ، تقول : آمت المرأة ، إذا لم تتزوج

(٥) قرح : اسم موضع أيضاً

(٦) الحقيبة : ما يجعله الراكب وراءه إذا ركب

إِذَا أَدَّيْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي ... مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحِسَاءِ (١)
فَشَأْنُكِ أَنْعُمٌ وَخَلَاكِ ذَمٌّ ... وَلَا أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي وَرَائِي (٢)
وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ وَغَادَرُونِي ... بِأَرْضِ الشَّأْمِ مُشْتَهِيَ الثَّوَاءِ (٣)
وَرَدَّكِ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ ... إِلَى الرَّحْمٰنِ مُنْقَطِعَ الْإِخَاءِ
هُنَالِكَ لَا أُبَالِي طَلْعَ بَعْلٍ ... وَلَا نَخْلٍ أَسَافِلُهَا رِوَاءُ (٤)

فلما سمعتهن منه بكيت ، قال : فَخَفَقَنِي (٥) بالدِّرة وقال : ماعليك يالُكَعُ (٦) أن يرزقني الله شهادةً وترجع بين شُعْبَتي الرَّحْلِ (٧) ؟ قال : ثم قال عبد الله بن رَوَاحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز : —

---

(١) أصل الحساء جمع حسى ، مثل دلو ودلاء وظبي وظباء ، والحسى : ماء يغور فى الرمل فاذا بحثت عنه وجدته

(٢) ولا أرجع : جزم هذا الفعل على الدعاء ، يدعو على نفسه بأن يستشهد فى هذه الوقعة ولا يرجع إلى أهله

(٣) الثواء — بفتح الثاء المثلثة — الاقامة ، وتقول : ثوى فى المكان يثوى — من باب ضرب — إذا أقام

(٤) البعل : الذى يشرب بعروقه من الأرض ، والعذى : الذى يشرب من ماء السماء ؛ وقوله « أسافلها رواء » أظهر ما فيه أنه مبتدأ وخبر ؛ ففى هذا البيت الاقواء ، وهو اختلاف حركة الروى

(٥) خفقنى : ضربنى ، والدرة : العصا

(٦) لكع — بضم اللام وفتح الكاف ، وهذه صيغة مستعملة فى سب الذكور ، ولا تستعمل إلا فى النداء — وهو اللئيم ، وقد وقع ههنا منادى على الأصل

(٧) شعبتا الرحل : طرفاه المقدم والمؤخر

يَا زَيْدُ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ الذُّبَّلِ
تَطَاوَلَ اللَّيْلُ هُدِيتَ فَانْزِلِ [1]

لقاء القوم والروم

قال ابن إسحق : فمضي الناسُ حتى إذا كانوا بتُخُومِ الْبَلْقَاء [2] لقيتهم جموعُ هِرَقْل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشَارِف ، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤْتَةُ ، فالتقى الناس عندها فتعبَّأ لهم المسلمون ؛ فجعلوا على مَيْمَنَتِهِم رجلاً من بنى عُذْرة يقال له : قُطْبة ابن قتادة وعلى مَيْسَرَتِهِم رجلا من الأنصار يقال له : عَبَايَةُ بن مالك (قال ابن هشام : ويقال : عُبَادَةُ بن مالك) قال ابن إسحق : ثم التقى الناس ، واقتتلوا ، فقاتل زيدُ بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شَاطَ فى رِمَاحَ القوم [3] ، ثم أخذها جَعْفَرٌ فقاتل بها حتى إذا أَلْحَمَهُ القتال اقْتَحَمَ عن [4] فرس له شَقْرَاء ، فعَقَرَهَا ، ثم قاتل القوم حتى قُتِلَ ؛ فكان جعفرٌ أولَ رجل من المسلمين عَقَرَ فى الاسلام

وحدثنى يحيي بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير، عن أبيه عَبَّاد، قال : حدثنى أبى الذى أرضعنى ، وكان أحدَ بنى مُرَّة بن عَوْف فكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة ، قال: والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول :

---

(١) اليعملات : جمع يعملة ، وهى الناقة السريعة ، والذبل : التى أضعفها السير فقل لحمها

(٢) التخوم : حدود الأرضين التى تقع بين أرض وأرض ، ويقال بفتح التاء أوضمها

(٣) شاط فى رماح القوم : أى هلك ، تقول : شاط الرجل ، إذا سال دمه فهلك

(٤) اقتحم عن فرس له : أى رمى بنفسه عنها ، يريد أنه كان فارسا فترجل

يَاحَبَّذَا الْجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا طَيِّبَةً وَبَارِدًا شَرَابُهَا

وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا كَافِرَةً بَعِيدَةً أَنْسَابُهَا

عَلَيَّ إِذْ لاَقَيْتُهَا ضِرَابُهَا

جعفر يحمل اللواء

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به من أهل العلم أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللِّوَاء بيمينه فَقُطِعَتْ ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحْتَضَنَهُ بعَضُدَيْه [1] حتى قُتِلَ رضي الله عنه وَهُوَ ابنُ ثلاثٍ وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جَنَاحَيْن في الجنة يطير بهما حيث شاء ، ويقال : إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربةً فقطعه [2] نصفين

ابن رواحة يحمل اللواء

قال ابن إسحق : وحدثني يحيي بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : حدثني أبي الذي أرضعني — وكان أحد بني مُرَّة ابن عوف — قال : فلما قُتِلَ جعفر أخذ عبدُالله بن رَوَاحَة الراية ، ثم تقدم بها — وهو على فرسه — فجعل يستنزل نفسه ويتردَّدُ بعض التردد ، ثم قال : —

أَقْسَمْتُ يَانَفْسُ لَتَنْزِلِنَّهْ لَتَنْزِلِنَّ أَوْ لَتُكْرَهِنَّهْ

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرَّنَّهْ

مَالِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الْجَنَّهْ [3]

(١) احتضنه : أخذه في حضنه ، وحضن الرجل : ما تحت العضد إلى أسفل

(٢) فقطعه : يروى في مكانه فقطه — بتشديد الطاء — وقطه وقطعه بمعنى

(٣) أجلب الناس : صاحوا واجتمعوا ، والرنة : صوت فيه ترجيع يشبه البكاء

قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ هَلْ أَنْتِ إِلاَّ نُطْفَةٌ فِي شَنَّهْ [١]

وقال أيضا : —

يَانَفْسُ إِلاَّ تُقْتَلِي تَمُوتِي هٰذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلِيتِ
وَمَا تَمَنَّيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتِ إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدِيتِ

يريد صاحبيه زيدا وجعفرا ، ثم نزل ، فلما نزل أتاه ابن عمٍّ له بِعَرْقٍ [٢] من لحم ، فقال : شُدَّ بهذا صُلْبَكَ ، فانك قد لقيتَ [في] أيامك هذه مالقيت ، فأخذه من يده ، ثم انْتَهَس [٣] منه نَهْسَةً ثم سمع الحَطْمَةَ [٤] فى ناحية الناس ، فقال : وأنتِ فى الدنيا ، ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حَتَّى قُتِل

ثم أخذ الراية ثَابتُ بن أَرْقَم أخو بنى العَجْلاَن ، فقال : يامعشر المسلمين ، اصْطَلِحُوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ماأنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القومَ وحَاشَى [٥] بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس . ثابت ابن أرقم يحمل اللواء

قال ابن إسحق : ولما أصيب القومُ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — : « أَخَذَ الرايةَ زيدُ بن حارثة فقاتل بها حتى قُتِل شهيدا ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا » قال : ثم صَمَتَ رسولُ الله صلى

---

(١) النطفة : الماء القليل الصافى ، والشنة : القربة القديمة
(٢) العرق : العظم الذى عليه بعض اللحم
(٣) انتهس : أخذ منه بفمه يسيراً
(٤) الحطمة : الكسرة
(٥) قيل : هو بالحاء المهملة من المحاشاة ، وقيل : هو بالخاء المعجمة ، وأصله الخشية ، أى أن فعله معهم كان فعل من يخشى

الله عليـه وسلم حتى تَغَيَّرَتْ وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان فى عبد الله ابن رواحة بعضُ مايكرهون ، ثم قال : « ثُمَّ أخذها عبدُ الله بن رَوَاحة فقاتل بها حتى قُتِلَ شهيداً » ثم قال : « لَقَدْ رُفِعُوا إلىَّ فى الجنة فيما يَرَى النائم عَلَى سُرُرٍ من ذهبٍ ، فرأيتُ فى سرير عبدالله بن رَوَاحة ازْوِرَاراً[1] عن سَرِيرَىْ صَاحِبيْهِ فقلت : عَمَّ هٰذَا ؟ فقيل لى : مَضَيَا وَتَرَدَّدَ عبدُ الله بعضَ التردد ، ثم مضى »

رسول الله يخبر أهل المدينة بمصاب القوم

قال ابن إسحق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن أم عيسى الْخُزاعيةِ ، عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبى طالب ، عن جدتها أسماء ابنةِ عُمَيْسٍ ، قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دَبَغْتُ أربعين[2] مَنْأً (قال ابن هشام : ويروى « أربعين منيئةً ») قالت : وعجنتُ عجينى وغَسَّلْتُ بَنِىَّ ودَهَنْتُهُمْ وَنَظَّفْتُهُمْ ، قالت : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ائْتِنِى بِبَنِى جَعْفَر » قالت : فأتيته بهم ، فَتَشَمَّمَهُمْ وَذَرَفَتْ عيناه ، فقلت : يارسول الله ، بأبى أنت وأمى مايُبْكِيكَ أَبَلَغَكَ عن جعفر وأصحابه شىء ؟ قال « أُصِيبُوا هٰذَا الْيَوْمَ » قالت : فقمتُ أَصِيحُ ، واجتمع إلىَّ النساء ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىَّ ، فقال : « لاَتُغْفِلُوا آلَ جَعْفَرٍ مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا لَهُمْ طَعَامًا فَإِنَّهُمْ قَدْ شُغِلُوا بِأَمْرِ صَاحِبِهِمْ »

وحدثنى عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، عن أبيه ، عن عائشة زوج

---

(١) الازورار : الميل ، والاعوجاج

(٢) المنا : هو مقصور كعصا ، ومهموز ، وهو مقدار يوزن به ، والمنيئة هى الجلد ما دام فى الدباغ

النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما أتى نعيُّ جعفر[١] عَرَفْنا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الْحُزْنَ قالت : فدخل عليه رجل فقال : يارسول الله ، إن النساء عَنَّيْنَنَا وَفَتَنَّنَا ،قال: « فَارْجِعْ إِلَيْهِنَّ فَأَسْكِتْهُنَّ »قالت : فذهب ثم رجع فقال له مثل ذلك ، قال : تقول : وَرُبَّمَا ضَرَّ التكلُّفُ أهْلَه ، قالت : قال « فَاذْهَبْ فَأَسْكِتْهُنَّ فَإِنْ أَبَيْنَ فَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ » قالت: وقلت في نفسي : أبعدك الله ، والله ما تركتَ نفسك وما أنت بمُطِيعٍ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : وعرفت أنه لا يقدر على أن يَحْثِيَ في أفواههن التراب

قال ابن إسحق : وقد كان قُطْبة بن قَتَادة العُذْرِيُّ الذى كان على ميمنة المسلمين قد حمل على مالك بن زافله فقتله ، فقال قُطْبة بن قَتَادة : —

طَعَنْتُ ابْنَ زَافِلَةَ بْنَ الْإِرَاشِ ... بِرُمْحٍ مَضَى فِيهِ ثُمَّ انْحَطَمْ[٢]

ضَرَبْتُ عَلَى جِيدِهِ ضَرْبَةً ... فَمَالَ كَمَا مَالَ غُصْنُ السَّلَمْ[٣]

وَسُقْنَا نِسَاءَ بَنِي عَمِّهِ ... غَدَاةَ رَقُوقَيْنِ سَوْقَ النَّعَمْ[٤]

قال ابن هشام : قوله « ابن الاراش » عن غير ابن إسحق ، والبيت الثالث عن خَلَّاد بن قُرَّةَ ، و يقال : مالك بن رافلة [عن غير ابن إسحق]

---

(١) النعي - بفتح فسكون - خبر الميت ، والنعي - بفتح فكسر وتشديد الياء - الذى يخبر بالموت ، فعيل بمعنى فاعل

(٢) انحطم : انكسر

(٣) الجيد : العنق ، والسلم - بفتح السين واللام - ضرب من الشجر ، واحدته سلمة

(٤) رقوقين : هو اسم موضع ، يروى بقافين وبقاف ففاء بعد الواو

كاهنة بنى حدس تنذر قومها جيش رسول الله

قال ابن إسحق : وقد كانت كاهنة من حَدَسٍ [1] — حين سمعت بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا — قد قالَتْ لقومها من حَدَس وَقَوْمُهَا بطنٌ يقال لهم بنو غَنْم : أُنْذِرُكُمْ قوماً خُزْرًا [2]، ينظرون شَزْرًا [3] ويقودون الخيلَ تَتْرًا [4] ، وَيُهَرِيقُونَ دَمًا عَكِرًا [5] ، فأخذوا بقولها واعتزلوا من بين لَخْم ، فلم تزل بَعْدُ أَثْرى حَدَس [6]

وكان الذين صَاوا الحربَ يومئذٍ بنو ثعلبة بَطْنٌ من حَدَس ، فلم يزالوا قليلاً بعد ، فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلا

عودة الجيش الى المدينة

قال ابن إسحق . فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، : عن عروة بن الزبير ، قال : فلما دَنَوْا من حول المدينة تَلَقَّاهُمْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، قال : ولقيهم الصبيانُ يَشْتَدُّونَ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مقبلٌ مع القومِ على دابة ، فقال : « خُذُوا الصِّبْيَانَ فَاحْمِلُوهُمْ وَأَعْطُونِي ابْنَ جَعْفَرٍ » فأتى بعبد الله ، فأخذه فحمله بين يديه ، قال : وجعل الناس يَحْثُون على الجيش الترابَ ويقولون : يافُرَّار فَرَرْتُمْ فى سبيل الله !! قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسُوا بِالْفُرَّارِ وَلٰكِنَّهُمُ الْكُرَّارُ إِنْ شَاءَ اللهُ [تعالى] »

(١) حدس : قبيلة من لخم ، ولخم : من اليمن

(٢) خزرا : جمع أخزر ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبر

(٣) شزرا : هو نظر العداوة

(٤) تترى : يروى بتاءين ، ومعناه تتابعا كما فى قوله تعالى : (ثم أرسلنا رسلنا تترى) ويروى نترا بنون فتاء ـ وهو مصدر قولك : نترت الشيء ،

(٥) العكر : المتعكر ، تريد المختلط

(٦) يريد أنها كانت بعد ذلك أكثر قومها مالا وأعظمهم ثروة

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عامر بن عبد الله ابن الزبير ، عن بعض آل الحرث بن هشام — وهم أخواله — عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام ابن العاص بن المغيرة : مالى لاأرى سلمة يَحْضُرُ الصلاةَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين ؟ قالت : والله مايستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناسُ يافُرَّارُ فرَرْتُم فى سبيل الله ، حتى قعد فى بيته فما يخرج

قال ابن إسحق : وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومُحَاشاته بالناس وانصرافه بهم قَيْسُ بن الْمُسَحَّر الْيَعْمُرِىُّ يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس : —

كلمة لقيس بن المسحرفى يوم مؤتة

فَوَاللهِ لَاتَنْفَكُّ نَفْسِي تَلُومُنِي
عَلَى مَوْقِفِى وَالْخَيْلُ قَابِعَةٌ قُبْلُ (١)
وَقَفْتُ بِهَا لَامُسْتَحِيزًا فَنَافِذًا
وَلَا مَانِعًا مَنْ كَانَ حُمَّ لَهُ الْقَتْلُ (٢)

---

(١) قابعة : تروى هذه الكلمة على عدة أوجه : الأول : قابعة — بالباء وأوله قاف — ومعناها منقبضة فى مكانها ، والوجه الثانى : نائعة — بالنون فى أوله وبعد الألف همزة — ومعناها رافعة رءوسها ، والوجه الثالث : قائعة — بالقاف وبعد الألف همزة — ومعناها واثبة ، تقول : قأع الفحل على الناقة ، إذا وثب عليها ، والقبل — بضم القاف وسكون الباء — جمع أقبل ، وهو الذى تميل عينه عند النظر إلى جهة العين الأخرى ، وربما فعلت الخيل ذلك حدة ونشاطا ، وأنثى الأقبل قبلاء ، وجمعها قبل أيضا

(٢) مستحيزا : يروى بالحاء المهملة وآخره زاى ، وتقول : تحيز وانحاز واستحاز ، إذا كان فى ناحية ، ويروى مستجيرا — بالجيم وآخره راء مهملة وقوله « حم » هو بالبناء للمجهول : أى قدر

عَلَى أَنِّى آسَيْتُ نَفْسِى بِخَالِدٍ
أَلَا خَالِدٌ فِى الْقَوْمِ لَيْسَ لَهُ مِثْلُ (١)

وَجَاشَتْ إِلَيَّ النَّفْسُ مِنْ نَحْوِ جَعْفَرٍ
بِمُؤْتَةَ إِذْ لَا يَنْفَعُ النَّابِلَ النَّبْلُ (٢)

وَضَمَّ إِلَيْنَا حَجْزَتَيْهِمْ كِلَيْهِمَا
مُهَاجِرَةٌ لَا مُشْرِكُونَ وَلَا عُزْلُ (٣)

فبيَّنَ قَيْسٌ ما اختلف فيه الناس من ذلك فى شعره أن القوم حاجزوا وكَرهوا الموت وحقّق انحياز خالد بمن معه

قال ابن هشام : فأما الزهرى فقال — فيما بلغنا عنه — : أمَّر المسلمون عليهم خالد بن الوليد ، ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى قفل إلى النبى صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : وكان مما بُكِى به أصحابُ مؤته من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قولُ حسان بن ثابت : —

كلمة لحسان فى رثاء شهداء مؤتة

تَأَوَّبَنِى لَيْلٌ بِيَثْرِبَ أَعْسَرُ وَهَمٌّ إِذَا مَا نَوَّمَ النَّاسُ مُسْهِرُ (٤)

---

(١) آسيت نفسى بخالد : أى اقتديت به فيما صنع ، من الأسوة ، وهى القدوة ، وألا : استفتاح

(٢) جاشت : رجعت أو ارتفعت ، والنابل : صاحب النبل

(٣) حجزتيهم : ناحيتيهم ، والعزل : جمع أعزل ، وهو الذى لا سلاح معه

(٤) تأوبنى : عادنى ورجع إلى ، وأصله آب يؤوب : أى رجع ، وأعسر : شديد العسر ، ومسهر : داع إلى السهر ، ومانع من النوم

لِذِكْرَى حَبِيبٍ هَيَّجَتْ لِيَ عَبْرَةً
سَفُوحًا وَأَسْبَابُ الْبُكَاءِ التَّذَكُّرُ (١)
بَلَى إِنَّ فِقْدَانَ الْحَبِيبِ بَلِيَّةٌ
وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يُبْتَلَى ثُمَّ يَصْبِرُ
رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُؤْمِنِينَ تَوَارَدُوا شَعُوبَ وَخَلْفًا بَعْدَهُمْ يَتَأَخَّرُ (٢)
فَلَا يُبْعِدَنَّ اللهُ قَتْلَى تَتَابَعُوا بِمُؤْتَةَ مِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحَيْنِ جَعْفَرُ
وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللهِ حِينَ تَتَابَعُوا جَمِيعًا وَأَسْبَابُ الْمَنِيَّةِ تَخْطِرُ (٣)
غَدَاةَ مَضَوْا بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُمْ
إِلَى الْمَوْتِ مَيْمُونُ النَّقِيبَةِ أَزْهَرُ (٤)
أَغَرُّ كَضَوْءِ الْبَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أَبِيٌّ إِذَا سِيمَ الظُّلَامَةَ مِجْسَرُ (٥)
فَطَاعَنَ حَتَّى مَالَ غَيْرَ مُوَسَّدٍ بِمُعْتَرَكٍ فِيهِ قَنًا مُتَكَسِّرُ (٦)

---

(١) العبرة : الدمعة ، والسفوح : السائلة أو شديدة السيلان

(٢) شعوب : تروى هذه الكلمة بضم الشين فهى جمع شعب ، وهو القبيلة ، ويقال : هو أكبر منها ، ويجب حينئذ نصبها منونة ، وتروى بفتح الشين فهى المنية ، فعول بمعنى فاعل ، سميت بذلك لأنها تشعب الأحباب : أى تفرقهم ، ويجوز حينئذ نصبها من غير تنوين للعلمية والتأنيث ، وخلفا : تروى بالفاء ، ومعناه الذى يأتى بعدهم ، وتروى بالقاف ، وهو ظاهر المعنى

(٣) « تخطر » تقول : خطر فلان فى مشيته ، إذا اختال فيها وتبختر وتحرك واهتز .

(٤) ميمون النقيبة : يريد أنه مسعود منجح فيما يطلبه ، وأزهر : أى أبيض

(٥) الأبى : العزيز الذى يأبى الضيم : أى يمتنع من قبوله ، وسيم : كلف ، والمجسر : الشديد الجسارة

(٦) المعترك : موضع الحرب

فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ ثَوَابُهُ
جِنَانٌ وَمُلْتَفُّ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ (١)

وَكُنَّا نَرَى فِي جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ وَفَاءً وَأَمْرًا حَازِمًا حِينَ يَأْمُرُ

وَمَازَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
دَعَائِمُ عِزٍّ لَايَزُلْنَ وَمَفْخَرُ

هُمُ جَبَلُ الْإِسْلَامِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُمْ
رِضَامٌ إِلَى طَوْدٍ يَرُوقُ وَيَبْهَرُ (٢)

بَهَالِيلُ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وَابْنُ أُمِّهِ عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ (٣)

وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمُ عَقِيلٌ وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يُعْصَرُ

بِهِمْ تُفْرَجُ اللَّأْوَاءُ فِي كُلِّ مَأْزِقٍ
عَمَاسٍ إِذَا مَاضَاقَ بِالنَّاسِ مَصْدَرُ (٤)

هُمُ أَوْلِيَاءُ اللهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ ذَا الْكِتَابُ الْمُطَهَّرُ

وقالَ كعبُ بن مالك : —

---

(١) الحدائق : جمع حديقة ، وهي الجنة

(٢) الرضام : جمع رضم ، وهو الحجارة يجعل بعضها فوق بعض ، والطود : الجبل ، ويروق : يعجب

(٣) البهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد

(٤) اللأواء : الشدة ، والمأزق : المكان الضيق ، والعماس : المظلم ، يريد عند ارتفاع الغبار فيه

قصيدة لكعب ابن مالك فى شهداء مؤتة

نَامَ الْعُيُونُ وَدَمْعُ عَيْنِكَ يَهْمُلُ
سَحًّا كَمَا وَكَفَ الطِّبَابُ الْمُخْضِلُ (١)

فِي لَيْلَةٍ وَرَدَتْ عَلَيَّ هُمُومُهَا طَوْرًا أَخِنُّ وَتَارَةً أَتَمَلْمَلُ
وَاعْتَادَنِي حُزْنٌ فَبِتُّ كَأَنَّنِي بِبَنَاتِ نَعْشٍ وَالسِّمَاكِ مُوَكَّلُ (٢)
وَكَأَنَّمَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا مِمَّا تَأَوَّبَنِي شِهَابٌ مُدْخَلُ (٣)
وَجْداً عَلَى النَّفَرِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا يَوْمًا بِمُؤْتَةَ أُسْنِدُوا لَمْ يُنْقَلُوا
صَلَّى الْإِلَٰهُ عَلَيْهِمِ مِنْ فِتْيَةٍ وَسَقَى عِظَامَهُمُ الْغَمَامُ الْمُسْبِلُ (٤)

صَبَرُوا بِمُؤْتَةَ لِلْإِلٰهِ نُفُوسَهُمْ
حَذَرَ الرَّدَى وَمَخَافَةً أَنْ يَنْكُلُوا (٥)

فَمَضَوْا أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ كَأَنَّهُمْ فُنُقٌ عَلَيْهِنَّ الْحَدِيدُ الْمُرْفَلُ (٦)

---

(١) يهمل : يسيل . تقول : همل الدمع ، إذا سال ، وسحا : صبا ، ووكف : قطر ، والطباب : ثقب فى خرز المزادة التى يجعل فيها الماء ، والمخضل : اسم فاعل من أخضل ، إذا تندى

(٢) أحن : تروى هذه الكلمة بالحاء المهملة وبالخاء المعجمة ، فأما من رواه بالحاء المهملة فهو مضارع من الحنين ، وأما من رواه بالخاء المعجمة فهو مضارع من الخنة وهى صوت يخرج من الأنف مع بكاء ، وأتململ : أتقلب

(٣) الجوانح : عظام أسفل الصدر ، والشهاب : القطعة من النار ، ومدخل : اسم مفعول من أدخل

(٤) المسبل : الممطر ، ويقال للمطر : سبل

(٥) ينكلوا : يرجعوا عن عدوهم هائبين له

(٦) فنق : جمع فنيق ، وهو الفحل من الابل ، والمرفل : الذى تجر أطرافه على الأرض

إِذْ يَهْتَدُونَ بِجَعْفَرٍ وَلِوَائِهِ قُدَّامَ أَوَّلِهِمْ فَنِعْمَ الْأَوَّلُ

حَتَّى تَفَرَّجَتِ الصُّفُوفُ وَجَعْفَرٌ
حَيْثُ الْتَقَى وَعْثُ الصُّفُوفِ مُجَدَّلُ (١)

فَتَغَيَّرَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ لِفَقْدِهِ
وَالشَّمْسُ قَدْ كُسِفَتْ وَكَادَتْ تَأْفِلُ (٢)

قَرْمٌ عَلَا بُنْيَانُهُ مِنْ هَاشِمٍ فَرْعًا أَشَمَّ وَسُؤْدَدًا مَا يَنقُلُ (٣)

قَوْمٌ بِهِمْ عَصَمَ الْإِلٰهُ عِبَادَهُ وَعَلَيْهِمُ نَزَلَ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ

فَضَلُوا الْمَعَاشِرَ عِزَّةً وَتَكَرُّمًا
وَتَغَمَّدَتْ أَحْلَامُهُمْ مَنْ يَجْهَلُ (٤)

لَا يُطْلِقُونَ إِلَى السَّفَاهِ حُبَاهُمُ وَتَرَى خَطِيبَهُمُ بِحَقٍّ يَفْصِلُ (٥)

بِيضُ الْوُجُوهِ تَرَى بُطُونَ أَكُفِّهِمْ
تَنْدَى إِذَا اعْتَذَرَ الزَّمَانُ الْمُمْحِلُ (٦)

---

(١) الوعث : الرمل الذى تغيب فيه الأرجل ، ومجدل : مطروح على الجدالة وهى الأرض

(٢) تأفل : تغيب

(٣) القرم : أصله الفحل من الابل ، وأراد منه هنا السيد ، وقوله ما ينقل : يروى بالقاف ، ومعناه ظاهر ، ويروى بالفاء ومعناه لايحجر

(٤) تغمدت أحلامهم من يجهل : أى سترت أهل الجهل

(٥) الحبى : بضم الحاء ، مقصورا : جمع حبوة ، مثل خطوة وخطى ، والحبوة : أن يشبك المرء أصابع يديه بعضها فى بعض ويجعلها فى ركبتيه إذا جلس ، وربما احتبى الناس بحمائل السيف ونحوها

(٦) الممحل : هو من المحل ، وهو الشدة والقحط وكلب الزمان والجدب

وَبِهَدْيِهِمْ رَضِىَ الْإِلٰهُ لِخَلْقِهِ ... وَبِجَدِّهِمْ نُصِرَ النَّبِىُّ الْمُرْسَلُ (١)

وقال حسان بن ثابت يبكى جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه : —

قصيدة لحسان يرثى فيها جعفر

وَلَقَدْ بَكَيْتُ وَعَزَّ مَهْلِكُ جَعْفَرٍ ... حِبِّ النَّبِىِّ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا

وَلَقَدْ جَزِعْتُ وَقُلْتُ حِينَ نُعِيتَ لِى
مَنْ لِلْجِلَادِ لَدَى الْعُقَابِ وَظِلِّهَا (٢)

بِالْبِيضِ حِينَ تُسَلُّ مِنْ أَغْمَادِهَا ... ضَرْبًا وَإِنْهَالِ الرِّمَاحِ وَعَلِّهَا (٣)

بَعْدَ ابْنِ فَاطِمَةَ الْمُبَارَكِ جَعْفَرٍ ... خَيْرِ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا وَأَجَلِّهَا (٤)

رُزْءًا وَأَكْرَمِهَا جَمِيعًا مَحْتِدًا ... وَأَعَزِّهَا مُتَظَلِّمًا وَأَذَلِّهَا

لِلْحَقِّ حِينَ يَنُوبُ غَيْرَ تَنَحُّلٍ ... كَذِبًا وَأَنْدَاهَا يَدًا وَأَقَلِّهَا (٥)

فُحْشًا وَأَكْثَرِهَا إِذَا مَا يُجْتَدَى ... فَضْلًا وَأَنْدَاهَا يَدًا وَأَبَلِّهَا (٦)

بِالْعُرْفِ غَيْرَ مُحَمَّدٍ لَا مِثْلُهُ ... حَىٌّ مِنَ أَحْيَاءِ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا

---

(١) بجدهم : يروى بالحاء المهملة وبالجيم مكسورة ، فأما من رواه بالمهملة فقد أراد به إقدامهم وشجاعتهم وجراءتهم فى أوقات النزال ، وأما من رواه بالجيم المكسورة فهو الاجتهاد

(٢) العقاب فى هذا المكان : الراية

(٣) الانهال : أن تسقى الناس بعد الشراب الأول ، وهو معطوف على قوله الجلاد فى البيت السابق ، والعل : الشرب الثانى

(٤) فاطمة هنا : هى أم جعفر وعلى ابنى أبى طالب رضى الله عنهما ، وهى فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وهى أول هاشمية ولدت لها شمى

(٥) التنحل : الانتحال ، والتحل : الكذب أيضا

(٦) يجتدى : تطلب جدواه ، والجدوى ـ بفتح الجيم ـ المنحة والعطية

وقال حسان بن ثابت فى يوم مؤتة يبكى زيد بن حارثة وعبد الله بن رَوَاحة : —

حسان بن ثابت يرثى عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة

عَيْنِ جُودِى بِدَمْعِكِ الْمَنْزُورِ
وَاذْكُرِى فِى الرَّخَاءِ أَهْلَ الْقُبُورِ (١)

وَاذْكُرِى مُؤْتَةً وَمَا كَانَ فِيهَا يَوْمَ رَاحُوا فِي وَقْعَةِ التَّغْوِيرِ (٢)

حِينَ رَاحُوا وَغَادَرُوا ثَمَّ زَيْداً
نِعْمَ مَأْوَى الضَّرِيكِ وَالْمَأْسُورِ (٣)

حِبَّ خَيْرِ الْأَنَامِ طُرًّا جَمِيعاً سَيِّدِ النَّاسِ حُبُّهُ فِى الصُّدُورِ
ذَاكُمُ أَحْمَدُ الَّذِى لاَ سِوَاهُ ذَاكَ حُزْنِى لَهُ مَعًا وَسُرُورِى
إِنَّ زَيْداً قَدْ كَانَ مِنَّا بِأَمْرٍ لَيْسَ أَمْرَ الْمُكَذَّبِ الْمَغْرُورِ
ثُمَّ جُودِى لِلْخَزْرَجِيِّ بِدَمْعٍ سَيِّداً كَانَ ثَمَّ غَيْرَ نَزُورِ (٤)
قَدْ أَتَانَا مِنْ قَتْلِهِمْ مَا كَفَانَا فَبِحُزْنٍ نَبِيتُ غَيْرِ سُرُورِ

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من غزوة مؤتة : —

كَفَى حَزَنًا أَنِّى رَجَعْتُ وَجَعْفَرٌ وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللهِ فِي رَمْسِ أَقْبُرِ
قَضَوْا نَحْبَهُمْ لَمَّا مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ وَخُلِّفْتُ لِلْبَلْوَى مَعَ الْمُتَغَبِّرِ (٥)

---

(١) المنزور : القليل ، وذلك لأنه بكى حتى فرغ دمعه
(٢) التغوير : الاسراع ، يريد الانهزام
(٣) الضريك : الفقير
(٤) أراد بالخزرجى عبدالله بن رواحة ، والنزور : القليل العطاء
(٥) قضوا نحبهم : يريدماتوا ، وأصل النحب النذر ، وقال الله تعالى :

[ثَلاثَةُ رَهْطٍ قَدَّمُوا فَتَقَدَّمُوا
إِلَى وِرْدِ مَكْرُوهٍ مِنَ الْمَوْتِ أَحْمَرِ]

وهذه تسمية من استشهد يوم مُؤْته

أسماء شهداء يوم مؤتة

من قريش ، ثم من بنى هاشم : جَعْفَرُ بن أبى طالب رضى الله عنه وزيد بن حارثة رضى الله عنه

ومن بنى عدى بن كعب : مَسْعُودُ بن الأسود بن حارثة بن نَضْلَة

ومن بنى مالك بن حِسْلٍ : وَهْبُ بن سعد بن أبى سَرْح

ومن الأنصار ، ثم من بنى الحرث بن الخزرج : عَبْدُ الله بن رَوَاحَةَ ، وَعَبَّاد بن قيس

ومن بنى غَنْم بن مالك بن النجار : الحرثُ بن النعمان بن إساف بن نَضْلة بن عبد بن عوف بن غنم

ومن بنى مازن بن النجار : سُرَاقَةُ بن عَمْرو بن عَطِيَّة بن خَنْسَاء

قال ابن هشام : وممن استشهد يوم مؤتة — فيما ذكر ابن شهاب — من بنى مازن بن النجار : أبو كُلَيْبٍ وَجَابِرٌ ابنا عَمْرو بن زيد بن عوف بن مبذول ، وهما لأب وأم

ومن بنى مالك بن أَفْصَى : عمرو وعامر ابنا سعد بن الحرث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى

قال ابن هشام : ويقال : أبو كلاب وجابر ابنا عمرو

(فنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) والمتغبر : الباقى ، ويروى فى مكانه «المتعذر» وهو واضح المعنى

قد تم — بحمد الله تعالى ومعونته وحسن توفيقه — طبع الجزء الثالث من كتاب «سيرة النبي صلى الله عليه وسلم» لأبي محمد عبد الملك بن هشام، ويتلوه — إن شاء الله تعالى — الجزء الرابع، ومفتتحه «ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة، وذكر فتح مكة» نسأل الله أن يوفق ويعين على إكماله، إنه سبحانه وليّ ذلك؛ هو المعين وعليه التكلان.

فهرست الموضوعات

الواردة فى الجزء الثالث من كتاب

سيرة النبى صلى الله عليه وسلم

لأبى محمد عبد الملك بن هشام